Black plate (1,1)

المؤسسة العلمية الكتانية

الموسوعة الكتانية لتاريخ فاس

(10)

مجلد الدراسات المسمى

إتحاف الأكياس

بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

Black plate (2,1)

كل الحقوق محفوظة للناشر

الطبعة الثانية
1434هـ - 2013م

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

Black plate (3,1)

مجلد الدراسات المسمى

إتحاف الأكياس

بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

إعداد

د. حمزة بن محمد الطيب الكتاني

د. محمد حمزة بن علي الكتاني

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه

مقدمة الطبعة الثالثة

الحمد لله وحده، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه، ومقتفي نهجه وحزبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم لقائه وقربه.

وبعد ؛ فيسعدنا التقديم لهذه الطبعة الثالثة من كتاب «سلوة الأنفاس، ومحادثة الأكياس، بمن أقبر من العلماء والصلحاء بمدينة فاس»، لإمام المؤرخين في المغرب، وشيخ الإسلام ؛ أبي عبد الله محمد بن جعفر الكتاني الإدريسي الحسني، المتوفى رضي الله عنه، عام 1345هـ/ 1927م، بعد أن قمنا بطبعه الطبعة الأولى بمؤسسة دار الثقافة بالدار البيضاء عام 1425هـ/ 2004م، والثانية بدار الأمان ببيروت، عام 1435هـ/ 2014م، وهذه الطبعة الثالثة بدار الرشاد الحديثة بالدار البيضاء وبيروت.

ولست في معرض الحديث عن منهجيتنا في التحقيق والعمل على كتاب «سلوة الأنفاس»، بما نعتبرها منهجية متميزة ورائدة، قصدنا بها أمورا كثيرة ؛ منها : توضيح النص وضبطه على أوضح طريقة، وتقريب معلوماته وتيسيرها للباحثين، وإثبات ما كتب من دراسات متخصصة لعلماء باحثين من مختلف الجامعات، ليس في المغرب فحسب، بل حتى في المشرق وأوروبا، قدماء ومحْدثين.

□□□□□ □□□□□□□□ 1 23/02/2023 09:47

وأهم رسالة كانت لنا في هذا الكتاب ؛ هي : الرسالة الحضارية التي أراد مؤلفه أن تصل للأجيال بعده، باعتباره من آخر ما كُتِب في تاريخ رجالات هذه المدينة العظيمة – فاس – قبل الحماية الفرنسية، وقد ذكرنا ضمن أبحاثنا أن موسوعة الإمام محمد بن جعفر الكتاني رضي الله عنه، في تاريخ فاس ؛ ابتدأت بكتابه : «الأزهار العاطرة الأنفاس، في ترجمة قطب المغرب وتاج مدينة فاس، إدريس بن إدريس باني فاس»، وهو كالمقدمة في بناء فاس، وحضارتها، وما تمتاز به، ثم هذا الكتاب : «سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس، بمن أقبر من العلماء والصلحاء بمدينة فاس»، ترجم فيه لرجالاتها وأعيانها وصلحائها، والمنسوبين إلى الصلاح ممن احتفظت بأسمائهم الذاكرة الشعبية، وجدران الزقاق والساحات بها، ثم كتابه : «جلاء الأصداء من القلوب الغينية، ببيان إحاطته عليه الصلاة والسلام بالعلوم الكونية» ؛ الذي يُعتبر – بحق – خزانة لعلوم هؤلاء الأولياء العارفين، ومصطلحاتهم، وأدلتها من الكتاب والسنة، كلها مستنبطة من علوم النبي صلى الله عليه وسلم وإحاطته، ولا غرابة أن المدينة التي بنتها بضعة نبوية، يختصّ أهلُها بالعلوم والمعارف المحمدية.

وقد تحدثنا في مقدمة الطبعة الثانية عن عدة أنشطة أقيمت حول هذا الكتاب، من ندوات علمية على المستوى الجامعي، وعلى المستوى الجمعوي، ومشاركة أعلام الفكر والتاريخ، ورموز العلوم الإنسانية في الجامعة المغربية، في تلك الحفلات العلمية، مما أثبتناه وغيره في مجلد الدراسات المعنون عنه بـ : «إتحاف الجلاس، بما كتب من الدراسات حول سلوة الأنفاس».

ولا أجد هنا مندوحة عن التنبيه لأعمال أخرى قمنا بها على ضوء كتاب «سلوة الأنفاس»، منها ما هو علمي، ومنها ما هو من قبيل إحياء التراث والذاكرة، وترميم المعالم، وغير ذلك مما سنشير إليه بحول الله تعالى.

□□□□□ □□□□□□□□ 2 23/02/2023 09:47

منبهين إلى أن كتاب «سلوة الأنفاس»، هو مشروع حضاري، وليس كتاب تاريخ فقط ؛ فقد رتبه المؤلف على ترتيب نادر فريد ؛ وهو : زقاقِ مدينةِ فاس، وأحيائِها، وبُيوتها، وطوبونيمْيا المدينة الفاسِية، كأنه يتجول مع القارئ عبر التاريخ المعنوي والحسي، ويقول بلسان الحال : إن مدينة فاس كلها تاريخ، بجدرانها، وزقاقها، وعمارتها، وأعلامها، يتلخص فيه تاريخ المغرب وهويته جميعا. فلكل من تلك المواقع قيمته التي يستحق بها الحفاظ على وجوده ورمزيته، وتفسير تلك الرمزية والقيمة إلى أرض الواقع بإحياء تلك المعاني والعلوم والأسرار.

وعلى ضوء هذا المعنى ؛ فقد قمنا بعدة مشاريع علمية وحضارية قيمة، لولا كتاب «سلوة الأنفاس»، لما اهتدينا إليها أولا، ولا استطعنا القيام بها ثانيا.

ونظرا لكون «سلوة الأنفاس» تؤرخ لسلاسل الفقه المالكي في المغرب، وأئمته منذ تأسيسها إلى عصر المؤلف، وكون الفقه المالكي هو العصب الديني والتشريعي الذي شكل الهوية المغربية، سواء على مستوى العبادات، والقضاء، ونظم الدولة، بل والعادات والتقاليد، حتى ألف العلامة المهدي بن أحمد الفاسي (ت 1106هـ/ 1698م)، في دلائل عادات وتقاليد أهل فاس من السنة النبوية، والشريعة الإسلامية، كتابا سماه : «العَرْفُ الآسي، في العُرْفِ الفاسي» ؛ فقد رأينا أهمية الاحتفاء بهذا الجانب، وتعميق البحث فيه، في ندوتين دوليتين :

الأولى : ندوة : «المذهب المالكي في المغرب : من «الموطأ» إلى «المدونة».

الثانية : ندوة : «المذهب المالكي في سياقاته المعاصرة».

أ- ندوة : «المذهب المالكي في المغرب : من «الموطأ» إلى «المدونة» :

قمنا باسم «المؤسسة العلمية الكتانية»، بالتعاون مع «المركز الأكاديمي للثقافة والدراسات»، وبالتعاون مع وزارة الأوقاف المغربية، والمنظمة الإسلامية للتربية

3 23/02/2023 09:47

والعلوم والثقافة، والمجلس العلمي الأعلى، وجامعة القرويين، وجامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس، وكلية الآداب والعلوم الإنسانية، ظهر المهراز، فاس، بتنظيم ندوة أكاديمية دولية بمدينة فاس، في الأيام : 20-18 ربيع الأول عام 1429هـ، الموافق 28-26 مارس 2008م، تحت عنوان : «المذهب المالكي في المغرب : من «الموطأ، إلى «المدونة».

وقد شارك في الندوة التي استمرت ثلاثة أيام، أعلام من المغرب وخارج المغرب، ودارت محاور الندوة على :

-المذهب المالكي في المغرب : أصالة وامتداد.

-كتاب «الموطأ»، ومكانته العلمية.

-كتاب «الموطأ»، وتكامل المعارف.

-«المدونة» وترسيخ المذهب المالكي في الغرب الإسلامي.

-فقه «المدونة»، الآفاق والمنهج.

-المذهب المالي في المغرب : انتشار واستقرار.

وتخلل الندوة مناقشات علمية، وجلسات شعرية، وزيارة لمعرض مخطوطات «الموطأ» و»المدونة»، ومطبوعاتهما في خزانة القرويين، كما تضمن زيارة لضريح الإمام أبي ميمونة دراس ابن إسماعيل، بمقبرة مطرح الأجلة، بباب الفتوح بمدينة فاس، باعتباره أبرز علماء المغرب في طبقته، وتلميذ الإمام سحنون، وأول من أدخل «المدونة» للمغرب، ذلك الكتاب العظيم الذي يعتبر هو و»الموطأ»، ينبوعي الفقه المالكي ودستوره الذي لا ينضب.

أما أعضاء اللجنة العلمية ؛ فكانوا كل من الأساتذة الدكاترة : حمزة بن الطيب الكتاني، وعبد الله بنصر العلوي، وعبد الحميد العلمي، وحميد لحمر، وعبد

□□□□□ □□□□□□□□ 4 23/02/2023 09:47

الوهاب الفيلالي. وطبعت وقائعها في مجلدين بمطبعة النجاح الجديدة بالدار البيضاء سنة 1431هـ/ 2010م.

وقد خرجت الندوة بالتوصيات التالية :

1 – وضع بيبليوغرافيا دقيقة لنسخ «الموطأ»، و«المدونة»، وشروحها المختلفة.

2 – إحداث معهد أكاديمي يعنى بالدراسات المالكية بحثا وتحقيقا ونشرا.

3 – عقد شراكات مع المراكز العلمية ومجموعات البحث الوطنية والدولية التي تعنى بالأبحاث المالكية.

4 – تشجيع تحبيس الكتب على خزانة جامع القرويين اقتداء بسلاطين الدولة المغربية وأعلامها وأشرافها، وإعادة الإشراف عليها وتدبير شؤونها إلى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، أو جامعة القرويين.

5 – التعجيل بالبحث في خروم مخطوطات صناديق خزانة القرويين، خصوصا مخطوطات المدونة السحنونية، لإعادة ترتيبها وتنظيمها وفق أصولها الأولى.

6 – دعوة منظمة الإيسسكو إلى متابعة جهودها في مجال الحفاظ على التراث الإسلامي والتقريب بين المذاهب الفقهية بمشاركة الفعاليات الوطنية والدولية.

7 – إحياء التعاون المشترك بين الدولة المغربية ودولة الإمارات العربية المتحدة في مجال خدمة التراق المغربي تحقيقا ونشرا.

8 – توطيد العلاقات المغربية السودانية والإفريقية في مجال الدراسات الشرعية.

9 – الدعوة إلى عقد ندوة خاصة بالموطأ وشروحه، وبالمدونة وشروحها.

□□□□□ □□□□□□□□ 5 23/02/2023 09:47

10 – وضع برنامج للتعريف بالمذهب المالكي لفائدة الجالية المغربية المقيمة بأوروبا وأمريكا.

11 – الاهتمام بمسجد أبي ميمونة دراس ابن إسماعيل، وذلك بـ :

أ– العمل على ترميمه، وإحداث المرافق والتجهيزات اللازمة.

ب– إجراء الترتيبات لإقامة الصلوات الخمس به.

ت– إحداث كرسي «المدونة» تعطى بموجبه دروس يوم الجمعة من آخر كل شهر، وذلك بإشراف المجلس العلمي المحلي بفاس.

وقد آتت جل هذه التوصيات – بحمد الله تعالى – أكلها ؛ فقد تم فرز جميع خروم مكتبة جامع القرويين، وظهرت بفضل ذلك مخطوطات نادرة كانت تعد من قسم المفقودات، ومن أبرزها مجلدات عديدة من موسوعة : «الممهد الكبير»، في شرح موطأ الإمام مالك، للإمام عمر بن الزهراء الورياغلي، المتوفى أوائل القرن الثامن الهجري، وهو أكبر موسوعة في شرح موطأ الإمام مالك بن أنس.

كما تم ترميم مسجد الإمام دراس ابن إسماعيل، أول من أدخل «المدونة» للمغرب، وإحداث كرسي «المدونة» به، بإشراف المجلس العلمي لمدينة فاس، وبهذا عاد الأذان والصلاة والعلم إليه بعد زمن طويل من الانقطاع.

كما قمنا باسم الشرفاء الكتانيين بترميم وإعادة الاعتبار لضريح الإمام دراس ابن إسماعيل، كما سيأتي لاحقا إن شاء الله.

ب– ندوة : «المذهب المالكي في سياقاته المعاصرة» :

وبعد أن تم التأريخ لنشأة المذهب المالكي ثم دخوله المغرب، والأعلام الذين قاموا بإدخاله، خصوصا منهم : الإمام دراس ابن إسماعيل، فقد ارتأينا

□□□□□ □□□□□□□□ 6 23/02/2023 09:47

أن دراسة ساذجة لتاريخ المذهب ودخوله للمغرب، لن تكون كافية في التطبيق الحضاري والواقعي لما هو نظري وتاريخي، خاصة وأن المذهب المالكي هو المذهب المعمول به منذ تأسيس الدولة المغربية على يد الإمام مولاي إدريس بن عبد الله الكامل، رضي الله عنه، إلى الآن، وبه كان العمل في مختلف مجالات الحياة ونظم الدولة.

ولذلك فقد ارتأينا إقامة **ندوة دولية** على غرار الندوة السابقة، ولكن للبحث حول مجالات تطبيق المذهب في الواقع المعاصر، ليكون واقعًا مدروسًا معمولا به، وليس أرشيفا كبقية الآثار والحفريات. فقامت «المؤسسة العلمية الكتانية» بالاشتراك مع «الرابطة المحمدية للعلماء»، و«المركز الأكاديمي للثقافة والدراسات»، بتنظيم ندوة أكاديمية دولية بعنوان : «المذهب المالكي في سياقاته المعاصرة»، في الأيام : 21-23 ربيع النبوي عام 1433هـ، الموافق 14-16 فبراير 2012، وذلك بقصر المؤتمرات بمدينة فاس.

ولقد دارت محاور الندوة التي شاركت فيها نخبة من العلماء والمفكرين في الداخل المغربي ومن الخارج، على البنود التالية :

- المذهب المالكي والأمن العقدي والروحي.
- المذهب المالكي والثقافة الإسلامية.
- المذهب المالكي والمدارس الفقهية.
- المذهب المالكي في الكتابات الغربية.
- المذهب المالكي والقضايا المعاصرة.
- المذهب المالكي والقانون الدولي الإنساني.

□□□□□ □□□□□□□□ 7 23/02/2023 09:47

وقد تخلل ذلك أيضا قراءات شعرية، ومناقشات وحوارات، وعدة معارض من ضمنها : معرض صور من بعض مخطوطات الخزانة الحسنية لكتاب «الموطأ»، ومعرض مطبوعات الرابطة المحمدية للعلماء وفروعها، ومعرض مطبوعات المجلس العلمي المحلي بفاس، ومعرض مخطوطات الفقه المالكي في اللغة الأمازيغية السوسية، ومعرض مخطوطات الفقه المالكي في اللغات الأجنبية، وزيارة معرض مخطوطات ومطبوعات حول المذهب المالكي بخزانة القرويين، وتدشين انطلاقة كرسي «دراس ابن إسماعيل» بجامع القرويين الأعظم، عمره الله بذكره.

وقد خلصت الندوة إلى مجموعة من التوصيات الهامة، التي كانت نتيجة مباشرة للمدارسة التي أقامها علماء أجلة متخصصون طول أيام الندوة، وعبرت عن التوجه العام لمنظميها والمشاركين فيها ؛ وهي كالتالي :

1 – طبع أعمال الندوة.

2 – إنتاج ثقافة فقهية مشتركة منزعها إجماعي، وخطتها توافقية، أساسها التآلف بين المذاهب.

3 – إبراز دور المذهب المالكي في تشكيل ثقافة الغرب الإسلامي.

4 – مزيد العناية بنوازل المذهب المالكي.

5 – تنظيم ندوات مرتبطة بالمذهب المالكي في سياقاته المعاصرة، يتخصص كل منها في جانب من جوانب الحياة الراهنة، الدينية والاجتماعية، والاقتصادية والقضائية، وغيرها.

6– إدخال الفقه المالكي ضمن البرامج الدراسية ومناهجها في كليات الحقوق والعلوم الاقتصادية.

□□□□□ □□□□□□□□ 8 23/02/2023 09:47

7 – إفراد الزكاة والبنوك الإسلامية بندوة خاصة.

8 – دراسة ما أنتخ في الغرب حول الفقه المالكي دراسة تقييم وتقويم.

9 – إنشاء رابطة عالمية تعنى بدراسة الفقه المالكي بكل مدارسه.

10 – تكريم بعض الأعلام الشيوخ المبرزين في معرفة المذهب المالكي ومدارسته.

وقد طبعت وقائع هذه الندوة في مجلدين، بتنسيق وإعداد كل من الدكتور حمزة بن الطيب الكتاني، والدكتور عبد الله بنصر العلوي، والدكتور محمد العلمي.

ج– قضاة فاس :

وعلى ضوء فقهاء المالكية، والقضاء لا ينفصل عن الفقه ؛ إذ هو جزء لا يتجزأ منه، فقد قمنا باسم الموسوعة الكتانية لتاريخ فاس، بطبع كتاب : «لواقح الأزهار الندية، في من تولى خطتي القضاء والعدالة بهذه الحضرة الإدريسية» ؛ للعلامة النسابة المؤرخ ؛ محمد بن عبد الكبير بن هاشم الكتاني (ت1362هـ/ 1943م)، والذي حققه الأستاذ الدكتور محمد العمراني ؛ أستاذ التعليم العالي بكلية الآداب بفاس، وقدم له رئيس الموسوعة الدكتور محمد حمزة بن علي الكتاني، وقد تم الطبع بمطبعة الرشاد الجديدة بالدار البيضاء/ بيروت، في مجلد ضخم، بطبعة قشيبة.

وهذا الكتاب يعتبر من جهة أوسع كتاب ألف في تاريخ قضاة وعدول فاس الإدريسية، وسميت الإدريسية ؛ باعتبارها داخل السور الذي يضم عدوتي الأندلس والقرويين، دون فاس المرينية، أو العليا ؛ التي أفرد لها المؤلف محمد

□□□□□ □□□□□□□□ 9 23/02/2023 09:47

بن عبد الكبير بن هاشم الكتاني، كتابا سندفعه للطبع قريبا إن شاء الله تعالى، بعنوان : «تحفة الانشراح والانبساط، بمن تولى خطتي العدالة والقضاء بفاس العليا والسِّماط».

ومن جهة أخرى ؛ فهو يعتبر من أهم الكتب التي ألفت على ضوء «سلوة الأنفاس»، وعلى طريقته في العناية بمواضع دفن الأعلام المترجم لهم، وفي منهجيتها في الترجمة والتعريف، بما يجعله يعتبر من ذيولها، هذا وقد وقفنا بخط العلامة محمد المهدي ابن الشيخ محمد بن عبد الكبير بن محمد الكتاني، أن العلامة النسابة محمد بن عبد الكبير بن هاشم الكتاني، رحمهما الله تعالى، أخبره أنه شرع في تأليف ذيل على «سلوة الأنفاس»، ولكن لم نقف له على أثر للأسف.

هذا ؛ ويمكن على ضوء كتاب «سلوة الأنفاس»، البحث في تراجم وتاريخ علم الأنساب في المغرب، والعلماء النسابين ومؤلفاتهم، وقد ذكرت «السلوة» نخبة منهم، ولذلك فإننا ننوه إلى كتاب يعتبر أكبر موسوعة في علم وتاريخ الأنساب، وتراجم النسابين في المغرب ؛ وهو كتاب والده شيخ الإسلام أبي المواهب جعفر بن إدريس الكتاني الحسني (ت 1323هـ/ 1905م)، المسمى : «الرياض الريانية، في الشعبة الكتانية، ذات المحاسن الشافية الوافية الكافية»، في مجلد ضخم، قد يصدر في مجلدين، وقد حققه العلامة الدكتور علي بن المنتصر الكتاني رحمه الله تعالى، ويعمل على تخريجه ابنه الدكتور حسن بن علي الكتاني، كما أنه كان موضوع بحث دكتوراة، نوقش بكلية الآداب بجامعة عبد الملك السعدي بتطوان عام 1429هـ/ 2008م، من طرف الباحث الدكتور مصطفى البربوشي.

10 23/02/2023 09:47

وهذه ومجموعة من المؤلفات لتدل على الجهود الكبيرة التي قام بها أعلام العائلة الكتاني في التأريخ لمدينة فاس، مما نعتني بنشره في «الموسوعة الكتانية لتاريخ فاس»، وقد ذكرنا جلها في العدد الأول من موسوعتنا، يسر الله إتمامها بمنه وكرمه.

د- «معجم المصطلحات الصوفية : عربي إنجليزي» :

ألهمت «سلوة الأنفاس» الباحثين للعناية بمعجم المصطلحات الصوفية، فقد تضمنت كما هائلا من المصطلحات الصوفية، منها : ما هي مصطلحات عامة بين الصوفية مشرقا ومغربا، ومنها : ما هي مصطلحات مغربية خاصة، أو مخصوصة ببعض طوائف الصوفية وشيوخها.

وحيث إن «المصطلح الصوفي» يعتبر المفتاح الأساسي لدراسة نصوص هذا اللون من التراث الإنساني ؛ فقد اعتنت المؤسسة العلمية الكتانية للدراسات والأبحاث بالتعاون مع فريق البحث في اللسانيات التطبيقية بمعهد الدراسات والأبحاث للتعريب/ جامعة محمد الخامس بالرباط، بالعمل على صنع قاموس صوفي ثلاثي اللغة : عربي/ إنجليزي/ فرنسي. وذلك لتوضيح معنى جملة مهمة من المصطلحات، بل وترجمتها للغتين الإنجليزية والفرنسية، ومعروف ما في الترجمة من أهمية في نقل المعرفة من أمة لأمة، والمساهمة في التواصل العلمي والثقافي بين الأمم.

وبالفعل فقد تم القسم الأول من العمل ؛ وهو : «معجم المصطلحات الصوفية : عربي إنجليزي»، بإشراف نخبة من العلماء والباحثين وأهل الاختصاص ؛ وهم : د. حمزة بن الطيب الكتاني، ود. محمد الراضي، ود. محمد مصطفى عزام، ودة. كنزة ابن عمرو، ودة. آمنة العراقي، ود. عزيز كور، وبالفعل طبع هذا العمل الفذ

□□□□□ □□□□□□□□ 11 23/02/2023 09:47

بجامعة محمد الخامس بالرباط، ضمن منشورات معهد الدراسات والأبحاث للتعريب، التابع للجامعة، سنة 1441هـ/ 2020م.

هـ- «الائتناس، بتراجم فضلاء فاس» :

ولم يقتصر دورنا على الإنتاج، بقدر ما تجلى في الدعوة إلى الإنتاج، وتيسير المادة العلمية للباحثين في هذا الاتجاه، ومن ضمن الأعمال التي تم نشرها : مشروع قام به عالم طنجي، وهو : الشيخ أحمد بن محمد بن الصديق الغماري (ت1380هـ/ 1960م)، وهو أحد علماء مدينة طنجة، ممن كانت لهم عناية بعلم الحديث وما إليه، كما أنه من تلامذة مؤلف «سلوة الأنفاس».

فقد قام الغماري بإعادة ترتيب تراجم «سلوة الأنفاس» على حروف المعجم، ثم اختصار تلك التراجم، والإضافة إليها، وحذف بعضها، ثم تذييل «السلوة» إلى عصره، غير أنه – للأسف – لم يتم ذلك العمل، فوصل إلى حرف الراء، وقد ترجم لـ : 245 شخصية.

وقد يسر الله لنا الوقوف على مصورة لهذا الكتاب بخط المؤلف، فناولناها للباحث الدكتور عدنان بن عبد الله زُهار، فاشتغل على العناية بها وتخريج نصوصها، والتقديم لها، ثم طبع العمل بدار الرشاد الحديثة بالدار البيضاء/ بيروت، سنة 1441هـ/ 2020م، ويعتبر هذا العمل أول تذييل لكتاب «السلوة» نقف عليه، ويتيسر طبعه.

كما أن هناك بعض الأعمال على «سلوة الأنفاس» في طور التحقيق والعناية، ننوه لها عند صدورها إن شاء الله تعالى، منبهين إلى أن كتاب «سلوة الأنفاس» لا يزال يحتاج إلى أعمال عليه، ومن أهمها : التذييل إلى زمننا، وبطريقة مؤلفه ومنهجه من حيث العناية بالمواقع والمدافن، وما ذلك على أبناء فاس ومحبيها بصعب أو عسير.

□□□□□ □□□□□□□□ 12 23/02/2023 09:47

وهكذا ؛ فقد كانت «سلوة الأنفاس»، ومازالت نبراسا علميا وحضاريا، تجلى بإشعاعه على مختلف المجالات الثقافية والعلمية، وما ذكرناه إنما هو غيض من فيض تلك الأعمال القيمة التي صدرت سواء في حياة المؤلف، وبعده إلى الآن، كما أن من أهم المجالات التي تعتبر نتيجة مباشرة للإشعاع الحضاري لكتاب «سلوة الأنفاس» ؛ هو : مجال العمارة، وترميم الآثار، وإحياء المعالم التراثية والحضارية لمدينة فاس، وهو ما سنجمله في العنوان التالي :

و- أعمال ميدانية :

ألمحنا أعلاه إلى أن جانب المواقع في كتاب «سلوة الأنفاس» يعتبر جوهريا، كأن الكتاب يرشد الأجيال القادمة إلى ضرورة حماية تلك القبور والأضرحة، وصيانة تلك الأزقة وما بها من مساجد ودور وزوايا، ومعالم حضارية من بساتين وقصور وقلاع وأسوار وغيرها.

ولا شك أن الدولة كما المجتمع المدني، تقع على عاتقهما مسؤولية كبيرة في حماية تلك الآثار، وبالخصوص المجتمع المدني الذي يتكون – عادة – من أبناء أولئك الفضلاء المقبورين، سواء بالدم أو بالفكر والدين والروح، كما أنه ما من شك أن تلك المواقع في مدينة فاس قد تعرض جلها للإهمال، واندثرت آثار كثيرة من تلك الآثار، وانطمست قبور وأضرحة، وبيعت بيوت للأجانب من الأوروبيين الذين جاؤوا للمدين العتيقة يبحثون عن العراقة والراحة النفسية والمعنوية، وتجريب الآخر، مما تسبب في ضياع أوقاف، وتغيير معالم، واستغلال ضعف الوعي العام من أجل طمس قبور كانت تضمها بيوت لمئات السنين.

ولذلك فقد ارتأينا أنه من واجبنا الدعوة للعناية بتلك الرموز، والبدء بأنفسنا قبل لوم غيرنا، بالرغم من غلاء التكاليف، وصعوبة الدخول في معترك أصبح

□□□□□ □□□□□□□□ 13 23/02/2023 09:47

منهبة لكل من هب ودب ودرج، بل أصبحت تجد عصابات تقوم بأعمال منظمة من أجل الاسترزاق بتلك المعالم.

ورغما عن ذلك ؛ فقد قررنا مستعينين بالله تعالى، ومبتدئين بما هو من مسؤوليتنا مما يتعلق بالتراث الكتاني، خوض تلك الغمار فابتدأنا على مرحلتين :

الأولى : إنقاذ قبور أعيان من سلفنا الكتانيين المذكورين في كتاب «سلوة الأنفاس»، وربما غيرها من كتب المؤلف ؛ خاصة : «النبذة اليسيرة النافعة، التي هي لجملة من أستار مزايا الشعبة الكتانية رافعة»، ومؤلف ابن عمه العلامة النسابة، المؤرخ الشريف ؛ محمد بن عبد الكبير بن هاشم الكتاني الحسني، المسمى : «المواهب الفتحية، في تراجم الإخوة الأربعة أبناء السيدة فاطمة الحلبية»، وغير ذينك الكتابين من المراجع.

الثانية : إنقاذ المقابر والروضات الكتانية، وتنظيم أمورها، منوها إلى أن في القباب – مقبرة باب الفتوح – أربعة مقابر موقوفة على العائلة الكتانية ؛ وهي كالتالي :

1 – روضة وضريح الإمام دراس ابن إسماعيل.

2 – مقبرة الإمام أبي العلاء إدريس بن الطائع الكتاني وذويه. بين القبة المذكورة وقبة القطب مولاي عبد العزيز الدباغ.

3 – روضة الإمام أحمد بن عبد الحي الحلبي، في مطرح الجنة/ الأجلة.

4 – روضة القطب مولاي الطيب بن محمد الكتاني، عند مصلى باب الفتوح.

المرحلة الأولى :

ابتدأنا في المرحلة الأولى بروضة الإمام أحمد بن عبد الحي الحلبي، التي تضم أجداث أعيان من الأسرة الكتانية ؛ من ضمنهم : بنته السيدة فاطمة بنت الشيخ

14 23/02/2023 09:47

أحمد الحلبي، وزوجها الشريف النقيب ؛ مولاي محمد الفضيل بن العربي بن محمد بن علي الكتاني، وابنه الشريف محمد الزمزمي بن محمد الفضيل، وابنه مولاي إدريس بن محمد الزمزمي، وكذا قبر الشريف مولاي عمرو بن إدريس بن أحمد بن علي الكتاني، الذي أوقف المقبرة الطيبية على ذويه، وغيرهم.

وتاريخ إيقاف هذه المقبرة يرجع لأكثر من ثلاثمائة عام، فالشيخ الحلبي توفي رحمه الله تعالى عام 1120هـ/ 1708م، فقمنا بالبحث عن قبور السادة المذكورين، وتعيين مواقعها بالاعتماد على الكتب المذكورة أعلاها، ومختلف الوثائق العائلية، فأعدنا بناءها، وأظهرنا المطموس منها، ووضعنا الشواهد عليها لتعرف، وتُحفظ من نهب العابثين ولصوص المقابر.

ثم نفس الأمر قمنا به في روضة القطب مولاي الطيب الكتاني، فأعدنا قبر الشريف مولاي عبد الواحد بن عمرو الكتاني، وابنه الشريف مولاي عبد الوهاب بن عبد الواحد الكتاني، وغيرهما من القبور.

وكذلك قمنا بتجديد، وإنقاذ مقبرة الشريف مولاي إدريس بن الطائع الكتاني، بإعادة بناء ما تحققنا من أصحابه من مقابرها، وتسويرها، وتزديجها، ومن أولئك الأعيان : مولاي إدريس بن الطائع الكتاني، والعلامة المأمون بن عمر الكتاني، والعلامة الحسن بن عمر الكتاني، والشريفة كَبُّور بنت الغالي الكتانية (جدة صاحب «السلوة» لأمه)، والشريفة زبيدة بنت إبراهيم بن محمد الزمزمي الكتانية (والدة صاحب «السلوة»)، والشريفة زبيدة بنت عمر بن الطائع الكتانية (زوجة صاحب «السلوة»)، والشريفة العالمة خديجة بنت الإمام محمد بن جعفر الكتاني، والشريف العارف مولاي إبراهيم بن محمد الزمزمي بن إدريس الكتاني، ووالده الشريف العارف محمد الزمزمي بن إدريس بن محمد الزمزمي الكتاني، والحاج أحمد بن حرازم العلج، والحاج جواد بن أحمد العلج، والسيد محمد الكبير بن محمد القباج.

□□□□□ □□□□□□□□ 15 23/02/2023 09:47

وقد تطلب هذا العمل منا بحثا علميا وميدانيا، واستفادة من أهل الخبرة، فربما نتأخر عاما وأكثر قبل تحديد القبر ؛ نظرا لإتلاف شواهد القبور، وأحيانا ضياع معالمها تماما. ولكن يسر الله تعالى وقمنا بهذا الجهد مع ما يحتاجه من موارد مالية، شارك فيها جملة من الشرفاء الكتانيين والأصهار بارك الله فيهم.

المرحلة الثانية :

إن ترميم قبور معينة لا يعتبر كافيا لإنقاذ تلك المقابر، ولا موفيا بحقوقها علينا كإرث تاريخي يمتد لقرون عديدة، كيف وقبة دراس ابن إسماعيل عمرها نحو أحد عشر مائة عام، والروضة الطيبية والحلبية أكثر من ثلاثمائة عام، وروضة الإمام مولاي إدريس بن الطائع الكتاني، نحو مائة وخمسين عاما ؟

غير أن التراكم المعرفي عبر عقود، متمثلا في حفاظ عائلتنا على رسوم تلك المقابر التي تنص على إيقافها على السادة الكتانيين، سواء من ظهائر ومن هبات، قد ساعدنا كثيرا على العمل على تحفيظ وتسجيل تلك الروضات باسم الشرفاء الكتانيين، حتى تكتسب القوة القانونية، ولا تصبح ملعبة للعابثين ممن يستهويهم المال على حساب الهوية والتاريخ.

فقمنا بالفعل بتجديد تلك الرسوم العدلية والإشهادات القديمة، ثم القيام بالمسح الخرائطي ورسم حدود تلك المواقع، ثم إنشاء تصاميم لها، وبعد جهد قانوني وعمل مثابر طويل، أخذ منا سنوات، بالتعاون مع أبناء عمنا من أبناء الأسرة الكتانية، وتسهيل مشكور من وزارة الأوقاف والمؤسسات التابعة لها، وولاية فاس والمؤسسات التابعة لها، والمجلس الجماعي للمدينة، فاستطعنا بذلك تحفيظ وتسجيل تلك المقابر، وضمها لسجلات أوقاف العائلة الكتانية التي خصصت لها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بمدينة فاس ناظرا يمثلها ويدافع عنها.

16 23/02/2023 09:47

بعد ذلك قمنا بتنظيف تلك المقابر، وتسويرها، وتنظيمها، واستخلاص ما وقع منها بأيدي العابثين وتجار المقابر، وتجديد قبة الإمام الدراس ابن إسماعيل، وترميمها، وتجهيزها على أفضل طراز، ثم تكليف من يقوم بحراستها ومتابعة أمورها، وتنظيمها عبر قانون تنظيمي داخلي تم الاتفاق عليه بواسطة الشرفاء الكتانيين، الذين شكلوا لجنة من الشرفاء الكتانيين مكونة من تسعة أشخاص من داخل فاس وخارجها، إضافة إلى ناظر الأوقاف الكتانية بفاس، يتابعون العمل ويقومون بما يتوجب في الحفاظ عليه ورعايته، وتنظيم الدفن وما هو مرتبط به.

وما من شك أن عملا كهذا تسهل كتابته، ولكن مع ما يواجهه من صعوبات قانونية، وقضائية، ومادية، واصطدام كبير مع من لم يألفوا هذا الأمر من المنتفعين بالوضعية القديمة، فإنه عمل صعب للغاية، ولكن يسره الله تعالى بمنه وكرمه، وببركة صاحب «سلوة الأنفاس» الذي لولا ما حفظه لنا من تلك المواقع وأخبارها، لما استطعنا القيام بما قمنا به، ولضاعت الكثير من المعالم الهامة المرتبطة بتاريخنا كمغاربة وهويتنا.

وإن عملنا هذا – بخصوص ترميم التراث الموقعي الكتاني – ليس لطلب جاه، أو مكانة، أو تباه بين الناس، ولكنه دعوة لكل فاسي، بل لكل مغربي غيور على ذاكرته وماضيه، ولا يبنى المستقبل إلا بصيانة الماضي، من أجل النسج على غرزنا، والقيام بأعمال مماثلة، وبهذا فإن المجتمع المدني سيكون قام بالواجبات المنوطة به، ولم يرم مسؤولياته على الدولة وأجهزتها التي لا يمكنها التداخل في كل صغيرة وكبيرة، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى ؛ سيسهل على الدولة القيام بالمهام الكبرى والمشاريع الكبيرة التي هي من اختصاصها ؛ كالتنظيم القانوني، وترميم المساجد والأسوار والمواقع الكبرى، ومراقبة وضعيات البيوت والأزقة، وما هو مرتبط بذلك.

□□□□□ □□□□□□□□ 17 23/02/2023 09:47

وقد تطرقنا هنا لذكر هذه الأعمال التي قمنا بها ؛ نظرا لمسيسها المباشر بكتاب «سلوة الأنفاس»، وولكونها بركة من بركات كتاب «السلوة» ؛ فإن دعوتنا في «المؤسسة العلمية الكتانية»، و«الموسوعة الكتانية لتاريخ فاس» ؛ إنما هي دعوة حضارية شاملة، وليست حكايات عابرة وإحياءً جافًّا للتراث كما سبق ونوهنا إليه.

مميزات هذه الطبعة :

طبعت «سلوة الأنفاس» بتحقيقنا طبعتين، وقد نفذتا كلاهما بحمد الله تعالى، وفي كل طبعة كنا نزيد أمورا كانت تحتاجها الطبعة السابقة، وقد نوهنا في الطبعة الثانية إلى مجموعة من الإضافات والتعديلات والتصحيحات التي لم تكن في الطبعة الأولى.

وتمتاز هذه الطبعة الثالثة بأمور يمكننا تلخيصها في التالي :

أولا : إعادة العمل في مجلد الفهارس، المسمى : «عقد الألماس، في فهارس سلوة الأنفاس»، وذلك بالحفاظ على الفهارس من حيث هي ؛ ولكن إعادة ترقيم جميع الصفحات بحسب الطبعة الجديدة، وهو عمل مضن استغرق منا أشهرا من العمل، وقد أشرنا إليه في مقدمة الفهارس.

ثانيا : إعداد **فهارس الموضوعات** ؛ تلك الفهارس التي سقطت – سهوا – من الطبعة الثانية، علما أنها كانت جاهزة، وبالرغم من سهولة الوصول إلى التراجم باعتماد مجلد الفهارس ؛ فقد اعتبرنا هذا النقص عيبا مزعجا في تلك الطبعة، استطعنا تجاوزه بحمد الله تعالى في هذه الطبعة، فيصبح كل جزء من أجزاء متن «سلوة الأنفاس» مدعوما بفهرس الموضوعات الذي يسهل على القارئ البحث فيه والتعرف على تراجمه، وكذلك ؛ صياغة أبحاثه بالاعتماد على ذلك.

□□□□□ □□□□□□□□ 18 23/02/2023 09:47

ثالثا : حافظنا على ما تميزت به الطبعة الثانية من ميزات مهمة ؛ على رأسها : إثبات ترقيم ثلاث طبعات في المتن نفسه، وذلك بوضع ترقيم الطبعة الحجرية التي أشرف عليها المؤلف، في الهامش، وترقيم طبعة دار الثقافة في وسط المتن، وترقيم الطبعة الجديدة أسفل الصفحة، وبذلك يكون القارئ قد حاز ثلاث طبعات في طبعة واحدة، فيمكنه الرجوع للمصادر التي استفادت من «سلوة الأنفاس»، سواء كانت قديمة أو حديثة.

هذه أهم ميزات طبعتنا هذه، التي حرصنا أن تكون في حلة قشيبة، وورق متميز، لائقة بقيمة «سلوة الأنفاس»، ومكانتها وإشعاعها، سائلين المولى الكريم أن يكون العمل لوجهه خالصا، ومن حظ النفس قالصا، وأن يبارك فيه، ويرحم المؤلف ويسكنه فسيح جناته. والحمد لله رب العالمين.

المحققان :

د. حمزة بن محمد الطيب الكتّاني
أستاذ فخري بجامعة محمد الخامس
عضو أكاديمية العالم الإسلامي للعلوم

د. محمد حمزة بن علي الكتاني
باحث في الدراسات الإسلامية والتراث
رئيس الموسوعة الكتانية لتاريخ فاس

الرباط : يوم الأحد : 3 شعبان الأبرك عام 1443هـ.

الموافق : 6 مارس عام 2022م.

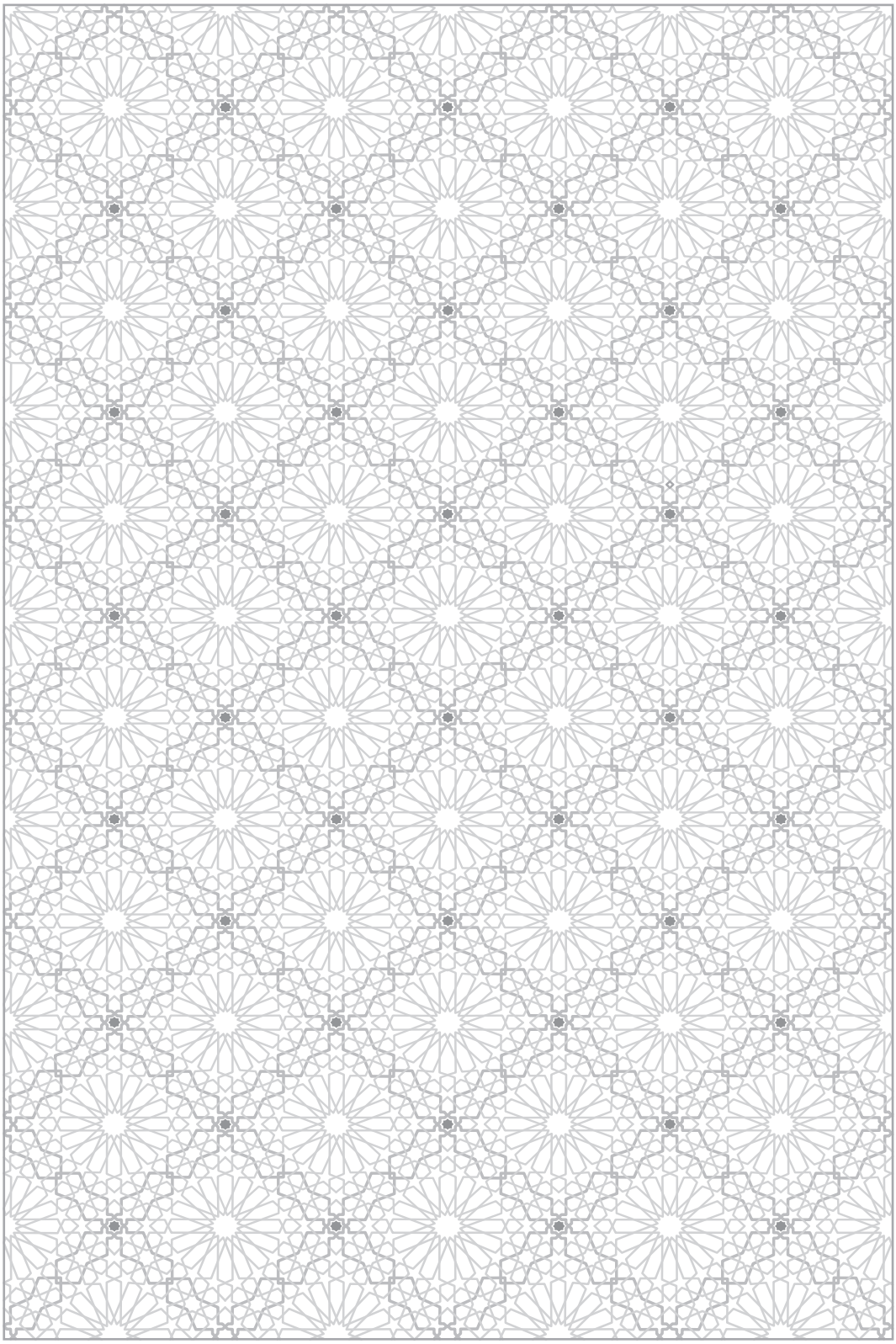

مقدمة التحقيق

الحمد لله وحده، وصلَّى الله وسلَّم على سيدنا محمد وآله وصحبه

وبعد؛ فيسعدنا التقديم لهذه المعلمة التاريخية، والموسوعة المليئة بالعلوم والفوائد؛ وهي: «سلوة الأنفاس، ومحادثة الأكياس، بمن أقبر من العلماء والصلحاء بمدينة فاس»، لشيخ الإسلام أبي عبد الله محمد بن جعفر بن إدريس الكتاني الإدريسي الحسني، المولود بفاس عام (1273هـ/ 1857م)، والمتوفى بها عام (1345هـ/ 1927م). وذلك في طبعتها الثالثة، وفي هذه الحلة القشيبة التي تتميز ـ علاوة على حسن الإخراج والإنتاج ـ بإضافات هامة سنتطرق إليها عند حديثنا عن مميزات هذه الطبعة.

وكتاب «سلوة الأنفاس» إضافة إلى كونه معلمة مغربية متميزة، فهو ـ حسبما سيتجلى للقارئ في الدراسات المرفقة في هذا المجلد، مجلد «الدراسات»؛ المسمى: «إتحاف الأكياس، بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» ـ معلمة إنسانية، تتضمن تراثاً إنسانياً زاخراً بالتراجم، والتواريخ، والأماكن، والبلدان، والتحريرات العلمية، والفوائد في مختلف الفنون والمعارف، وهو صورة واقعية للمجتمع الفاسي المغربي في نهاية القرن الثالث عشر وأول الرابع عشر الهجريين، بمختلف اهتمامات الناس وميولاتهم وثقافاتهم.

وهو كتاب يجد فيه ابن فاس ضالَّته من حيث التراجم والمواقع والبلدان، وما يمتُّ إلى ذلك بصلة، وكذا المغربي من مختلف مدنه وقراه وزواياه، والأندلسي، والمهتم بالدراسات الأندلسية والاستشراقية الأوروبية. ويجد ضالته فيه المغاربي، والإفريقي، والمشرقي المصري والشامي والحجازي والعراقي، واليمني والفارسي. ولذلك لا نستغرب إن وجدنا

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

مختلف المراجع في تلك البلدان ترجع إلى كتاب «سلوة الأنفاس» سواء مباشرة أو بواسطة أو وسائط.

من هنا تكمن أهمية نشر هذا الكتاب في طبعة مشرقية، يعم انتشارها في مختلف دول العالم، وبالحرف العربي المشرقي، خلافاً لنسختها الأولى الحجرية التي كانت بالحرف الكوفي المغربي، الذي يتعذر على القارئ المعاصر قراءته، إضافة إلى ندرة تلك الطبعة الأولى التي انتشرت عام (1316هـ/ 1898م)، في نطاق ضيق، ثم الطبعة الثانية التي قمنا بها في سنة (1425هـ/ 2004م)، وذلك عن طريق مؤسسة دار الثقافة للطباعة والنشر بالدار البيضاء، والتي بالرغم من نفاد نسخها الثلاثة آلاف، فإنها لم تنتشر عالمياً كما هو حري بكتاب مثل «سلوة الأنفاس».

ونودُّ التنويه إلى أن هذا الكتاب بقي حبيس طبعته الحجرية أكثر من مائة سنة، وبالرغم من ذلك بقي المرجع الأول لكل من يكتب عن فاس وتاريخها وأعلامها، بل والمغرب عموماً، فقد كان العلماء والباحثون ينقبون عن نسخها ولو بالتصوير، أو شراء بقية النسخ التي كان يتغالى الكتبيون في ثمنها إلى حد يفوق المعقول.

ولكن بالرغم من ذلك؛ فقد مرَّ الكتاب بمحاولات عدة للطبع، وقفنا منها على محاولتين:

الأولى: لحفيد المؤلف، العلامة الأستاذ محمد المنتصر بالله بن محمد الزمزمي الكتاني، وهي نسخة في ثلاثة مجلدات، انتسخها ابنه العلامة الدكتور علي بن المنتصر ـ الكتاني رحمهما الله تعالى ـ أيام طفولته. غير أنه لم يتيسر تقديمها للطبع.

الثانية: لابن المؤلف العلامة الدكتور إدريس الكتاني، وهي مرقونة على الآلة الكاتبة، في ثلاثة مجلدات أيضاً، ولم يتم تقديمها للطبع أيضاً.

الثالثة، والرابعة: مشروعان قام بهما مجموعة من الباحثين في قسم التاريخ بكل من كلية الآداب بجامعة محمد الخامس بالرباط، وكلية الآداب بجامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس، غير أن كلا التجربتين لم تتم رغم المجهود الجماعي والأكاديمي الذي قاموا به.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

وكان من الطبيعي أن يتأخر إخراج «سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس» في طبعة حديثة، تنطبق عليها معايير الدقة والتنظيم، والمطابقة والمقابلة، والفرز بين نصوص المؤلف وتحقيقاته ونقولاته، نظراً لسعة مادة الكتاب، ودقة عباراته، وغرابة منهجيته التي جمعت بين التنظيم الجغرافي لمدينة فاس، وطريقة المعجم اللغوي في الترتيب والتبويب، وشرح المتن؛ الذي هو: منظومة المدرَّع في صلحاء فاس. إضافة إلى كونه كتاباً دامجاً بين مجموعة من الكتب بألفاظها وعباراتها، يصوغ المؤلف بها كل ترجمة من تراجمه، ثم يمر عليها بمسح من التحقيق والإضافة والحذف، والمناقشة والترجيح في كل مسألة مسألة، وهو أسلوب فريد في التراجم لم يسبق إليه فيما نعلم.

غير أن الله تعالى يسَّر لنا في «المؤسسة العلمية الكتانية»، و«الموسوعة الكتانية لتاريخ فاس»، الاشتغال على هذا الكتاب، ومعاناة كل صعوباته في نحو أربع سنوات من المثابرة والجد، والتدقيق، فخرج الكتاب على مراحل ثلاثة:

الأولى: متن الكتاب، في ثلاثة مجلدات، وقد تضمنت متن كتاب «سلوة الأنفاس» كاملاً، مع مقدمة موجزة بقلم المحققين، وتقديم بقلم نجل المؤلف العلامة الدكتور إدريس الكتاني حفظه الله تعالى، طبع بمؤسسة دار الثقافة للنشر والتوزيع بمدينة الدار البيضاء. وقد ساهم معنا بخصوص مقابلة الكتاب في هذه المرحلة الأستاذ القدير، العلامة عبد الله الكامل الكتاني رَحِمَهُ اللَّهُ، والذي لا يسعنا في هذا المقام إلا الدعاء له بالرحمة والرضوان، واستحضار مثابرته في مقابلة الكتاب، والتأمل في معانيه وأذواقه، وعنايته بأن لا يشتغل عليه إلا وهو على وضوء تام، فرحمه الله رحمة الأبرار بمنِّه وكرمه، وجعل البركة والخلف في ذريته.

الثانية: ونظراً لدقة كتاب «سلوة الأنفاس» وزخم معارفه ومعلوماته؛ ارتأينا أنه لا بد من تزويد هذه الطبعة بالفهارس المرشدة، إذ لم نضمنها ابتداء سوى: فهرس الموضوعات العامة، ومعجم التراجم، وفهرس النساء المترجمات.

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

ولذلك كلفنا طالباً في سلك الدكتوراة حينه، الباحث أحمد بن محمد السعيدي بإنجاز مجموعة من الفهارس اللازمة، وهي ثلاثة عشر فهرساً، تحت إشرافنا وإشراف أستاذه الدكتور جعفر ابن الحاج السلمي، فتمَّت تلك الفهارس، وقمنا بمراجعتها وطبعها بمؤسسة دار الثقافة بالدار البيضاء، باعتبارها المجلد الرابع من «سلوة الأنفاس».

الثالثة: وقد اعتبر صدور هذه الطبعة بعد نحو مائة وتسع سنوات من الطبعة الأولى بمثابة صيحة علمية في المغرب، وسابقة ثقافية أكاديمية كانت سبباً في إقامة مجموعة من الندوات المتعلقة بكتاب «السلوة»، شارك فيها نخبة من أساتذة الجامعات والمختصين في مختلف الفنون التي تضمنها الكتاب، ومن أهم تلك الندوات:

1 ـ الجلسة العلمية التي أقامها النادي الجراري بالرباط، تحت إشراف الأستاذ الدكتور عباس الجراري حفظه الله، وذلك بتاريخ يوم الجمعة (4 فبراير 2005م).

2 ـ الندوة العلمية التي أقامتها كلية الآداب بالرباط، جامعة محمد الخامس، بتعاون مع الجمعية المغربية للتاريخ، بتاريخ (25 فبراير 2005م).

3 ـ الندوة التي نظمتها كلية الآداب بفاس، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، من خلال الأساتذة الباحثين المنتمين إلى **وحدة الأدبية المغربية: التمثل والتميز، ومجموعة البحث في الإبداع والدراسات المغربية الإماراتية**، وكان ذلك بمناسبة «**يوم العلم**» الذي تحتفل به سنوياً كل الجامعات المغربية. وذلك يومي الخميس والجمعة (24 و25 مارس 2005م).

ونظراً لأهمية الدراسات التي تضمنتها هذه المحافل العلمية، فقد ارتأينا جمعها في كتاب مستقل، اعتبرناه المجلد الخامس من «سلوة الأنفاس»، فتم ذلك بتاريخ (1432هـ/ 2011م)، وطبع بمؤسسة دار الثقافة بالدار البيضاء، ضمن منشورات جامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس، بمشاركة الأستاذ الدكتور عبد الله بنصر العلوي حفظه الله في إعداد هذا الكتاب، وتقديم الأستاذ الدكتور عباس الجراري.

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

غير أن هذه الطبعة بأقسامها الثلاثة، ومجلداتها الخمسة، لم تتيسر بين أيدي الباحثين، ولم يتم نشرها في عموم العالم العربي ـ خاصة ـ كما ارتأينا له، نظراً لتوزيعها داخل التراب المغربي، وضعف انتشارها في الخارج، ونظراً لغلاء ثمنها بحيث لم يتيسر لجميع الباحثين اقتناء مجلداتها الخمسة. كما أن صدور أقسامها الثلاثة في فترات زمنية متفرقة جعل الكتاب أبتر في مختلف الخزائن المغربية، وهو الأمر الذي يفقد الجهد الأكاديمي الذي توخيناه.

كما أننا تنبهنا إلى بعض التصحيفات التي تضمنتها طبعة دار الثقافة، ولمسنا قصوراً في مجموعة الفهارس الداعمة التي أصبحت مفرقة بين المجلدات الثلاثة وبين المجلد الرابع المخصص للفهارس، علاوة على استزادتنا من الأبحاث العلمية المقامة حول كتاب «سلوة الأنفاس» والتي نظمتها كلية الآداب بجامعة عبد الملك السعدي بمدينة تطوان بالتعاون مع المجلس العلمي المحلي، وذلك بتاريخ (27 جمادى الأولى عام 1428هـ/ الموافق 4 يونيو عام 2007م)، كما تتبعنا العديد من الدراسات التي كتبها المستشرقون حول «سلوة الأنفاس»، والتي من أهمها: مؤتمر المستشرقين المقام بالجزائر، بتاريخ (1905م)، والذي استعرض فيه البروفسور المستعرب الشهير روني باسي R.Basset بحثه الفذ الذي قدمه بعنوان: «أبحاث ببليوغرافية» حول مصادر «سلوة الأنفاس»، فقد قمنا بترجمة هذا البحث ـ الذي ناولنا إياه مشكوراً الدكتور أحمد العراقي؛ أستاذ التعليم العالي بكلية الآداب بفاس، حفظه الله ـ من اللغة الفرنسية للغة العربية، مع التعليق على ما وقع به من بعض الهنات، واستدراك بعض سقطات الكاتب بما ميزناه بقوسين مربعين [...]. فقمنا بجمع تلك الأبحاث وإضافتها إلى مجلد «الدراسات»، علاوة على إضافتنا ترجمة لمؤلف الكتاب شيخ الإسلام محمد بن جعفر الكتاني رحمه الله تعالى.

وتتجلى أهم مميزات هذه الطبعة في التالي:

1 ـ من الناحية الشكلية: اقتصرنا على ترقيم الكتاب بثلاثة مجلدات،

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

تتضمن كتاب «سلوة الأنفاس» كما ألفه مؤلفه، من غير إضافة مقدمات ولا فهارس. ثم أفردنا المقدمة في مجلد أول، سمَّيناه: «الدراسات» أو: «إتحاف الأكياس»، بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس». وفهارس الكتاب في مجلد خامس سميناه: «الفهارس»، أو: «روْح الأنفاس» بفهارس «سلوة الأنفاس».

2 ـ أعدنا قراءة نص الكتاب وتصحيحه، واستدراك جميع ما تيسَّر لنا الوقوف عليه من أخطاء الطبعة الثانية وتصحيفاتها. وفي هذه القراءة إضافة إلى اعتمادنا ترقيم الطبعة الحجرية الذي أثبتناه بين قوسين مربعين، فقد أثبتنا ترقيم طبعة دار الثقافة أيضاً بين قوسين مربعين، ميزناهما بالحرف (ب) كالتالي: [1ب]، [2ب]... إلخ. كما أضفنا هوامش شارحة أخرى، ميزنا هوامش المؤلف بعبارة: مؤلف. وهوامش التحقيق بعبارة: محقق. وهوامش العلامة محمد المنتصر الكتاني بعبارة: منتصر. ثم بقية الهوامش بأسماء أصحابها.

3 ـ أعدنا ترتيب مجلد «الدراسات» باعتباره مجلد «مقدمة سلوة الأنفاس»، فحذفنا جميع مقدمات الكتاب ومجلد الدراسات التي تعتبر مميزات لطبعة دار الثقافة، وأثبتنا الدراسات المقامة حول الكتاب باعتبار مواضيعها، حتى تتم الفائدة العلمية منها، وتتسق المنهجية الأكاديمية المرامة، كما أضفنا إليه ما تيسر لنا من الدراسات المقامة بجامعة عبد الملك السعدي بمدينة تطوان، والدراسات التي كتبها المستشرقون قديماً حول الكتاب، بعد ترجمتها من اللغات التي كتبت بها إلى اللغة العربية، ودراسات أخرى أقامها باحثون مختصون، كما صدرنا هذا المجلد بترجمة واسعة للمؤلف رحمه الله تعالى.

4 ـ أثبتنا فهارس المجلد الرابع «الفهارس»، بترقيمها القديم بطبعة دار الثقافة، ذلك الترقيم الذي أثبتناه في طيات هذه الطبعة ورمزنا له ـ كما سلف ـ بالحرف (ب)، وأضفنا إلى تلك الفهارس: فهارس الموضوعات، وفهرس الأعلام النسائية، ومعجم المترجمين في الكتاب. وحذفنا جدول الخطأ والصواب، نظراً لاستدراكنا تلك الأخطاء المذكورة في طبعتنا هذه.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

هذه أهم مميزات «الطبعة الثالثة» من «سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس، بمن أقبر من العلماء والصلحاء بمدينة فاس»، والتي نسأل الله تعالى أن يستفيد منها الباحثون في العالم، وكل عمل سوى القرآن الكريم، لا بد من أن تعتريه هفوات أو هنات، فما كان من صواب فهو من الله تعالى، وما كان من سهو وخطأ فهو من أنفسنا، ونسأل الباحث المخلص أن يصلحه وينبه إليه.

أما فيما يتعلق بتخريج نصوص الكتاب، وعزو التراجم إلى مصادرها، فهو عمل طويل لم يكن مراداً من طبعتنا هذه، والتي المقصود منها تقريب الكتاب إلى القارئ، خاصة وأن جلّ مصادر «سلوة الأنفاس» هي مصادر مخطوطة، ما زال الباحثون لم ينشطوا لتحقيقها وإخراجها.

وأخيراً؛ فإن القارئ يجد في هذه الدراسات بعض التعليقات بخصوص تسمية «تحقيق الكتاب»، معتبرين أن التحقيق هو: تخريج النصوص وعزوها، والمقابلة على النسخ المخطوطة، والبحث عن الشواهد من المصادر المعتمدة... إلخ. ونود التنبيه إلى أن ذلك إنما هو نوع من التحقيق، أو بالضبط: تحشية النص، ولكن الأصل في التحقيق هو: أن يخرج النص مصححاً كما رامه مؤلفه، واضحاً للقارئ، غير ملتبس ولا مصحَّف.

وهذه أهم مسألة في التحقيق، بل هي روحه. نعم؛ بالنسبة لمقابلة النسخ؛ فمن المعلوم أن أصح نسخة هي: ما بيَّضه المؤلف بخطه، ثم ما نسخ بخط غيره ولكن صححه المؤلف نفسه، ثم ما سوى ذلك بحسب الناسخ، والأصل المنقول عنه، والزمان والمكان. فتعتمد نسخة المؤلف، ثم ما صححه، ثم غيرها. وعند تعذر نسخة المؤلف التي بيَّضها؛ فإننا نعتمد النسخة التي صححها في حياته وأقرها. أما الرجوع إلى النسخ ـ على كثرتها ـ ونسخة المؤلف، أو التي صححها وخرجها موجودة؛ فإنما ذلك ضرب من العبث وتضييع الوقت، وتشويش القارئ.

ونحن في هذه الطبعة لم نقف على المبيضَّة بخط المؤلف، إنما وقفنا على المسودة، ولا يخفى على مستبصر أنه لا يمكن الرجوع للمسودة؛ لأنها غير معتمدة من المؤلف، ولا تخلو من نصوص زائدة ومعلومات مستدركة...

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

إلخ. غير أننا وقفنا على الطبعة الحجرية التي صححها المؤلف نفسه، وعليها خط يده، ووضع في آخر كل مجلد منها فهرساً للخطأ والصواب، تضمَّن في بعض المواضع نقل فقرات كاملة من موضع لموضع. ولذلك تعتبر نسختنا من الصحة والمكانة بما تفوق به الطبعة الحجرية.

زيادة على ما قمنا به من تدقيق، وملء النص بأدوات الترقيم، بحيث صار واضحاً بيِّناً للعيان، بل وإضافة عناوين مبينة لمضامين النص، وتفريق بين النصوص المنقولة وأصل كلام المؤلف، وهو أمر يفتقر إليه التحقيق في بلادنا المغرب، نظراً لعدم تدريس هذه التقنيات في الجامعات المغربية، بل نجده مهملاً في أعمال كبار المعتنين بالتحقيق من أساتذة ما بعد الاستقلال، بل حتى في الدراسات الجامعية، فكم من نص نال درجة الامتياز في الدكتوراة أو الماجستير، أو صدر وطبع، وهو مليء بالسقط، والتحريف، والقلب، والأخطاء الكثيرة، في حين تجد الحواشي مكتظة بالتخريجات والتعليقات والاستطرادات، التي هي أمر زائد على التحقيق، ويعتبر تحشية وليس تحقيقاً، وإن كان هو نفسه لا يخلو من أخطاء فاحشة وخلط في المعلومات.

وهناك أمر آخر؛ وهو أن من أصول العزو: أن يكون إلى أصل معتمد، وحيث إن جل مصادر «سلوة الأنفاس» مخطوطة وكثيرة النسخ، وغير متوفرة بين يدي الباحثين، وبها من الاختلاف ما هو معلوم لدى الباحث في المخطوطات، بل وجل ما طبع منها لا يخلو من تصحيف وأخطاء، بحيث لا يمكن الرجوع إليها واعتماد اختلافاتها عن عزو المؤلف، فإننا وجدنا من العبث العزو إليها، فهو بمثابة العزو إلى معدوم أو غير معتمد. وباعتبار فن التحقيق بالمعنى الحديث، فنّاً أكاديمياً غربياً، فإننا نجد كبار الباحثين الأجانب يكتفون بضبط النصوص، ومقابلة النسخ، وتوضيح العبارات المبهمة، ثم التصدير بدراسة حول النص، أما قوة الحواشي والاستطرادات؛ فهي أمر مستحدث زائد على مفهوم التحقيق.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» Printed on [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100]

وقد لخَّص الأستاذ أسد مولوي ـ أحد كبار الباحثين في عصرنا ـ مفهوم التحقيق بقوله[1]: «وقد اختلف المعنيون بالمراد من التحقيق:

فمنهم: من اقتصر على أنه ضبط النص فحسب.

ومنهم: من زاد عليه توضيح الغوامض، وتخريج النصوص من مصادرها، وصنع الفهارس... ومتابعة الكتاب تصحيحاً وتنقيحاً، حتى يخرج من المطبعة ويصل إلى يد القارئ.

ومنهم: من زاد ـ على هذا كله ـ متابعة المحقق لكتابه بعد الطبعة الأولى صقلاً وتجميلاً وتهذيباً...

والجميع مصيبون، وكل منهم عبَّر عن رؤية خاصة!.

والحق أن للتحقيق درجات: أولها ضبط النص... ثم يرتقي المحقق صعداً في سلم هذا الفن.

أما التخريج، وتوضيح الغوامض، وصنع الفهارس، ومتابعة الكتاب... فهي من لوازم التحقيق ومكملاته.

ولا يظن القارئ العزيز أن ضبط النص أمر هيِّن، فهو من أعضل المعضلات، ودون الوصول إليه خرط القتاد... فهو يتطلب من المحقق موسوعية تراثية، وسليقة لغوية، ودقة ملاحظة، وفضل ذكاء، وحافظة سليمة، وذوقاً جميلاً... وصبراً وجلداً...

وقديماً قيل: تأليف كتاب أهون من إصلاحه!.

وبكلمة مختصرة: التحقيق هو فن إحياء الكتاب المخطوط». انتهى.

ولذلك نعتبر أن عملنا في تحقيق «سلوة الأنفاس»، يعدُّ ـ في الجملة ـ عملاً رائداً، ومنهجية تعتمد في وسائل التحقيق وضبط النصوص، وإن كنا لا نعصم عملنا من الخطأ أو التصحيف الذي لا يتنزه عنه كتاب سوى كتاب الله تعالى.

(1) مجلة «تراثنا» بيروت، العدد1، ص66.

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

كما نودُّ التنويه إلى أن هذا الإصدار بمجلداته الخمسة؛ يعتبر الأعداد: 4، 9، 10 من «الموسوعة الكتانية لتاريخ فاس»، التي آلينا على أنفسنا من طريقها إصدار ما ألفته الأسرة الشريفة الكتانية وحدها في تاريخ هذه المدينة العريقة، وهو عمل ـ كما أشرنا إليه في العدد الأول من هذه الموسوعة: «زهر الآس في بيوتات فاس» ـ يربو في مجلداته عن عشرين مجلداً، بل قد تصل إلى أربعين.

نسأل الله تعالى أن يجعل عملنا خالصاً لوجهه الكريم، ويثيبنا عليه الأجر العميم، وينفعنا ببركات من ترجم فيه من الأعلام والصلحاء، ويجعله في ميزان وصحيفة مؤلفه الإمام محمد بن جعفر الكتاني، رحمه الله تعالى ورضي عنه. والله وليُّ التوفيق، والحمد لله ربِّ العالمين.

المحققان

الدكتور حمزة بن محمد الطيب الكتاني
(عضو أكاديمية العالم الإسلامي للعلوم)
(رئيس المؤسسة العلمية الكتانية)

الدكتور محمد حمزة بن علي الكتاني
(باحث متخصص في الدراسات الإسلامية والتراث)
(رئيس الموسوعة الكتانية لتاريخ فاس)

الرباط: الثامن من محرم الحرام عام 1434هـ
الموافق: الثالث والعشرين من نوفمبر عام 2012م

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

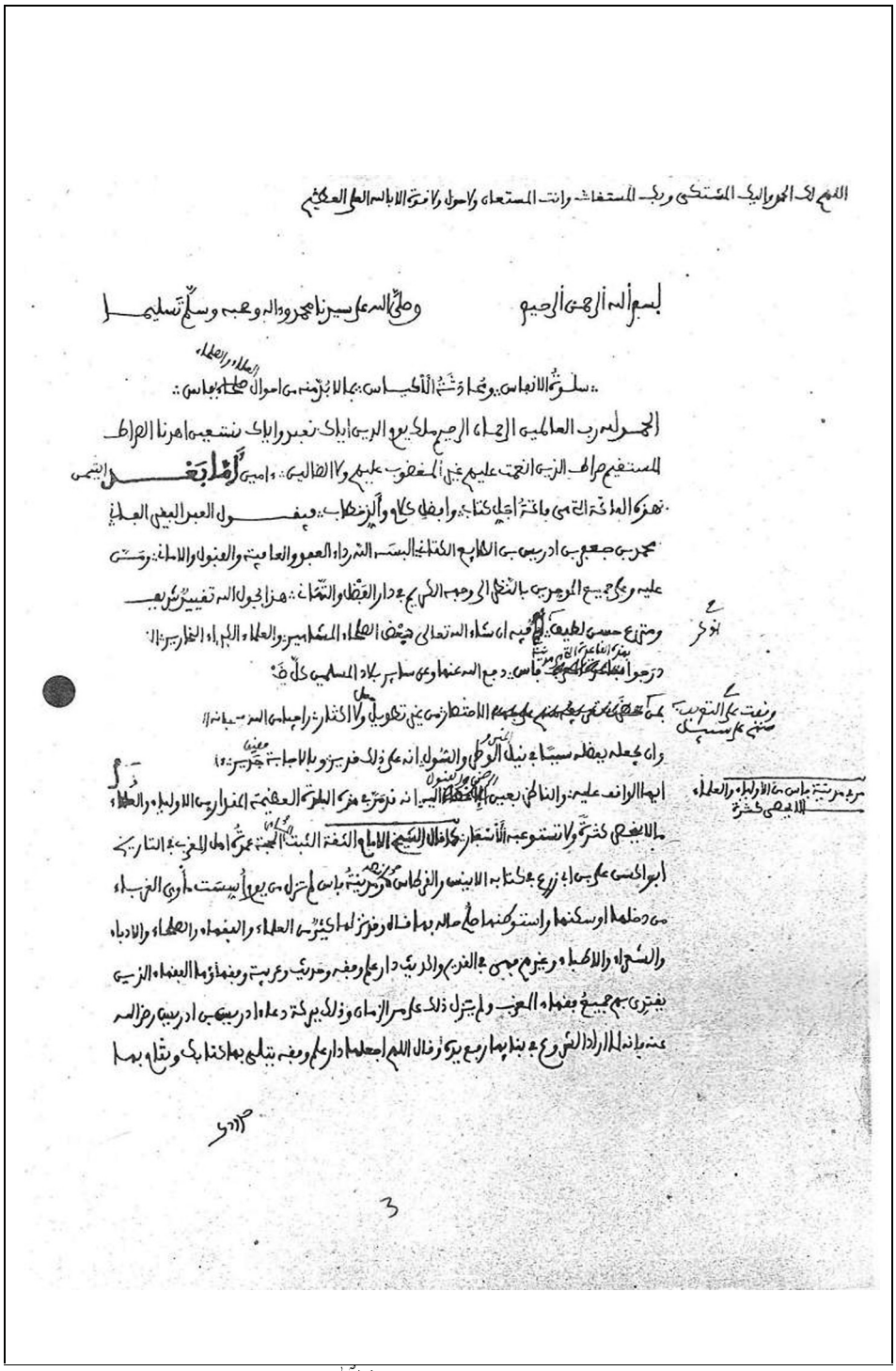

نموذج من مسودة الكتاب بخط المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ (الصفحة الأولى)

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

نموذج من مسودة الكتاب بغير خط المؤلف وعليها إضافات بخط المؤلف

Black plate (17,1)

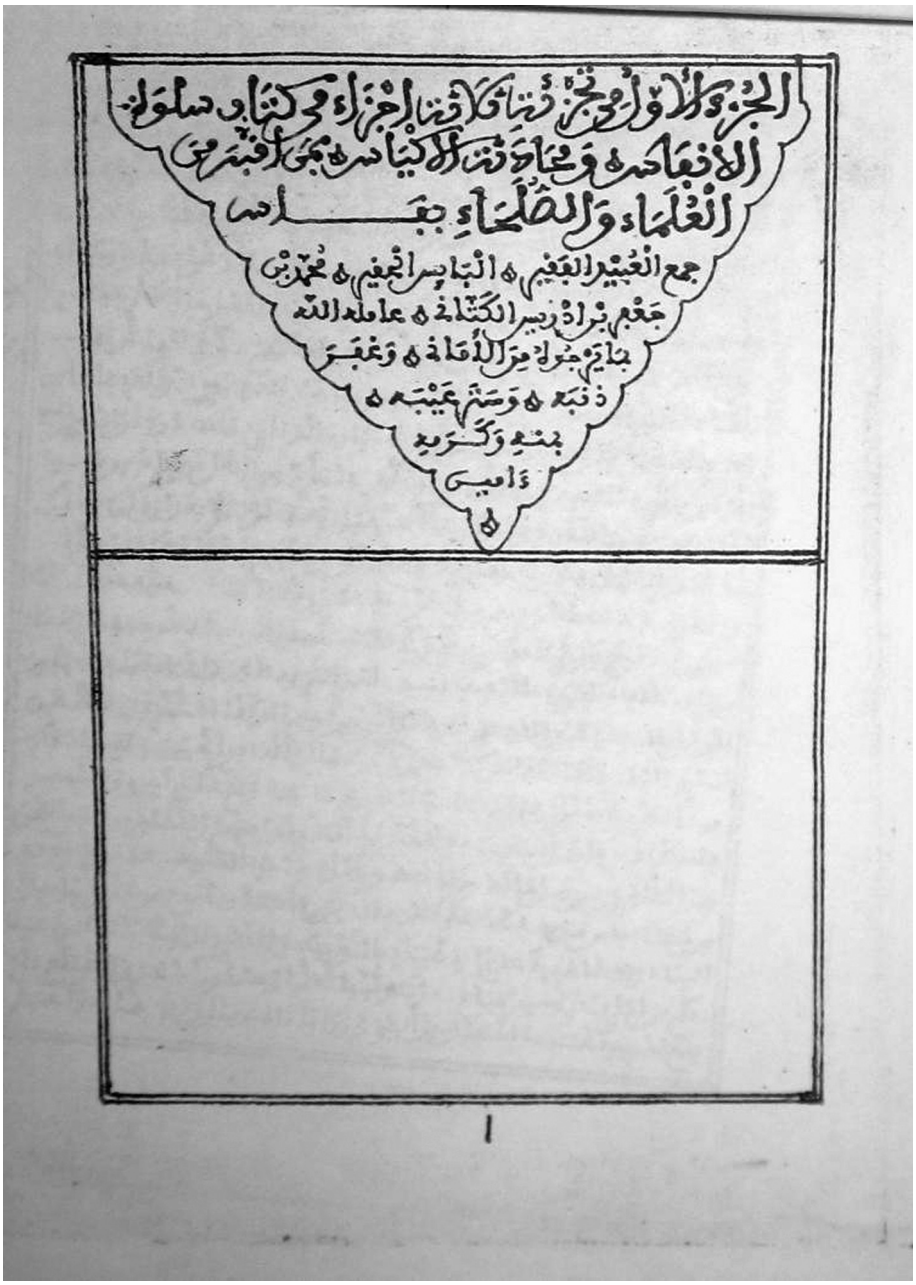

الصفحة الأولى من المجلد الأول من الطبعة الحجرية

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

Black plate (18,1)

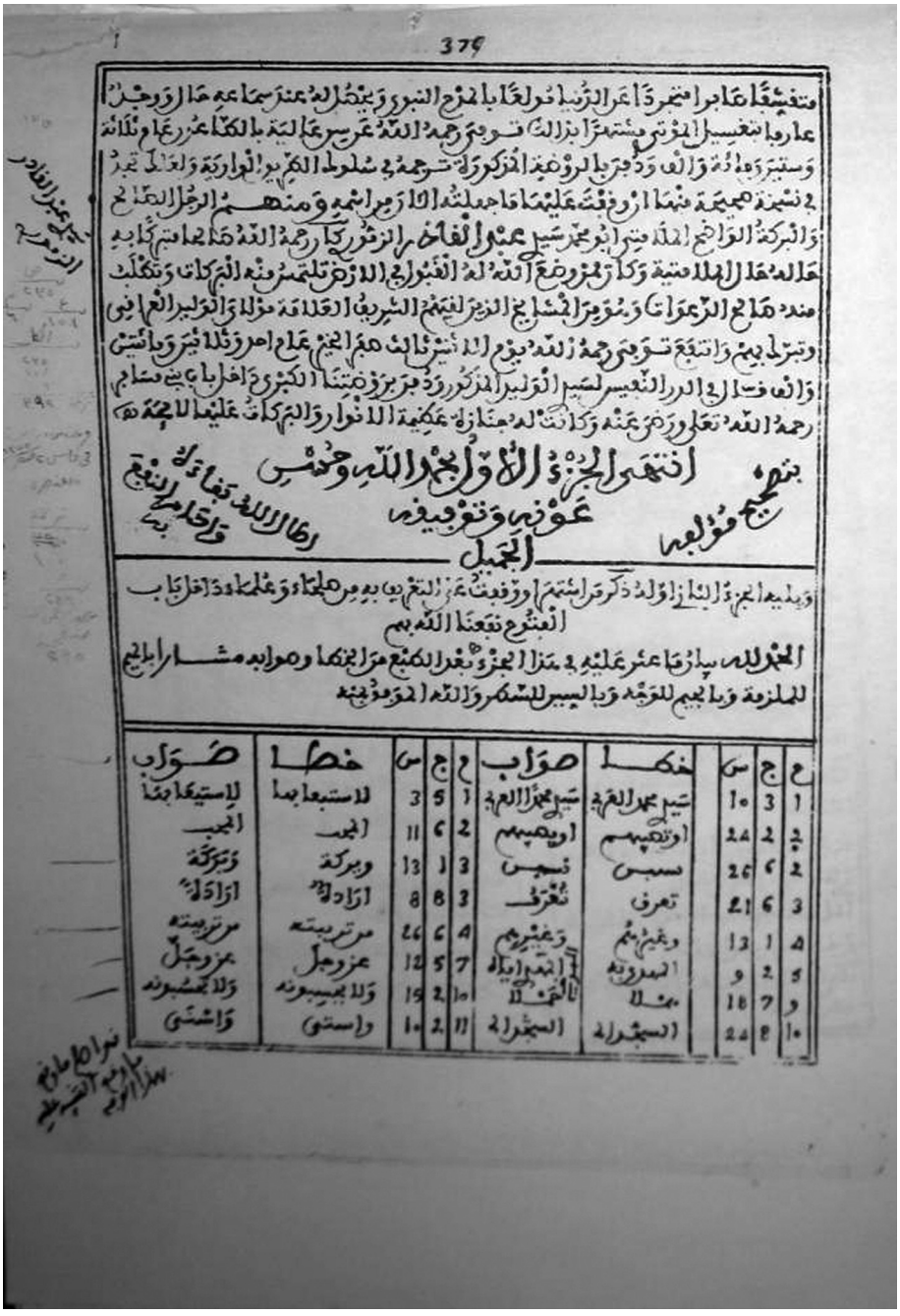

الصفحة الأخيرة من المجلد الأول من الطبعة الحجرية

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

Black plate (19,1)

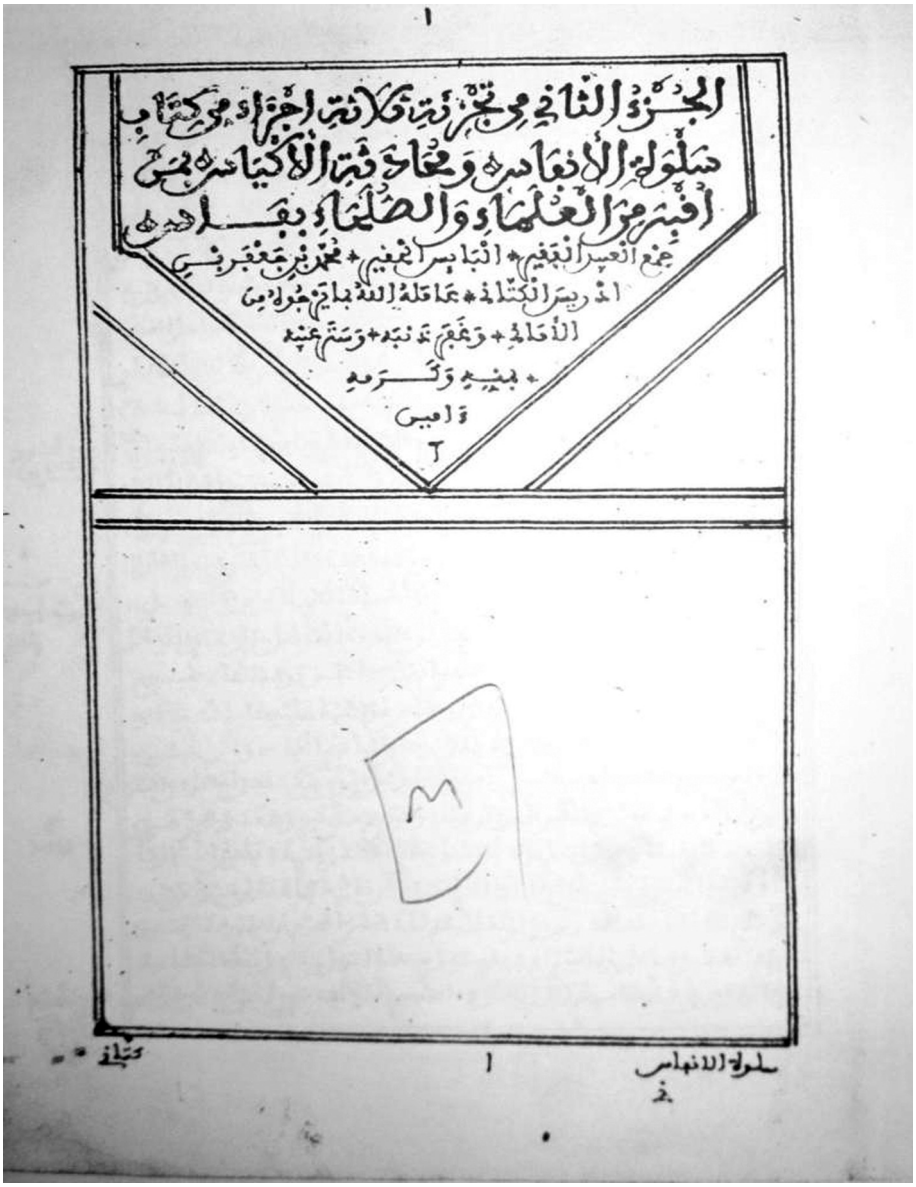

الصفحة الأولى من المجلد الثاني من الطبعة الحجرية

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

Black plate (20,1)

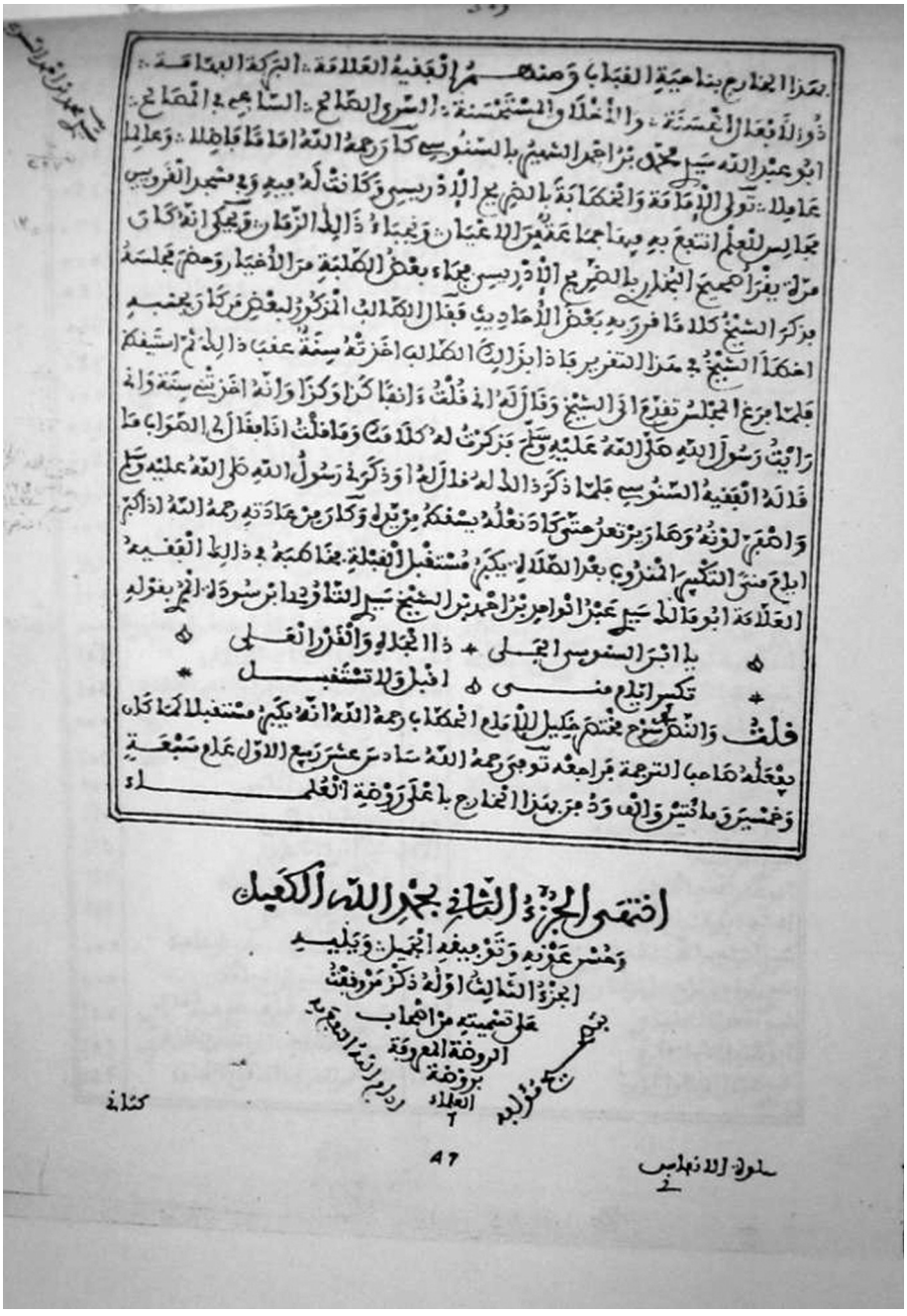

الصفحة الأخيرة من المجلد الثاني من الطبعة الحجرية

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

Black plate (21,1)

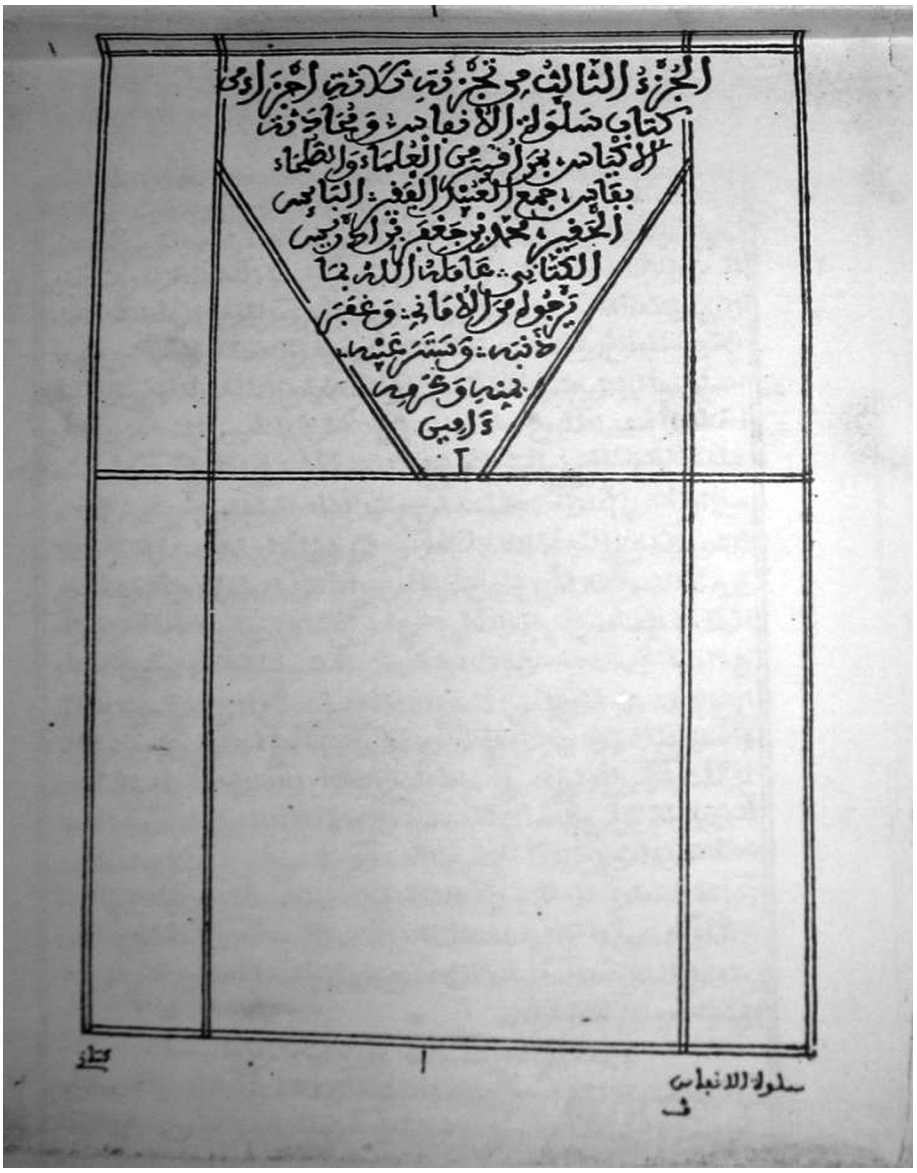

الصفحة الأولى من المجلد الثالث من الطبعة الحجرية

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

Black plate (22,1)

الصفحة الأخيرة من المجلد الثالث من الطبعة الحجرية

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

Black plate (23,1)

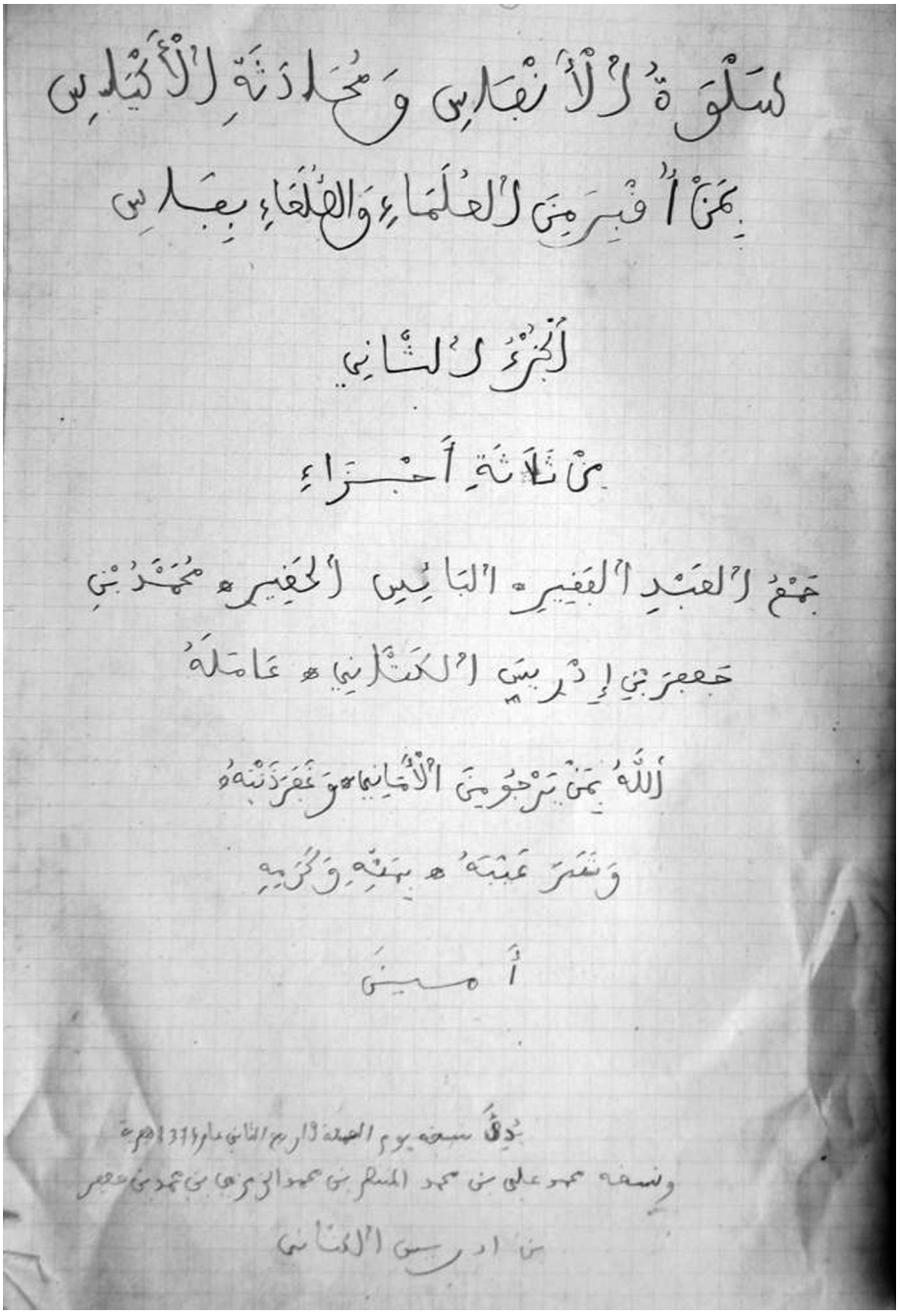
سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس
بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس
الجزء الثاني
من ثلاثة أجزاء
جمع العبد الفقير الباس الحقير محمد بن
جعفر بن إدريس الكتاني عامله
الله بمن ترجم من الأحياء وغفر زلته
وستر عيبه بمنه وكرمه
آمين
دقق نسخه يوم الجمعة 3 ربيع الثاني عام 1391 هجرية
ونسخه محمد علي بن محمد المنتصر بن محمد الزمزمي بن محمد بن جعفر
بن ادريس الكتاني

نموذج من الصفحة الأولى من المجلد الثاني من مشروع طبعة حفيد المؤلف الشيخ محمد المنتصر الكتاني، بخط ابنه الدكتور علي الكتاني

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

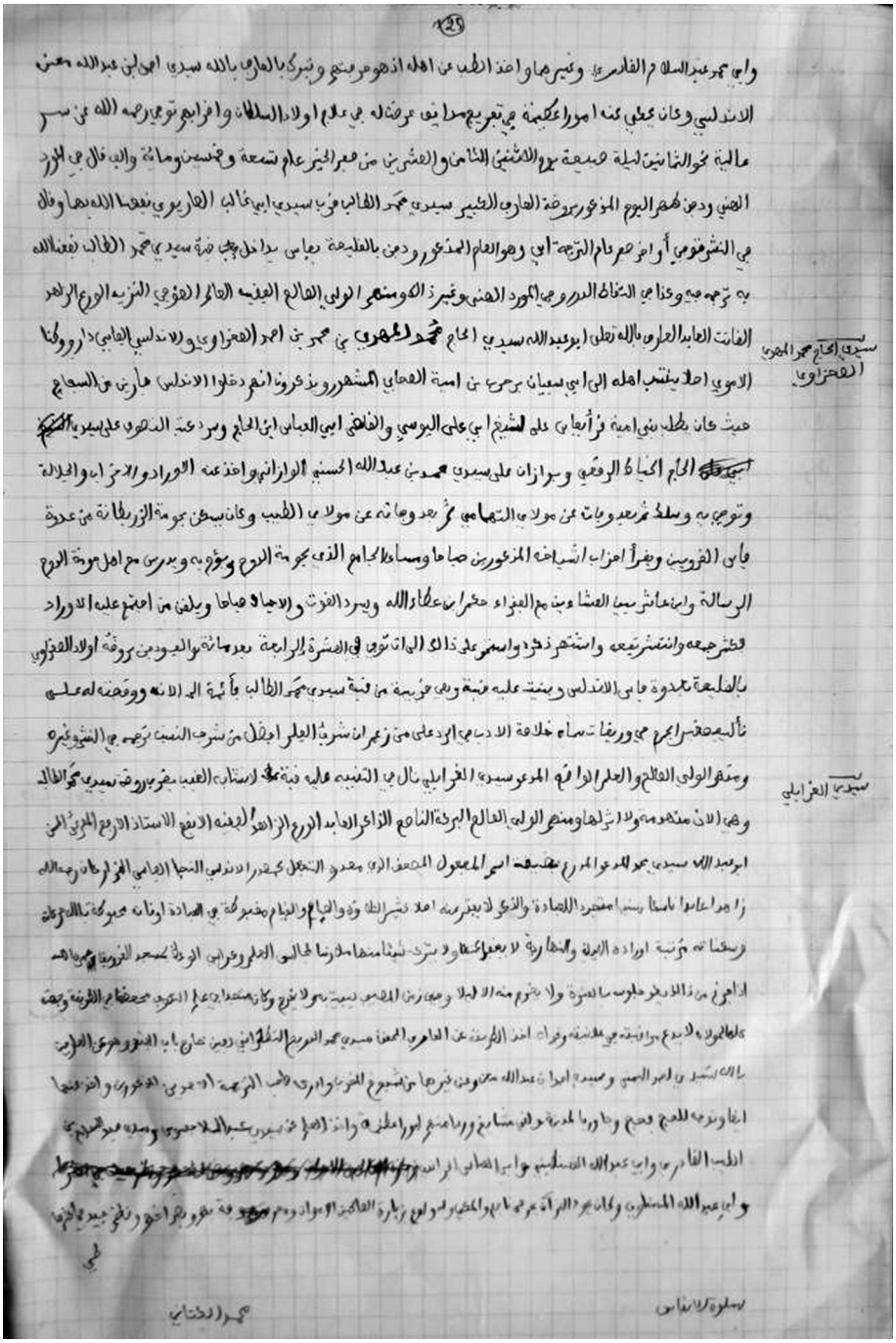

نموذج من متن مشروع طبعة حفيد المؤلف الشيخ محمد المنتصر بالله الكتاني، بخط نجله الدكتور علي الكتاني

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

ترجمة شيخ الإسلام محمد بن جعفر الكتاني[1]

لا شك أن مؤلف «السلوة» رائد من رواد الفكر الإسلامي، وعلم من أعلام الفقه والحديث والتصوف، وداعية من دعاة الجهاد ضد الاستعمار في العالم الإسلامي وقته. فهو واحد في شخصه، متعدد في وجهاته. ولذلك؛ فإن ترجمة إمام كهذا تتطلب الطول والإطناب، غير أننا سنحاول في هذه الترجمة التطرق ـ بموضوعية ـ إلى أهم محطات حياته رحمه الله تعالى.

(1) مصادر الترجمة: «عقد الزمرد والزبرجد في سيرة الابن والوالد والجد»، أو: «حياتي»، تأليف محمد الزمزمي بن محمد بن جعفر الكتاني، تنسيق وتحقيق: الدكتور علي بن المنتصر الكتاني، و«المحدث الكبير السيد محمد بن جعفر الكتاني الحسني الفاسي» في مجلدين، تأليف الدكتور محمد بن عزوز، «إتحاف المطالع بوفيات القرن الثالث عشر والرابع» (2: 244)، و«سل النصال للنضال بالأشياخ وأهل الكمال» (رقم 50) لعبد السلام ابن سودة، تحقيق: د. محمد حجي، «رياض الجنة في معجم الشيوخ» (1: 77)، تأليف عبد الحفيظ بن محمد الطاهر الفاسي، «الأعلام» لخير الدين الزركلي (6: 72)، «شجرة النور الزكية في طبقات المالكية» (1: 436) لمحمد محمد مخلوف، مقدمة «الرسالة المستطرفة» للمترجم، بقلم حفيده محمد المنتصر بالله الكتاني، عدة كنانيش للشيخ محمد المنتصر بالله الكتاني، «علماء دمشق في القرن الرابع عشر» (1: 413) لمحمد مطيع الحافظ ومنير أباظة، «فهرس الفهارس والأثبات» (1: 515) للشيخ عبد الحي الكتاني، تحقيق: د. إحسان عباس، «عمدة الراوين في تاريخ تطاوين» لأحمد بن محمد الرهوني (9: 1)، تحقيق: د. جعفر ابن الحاج السلمي، «التاج المرصع بالجوهر الفريد في ترجمة الشيخ الإمام محمد الكتاني الشهيد» للشيخ محمد الباقر الكتاني، «دائرة المعارف الإسلامية الفرنسية» ج2، ص879، بقلم الأستاذ روني باسي، «ملحق تاريخ آداب اللغة العربية» باللغة الألمانية، للبروفيسور بروكلمان ج2، ص890 وغيرها.

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

اسمه ونسبه:

هو: أبو عبد الله محمد (عبد الله) بن جعفر (الصادق) بن إدريس بن الطايع بن إدريس بن محمد الزمزمي بن محمد الفضيل بن العربي بن محمد بن علي الجامع لفروع الكتانيين ابن قاسم بن عبد العزيز بن مَحمد (فتحا) بن قاسم بن عبد الواحد بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن أبي بكر بن محمد بن عبد الله بن هادي بن يحيى الثالث المعروف بالكتاني ابن عمران بن عبد الجليل بن يحيى الثاني بن يحيى الأول بن محمد بن إدريس الثاني باني فاس ابن إدريس الأول ابن عبد الله الكامل ابن الحسن المثنى ابن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب، وفاطمة الزهراء بنت أفضل الخلق وسيد الرسل؛ أبي القاسم وأبي الطاهر، سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله صلَّى الله تعالى عليه وسلَّم وعلى آله.

عرف بيت المترجم له ﵁ من قديم الزمان بالصلاح والاستقامة والعفاف، والزهد عن مغريات الدنيا، والتقشف والانزواء عن الخلق؛ إلا فيما لا بد منه؛ من نشر علم، أو دعوة إلى الله تعالى، أو إصلاح. كما عرف أفراد هذا البيت بالعلم والاعتناء به، بحيث نبغ منهم ـ خاصة في عصر المؤلف فما بعده ـ أعلام امتلأت بذكرهم كتب التواريخ.

ومن أبرز الشرفاء الكتانيين الذين أدركهم المؤلف في صباه، وكان لهم بالغ الأثر في تكوين شخصيته:

جده إدريس بن الطائع (المسلطن) (ت1282هـ/ 1865م). العالم العدل الموثق، المجاهد في سبيل الله تعالى ضد الإسبان في حرب تطوان عام (1276هـ/ 1860م).

وعما والده المنتصر بالله (1278هـ/ 1861م)، وعمر (1277هـ/ 1860م) ابنا الطائع. العارفان الزاهدان؛ جاهد أولهما ـ كذلك ـ مع أخيه المذكور ضد الإسبان.

ووالده جعفر بن إدريس (ت1323هـ/ 1905م). شيخ الإسلام في

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

المغرب، ومستشار السلطان الحسن الأول. كان المولى الحسن الأول لا يقبل الفتوى ما لم يوقعها هو[1].

وخاله محمد الزمزمي بن إبراهيم الكتاني (ت1322هـ/ 1904م). الشيخ العارف، الولي الصالح، ذو الأحوال والكرامات. قال مرة: «أطلعني الله على مقامي؛ فوجدته أعلى من مقام مولاي عبد العزيز بن مسعود الدباغ...»[2].

وابن عم والده المأمون بن عمر (1310هـ). العالم المفكر، والشاعر المؤلف النابه.

وابن عم والده محمد بن عبد الواحد (المدعو: الكبير) (ت1289هـ/ 1872م). شيخ الزاوية الكتانية ومؤسسها. العارف المربي، والرحالة المسند. قال عنه شيخ حضرموت والحجاز الإمام أبو بكر بن عبد الله العطاس: «إن هذا من الأفراد الذين أدركوا أطواراً قلَّ من أدركها من هذه الأمة!».

وابن عمه عبد الكبير بن محمد بن عبد الواحد (ت1333هـ/ 1915م). جبل السُّنَّة والدين، المحدث الحافظ، والفقيه المفسر المجتهد، والشيخ المربي، والمجاهد في سبيل الله تعالى.

وهكذا... فهؤلاء وغيرهم من آل بيته، عدا أهل زمانه من أهل فاس، بلد العلم والصلاح والدين؛ كان لهم بالغ الأثر في تكوين شخصيته، وبلورة فكره.

ولادته، وتربيته:

ولد المترجم رضي الله عنه بدار جده التي بعقبة ابن صوال بعدوة فاس القرويين، في ربيع الأول من عام (1273هـ/ 1857م) على الأرجح، لم يجزم نفسه بذلك[3]، وتوفيت والدته الشريفة الزكية، السيدة كنزة بنت الشيخ العارف

(1) «فاس عاصمة الأدارسة» ص95.
(2) «النبذة اليسير النافعة» في صلحاء البيت الكتاني، للمؤلف رحمه الله. ص381. بتحقيق: الأستاذ عصام عرار الدمشقي.
(3) «النبذة اليسيرة» ص381.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» Printed on [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100]

مولاي إبراهيم الكتانية وهو في طفولته. فنشأ يتيماً، لا يعرف سوى زوجات والده، ووالده الذي كنفه بحنان الوالدة والوالد، واعتنى أشد الاعتناء به؛ بحيث كان يُحضره في جل مجالسه، ويهتم أشد الاهتمام بتعليمه.

طلبه العلم:

ثم أرسله والده ـ في طفولته ـ للكتاب، لحفظ القرآن الكريم، وأهم المتون، وقواعد الكتابة والقراءة؛ فحفظ القرآن الكريم على جملة من المدرسين؛ منهم: الشريف محمد الشاهد بن الحسن اليوبي؛ بالمكتب الذي كان يقرئ به الصبيان بحومة سيدي الغالي، وقد كان أستاذه هذا مثالاً من أمثلة السلف الصالح في الزهد والورع والاستقامة[1]. وآخر من قرأ عليه القرآن الكريم وأتمَّ حفظه: الأستاذ إدريس بن قاسم الحجوجي، بمكتب رحبة التين.

ثم شرع في طلب العلم، وحفظ أهم المتون المتداولة؛ فدرس بجامعة القرويين، والزاوية الكتانية بالقطانين، وغيرهما من المعاهد العلمية بفاس على أئمة العلم ذلك الوقت؛ منهم:

والده جعفر بن إدريس الكتاني: أخذ عنه ما شاء الله من نحو ولغة، وفقه وحديث، وأصول وتوحيد... ولازمه، وذاكره، وسرد الكتب بين يديه، ومنها: صحيحا البخاري ومسلم اللذان سمع كلّاً منهما عليه نحواً من اثنين وعشرين مرة. واستجازه فأجازه مراراً في كل ما له وإليه من تصنيف وعلوم وطرق وأذكار... وغير ذلك. وهو عمدته، وإليه ينتسب.

وشيخ الجماعة أحمد بن أحمد بناني؛ المدعو: كلا. حضره في الحديث والمصطلح، والأصول وعلم المعاني. وسرد عليه أوائل الكتب الستة الحديثية، وأول «الموطأ»، و«شمائل الترمذي». واستجازه عامة، وفي الأذكار التجانية عدا الورد.

---

(1) «النبذة اليسيرة» ص332.

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

وقاضي الجماعة بفاس: الشريف محمد (فتحا) بن عبد الرحمٰن العلوي المدغري: حضر عليه في مختصر الشيخ خليل مدة.

واللغوي الأديب: محمد بن عبد الواحد ابن سودة المري: حضر عليه في النحو والتصريف، وفي سرد «القاموس المحيط» بحاشية ابن الطيب الشرقي.

والعلامة الشيخ العارف: الشريف عبد المالك بن محمد العلوي الضرير: حضر عليه في مختصر الشيخ خليل بشرح الخرشي مدة، واستجازه في العلوم فأجازه، وفي الطريقة التجانية، وفي طريقته الخاصة به.

وقاضي الجماعة بمكناس: أحمد بن الطالب ابن سودة المري: حضر عليه فرائض مختصر خليل كلها، وجالسه مراراً وذاكره، واستجازه؛ فأجازه عامة.

ونقيب الأشراف: الشريف عبد الله بن إدريس البَگـْراوي: حضر عليه مدة في مختصر خليل بشرحي الخرشي والزرقاني، وحاشية البناني.

وقاضي فاس: الشريف الهادي بن أحمد الصقلي الحسيني: حضر عليه في ألفية ابن مالك مدة، وذاكره سنين متطاولة، وكانت بينهما محبة كبيرة.

وابن خؤولة والده؛ شيخ الجماعة: محمد بن المدني گنّون: حضر عليه في صحيح البخاري بزاوية سيدي قاسم بن رحمون. وكان يجتمع معه، ويسمع من مذاكراته.

والعلامة الشريف أحمد بن محمد ابن الخياط الزگـّاري: حضر عليه في نظم «الطرفة» في مصطلح الحديث، بشرح الشيخ مَحمد بن عبد القادر الفاسي، وشرح ابن عباد على الحكم العطائية بجامع الأبّارين من فاس، وذاكره سنين، وكانت بينهما محاورات، واستجازه فأجازه عامة، وفي الطريقة الشاذلية الدرقاوية.

والمحدث الماهر محمد المدني بن علي بن جلون الگـُومي: حضره في

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

مختصر خليل مدة بقراءة نادرةٍ في الوقت؛ تحقيقاً وإتقاناً[1]. وفي «التصريح»، والأربعين النووية، ونظم الاستعارات للشيخ الطيب ابن كيران، وشرح البدري عليه... وفي غير ذلك.

والعلامة المحقق الشريف مَحمد (فتحا) بن قاسم القادري: حضر عليه في مجالس من «الموطأ» بجامع الرصيف، وذاكره سنين، واستجازه فأجازه عامة.

ومسند الوقت علي بن ظاهر الوتري المدني، عند زورته الثانية لفاس: حضره في سرد الصحيحين، و«الشفا»، و«الشمائل»، وأوائل الكتب الحديثية، وأخذ عنه عدة مسلسلات. وقرأ عليه متن «الكافي في العروض والقوافي»، ولازمه إلى سفره، واستجازه في العلوم والأذكار والطرق؛ فأجازه.

وغير هؤلاء ممن أخذ عنهم وذكرهم تفصيلاً في فهارسه وإجازاته.

أما من لقي من شيوخ التربية؛ فمن أجلِّهم في المغرب والمشرق: ابن عم والده الشريف محمد بن عبد الواحد الكتاني، ومحمد بن قاسم فنجيرو؛ تلميذ مولاي العربي الدرقاوي، والشريف محمد ابن عبد الحفيظ الدباغ، ومحمد بن محمد خَمْلِيش الصنهاجي، والخضر السَّجْعِي، وعبد الواحد ابن البدوي بناني، والشريف أحمد بن حسن العطاس الباعلوي الحضرمي، والسيد محمد بن محمد سر الختم الميرغني، ومحمد بن علي الحبشي... وقد أخذ عن جل هؤلاء المشايخ، وتربى ببعضهم، ونال من بركاتهم، وأجازوه بالطرق الصوفية، والأذكار والأوراد سلوكاً وتسليكاً.

أما الرواية؛ فقد أخذ عن خلائق من الأعلام، مغاربة ومشارقة، وهنديين؛ بحيث يعدُّ أحد مسندي المغرب وأهل الرواية في وقته. وقد أثبت أسماء شيوخه في الرواية في أثباته ومشيخاته التي ألَّفها، ومن أهمهم: والده، وماء العينين الشنقيطي، وحسين بن محمد الحبشي الباعلوي، وعيدروس بن سالم العيدروس الباعلوي، وعبد الله القدومي النابلسي، وعبد الحكيم

(1) «النبذة اليسيرة» ص338.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» Printed on [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100]

الأفغاني، وحبيب الرحمٰن الهندي الرَّدُوْلَوِي الكاظمي، ومحمد بن أحمد الحضْراوي، وسليم البِشْرِي، ومحمد بن محمد سر الختم الميرغني، وأحمد بن حسن العطاس... وغيرهم، وجلهم تدبج معهم في الرواية.

رحلاته:

أ ـ رحلاته في المغرب:

كان المترجم رضي الله عنه كثير الرحلة في المغرب، وأهم وازع لرحلته هو: بحثه عن الصالحين والعلماء العاملين أحياء ومقبورين.

وكان أيام شبابه يخرج لنواحي مدينة صفرو، ونواحي دار ابن عمرو، وقرب نهر سبو في جماعة من أصحابه الرماة للتدرب على الرماية والنجدة والرياضة، وأساليب الحرب؛ لما أمر الله به من الجهاد وملاحقة الأعداء[1].

وكان كثيراً ما يصعد جبل زالغ بضواحي فاس لزيارة ضريحي الوليين سيدي موسى الحاضي، وسيدي البرنوصي بلمطة، ويمكث أياماً بهما، فيشغل تلك المدة بالعبادة وسرد «الصحيحين» و«الشمائل».

وكان له اعتناء كبير بزيارة ضريح الإمام مولانا إدريس الأكبر في زرهون، بحيث يزوره كل سنة، ويجتمع بمن فيه من العلماء والصلحاء، ويأخذ عنهم، ويأخذون عنه، ويُدرس العلم فيه. حيث كان مكوثه منحصراً إما في زيارة الضريح الشريف، وإما بالمذاكرة في العلوم والأسرار والمواجيد، وإما في سرد الشمائل النبوية أو غيرها من الكتب؛ كـ«الشفا»، وكتب الحديث الأخرى. وإذا حصل الملل؛ ذكروا الله تعالى جهرة، وصلُّوا على نبيه ﷺ وعلى آله[2]. وكان عادة ما يزور في طريقه مدينة مكناس وغيرها من المدن والضواحي.

---

(1) «حياتي»، أو: «نظم الزمرد والزبرجد في سيرة الابن والوالد والجد» لنجل المترجم له العلامة محمد الزمزمي الكتاني، ص58. وهو في ألف صفحة، مرقونة، بتحقيق العلامة: الدكتور علي بن المنتصر بن الزمزمي الكتاني رحمه الله تعالى.

(2) المصدر السابق ص62.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

كما كان يزور كل سنة جبل العَلَم؛ حيث ضريح القطب مولانا عبد السلام بن مشيش، وربما زار في هذه الرحلة مدن: وازان، وشفشاون، وتازروت، وتطوان، وأصيلا، والقصر الكبير، والعرائش... فيزور من في تلك البلاد من الأولياء والصالحين، الأحياء والمقبورين. ويمكث عالماً ومتعلماً، وداعية إلى الله تعالى بها. حتى أخذ عنه من أهل تلك المناطق من لا يحصى كثرة من أهلها، واهتدوا بهديه.

وزار رجال رَجْرَاجَة بمنطقة سوس، ومختلف المناطق المحيطة بها. كما زار مراكش، والرباط، وسلا، وطنجة.. وغيرها من المدن والمناطق.

ب ـ رحلاته في المشرق:

حجته الأولى: وفي عام (1321هـ)، سافر لحج بيت الله الحرام، ومر في طريقه عبر مدينة طنجة، ومصر؛ حيث زار الإسكندرية والقاهرة وطنطا.. وغيرها من مدائنها.

ثم وصل مكة المكرمة في الثالث والعشرين من شوال عام (1321هـ)، وقام بمناسك الحج، وتحرى السُّنَّة قدر المستطاع في صغيرها وجليلها، بحيث كان ولدان مكة المكرمة وعامتها يتعجبون من مناسكه التي لم يألفوها من قبل. بل قال له المطوف يوماً: «إن هذه المناسك التي تقوم بها لم يقم بها أحد منذ بيعة العقبة!».

ثم قصد المدينة المنورة ـ على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ـ فكانت سيرته بها كما في مكة المكرمة، ثم منها زار بلاد الشام وفلسطين، فجاب مختلف مدن فلسطين وسيناء؛ كالطور والخليل واللد ويافا... والتقى بعلمائها. وبيروت وصيدا ودمشق، في كل تلك البلاد أكرمه أهلها غاية الإكرام، وبجَّله علماؤها وخاصتها وعامتها عظيم التبجيل. ليعود إلى فاس في الثالث عشر من ربيع الثاني عام (1322هـ)، ودون رحلته: «الرحلة السامية للإسكندرية ومصر والحجاز والبلاد الشامية»، والتي تعتبر من أهم كتب المزارات دقة وجرداً.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

وتعتبر هذه الزيارة من النفاسة بمكان، نظراً لوسع العلاقات التي بناها المترجم ـ رحمه الله تعالى ـ مع علماء الحجاز، بل وحكامها، ونظراً للدروس والفوائد العلمية التي تصدر لها، خاصة وأنها وافقت حجة ابن عمته الإمام أبي الفيض محمد بن عبد الكبير الكتاني ـ رحمه الله تعالى ـ فكان لاجتماع هذين الإمامين العظيمين بالغ الأثر في الدعوة إلى الله، ونشر العلم، والتبشير بالوحدة الإسلامية، وربط العلاقات بين المشرق والمغرب.

وقد أرَّخ لحجة الإمام أبي الفيض علامة مراكش عبد السلام العمراني في كتاب بعنوان: «اللؤلؤة الفاشية في الرحلة الحجازية»، وقد طبعت الرحلة بتحقيق الدكتورة نور الهدى الكتاني بدار ابن حزم بلبنان.

هجرته الأولى للحجاز: لما آل حال المغرب إلى ما آل إليه من التدهور والانحطاط، واشرأبت عيون الاستعمار إليه من أجل احتلاله ونهب ثرواته، خاصة بعد وفاة الوزير أبا حماد عام (1318هـ)؛ حاول المؤلف ﷺ إصلاح الوضع بما له من نفوذ، ولما لم تُجد أعماله، وبقي المغرب في سقوطه وتشرذم أهله؛ آلم المترجم ﷺ أن يرى الاستعمار يدخل البلاد وهو ينظر إليه بعينيه؛ فقرر الهجرة إلى المشرق بأهله وعياله.

فهاجر إلى المدينة المنورة ـ على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ـ بحر عام (1325هـ)، وكانت سكناه بدار بزقاق ذروان بها، كانت مجمع العلماء والفضلاء وجميع الأعيان، ورحب أهلها بمقدمه غاية[1].

وفي هذه الهجرة؛ دخل مكة المكرمة، وحج عامه، وبقي ناشراً للعلم، هادياً مهدياً بالحجاز، إلى أن عنَّ له الرجوع مرة أخرى إلى المغرب...

إذ بلغته أنباء ثورة المولى عبد الحفيظ على أخيه المولى عبد العزيز، والتي تزعمها ابن عمته شيخ الطريقة الكتانية؛ الإمام أبو الفيض محمد بن عبد الكبير الكتاني عام (1326هـ)، وبنيت على أساس الشورى وجهاد المستعمر وطرده من المغرب. فآثر الرجوع إلى المغرب للمشاركة في هذه

(1) «حياتي» ص184.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

الحركة الإصلاحية. وكان دخوله فاساً في شوال من عام (1326هـ)، واستقبله أهلها عند أسوارها بالألوف؛ مرحبين ومهللين.

الهجرة الثانية للمشرق: غير أنه لما كان ما كان من انتكاس الثورة الحفيظية، وتتابع الفتن التي تلت ذلك؛ أيقن المترجم له رضي الله عنه أن أمر المغرب انتكس إلى غير رجعة، وأن جهوده وجهود المصلحين باءت بالفشل؛ فقرر العودة للهجرة بأهله وولده إلى المدينة المنورة؛ ليصل إليها ـ هو وحوالي ألف عائلة مغربية هاجرت معه ـ أول شعبان عام (1328هـ/ 1910م). واستوطن بها داراً واسعة بزقاق الطوال، جوار ضريح سيدنا عبد الله والد مولانا رسول الله ﷺ وعلى آله.

وبقي المترجم له بالمدينة المنورة إلى عام (1336هـ)، حيث حج خمس حجات في الأعوام: (1328، 1329، 1330، 1331، 1332هـ).

الانتقال إلى الشام: ولما حصل ما حصل من فتنة الحجاز؛ أرسل إلى المترجم وزير الحربية الجنرال أحمد جمال باشا تلغرافاً يقول فيه: «بلغنا أن السيد الكتاني يريد المجيء إلى الشام؛ فإذا كان هذا الخبر صحيحاً؛ طمنوه بتأمين سكناه ومعيشته»[1].

ولم تكن للمترجم رضي الله عنه نية في الخروج من المدينة واستيطان غيرها من البلاد، غير أنه فهم أن التلغراف المذكور إنما هو أمر له ـ بطريقة مهذبة ـ من السلطات العثمانية بالسفر إلى بلاد الشام؛ ليبقى في مأمن من الفتن.

فسافر أواخر ربيع الثاني عام (1336هـ) في وفد رسمي من المدينة المنورة عبر القطار إلى دمشق؛ ليستقبله بها علماؤها ووجهاؤها بكل تعظيم وإجلال.

وفي الثاني من صفر عام (1341هـ) سافر المترجم رضي الله عنه لزيارة تركيا بدعوة من المجاهد الكبير أحمد الشريف السنوسي، وفي ذي القعدة من عام (1342هـ) زار مصر، ومكث بها عشرة أيام زار بها معاهدها، ومقامات

(1) «حياتي» ص287.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» Printed on [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100]

الصالحين بها، واقتنى بعض النفائس من كتبها، وألقى درساً بالجامع الأزهر في شرح حديث: «بني الإسلام على خمس». والتقى بها بمختلف العلماء والصلحاء، ومشايخ الطريق.

وفي سكناه بدمشق الشام؛ كان منزله مجمعاً للعلماء، والزعماء، والمصلحين، والعسكريين؛ بل والملوك؛ فقد زاره الملك الشريف فيصل بن الحسين مراراً بمنزله بها حين كان ملكاً على الشام، وزاره شكيب أرسلان ومحمد رشيد رضا، وأسمعهما حديث: «يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها... الحديث»[1]. واستجازه الأخير منهما فأجازه.

الرجوع إلى المغرب والوفاة:

لما احتل الجيش الفرنسي دمشق يوم الأحد العاشر من ذي القعدة الحرام عام (1338هـ/ 1920م)؛ أيقن المترجم ـ رحمه الله تعالى ـ أن الوضع في الشام أصبح كالوضع في المغرب من حيث عموم الاستعمار وتسلطه على البلاد والعباد. ففكر جدياً في الرجوع إلى المغرب لصلة الرحم بأهله الذين غاب عنهم لأكثر من عقد من الزمان، خاصة وأن عام (1340هـ) توفي آخر إخوانه: العلامة أحمد بن جعفر الكتاني وترك جميعهم أطفالاً أيتاماً. ثم بعد زيارة المغرب يعود إلى المدينة المنورة؛ حيث المسجد النبوي الشريف؛ وقبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله، وحيث لا مظهر لوجود الاحتلال الأجنبي. وكان يقول إذا سئل عن وجهة سفره: «سأذهب للمغرب؛ لأرد الأمانات إلى أهلها، وأسعى في صلة الأرحام بعضها ببعض. وبعد ذلك؛ فإن قبضت هناك فبها، وإلا؛ رجعت للمدينة!». وكان يقول: «سأغيب ستة أشهر لا غير!!»[2].

وقد تعلَّق به أهل الشام بمختلف طبقاتهم، وحاولوا صده عن هذا المرغوب؛ غير أنه اعتذر عن ذلك... فودعه العلماء والأدباء وأهل البلد،

(1) انظر: «لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم»، تأليف شكيب أرسلان.
(2) «حياتي» ص518.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

وألقى الأدباء قصائد وأشعاراً في توديعه. من ذلك: قصيدة الأستاذ الشاعر سليم البحراوي التي مطلعها:

يـا حـزب الـلَّـه الـدانـي لـحـضـرة الـتـدانـي
حـسـبـي بـكـم كـفـانـي عـيـونـكـم تـرعـانـي

ومنها: قصيدة الأديب أبو السعود مراد، التي مطلعها:

أشمس الغرب حقاً ما سمعنا بأنك قد سئمت من الإقامة؟
لـقـد زَلْـزَلْـتَ مـنـا كـل عـضـو بـحـق الـلَّـه لا تُـقـم الـقـيـامـة

ومنها قوله:

يعود للغرب حيث الغربُ مَطلعه مُحدث الشرق، بدرُ العلم مرجعه
ناديتُ والقلبُ محروقٌ أُوَدِّعُه يا راحلاً وجميلُ الصبر يَتْبَعُهُ
هل من سبيل إلى عليك يتفقُ؟

ومكث في طريقه رضي الله عنه ببيروت أربعة أشهر، ثم وصل مرسى الدار البيضاء يوم الاثنين الثالث عشر من ربيع الأول عام (1345هـ/ 1927م)، «فكان يوماً مشهوداً، وعيداً مزدوَجاً لأهل المغرب، فاستقبلنا الأهل والأقرباء، والأشراف والعلماء والأهالي، وأنشأ الشعراء القصائد؛ ألقوها عند نزولنا من الباخرة...»[1]. وبفاس مكث المترجم ستة أشهر مَحجاً ومقصداً لسائر طبقات المجتمع المغربي إلى وفاته.

تصدره للتدريس:

تصدر المترجم للتدريس بالزاوية الكتانية بفاس وعمره لما يتجاوز 18 عاماً، بعد امتحان أقامه له كبار مشايخه.

وفي عام (1294هـ) وقد بلغ العشرين من عمره ـ تصدر للتدريس بجامع القرويين الأعظم بفاس، وبغيره من المساجد والمحال؛ كضريح سيدي أحمد

(1) «حياتي» ص522. والعيد المزدوج: عيد المولد النبوي الشريف، وعيد وصول الإمام الكتاني للمغرب.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

الشاوي، وجامع الرصيف، وغيرهما. وبقي والده يلاحظه ويرعاه بانتيابه دروسه حيناً بعد حين. وتمَّ له تدريس العديد من الكتب، ذكر أسماءها في «النبذة اليسيرة» ص344. وهي تدور حول علوم: التوحيد، والفقه، والحديث، والمصطلح، والأصول، والسيرة، والنحو، واللغة، والصرف، والمعاني، والبيان، والتصوف، وعلم الوضع... وغيرها من العلوم.

قال رضي الله عنه[1]: «وكان يحضر مجلسي الجم الغفير من طلبة فاس وغيرها، بين العشاءين بالزاوية (الكتانية) المتقدمة، ثم بعدها بجامع الرصيف، ثم بعده بباب خلوة القرويين... ما لا يحصى. بل؛ لما فتحت البخاري بالقرويين بين العشاءين صار يحضر الآلاف من الخلق؛ بحيث كاد ربع المسجد ـ مع كبره ـ من ناحية الخلوة أن يكون ممتلئاً». اهـ بخ.

ولما هاجر إلى المشرق؛ افتتح دروساً منتظمة بالحرمين الشريفين، وبالجامع الأموي بدمشق، وغيرها. كما واظب على فتح بيته لمختلف الدروس العلمية التي كان يلقيها ويحضرها عليه كبار العلماء.

وقد وصف تلميذه وزير العدلية بالمنطقة الخليفية العلامة أحمد الرهوني دروسه بقوله: «عادته في القراءة: تحرير المسائل على طريق الاجتهاد؛ فيقرر المسألة في أي فن، ويوضحها حتى تصير ضرورية، ثم يأتي بما فيها من الأقوال، مع بيان أدلة كل قول وبيان قوة الدليل أو ضعفه، ووجه القوة أو ضعفها، بما أتاه الله من أنوار الفتح والإلهام، فلا يقوم الطالب من بين يديه إلا وقد أحاط بما قرأه عليه أصلاً وفرعاً، واعتقده اعتقاداً لا تزحزحه الجبال».

«وقد آتاه الله من الإنصاف والتواضع أوفر قسط؛ فكان يتنازل لأقل الطلبة، وينصت لأبحاثهم، ولا يحقر واحداً منهم، بل يسترسل معهم في البحث حتى يتبين الحق. وكان أعز ما عنده: أن يتبين الحق لبعض الطلبة في مبحث؛ فيشيد به ويثني عليه، ويقول: إنا كنا غالطين في البحث الفلاني، وقد

(1) «النبذة اليسيرة» ص347.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» Printed on [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100]

قيض الله لنا من نبهنا من ذلك الغلط، جزاه الله عنا خيراً. إلى غير ذلك من العبارات اللطيفة، الدالة على كمال الإنصاف وغاية الإخلاص في العلم والعمل».

«وكان يتنصل من دعوى العلم والرياسة، ويقدم: لا أدري. بين يدي كل سؤال يلقى عليه، ثم يدخل في البحث فيه على سبيل التفهم مع السائل حتى يحصل على جوابه من غير شعور، مع أنه في نفس الأمر؛ قد أحاط بجواب سؤاله ظاهراً وباطناً».

«ولا تخلو مجالسه في الدروس وغيرها من مواعظ وحكم، ومذاكرات صوفية، وربما بكى وأبكى حتى يبل التراب...»[1].

ونفس الجانب الروحي يصفه العلامة إدريس التاشفيني بقوله: «كنا نقرأ عليه صحيح البخاري بمسجد القرويين بفاس بين العشاءين، فإذا سمع المؤذن يؤذن العشاء؛ يوقف القراءة ويحكي الأذان وجميع من بالمجلس يحكي، ويكون في ذلك سر عظيم، وجل الحاضرين يحصل لهم حضور وبكاء... إلخ»[2].

أما دروسه بدمشق؛ فوصفها نجله العلامة الزمزمي بقوله: «كان الوالد يقرأ في الدار مسند الإمام أحمد بن حنبل؛ ويأتي للحضور إليه كثير من علماء المذاهب الأربعة، وقد كان كثيراً ما يقرر مسألة بأحد المذاهب الأخرى غير المالكية؛ فيعارضه فيها من هو من ذلك المذهب، فيأمرني بإحضار كتب ذلك المذهب؛ فتوجد المسألة كما ذكر، فيعترف ذلك المعارض بخطئه!»[3].

وحين عودته للمغرب وتصدره لتدريس مسند الإمام أحمد بن حنبل بجامع القرويين على طريقة الاجتهاد، وصف نجله المذكور دروسه بقوله: «وكان سيدنا الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ في دروسه هذه يذكر الحديث على عادته، فيتعرض

(1) «عمدة الراوين في تاريخ تطاوين» (9: 5).
(2) «رفع الحرج والناد عمن أراد أن يصلي في المنطاد» ص162.
(3) «عقد الزمرد والزبرجد في سيرة الابن والوالد والجد» (2: 505).

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

لرجال سنده ولادة ووفاة، جرحاً أو تعديلاً، ثم للمتن من حيث الصحة والضعف، والعزو والتخريج، ثم يتكلم على فقهه ذاكراً مذاهب الأئمة الأربعة وغيرهم، ووجهة نظر كل واحد منهم ـ وبالخصوص مذهب مالك ـ فقد كان يسعى في تطبيق الأصول على الفروع؛ يذكر نص خليل، ويقابل بينه وبين الحديث، ثم يرجح بين الآراء، أو يأتي برأي جديد فيدرك عليه بحجج وبراهين تترك الشاك موقناً على ما يأتي به من طرق وفوائد وملح في فنون مختلفة، في فصاحة منطق، وجمال تعبير، وإبداع في الأداء».

«وإذا علمت أن مسند الإمام أحمد لم يشرح بعد شرحاً يتناسب وقيمته، ولم يعن به علماء الإسلام، بل لم نر في كتاب، ولم نسمع من أحد أن أحداً من رجال التاريخ درسه دراسة ورواية؛ علمت أن التكفل بتدريسه من الصعوبة والخطورة بمكان، ولا يقتحم مثل هذا الموقف إلا رجل هو: السيد محمد بن جعفر الكتاني، قدس الله روحه، ونور ضريحه، ونفعنا بذكره... آمين».

«وقد كاد جامع القرويين ـ على سعته ـ أن لا يكفي لإيواء كل المستمعين الذين قدروا بآلاف تناهز العشرة آلاف، وقد شوهد الكثير منهم يحتجزون المقاعد وقت العصر، بل وقبله، خوفاً على مقعدهم من الاغتصاب بين أمواج الخلائق، إذ كان يحضره أعيان المغرب ويستعملون له الرحلة».

«وقد كان الكثير منهم يحكي لأهله ما يسمعه من السيد الوالد من المواعظ والإرشادات؛ فكان ذلك يؤثر فيهن، ويرتدعن بسببه من كثير من القبائح والعوائد السافلة؛ إذ كثيراً ما كنا نسمع من الناس أن أخلاق نسائهم تحسنت جداً منذ فتح السيد الكتاني دروسه الحديثية، من كثرة ما كان الرجال يخبرون به نساءهم من الفوائد والمواعظ...»[1].

أخلاقه ونشاطه الصوفي:

ينقسم هذا المبحث إلى جانبين: أخلاقه. ونشاطه الصوفي.

(1) المصدر السابق (2: 531).

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

أ ـ أخلاقه:

نشأ المترجم في بيئة صوفية متدينة، لا تعرف سوى الله تعالى وطريق الهدى والدعوة إلى الإسلام؛ فكان له اعتناء كبير بدراسة العلوم الشرعية، والتخلق بالهدي المحمدي منذ صغره.

فكان ﷺ آية في الورع والصلاح، ملازماً للأذكار، وقيام الليل، وصيام الأيام الفاضلات، والمحافظة على صلواته في الجماعة؛ لا يكاد يترك ذلك، كثير الصدقات، وفعل الخيرات.

كما كان بعيداً كل البعد عن الشبهات وما يتصل إليها بسبب، خاصة في المكسب؛ فكان لشدة ورعه لا يقبل هبة ولا هدية من يشتغل في المخزن كان من كان، ولا يأكل طعامه، بل لم يكن يقبل أخذ المرتب المخصص لعلماء الطبقة الأولى من رجال القرويين، مما جعل والده يوبخه مراراً على ذلك إلى أن قال للقاضي مرة: «أنا أولى من ولدي بذلك!». وصار يتناول هو تلك الأرزاق ويدفعها لعائلة ولده المذكور..

وكان شديد البعد عن الدنيا وأهلها، إلا فيما فيه صلاح للإسلام والمسلمين، غير أنه لما رحل إلى المشرق، وثاخن مشاكل المسلمين وأهوال العالم الإسلامي؛ انكبَّ الرؤساء والملوك على زيارته في بيته، والإقبال عليه، وتدخل للتوسط في العديد من قضايا المسلمين، في الحجاز والشام وغيرهما، وبالرغم من ذلك قال فيه العالمان الكبيران أحمد ابن الخياط الزگاري، ومحمد بن رشيد العراقي كل منهما في مجلس مستقل: «ما منا إلا وقد لعبت به الدنيا وزاد ونقص، إلا فلا ـ يعنون المترجم ـ فإنه نشأ على حالة استقامة؛ لم تغيره الليالي والأيام، ولا لعبت به في دينه تقلبات الأقوام والأعوام!»[1].

وكان شديد التعلق بالله تعالى، كثير الذكر له، كثير التلاوة والخشوع، والاستغراق في جلال الألوهية، ساعده على ذلك كثرة مشايخ التربية الذين اجتمع بهم وأخذ عنهم؛ بحيث يذكر عن نفسه في «النبذة»، بأنه رأى مرة رب

(1) «عقد الزمرد والزبرجد» (2: 530).

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

العزة والجلال في المنام، فأصابه من ذلك حال كبير، كاد يغيبه عن عقله لمدة سنتين كاملتين.

كما كان شديد المحبة للنبي ﷺ، مستغرقاً فيه، هائماً في سيرته وشمائله، وكتب في سيرته وكمالاته عدة مؤلفات؛ أجلها: «جلاء الأصداء من القلوب الغينية، في بيان إحاطته عليه السلام بالعلوم الكونية»، قال عنه الشيخ عبد الحي الكتاني: «لم يؤلَّف مثلُه في بابه!». ويروي في كتابه «النبذة» عدة اجتماعات له روحية يقظة ومناماً به ﷺ.

وكان رضي الله عنه شديد البرور بوالده، كبير التعظيم له، يؤثره على نفسه وعياله، ويعدُّه مرجعه في العلم والسلوك وإليه ينتسب، ومن كمال أدبه معه: أنه لم يكن يرد له طلباً، ولا يتكلم بمحضره إلا من بعد إذنه، وإذا دخل عليه غرفته أتاه حبواً حتى يقبِّل ركبتيه ويديه.

كما كان عظيم المحبة للصالحين، زواراً لهم ـ أحياء وأمواتاً ـ مُسَلماً لأحوالهم، معتذراً لهم عما قد يرتكبه البعض مما ظاهره مخالف للشريعة، لا يدعي بدعوى، ولا ينسب لنفسه مزية، ويسلم لكل من ادعى لنفسه دعوى، ويقول: «هلموا لنصرة الإسلام وأهله». فكان ينظر إلى الأعمال لا إلى الشارات، متنزهاً عن النزاعات والخلافات، بحيث أجمع أهل زمانه على تعظيمه ومحبته.

وكان شديد العداء للكفار ومن متَّ إليهم بسبب، فقد كان شديداً على أرباب الحمايات، يقاطعهم ويحاربهم وإن كانوا من معارفه. ومن مقاطعته لهم: أنه ما تداوى منهم قط، لا بنصراني ولا بيهودي، لا له ولا لأهله وأولاده، وكان يقول: «عدو حبيبي ما يكون طبيبي!». هذا مع قوله بجواز التطبب بهم عند الضرورة، بشرط الأمن من غشهم والوثوق من النصيحة.

وكان طيب الخلق، هيناً ليناً، متحبباً إلى الناس، حسن السياسة لهم، كريماً كرماً حاتمياً، خاصة في أيام المولد الشريف الذي كان يحتفل به احتفالاً لا يقوم به في عرس ولا غيره، غير أنه كان إذا رأى محارم الله تنتهك؛ لا يقوم له شيء!.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

ومن طرائف هذا الباب: أن الشريف فيصل بن الحسين ملك سوريا زاره مرة في منزله وأراد أن يدخن ـ وكان المترجم يرى حرمة التدخين وعدم جوازه ـ فأمسك بيده، ومنعه من التدخين. فتعجب له الملك المذكور وقال له: «علماؤنا الأحناف يجيزون التدخين». فقال له: «أما قدماؤهم من العلماء، والصالحون منهم؛ فكلهم قائلون بالتحريم، وأما المتأخرون؛ فتساهلوا!»، ثم بقي يسرد له الأدلة الشرعية على تحريمه، مما زاده إكباراً واحتراماً في عين الملك المذكور.

كما كان عظيم الخدمة لأمة الإسلام، مكث طول عمره في المغرب ومصر والحجاز والشام وتركيا ناشراً للعلم، مدافعاً عن القضايا الإسلامية أينما حل وارتحل، ومؤلفاته ورسائله أكبر شاهد على قيامه بتلك الأعمال ودعمه للمجاهدين في تركيا والشام وليبيا والمغرب... الأمر الذي جعل شيخ الجماعة عبد الله بن إدريس العلوي الفضيلي يقول عنه: «إن ولاية سيدي محمد بن جعفر ليست ولاية كرامات ومناقب، وإنما هي ولاية الصحابة والتابعين!».

ب ـ نشاطه الصوفي:

نشأ المترجم رضي الله عنه في بيئة صوفية، فوالده من مشايخ الطريقة المحمدية الكتانية، التي أسسها ابن عمه العارف بالله أبو المفاخر محمد بن عبد الواحد الكتاني، وبيته كان كعبة لأهل الله، ومشايخ التربية من أهل فاس والطائفين بها، وأسرته كانت ملأى بالصالحين والعارفين ومشايخ التربية، إضافة إلى نشأته بالزاوية الكتانية الكبرى بحومة القطانين من فاس، والتي كانت محج رجال التصوف السنيين المربين.

وهو ما هيأ المترجم للالتقاء في وقت مبكر من عمره بكبار رجال التصوف؛ في المشرق والمغرب، وأخذ عنهم طرقهم الصوفية، وأذنوا له فيها سلوكاً وتلقيناً، ونال منهم أسراراً وعرفاناً، وأخذوا عنه هم كذلك، وشهدوا له بأرفع الدرجات في السلوك، ومقامات الطريق، بحيث كان مأذوناً بتلقين

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

اثنين وأربعين طريقة صوفية، علاوة على ورد خاص اختص به لنفسه... فكان ممن أخذ عنهم طرقهم: مشايخ كتانيون، وشاذليون، وقادريون، ورفاعيون، وتيجانيون... وغيرهم.

نشاطه السياسي:

كان المترجم ـ رحمه الله تعالى ـ عالماً واعياً بمسؤولياته التي كلفه الله بها، من حيث حمل الميثاق الإلٰهي، والذب عن حياض الدين الإسلامي؛ واعياً بقول النبي ﷺ: «**من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم**». ومن هذا المنطلق فقد أسدى خدمات عديدة لدينه ووطنه، سواء في المغرب وفي المشرق، الأمر الذي اضطره إلى مثاخنة السياسة من أوسع أبوابها.

غير أنه نظراً لجهده الكبير في وحدة الصف، ولمِّ شعث المسلمين، فقد كان محل قبول لدى الجميع، من مخالف وموافق، ولم تتسبب له مواقفه السياسية في عداوات ظاهرة مع مختلف التيارات والأطراف، بل كان حيث حل وارتحل محل احترام واهتبال من الجميع.

وكان منزله ـ خاصة في الحجاز والشام ـ محجاً للأمراء والملوك، وكبار السياسيين، ورجالات الإصلاح بالمشرق؛ كالملكين عبد الله وفيصل ابني الحسين، والشريف حيدر باشا، والجنرال أحمد جمال باشا، وشكيب أرسلان، ومحمد رشيد رضا، وعبد القادر المغربي...

وعند خلع خديوي مصر عباس حلمي باشا عام (1333هـ)، أرسل للمترجم مستشفعاً به لدى الدولة العثمانية من أجل إرجاعه لملكه[1]. كما كانت بينه وبين أمراء عسير الأشراف الأدارسة مواصلة شفوية وسلام ومحبة بواسطة الشريف مأمون الإدريسي، الذي كان كثيراً ما يتردد لزيارته بالمدينة المنورة، فيبلغه سلامهم وأخبارهم[2].

وسنتطرق في هذه العجالة باقتضاب إلى دور المترجم السياسي

(1) حياتي: (1/ 268).

(2) حياتي: (1/ 269).

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

الإصلاحي؛ من حيث علاقته بملوك المغرب، والدولة العثمانية، وأشراف الحجاز؛ ملوك سوريا والعراق.

أ ـ علاقاته بملوك المغرب:

شارك المترجم في الحياة السياسية بالمغرب منذ نشأته؛ كعالم مصلح، وأحد موجهي السياسة المغربية. ولعل أول نشاط له ـ رحمه الله تعالى ـ ابتدأ في دولة ملك المغرب الحسن الأول الذي عرفت فترته بنشاط مهم في ميدان الازدهار المغربي في مختلف المجالات. وقد تجلى نشاط المترجم في تلك الفترة؛ في الفتاوى التي كان يحررها إلى الملك المذكور بخصوص مختلف القضايا التي كانت تمر بالبلاد، والتي كان المولى الحسن الأول يأخذها بعين الاعتبار، وكثيراً ما يعمل بها، وكانت تحظى باعتناء كبير من لدن أعلام فاس الكبار الذين كانوا يوقعون عليها ويرفعونها باسمهم.

وإن كان العلامة المهدي الوازاني في «المعيار الجديد» أغفل جل أو جميع تلك الفتاوى المحررة المهمة في تاريخ المغرب، فقد حفظ لنا التاريخ جمعاً منها. ومن أهم تلك الفتاوى: فتوى بخصوص تحريم الدخان ومنعه، حيث عمل السلطان بمقتضاها ومنع استعمال تلك المادة في عموم الأسواق المغربية. وفتوى وجوب نصرة المجاهدين مع وجود الاستطاعة، وذلك حين سقوط الأراضي السنغالية والإفريقية في يد النصارى، وفتوى في حكم احتماء المسلمين بالنصارى. وتلك كانت أهم المشاكل التي شغلت الدور الحسني الأول.

وفي عهد المولى عبد العزيز، استمر في دوره الإصلاحي والتوجيهي، ممثلاً في إصدار الفتاوى في مختلف الأمور التي كان السلطان يطلب من العلماء إبداء رأي الشريعة فيها، وبعد أن تدهورت أوضاع المغرب، وفرغ بيت المال، وكثرت الثورات على النظام، وتكالبت قوى الاستعمار على أطراف المغرب؛ قصد وجهاء البلاد كبار العلماء الثقات، ورؤساء المجتمع يطالبونهم بالثورة على الملك المذكور، حتى جاؤوا إلى المترجم رَحِمَهُ اللَّهُ وطالبوه بالخروج

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

على ملك البلاد وعزله، وقالوا له: «اخرج ونحن وراءك!». فما كان من المترجم إلا أن رفض ذلك واقترح عليهم نصيحة الملك المذكور وشرح مشاكل البلاد له، وقال لهم: «نحن العلماء سيوفنا ألسنتنا».

فاجتمع بالسلطان المذكور اجتماعاً خاصاً استمر طول اليوم، شرح له فيه أوضاع البلاد ومشاكلها، وخطورة الاستمرار في الخط التي تسير عليه، وحذَّره من تقديم بطانة السوء التي لن تلقي البلاد إلا إلى التهلكة، وأخبره بعزم الناس على الثورة عليه إن استمرت البلاد فيما هي عليه من الاندحار. ثم قدم له نصيحته الشهيرة: «نصيحة أهل الإسلام بما يدفع عنهم داء الكفرة اللئام»، التي شرح فيها عوامل سقوط الدولة الإسلامية وعوامل النهوض بها. فاغتبط به الملك المذكور ووعده بإصلاح الأمور وبذل الجهد في سبيل ذلك. غير أن جانب الشر كان أنفذ من جانب الخير فاستمرت الأمور على ما كانت عليه، فاضطر المترجم إلى الهجرة بنفسه وعياله للمدينة المنورة عام (1325هـ)، وانتهى أمر المولى عبد العزيز بخلعه بتاريخ (1/ 12/ 1325هـ/ 1907م)، ومبايعة أخيه المولى عبد الحفيظ.

وقد كان من أعمدة بيعة المولى عبد الحفيظ: ابن عمة المترجم الإمام أبو الفيض محمد بن عبد الكبير الكتاني، وداعيته الأكبر في فاس والأرياف، غير أنه اشترط في صك البيعة شروطاً على المولى المذكور مبنية على الشورى والجهاد، فاعتبرها تحجيراً عليه، وكانت السبب الأكبر في تربصه به الدوائر.

وفي تلك الفترة عاد المترجم من المشرق لفاس، بقصد المشاركة في الإحياء والإصلاح السياسي والاجتماعي، قال نجله في تاريخه: «ولما رجعنا للمغرب؛ وجدنا الأحوال غير ما بلغنا، فالوظائف تباع بالمزاد العلني، والكبار الذين يخشى سطوتهم وبيدهم الحل والعقد يلقى عليهم القبض وتصادر أموالهم، وتستباح حريمهم، وسيرة المخلوع كانت هي هي إن لم نقل أوهى منها[1]».

(1) حياتي: (1: 196).

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

ثم إن المولى المذكور تربص بالشيخ أبي الفيض الدوائر في قصة طويلة، حتى اعتقله وجميع أسرته وخدمه وحشمه في سجن أبي الخصيصات بفاس، ومنهم: عمة المترجم الشريفة العارفة بالله فضيلة بنت إدريس الكتانية، وأشيع الخبر عن اعتقال المترجم وسائر العائلة. وبالرغم من ذلك؛ تحيَّن المترجم الفرصة للشفاعة في أبناء عمه وأتباعهم، ومن هنا ابتدأت علاقة المترجم بالمولى المذكور، حيث قبل شفاعته في أبناء عمه ـ بعد استشهاد الإمام أبي الفيض تحت السياط ـ.

وقد كان للمولى عبد الحفيظ اعتقاد واحترام كبير للمترجم، بحيث عند إصداره للجيش المتصدي للثائر أبي حمارة؛ استدعاه، وطلب منه الدعاء للجيش قائلاً: «أريد أن لا تبرح من مكانك هذا حتى يتم نهوض تلك المحلة لتذهب على قدمك لقتال ذلك الثائر الفتان أبي حمارة، ليحصل لها النصر والظفر بعناية الله وهمتكم العالية»، فلم يعد الجيش المذكور إلا وقد ألقى القبض على الثائر مقفصاً أسيراً، الأمر الذي زاد من اعتقاد الملك المذكور في المترجم رَحِمَهُ اللَّهُ.

لقد كانت علاقة المترجم حينها بالمولى عبد الحفيظ علاقة مجاملة، افتكاكاً لرحمه، وتوحيداً للصف المغربي أمام الهجمة الاستعمارية، وما لبث المترجم أن هاجر بأهله وعياله للمدينة المنورة عام (1328هـ)، يائساً من إصلاح المغرب، ووقَّع المولى المذكور على وثيقة الحماية بتاريخ (30 مارس 1912م/ موافق 11 ربيع الثاني 1330هـ)، ثم عزله الفرنسيون عن الحكم بتاريخ بتاريخ (28 شعبان سنة 1330هـ/ موافق 11 غشت سنة 1912م)، ونفوه إلى طنجة، ومنها إلى إسبانيا ثم فرنسا.

ب ـ علاقاته بالدولة العثمانية:

هاجر المترجم إلى الحجاز هجرته الأخيرة عام (1328هـ)، وكان بها مثال العالم الصادق، الجهور بالحق، الناصح العاقل، فاجتمعت عليه وجوه البلاد، وتلمذ له أمراء الأشراف بالحجاز وغيرهم، واعترف الجميع بتفوقه

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

العلمي، ورفعة مكانته الدينية. الأمر الذي دفع بالبنان للإشارة إليه.

وكان من أعظم من تلمذ له، واعترف له بالفضل، واعتنى بتوجيهاته: وزير الحربية بالخلافة العثمانية، وقائد الجيش الرابع العثماني الجنرال أحمد جمال باشا رَحِمَهُ اللَّهُ، فكان يعترف له بالفضل، ويصفه بـ«الكبريت الأحمر»، ويطلب منه التوجيه والدعاء، ويعامله معاملة الابن للوالد. وكان الواسطة بينه وبين الخلفاء العثمانيين.

من هنا ابتدأت علاقة المترجم بالخلافة العثمانية، ومرت بأدوار متعددة، في الحجاز والشام. وعند قيام أشراف الحجاز بالثورة على الخلافة العثمانية، طلبت حكومة الخلافة من المترجم والشيخ بدر الدين البيباني الدمشقي الوساطة بينها وبين أشراف الحجاز، نظراً لشدة اعتناء الأتراك بالحجاز والحرمين الشريفين، وأسفهم على ضياعها. فقام بذلك جهده، وأرسل إلى الشريف فيصل بن الحسين رسالة يدعوه فيها لوقف التمرد على الخلافة، وعدم التعاون مع البريطانيين ضد الدولة الإسلامية؛ جاء فيها: «وعليه؛ البدار البدار ـ ساداتنا وأسرتنا ـ بجمع الكلمة والائتلاف، والحذر الحذر من التشتت والتفرق والاختلاف، وكونوا يداً واحدة، ورفقة متحدة لكيما يقوم بكم ساعد الدين، وينتظم الكل في سلك المجتهدين المجاهدين، فقد قال جدكم المصطفى المختار: يد الله مع الجماعة، ومن شذ شذ في النار. ولكم حينئذ ما تحبون، ومن إخوانكم ما تريدون، جمع الله بكم الشمل، وأحيا بانضمامكم إلى هذه الدولة العلية الحرث والنسل... وما قصدنا بهذا إلا الإصلاح، واتحاد الكلمة الذي هو أصل كل نجاح وفلاح، عسى أن تقوم لهذا الدين المحمدي قائمة في البلاد، ويسلم من تلاعب الأعادي في كل ناد...». وهي مؤرخة بثالث صفر الخير عام (1336هـ).

وعند استياء الأوضاع بالحجاز؛ دعت الحكومة العثمانية المترجم للهجرة إلى الشام خشية عليه وعلى أسرته، وهناك استمرت المكاتبات بين المترجم والقادة العثمانيين كالوزير أحمد جمال باشا الكبير، والجنرال جمال باشا الصغير، وكانوا يزورونه بمنزله ويطلبون نصائحه ودعاءه. وكان الشيخ

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

بدر الدين البيباني ـ شيخ الشام ـ طالما يحرض أمراء الأتراك على معرفة قدر المترجم والقيام بواجب حقوقه، حتى قال مرة للوزير أحمد جمال باشا: «إنه لا يجوز لأحد أن يأخذ من بيت المال شيئاً إلا إذا استوفى منه الشيخ السيد محمد بن جعفر الكتاني»[1].

ونظراً لمكانة المترجم لدى الدولة العثمانية، وجهوده الكبيرة في إعزاز الإسلام وحماية بيضته؛ فقد منحت دولة الخلافة نجليه: الشيخ محمد الزمزمي والشيخ محمد المكي وساماً برتبة «عظمة». أما هو؛ فقالوا له: «إن مكانتك فوق الأوسمة وفوق أي اعتبار»[2].

ج ـ علاقاته بأشراف الحجاز وملوك سوريا والعراق:

ابتدأت علاقة المترجم بأشراف الحجاز منذ هجرته الثانية سنة (1328هـ)، وهي علاقة قديمة كانت بين الأسرة الكتانية والأمراء المذكورين. وإن كان المترجم رَحِمَهُ اللَّهُ متحفظاً في تلك العلاقة نظراً لميل الشريف حسين للبريطانيين على حساب الدولة العثمانية التي كانت تمثل الخلافة الإسلامية حينذاك، باستثناء حكام المدينة المنورة: الشريف علي حيدر باشا وأبنائه، والشريف ناصر بن علي الذين تلمذوا له، وقويت رابطتهم به.

وعند تولي الشريف فيصل بن الحسين ملك سوريا، اضطر المترجم لربط علاقات معه مبنية على المشورة والدعوة إلى الإصلاح، فكان الشريف فيصل يزوره ببيته كل يوم خميس، وحصلت له معه قصص طويلة، قال له في إحداها: «قد علمت أنك كتبت لي ذلك المكتوب ـ الوساطة بينه وبين الدولة العثمانية ـ عن إكراه». فأجابه بقوله: «ما أكرهني أحد؛ وإنما كنت أطلب اتحادكم!»[3].

وكان أهل الشام في تلك الفترة يتوسطون بالمترجم لحل أزماتهم

---

(1) حياتي: (2: 295).
(2) حياتي: (2: 307).
(3) حياتي: (2: 269).

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

ومشاكلهم مع السلطة القائمة، فكان يقوم بذلك، ويوصل مشاكل المجتمع إلى الملك المذكور، ثم دعاه مرة إلى حل المحكمة العدلية، وسماها: محكمة الجور، وإلى رفع الجور والمنكرات المنتشرة حينه بالشام، كما دعاه الملك فيصل إلى تعيين مفتٍ للشام، واستبدال المفتي الموجود، فرشَّح له رجلين اثنين اختار منهما: الشيخ عطا الله الكسم.

نشاطه الجهادي والإصلاحي:

نشأ المترجم رَحِمَهُ اللَّهُ في بيئة إسلامية وطنية صادقة، في فترة تكالبت فيها دول أوروبا على المغرب لاحتلاله ومسخ هويته ونهب ثرواته، ولا بدع أن يكون حفيد المجاهد العالم إدريس بن الطائع الكتاني، ونجل داعية الجهاد ومحاربة الاستعمار جعفر بن إدريس الكتاني؛ من السباقين لنصرة قضايا المسلمين في مختلف البلاد. وقد ذكر نجله العلامة محمد الزمزمي الكتاني في تاريخه كما سبق، أنه كان في شبابه كثيراً ما يخرج مع رفاقه للرياضة، والتدرب على فنون الحرب والقنص واستعمال الأسلحة النارية تدرباً على الجهاد، والدفاع عن الدين والوطن.

ومن أوائل نشاطه الجهادي: ما ذكره ابنه الشيخ الزمزمي الكتاني رَحِمَهُ اللَّهُ في مذكراته ج3، ص765 قال: «... وتذكرت بهذا ما كان أخبرنا به الوالد ـ قدس الله روحه ـ أنه أيام شبابه صادف مجيء سفير الإنجليز يريد أن يعقد مع السلطان مولاي الحسن عقداً إجبارياً يدخل فيه المغرب تحت الحماية إذ ذاك، فعهد الوالد، ومعه مولاي عبد الكبير ابن عمه، إلى طريقة ذكرها لنا، رجموا فيها السفير المذكور بعد أن استفهموا عن اسمه واسم أمه. فرُجم الملعون وطرد، وتبعه الرجم إلى أن سافر من طنجة وركب البحر ذليلاً مهيناً حيث وصل لبلاده، فطردته دولته وأقصته!»..

ونظراً لمدى تأثير المترجم الروحي والتوجيهي على مجاهدي المغرب وغيره؛ فقد قالت جريدة الزمان (le temps) الباريزية شبه الرسمية، عندما أوردت نبأ وفاته بتاريخ (15/ 9/ 1345هـ ـ 19/ 3/ 1927م): «لقد مات أكبر

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

عدو لفرنسا بالمغرب». رضوان الله عليه[1].

غير أننا نسوق في هذه العجالة ـ اقتضاباً ـ جهود المترجم في دعم ومساندة مجاهدي كل من: المغرب، وليبيا.

أ ـ دعمه لمجاهدي المغرب:

من أبرز الحركات الجهادية بالمغرب، والتي واكبت حياة المؤلف: ثورة محمد بن عبد الكريم الخطابي بشمال المغرب، وثورة محمد بن حمو الزياني وسط البلاد. ونظراً لاعتناء المترجم في دروسه بتدريس العلوم الشرعية ـ خاصة الفقه الإسلامي، والسيرة النبوية ـ بصورة تطابق الواقع المشاهد على المعلومة النظرية؛ فقد تخرَّج على يديه بفاس ـ خاصة ـ جملة من العلماء الذين قادوا الحركات الجهادية في المغرب إثر دخول الاستعمار الفرنسي والإسباني.

ومن أبرز تلامذته: القائد محمد بن علي الريفي؛ المعروف ببلولحية، والزعيم محمد بن عبد الكريم الخطابي الذي لازمه أثناء دراسته بفاس، وهو ابن الفقيه عبد الكريم الخطابي الذي كان بدوره من خاصة تلامذة والد المترجم الشيخ جعفر بن إدريس الكتاني.

وحيث ألَّف المترجم كتابه «نصيحة أهل الإسلام بما يدفع عنهم داء الكفرة اللئام»؛ اعتمده مجاهدوا المغرب في تأجيج نار الحرب على العدو المحتل، فكانوا يتطلبونه منه بالرغم من سكناه بالحجاز ثم الشام.

وهكذا استمرت العلاقات وطيدة بين المجاهد الريفي والإمام الكتاني، فقد كان سيل من الرسائل متواصلاً بينهما أثناء حرب الريف، وإن كان جل تلك الرسائل فقد نظراً لكتابتها بالحبر السري الذي تتوقف قراءته على تقريبه للنار. فكان المترجم يرسل توجيهاته للمجاهدين، ويحضهم على التزام الثبات في باب الله، ولقاء العدو.

---

(1) عن مقدمة العلامة المجاهد محمد إبراهيم بن أحمد الكتاني لكتاب المترجم «نصيحة أهل الإسلام»، تحقيق: د. إدريس الكتاني.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

وإضافة إلى ذلك؛ فقد كان المترجم يجمع التبرعات المادية من أهل الشام والواردين عليها ـ بطريقة سرية ـ ويرسلها للمجاهدين بالريف، كما عمل رَحِمَهُ اللَّهُ على الربط والتنسيق بين ابن عبد الكريم الخطابي ومجاهد ليبيا أحمد الشريف السنوسي والدولة العثمانية، الأمر الذي يتضح جلياً في الرسالة التالية التي بعث بها الخطابي للشريف السنوسي[1]. (انظر الصفحة المقابلة).

وقد كان رسول المترجم والناطق باسمه: ابنه الشيخ الزمزمي الكتاني، وكان الناطق باسم ابن عبد الكريم: الضابط الحاج عمرو بن عبد القادر البويدري التمتاماني، فكان الحاج عمرو يكتب له بتفاصيل الجهاد تحت إشراف الأمير نفسه، وكان الشيخ الزمزمي يبادله رسالة برسالة، ثم ينشر تلك الأخبار عبر الصحافة السورية والمشرقية عموماً، وهكذا كانت أخبار الحرب الريفية تذاع بواسطة أسرة المترجم وتنشر في الصحافة العربية والإسلامية، مما تسبب في إشعاع كبير لثورة الريف وتعريف بها في العالم.

وقد بقيت تلك العلاقة بين الشرفاء الكتانيين أبناء المترجم والمجاهدين من آل عبد الكريم الخطابي عقوداً استثمرت فيها بشكل واسع أثناء الحركة الوطنية المغربية، ونشاطات أعلام البيت الكتاني؛ كمحمد المكي بن محمد بن جعفر الكتاني ومحمد المنتصر بالله ومحمد الناصر لدين الله ابني محمد الزمزمي بن محمد بن جعفر الكتاني ضمن الجامعة العربية، بل انتهت إلى المصاهرة فيما بعد.

ونفس الشيء نجده خلال ثورة المجاهدين في الأطلس المغربي ضد الاستعمار الفرنسي، فقد كان كتاب «النصيحة» كتاباً ومرجعاً قسمه المجاهدون فصولاً يشرحونها ويخطبون بها في المجامع والجيوش، ومن قصيدة «عبرة أولي الأبصار في وجوب الهجرة من أرض الكفار»؛ لأحد فقهاء المجاهدين بجبال الأطلس، في الفصل السادس منها:

مقلداً لليثنا الغضنفر سيدنا محمد بن جعفر

(1) «حياتي»: ص350.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

العارف المحقق الرباني الحسني المعروف بالكتاني
لأنه ذكر في النصيحة كفاية لمن له قريحة

وجاء في آخرها:

نظمه محمد بن الحسن مرتجياً مغفرة المهيمن[1]

ب ـ دعمه لمجاهدي ليبيا:

ابتدأت علاقة البيت الكتاني بالبيت السنوسي علاقة علمية وصوفية، خاصة منذ تتلمذ الشيخ محمد بن عبد الواحد الكتاني على الشيخ محمد بن علي السنوسي ـ جد البيت السنوسي ـ واستمرت تلك العلاقة إلى أن انتقلت بين الأبناء والتلاميذ.

وما إن استعمر الجيش الإيطالي ليبيا حتى أشهرت الزاوية السنوسية الجهاد في وجهه تحت عباءة الخلافة العثمانية، وقد صادف ذلك سكنى المترجم رَحِمَهُ اللَّهُ الحجاز ثم منها بلاد الشام، فربط علاقاته بالمجاهدين الليبيين عن طريق رسلهم إلى الحج، وعن طريق علاقاته بالخلافة العثمانية التي تبنت الجهاد الليبي منذ البداية، وكذلك تمت خيوط الاتصال في سيل من الرسائل واللقاءات بين المترجم والشريف أحمد الشريف السنوسي، استمرت إلى ما بعد الجهاد في ليبيا.

وفي ذلك الإطار استدعى الشريف السنوسي المترجم لتركيا عام (1340هـ)، من أجل «أن نتفاوض في أمور ونستفيد من هذه المفاوضة». (كما في رسالة مؤرخة بـ 30 جمادى الأولى عام 1340هـ/ 1922م). ثم كان المترجم واسطة بين الملك عبد العزيز آل سعود ملك المملكة العربية السعودية، والشريف السنوسي من أجل استيطانه بالمدينة المنورة بعد إلغاء الخلافة العثمانية، وقيام الحكم العلماني على يد مصطفى كمال أتاتورك.

وإضافة إلى ذلك؛ فقد كان بين الشريف السنوسي والمترجم سيل من

(1) «الكفاح المغربي المسلح في حلقات» 1900 ـ 1935، لمحمد المعزوزي وهاشم بن الحسن العلوي، ص197 ـ 199.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

الرسائل العلمية والتاريخية، والصوفية خاصة، حيث كان السنوسي يبعث بأسئلته للمترجم فيجيبه عنها بإسهاب. كما أجاز الشريف السنوسي جل أبناء المترجم رحمهما الله تعالى.

الآخذون عنه:

أخذ عن المترجم جماهير من أعلام المشرق والمغرب، الأمر الذي يشير إلى معالم مدرسة الإمام محمد بن جعفر الكتاني في العلم والتربية والسياسة. ومن أعيان الآخذين عنه وأجلهم:

فمن المغرب: آل بيته: محمد الزمزمي ومحمد المكي ابنا محمد بن جعفر، وأحمد وعبد الرحمٰن وعبد العزيز أبناء جعفر، والطاهر وعبد الرحيم وعمر أبناء الحسن، ومحمد بن عبد الكبير بن هاشم، ومحمد المهدي ومحمد الباقر ابنا محمد بن عبد الكبير، ومحمد الكامل ومحمد المنتصر بالله ابنا محمد الزمزمي، ومحمد إبراهيم بن أحمد الكتانيون.

والزعيم مُحمد بن عبد الكريم الخطابي وشقيقه المجاهد مَحمد بن عبد الكريم الخطابي، وأحمد بن المأمون البلغيثي، وأحمد بن محمد الرهوني، ومحمد بن محمد الفرطاخ، وعبد السلام ابن القات، ومحمد المدني ابن الحسني، وعبد الحفيظ بن طاهر الفاسي، ومحمد بن محمد الحجوجي، ومحمد بن الصديق الغماري، وأحمد وعبد الله ابنا محمد بن الصديق الغماري، وعبد الرحمٰن بن زيدان العلوي، وأحمد ابن عبد النبي، ومحمد بن علي الدكالي السلوي، ومحمد المختار السوسي، وعلال الفاسي... وغيرهم.

ومن شمال إفريقيا: أحمد الشريف السنوسي، ومحمد البشير الإبراهيمي، ومحمد محمد مخلوف، ومحمد الخضر حسين، ومحمد الحبيب الديدوي، ومحمد الجودي، ومحمد بن أحمد العمري، والطيب العقبي... وغيرهم.

ومن أهل المشرق: عبد القادر بن توفيق الشلبي، وعمر حمدان

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

المحرسي، وعباس بن عبد العزيز المالكي، ومحمد زاهد الكوثري، وعلي الدقر، وهاشم الخطيب، وعبد القادر المغربي، ومحمد المبارك، وعبد الله المنجد، ومحمد حسنين مخلوف، والمجاهد محمد شلبي أفندي المولوي، والشريف ناصر بن علي، والشريف علي حيدر باشا وأولاده، ومحمد علي حسين أعظم البكري الهندي، وأبو الخير الميداني، ومحمد رشيد رضا، وشكيب أرسلان، والرئيس تاج الدين بن بدر الدين الحسني[1].

ومن المستشرقين: المستشرق سرديرا الإسباني، والمستشرق فلورين الفرنسي؛ كانا يقرآن عليه بالقرويين منتحلين هيئة الطالب المدرسي.

ولو لم يكن أخذ عنه وتخرَّج به سوى الإمامين العظيمين، مجددي العلم والدين؛ أبي الفيض محمد بن عبد الكبير الكتاني الشهيد، وشقيقه أبي الإسعاد عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني رحمهما الله تعالى لكفاه فخراً، نظراً للإنجازات العظيمة الذين قاما بها، علماً ودعوة إلى الله تعالى، ولاعتبارهما من أهم رموز المدرسة الكتانية علماً ومنهجاً.

مؤلفاته:

ترك المترجم ـ رحمه الله تعالى ـ أكثر من ثمانين مؤلفاً في مختلف مجالات المعرفة، اتسمت بالإبداع، وقوة البحث، وعمق الاستدلال، بحيث يعد بعضها إلى الآن مرجعاً في مختلف جامعات العالم؛ كـ: «الرسالة المستطرفة»، و«سلوة الأنفاس».

ومنهجه في التأليف: تعريف المسألة المبحوث فيها، وذكر الخلاف مع أدلة كل فرقة والإجابة عن تلك الأدلة قبولاً ورداً، ثم البحث استدلالاً واجتهاداً في المسألة، وكان له اعتناء خاص بإيراد أقوال المذاهب الأربعة، وهو أمر لا يعرف بين كتب المغاربة التي اقتصرت على البحث في مذهب الإمام مالك فقط.

(1) عن كناشة للشيخ محمد المنتصر الكتاني، وقد أورد فيها عشرات الأسماء.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

وربما يستعين المترجم بمعلومات طبية وعلمية حديثة، مستعيناً بآخر ما توصلت إليه العلوم التجريبية وقته، كما هو الحال في كتابه: «إعلان الحجة وإقامة البرهان، على منع ما عم وفشا من استعمال عشبة الدخان».

ونظراً لوسع البحث وتغطية مصادر المعرفة التي كان يتعمدها المؤلف؛ فقد كان عند انتهاء بحثه يورد الاستدلالات الصوفية، ويستعين بالأحاديث غير الصحيحة والمنامات، وقد برر موقفه هذا في كتابه «إعلان الحجة وإقامة البرهان بقوله»: «وقد ظن بعض الناس لما رآنا نذكر بعضها ـ المنامات ـ أننا نعتمد المرائي، ونثبت بها استقلالاً حكماً شرعياً، فصار يعترض علينا. وحاشا وكلا!؛ لا نثبت بها حكماً، وإنما نذكرها تقوية للحكم الثابت بالأدلة الشرعية، واتعاظاً بها، وتذكيراً واعتباراً»[1]. ثم استطرد في مبحث في الموضوع.

أما في التاريخ؛ فقد كان يتساهل في إيراد القصص والطرائف، وأخبار المجاذيب وأضرابهم، وإيراد بعض الاصطلاحات العامية، لما أنها كتب اتعاظ وسير، غير أنه يعزو جميع ما يذكره من الأخبار، مبرئاً عهدته منها. وبالرغم من ذلك؛ فقد اتسمت كتاباتها الفقهية بتحقيق كبير، واعتناء بالدقة في المعلومات التي يوردها، والجرد التاريخي الميداني. كما أن كتابه: «الأزهار العاطرة الأنفاس» يدل على تحليل علمي عميق، واستنباط علمي في البحث التاريخي.

أما كتبه؛ فجلها ضمن مكتبته المهداة للمكتبة الوطنية بالرباط، مسجلاً تحت رمز: ك.ج. حيث قدمها ورثته هدية إلى المغاربة، ليعم النفع بها. وهي كالتالي:

1 ـ «إتحاف ذوي البصائر والحجا»، بما فيه في مسألة الحرير السرور والنجا.خ.

2 ـ إجازة في نحو من كراستين فيها أسانيده للكتب الستة وغيرها.خ.

(1) «إعلان الحجة» تحقيق: د. عبد الله بن مكي الكتاني ص260.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

3 ـ إجازة أخرى مشتملة على عدة فهارس وسنده إليها .خ.

4 ـ الأجوبة الحديثية.

5 ـ أجوبة خاله العارف محمد الزمزمي بن إبراهيم الكتاني في المعارف اللدنية.

6 ـ أجوبة عن عدة مسائل في الحيض وغيره.خ.

7 ـ «الأربعين الكتانية في فضائل آل بيت خير البرية». وقد ضمنها في «الأزهار العاطرة الأنفاس». طبعت بدار الكتب العلمية بتحقيق وتخريج الدكتور الشريف محمد حمزة بن علي الكتاني، ثم ترجمت للغة الإنجليزية وطبعت ببريطانيا، وللغة الأوردية، وطبعت بباكستان، كما ترجمت للغة القازاقية.

8 ـ «إرشاد العوام إلى ما به العمل في الصيام» .خ.

9 ـ «إرشاد المالك، لما يجب عليه من مواساة الهالك». طبع نحو عام (1330هـ)، على نفقة تحسين باشا.

10 ـ «الأزهار العاطرة الأنفاس، بذكر مناقب قطب المغرب وتاج مدينة فاس، إدريس بن إدريس باني فاس». طبع بالمطبعة الحجرية، وهو قيد التحقيق.

11 ـ «إسعاف الراغب الشائق، بخبر ولادة خير الأنبياء وسيد الخلائق». طبع بالمطبعة الحجرية بفاس، وهو الذي يحفظه ويرتل به جل المادحين، ثم أعيد طبعه مراراً، آخرها باعتناء كل من المهندس محمد الزمزمي الكتاني والدكتور أسامة الكتاني بدار الكتب العلمية ضمن «السفر الصوفي».

12 ـ الإعلام بما في المجانات (الساعات اليدوية) المحلاة من الأحكام.خ.

13 ـ «إعلان الحجة وإقامة البرهان، على منع ما عم وفشا من استعمال عشبة الدخان». طبع مرتين؛ الأولى: باعتناء حفيده الأستاذ محمد الفاتح بن محمد المكي الكتاني، والثانية بتحقيق طبي لحفيده الدكتور عبد الله بن محمد المكي الكتاني بدار الفيحاء بدمشق.

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

14 ـ «الأقاويل المفصلة، لبيان حال حديث الابتداء بالبسملة». طبع بمصر، وبدمشق بتحقيق الشيخ محمد الفاتح الكتاني، والأستاذ عصام عرار.

15 ـ «بلوغ القصد والمرام، ببيان بعض ما تنفر عنه الملائكة الكرام». طبع بمصر.

16 ـ تخريج أحاديث الشهاب القضاعي.خ.

17 ـ «تعجيل البشارة للعامل بالاستخارة». وهو أول مؤلفاته.خ.

18 ـ تفسير البسملة بالإشارة إلى الجناب النبوي.خ.

19 ـ تفسير قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾.. الآية.خ.

20 ـ تفسير مختصر لسور الإخلاص والمعوذتين.خ.

21 ـ تقييد في تفسير الاستطاعة.خ.

22 ـ «تنبيه الأغنياء والسادات، على ما يجب عليهم وقت المجاعة من المواساة».خ.

23 ـ ثبت أجاز به الشيخ أحمد بن محمد الرهوني.خ.

24 ـ «جلاء القلوب من الأصداء الغينية، ببيان إحاطته ﷺ بالعلوم الكونية». في ثلاثة مجلدات بلسان الخاصة. وهو المشهور بـ: العلم المحمدي. طبع بمصر بإشراف المفتي الشيخ محمد علي جمعة، وبدار الكتب العلمية باعتناء الأستاذ أحمد فريد المزيدي.

25 ـ جواب عن آية: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.خ.

26 ـ جواب عن مسائل تتعلق بسلب الإرادة وطريق القوم.خ.

27 ـ جواب عن مسائل ثلاث تتعلق بالعيد.خ.

28 ـ جواب عن مسائل خمس تتعلق بالعيد.خ.

29 ـ جواب في بيان حقيقة الخز وحكمه، وحكم ما ليس بخز مما مزج فيه الحرير بغيره.خ.

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

30 ـ جواب في تحريم تعاطي الأعشاب الخبيثة.خ.

31 ـ جواب في حكم الاحتماء بالنصارى.خ.

32 ـ جواب في حكم السيادة في اسم رسول الله ﷺ.خ.

33 ـ جواب في وجوب التناصر بين المسلمين على أعدائهم الكافرين مع الإمكان.خ.

34 ـ جواب فيما يعمل عليه في رمضان من أقام في بلدة من بلاد يتوالى فيها الغيم في أكثر الأوقات، بحيث لا يتأتى فيها رؤية الهلال.خ.

35 ـ حاشية على شرح الشيخ التاودي ابن سودة للجامع المنسوب للشيخ خليل. لم يتم.خ.

36 ـ حاشية على شرح ميارة الصغير للمرشد المعين. لم تتم.خ.

37 ـ حاشية على شرح المحلي لجمع الجوامع. جمعها من دروسه العلامة أحمد العمراني. في جزء. وهي صغيرة محررة.

38 ـ حكم صلاة الجمعة في حق من سافر دون مسافة القصر.خ.

39 ـ ختم «الموطأ».خ.

40 ـ ختم «شمائل الترمذي».خ.

41 ـ ختم «صحيح البخاري».خ.

42 ـ ختم «صحيح مسلم».خ.

43 ـ خطب وعظية وتوجيهية.خ.

44 ـ «الدعامة في أحكام سنة العمامة». طبع بمصر في حياة مؤلفها.

45 ـ ديوان شعر.

46 ـ الرحلة السامية، للإسكندرية ومصر والحجاز والبلاد الشامية. طبعت بدار ابن حزم بلبنان سنة (1426هـ) بتحقيق الدكتور محمد بن عزوز والدكتور حمزة بن علي الكتاني.

47 ـ الرسائل الحفيظية. وهي رسائل توجيهية كان يرسلها للمولى عبد الحفيظ بعد خلعه.

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

48 ـ الرسالة المختصرة فيما لا يسع المحدث جهله من الكتب التي لها تعلق وارتباط بالسُّنَّة المطهرة.خ.

49 ـ الرسالة المستطرفة، في بيان مشهور كتب السُّنَّة المشرفة، وما يتبعها من كتب الوسائل، التي تبتغي للقاصد والسائل. طبع مراراً، أهمها بدار الفكر، بتحقيق حفيد المؤلف العلامة محمد المنتصر الكتاني.

50 ـ رسالة في آداب الدخول بالزوجة.خ.

51 ـ رسالة في الختم المحمدي.خ.

52 ـ رسالة في حكم التقليد في العقائد.

53 ـ رفع الالتباس، وكشف الضر والباس، ببيان ما للعلماء النحارير الأكياس، في مسألة الحرير الذي وقع الخوض فيها بين الناس.خ.

54 ـ رفع الملامة ودفع الاعتساف، عن المالكي إذا بسمل في الفريضة خروجاً عن الخلاف.خ.

55 ـ «سلوة الأنفاس، ومحادثة الأكياس، بذكر من أقبر من العلماء والصلحاء بمدينة فاس». ثلاثة مجلدات. طبع طبعة حجرية عام (1316هـ). وبدار الثقافة بالدار البيضاء بالمغرب، بتحقيق كل من: حمزة بن محمد الطيب الكتاني، وعبد الله الكامل الكتاني، ومحمد حمزة بن علي الكتاني. وهذه الطبعة الجديدة.

56 ـ سلوك السبيل الواضح، لبيان أن القبض في الصلوات كلها مشهور وراجح.خ.

57 ـ شرح أول ترجمة في جامع الترمذي.خ.

58 ـ شرح سنن الإمام النسائي. كتب منها من دروسه بدمشق تلميذه العلامة محمود ياسين الدمشقي مجلداً. هو بمكتبة ورثته.خ.

59 ـ شرح على «دلائل الخيرات» لم يتم.خ.

60 ـ شرح على أبيات العارف بالله الحاج المفضل البقالي على طريقة خاصة الخاصة.خ.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» Printed on [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100]

61 ـ شرح كتاب للسلطان الحسن الأول كتبه إلى بعض أشياخه بفاس.خ.

62 ـ شرح مختصر خليل. جمعه من دروسه وتقريراته العلامة أحمد العمراني، في ثلاثة مجلدات، وصل فيه إلى باب النكاح. مع إضافات أضافها إليه.

63 ـ شرح مسند الإمام أحمد. كتب من دروسه بدمشق العلامة محمود الياسين ثلاث مجلدات، ومن دروسه بفاس كل من العلامة محمد إبراهيم بن أحمد الكتاني والعلامة أحمد العمراني، والعلامة العابد الفاسي مجلداً.خ.

64 ـ طرر كثيرة وحواشي على عدة كتب في فنون متنوعة من العقائد والفقه والحديث، والمنطق والمصطلح والأصول، والنحو والبيان وغيرها لو جمعت لكانت حواشي عديدة.خ.

65 ـ فتوى في مسألة خلع الحاكم.خ.

66 ـ فهرسة مشتملة على تراجم عدة من شيوخه.خ.

67 ـ فهرسة أجاز بها الشيخ محمد حبيب الله الشنقيطي. طبعت ضمن ترجمته التي أفردها له الدكتور محمد بن عزوز في مجلدين بعنوان: «المحدث الكبير السيد محمد بن جعفر الكتاني الحسني الفاسي». وطبعت بدار ابن حزم.

68 ـ فهرسة أجاز بها الشيخ أحمد الشريف السنوسي.خ.

69 ـ فهرسة أجاز بها الشيخ محمد توفيق الأيوبي. طبعت ضمن «السفر الصوفي» بدار الكتب العلمية.

70 ـ الفوائد. وهو مجموع طرره وقصاصات الأوراق مضمنة لمعلومات مهمة في شتى الفنون.

71 ـ الفوائد. آخر. جمعها تلميذه الحافظ أحمد العمراني من مذاكراته معه، خاصة في علم الحديث، وهي تقع في مجلد مفيد.

72 ـ الكشف والبيان، لما يرجع لأحوال المكلفين من عقائد الإيمان.خ.

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

73 ـ عدة كنانيش علمية وتاريخية هامة.

74 ـ عقيدة منظومة.

75 ـ مجموع الرسائل المتبادلة بينه وبين أعلام ورؤساء وزعماء الوقت.

76 ـ مسلسلات حديثية.خ.

77 ـ مسلسلات حديثية ثانية. طبعت بدار الكتب العلمية عام (1424هـ) بتحقيق د. بدر العمراني.

78 ـ «المطالب العزيزة الوفية»، في تكلمه عليه الصلاة والسلام بغير اللغة العربية.خ.

79 ـ «النبذة اليسيرة النافعة التي هي لأستار جملة من أحوال الشعبة الكتانية رافعة». طبع بدمشق بتحقيق الشيخ محمد الفاتح الكتاني والأستاذ محمد عصام عرار.

80 ـ «نصيحة أهل الإسلام بما يدفع عنهم داء الكفرة اللئام». طبع بالمطبعة الحجرية الفاسية عام (1326هـ)، وكذلك طبع عام (1408هـ/ 1988م) بالرباط بتحقيق نجله الدكتور إدريس الكتاني، وطبع عام (1420هـ/ 2000م) بالأردن عن طريق دار البيارق بتحقيق حفيد حفيده الدكتور محمد حمزة بن علي الكتاني، وببيروت بدار الكتب العلمية بنفس التحقيق.

81 ـ نظم المتناثر من الحديث المتواتر. طبع مراراً.

82 ـ نيل المنى وغاية السول، بذكر معراج النبي المختار الرسول. طبع بمصر. ثم أعاد طبعه كل من المهندس محمد الزمزمي الكتاني والدكتور أسامة الكتاني بدار الكتب العلمية ضمن «السفر الصوفي».

83 ـ النوازل. وهي مجموع فتاواه وأجوبته عن أسئلة الأعلام له.

84 ـ الوفيات. ذيل بها على «التقاط الدرر» للقادري، وهي من حوالي عام (1180هـ إلى عام 1309هـ)، ضمنها حوالي ثلاثمائة ترجمة لأعلام المغرب، وبعض أعلام المشرق، وهي تحت التحقيق.

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

85 ـ اليمن والإسعاد في مولد خير العباد. وهو المولد الكبير، طبع مراراً في حياة المؤلف وبعدها، ثم أعاد طبعه كل من المهندس محمد الزمزمي الكتاني والدكتور أسامة الكتاني بدار الكتب العلمية ضمن «السفر الصوفي».

مؤلفات على مؤلفاته:

لقيت مؤلفات المترجم اعتناء كبيراً من لدن العلماء المعاصرين له مشرقاً ومغرباً، مسلمين وأجانب، سواء بحثاً وتحليلاً، أو نقداً وتعليقاً، أو اختصاراً، أو استدراكاً وتتميماً، أو شرحاً، أو ترجمة. ومن المعلوم أنه يعد والد علمي الحديث والتاريخ بالمغرب، وكان له تأثير كبير في البحث العلمي في هذا الميدان ورسم اتجاهاته في المغرب خاصة. ومن ضمن مؤلفاته التي لقيت اعتناء من رواد المعرفة:

أ ـ «سلوة الأنفاس». ويأتي الحديث عن المؤلفات التي كتبت حولها ضمن بحث الدكتور محمد حمزة بن علي الكتاني بعنوان: «سلوة الأنفاس: القيمة والمنهج» الآتي لاحقاً.

ب ـ «نصيحة أهل الإسلام». شرحها حافظ الرباط محمد المدني ابن الحسني في أربعة مجلدات سماها: «منح المنيحة بشرح النصيحة».

ج ـ «إسعاف الراغب الشائق». شرحه أخوه العلامة أحمد بن جعفر الكتاني بكتاب سماه: «فجر السعادة الباسق، وقمر السيادة الشارق، على إسعاف الراغب الشائق، بخبر ولادة خير الأنبياء وسيد الخلائق». وشرحه العلامة محمد بن الطالب بنيس في مجلد، والعلامة التهامي بن عبد القادر ابن الحداد المراكشي، كما نظمه الأديب الحسن بنونة.

د ـ «شفاء الأسقام والآلام». نظمه ثم شرحه العلامة الأديب عبد الحميد قدس الجاوي المكي، وسماه: «ضياء الشمس الضاحية على الحسنات الماحية»، وهو مطبوع. واختصره الوزير أحمد الرهوني في «عمدة الراوين» (9: 62)، وكذلك الحافظ أحمد ابن الصديق الغماري واستدرك عليه.

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

هـ ـ «الرسالة المستطرفة». نظمها الحافظ ابن الحسني، وسمى نظمه: «الفوائد اللطيفة، في ذكر كتب السُّنَّة الشريفة»، كما نظمها أيضاً العلامة الطيب بن عبد الله ابن الهاشمي ابن خضراء السلوي، واستدرك عليها الحافظ أحمد ابن الصديق. واستدراكه مطبوع سماه: «الأمالي المستظرفة»، كما استدرك عليها وأضاف إضافات واسعة جداً، الأستاذ البحاثة أبو يعلى البيضاوي، فخرجت في مجلد ضخم طبع بدار الكتب العلمية ببيروت.

و ـ «الأقاويل المفصلة». اختصره الحافظ ابن الحسني.

ز ـ «نظم المتناثر». اختصره العلامة الرهوني في «عمدة الراوين» (9: 42)، وخرجه الحافظ ابن الصديق، واختصره الحافظ أحمد العمراني. كما استدرك عليه حفيده الإمام محمد المنتصر بالله الكتاني ألف حديث، وكذلك حفيده العلامة المحدث محمد الناصر الكتاني له عليه استدراك طبع باسم: «عيون الآثار فيما تواتر من الأحاديث والأخبار». وطبع مترجماً للغة التركية بعنوان «Mütevatir Hadisler»، ترجمة وتحقيق حنيفي أكين، منشورات كارينكا ياييناري Karinca Yayinlari ـ إصطنبول سنة (1423هـ/ 2003م).

ح ـ «النبذة اليسيرة». اختصرها العلامة عبد الحفيظ الفاسي.

ط ـ «الأزهار العاطرة الأنفاس». اختصرها العلامة الرهوني وضمنها تاريخه «عمدة الراوين في تاريخ تطاوين».

ي ـ «الكشف والبيان، لما يرجع لأحوال المكلفين من عقائد الإيمان». اختصرها العلامة أحمد الرهوني في ترجمته أول الجزء التاسع من كتابه «عمدة الراوين من تاريخ تطاوين» (9: 35).

ك ـ «الأربعون الكتانية في فضائل آل بيت خير البرية»، ترجمت للغة الإنجليزية من طرف صفرك زمان شودري، وطبعت ببريطانيا. كما ترجمها الأستاذ محمد إكرام المحسن الفيضي للغة الأوردية، وطبعت بكراتشي.

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

ل ـ «بلوغ القصد والمرام، ببيان بعض ما تنفر منه الملائكة الكرام»، اختصره العلامة الرهوني في «عمدة الراوين» (9: 66).

نبذة من شعره:

يعد المترجم من المقلين في الناحية الشعرية، غير أن له كتابات شعرية في المدح النبوي والحكم وغيرها، وهي تعكس مشاعر جياشة، وقوة في اللغة والأسلوب، وصدقاً في الشعور. ولو جمعت لكان منها ديوان جيد.

منها: قوله من وترية في 21 بيتاً، في مدح شيخه العلامة علي بن ظاهر الوتري المدني؛ إذ عليه تعلم هذا الفن حين زورته لفاس عام (1297هـ)؛ وهي أول قصيدة ينظمها في حياته:

قف بالخيام؛ خيام ذاك النادي ... واطلب زوال الحجب عنك وناد
واشرب كؤوس الفضل في جناته ... تنجو من الإفلاس والإبعاد
فبه المنى وبه المراد وما تشا ... وهو الذي قد حاز كل مراد
ودع العذول وما يروم سفاهة ... يكفيه أن رُزق العنا بتماد
وإذا المحاسن قد أميط خمارها ... فضلاً فحن لها بغير عناد
وإذا أردت نزاهة ونباهة ... وذكاء فهم، والتُّقى برشاد
فأنخ ركاب الفضل في أعتاب من ... ملك العلوم وحازها بقياد
أعني به نجل ابن ظاهر الذي ... سكن المدينة روضة الأمجاد

ومن شعره في التشوق:

أحبتي طال اشتياقي إليكمُ ... وأبعجني الشوق المهيم لديكمُ
وذاب قليْبي بالصبابة وانكوى ... وأنحل جسمي الهجر والبعد عنكم
فمنوا بوصل يا ذوي الفضل والنهى ... وجودوا بصفح إن ذللت إليكم

ومنه قوله:

أنا إن مت فاحفروا لي قبراً ... عند باب الحبيب يا له قبرا!
واكتبوا بدمي على لحديَ سطراً ... رحم اللَّه عاشقاً مات صبرا

ومنه في المدح النبوي:

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

نسيم الصبا عرجْ بسعدى وحيها ... نسيم الصبا وانسب لها أبداً وجدي
نسيم الصبا والرب يحمي حماكما ... وإياك أن تنسى وإياك عي وعدي
نسيم الصبا وانشر حديثي وبح به ... فإني لدا ذكراها أظفر بالقصد
مهاة إذا ما لاح بارق وجهها ... تعطرت الدنيا وراقت مع الخلد
هي البدر لا بل شمس الضحاء تكاملت ... ألا فاق ضوء الشمس منها سنى الخد
تقاصرت الأكوان عن درك كنهها ... ومن رام إدراكاً؛ تحقق بالبعد
فما الناس إلا كالحصاة، وإنها ... فريدة أنوار تناهت عن الحد
يقولون: ما بال الأعادي تجلها ... وإن ذُكرت رقت قلوب ذوي المجد
فقلت: دعوني إني أحسب إن جرت ... على مسمع المصروع نُجيَ من كيد
ولو عرف النمرود مغنى كمالها ... لحن إلى الذكرى وأظهر للوُد
ولو رمقت عينا اللّعين محاسناً ... لمنصبها ما نالت اليأس بالطرد
ألا يا نسيما قد مضى الدهرَ ضائعاً ... وإن وفاء منك يوذن بالرشد
تهب على أبوابها كل ساعة ... وتنسى الذي غشى فؤادك عن عهدي
أتقطع عهد المدنفين، وإنما ... مُقطع هذا العهد عُرض للقد
أما حذرتك الخلق مني سجية ... كأن علمتْ أن رُمتَ كيداً بلا هَود
فباللَّه فاذكر ما وجدت لعلها ... ترق لمشتاق وتترك للصد
إذا وصف الأقوام بالشوق مقلة ... فشوقي لها أربى عن الوصف والحد
ولو أن أحشائي تبوح بما حوت ... لأزعجت الأحيا مع ساكن اللحد
وأيمن رب العرش ثم حياتها ... يمين برور لا ترام من الجهد
لئن فتح الرحمٰن منها بنظرة ... تدوم دوام الدهر وصلاً بلا طرد
لأهجرُ باقي العالمين من الورى ... وأخفض طرف العين عن كل ذي ود
... إلخ.

وفاته وإقباره:

كان المترجم رَحِمَهُ اللَّهُ يعاني من مرض القلب، وبعد عودته لفاس، ومزاولته

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

التدريس بجامع القرويين على النحو المذكور سالفاً؛ اشتد به ألم القلب، إلى أن توفي منه في الحادية عشرة من ليلة الأحد 16 رمضان المبارك.

ثم شيعت جنازته في اليوم الموالي نحو مرقده بروضة الشرفاء الكتانيين عند مصلى باب الفتوح، وكانت له رَحِمَهُ اللَّهُ جنازة حافلة لم تشهد فاس مثلها، وصفها نجله الشيخ الزمزمي بقوله: «وكانت لسيدنا الوالد ـ طيَّب الله ثراه ـ جنازة من أعظم ما شهده التاريخ، فأقفلت فاس كل متاجرها، وخرج جميع أهلها للجنازة التي أعلن عنها في الصوامع والطرقات، وأم الناس ـ على اختلاف طبقاتهم ـ دار الفقيد التي توفي بها بحي السبع لويات في جماهير وكتل يموج بعضهم فوق بعض، بحيث كان أول المشيعين بباب الفتوح، وآخرهم بباب الدار بالسبع لويات».

«وكان يحيط بالنعش الكريم لفيف من الحرس الباشوي أرسله السلطان مولاي يوسف حتى لا تمتد إليه الأيدي تكسيراً أو تحطيماً باسم التبرك، جرياً على التقاليد المألوفة عند موت عظيم محبوب، ومن جانبيه وأمامه وخلفه قلوب تحترق لوعة وتفجعاً، وعيون تذرف بدل الدمع دماً، وزفرات وآهات تتصاعد في السماء ولها لهيب كلهيب النار، والحوقلة والاسترجاع والخضوع للرب سبحانه بعد كل ذلك، والنساء على الأسطحة والمرتفعات كالرجال في التوجع والبكاء والتأسف. بحيث ما رؤي ولا سمع أن عظيماً محبوباً مات فبكت جميع الطبقات عليه كسيدنا الوالد. وقد قدر العادون من حضر الجنازة إذذاك بمائة ألف أو يزيدون».

«ودفن الوالد ـ طيَّب الله ثراه ـ بمصلى باب الفتوح، قرب الولي العارف بالله مولاي الطيب الكتاني، في قبر أعطاه إياه سيدي الغالي الكتاني. وصلى عليه إماماً: شيخ الجماعة العلامة السيد أحمد بن الجيلاني. واستعمل عليه رَحِمَهُ اللَّهُ صباح القبر سبعة أيام».

«وما كاد نعي سيدنا الوالد ـ قدس الله ثراه ـ يصل سوريا والحرمين الشريفين؛ حتى أسرع الناس إلى المآذن والمنارات ينادون: الصلاة على روح

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» Printed on [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100]

السيد الكتاني. وبقيت تقام عليه صلاة الغائب في قطري الحجاز والشام ثلاثة أشهر أو أكثر»[1].

وقال الشيخ عبد الحي الكتاني: «أما يوم وفاته؛ فكنت ترى الناس كالسيل الجارف وكأنه ما بقي أحد بالبلد إلا وانثالها. ولا شك أن أهل السُّنَّة يعرفون بجنائزهم!».

وقد رثاه أعلام المغرب والمشرق بالعديد من القصائد نُشر العديد منها حينها، وأرخ نجله الشيخ الزمزمي وفاته بقوله:

فإن رُمتَ تأريخاً لفقد ابن جعفر إمامِ الهُدى، شِبل الرسول المعظَّمِ
محمدٍ كتاني العُلا، فخرِ مغرب (شمسه)؛ له ربي اغفرن ثم انعِمِ

كما أرخها العلامة محمد أبو السعود ضيف الله مراد الشامي بقوله:

وبجنة الفردوس أَرِّخ: (إنه قد طاب مثوى السيدِ الكتاني)

ثم اضطر أبناؤه لنقله داخل فاس، فحفر عليه يوم الاثنين بتاريخ العاشرة ليلاً متم ربيع الثاني عام (1347هـ)، فوجد كما هو لم تمسه الأرض، وفاحت روائح عطرية غير معتادة من قبره امتلأت منها منطقة القباب، ثم نقل في محفل رهيب في منتصف الليل، حضره الآلاف من الناس إلى مثواه الأخير بحومة الصَفّاح، من عدوة فاس الأندلس، ودفن ببيت جُعل زاوية تُنسب إليه.

نظرة علماء العصر ومؤرخيه إليه:

عبد الكبير بن محمد الكتاني (جبل السُّنَّة والدين): قال له في بعض رسائله: «إلى من أحببته مقه، واتخذته ثقة، وصيرته سميري، وجعلته أسيري، الذي لم يمله قط خاطري، ولا كلَّ عنه ناظري، إن أمر ائتمر الفؤاد، وإن زجر انزجر انزجار المنقاد، شيخنا ومفيدنا أمير المؤمنين في علم الحديث...».

وقال في أخرى: «ابن عمنا وحبيبنا، وصديقنا وخليلنا، وبركتنا وحبنا

(1) «حياتي» (2: 534). باختصار.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» Printed on [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100]

الحليم الأواه، المملوء قلبه بمحبة الله ثم محبة سيدنا ومولانا رسول الله، من اختاره الله لحضرة حبيبه وصفيه وخليله، من بين أبناء جنسه، ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [آل عمران: 74]، ﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ﴾ [الأنعام: 83]، عالم الشرفاء، وشريف العلماء، التقي النقي الزكي، الورع الخاشع المتواضع...».

محمد بن عبد الكبير الكتاني (الإمام المجدد، شيخ الطريقة الكتانية): قال في إجازته لنجل المترجم الشيخ محمد الزمزمي الكتاني: «الإمام، علم الأعلام، جبل السُّنَّة علماً وعملاً، وزهداً وورعاً، العلامة المكين، السري المتين... إلى أن قال موصياً المجاز: وأوصيه بأن يقتفي أثر والده، وهديه وسننه، فإنه إذا استمسك به كان على نهج السلف الصالح: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾!. [المجادلة: 22]».

محمد بدر الدين بن يوسف البيباني (محدث الشام وإمامها): قال في بعض مجالسه وقد أمر نجله الرئيس تاج الدين الحسني بالأخذ عن المترجم: «أنا ما رأيت في حياتي مثل السيد محمد بن جعفر الكتاني!»[1].

جمال الدين القاسمي (المجدد المجتهد): قال في إجازته له: «وكان ممن استنارت به آفاق مَعالمه ـ أي: العلم ـ وعزفت له في أنديته عوارفُ معارفهُ ولطائف مكارمه؛ فبحث وحقق، وقرأ ودقق، وقيد وصنف، وحرر وألف: حضرة كوكب المغرب، ودرة المطرب والمغرب، نخبة الفضائل الفضلاء الأخيار، وقدوة الأتقياء الأبرار؛ السيد محمد ابن الإمام الهمام، أوحد الأعلام؛ السيد جعفر الإدريسي الفاسي، الشهير بالكتاني، لا زال بيان بلاغته مرصعاً بجواهر المعاني...».

عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني (حافظ العصر ومحدثه): قال فيه في «فهرس الفهارس»: «هو رَحِمَهُ اللَّهُ ممن خاض في السُّنَّة وعلومها خوضاً واسعاً، واطلع اطلاعاً عريضاً على كتبها وعويصاتها، بحيث صار له في الفن ملكة

(1) «فهرس الفهارس»: (1: 517، 518).

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» Printed on [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100]

وإشراف لم يشاركه فيهما أحد من أقرانه بفاس والمغرب، وتمَّ له سماع وإسماع غالب الكتب الستة، وقرر عليها وأملى، وقيد وضبط، وعرف بملازمة السُّنَّة في هديه ونطقه وفعله، وشدة التثبت والتحري في علمه وعمله، واشتهر أمره في مشارق الأرض ومغاربها بذلك... ولم يخلف بعده في هديه وسمته العلمي وانقباضه مثله، بحيث بتغميضه عينيه ودعنا آخر مثال لرجال الدين السابقين، والعلماء العاملين لأخراهم. رحمه الله رحمة واسعة»[1]. وله في مدحه أشعار.

محمد بن محمد الحجوجي (حافظ دمنات): قال عنه في «كنز اليواقيت الغالية من الأسانيد العالية»: «هذا السيد من العلماء المحققين، المتقين الورعين، جمع رَحِمَهُ اللَّهُ من العلوم علوماً جمة من تفسير وحديث، وفقه وأصلين، ونحو وتصريف، وبيان ومنطق وتصوف، والغالب عليه: علم الحديث وصناعته؛ فإنه فيه لا يبارى... ثم قال: وقد جمع رَحِمَهُ اللَّهُ من الأخلاق الحسنة، والأوصاف المستحسنة، ما يقصر عنه اللسان، ويكلّ عن جمعه البنان، مع ليونة جانب، وتواضع وشفقة، وحلم وصفح، وكظم للغيظ، وصبر ورأفة...»[2].

محمد بن محمد مخلوف التونسي (مؤرخ المالكية): قال عنه في «شجرة النور الزكية في طبقات المالكية»: «الأستاذ العارف بالله الرباني، جمع الله له المناقب فاختار منها وانتقى، ورأى أن أحسنها وأكرمها التقوى، الرجل الصالح، والإمام الناصح، خاتمة المحدثين، والعلماء العاملين»[3].

محمد المدني ابن الحسني (حافظ الرباط وشيخها): ذكر الشيخ محمد

---

(1) «حياتي»: (2: 534) باختصار.

(2) ص23 مخطوط، وقد طبعناه محققاً في كتاب «المنح الوهبية في شرح منظومة الشمائل النبوية»، له، بدار الكتب العلمية.

(3) «شجرة النور الزكية»: (1: 436).

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» Printed on [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100]

المنتصر الكتاني في بعض كنانيشه قال: «وأخبرني شيخنا ابن الحُسْني وقتما كنت بالرباط شاداً الرحلة للاستجازة منه ومن الشيخ أبي شعيب الدكالي أصيل يوم الاثنين (18 ربيع الثاني سنة 1356هـ)؛ قال: أنا لا أقول لجدكم دائماً إلا: محمد بن إدريس؛ تشبيهاً له بالإمام الشافعي، إذ أعتقد أنه إمام الحديث بالمغرب من بعد الحافظ إدريس العراقي، ولست في نسبته لإدريس كاذباً؛ إذ جده الأدنى: إدريس بن الطائع، وليس هذا من باب التدليس كما نص عليه السيوطي في شرح «التدريب»».

أحمد بن محمد الرهوني (شيخ الجماعة بالشمال المغربي، ووزير العدلية بالمنطقة الخليفية): قال عنه في ترجمته من الجزء التاسع من «عمدة الراوين في تاريخ تطاوين»: «ومن أشياخنا وأجلهم: شمس الدين، وقطب الإسلام وقمره: عالم الشرفاء، وشريف العلماء، أحد أفراد الأئمة المجددين، وخاتمة الأعلام المجتهدين، محيي رسوم الزهد والورع بعد اندثارها، وجامع أشتات الفضائل والفواضل بعد انتشارها....».

ثم قال: «هذا السيد من الرجال العظام الذين لا تفي الدفاتر العديدة بترجمتهم؛ لما اجتمع فيه من شرف النسب وكرم الحسب والعلم والأدب، والزهد والورع، والمشاركة في جميع العلوم، وتحرير المنطوق منها والمفهوم؛ خصوصاً: الحديث والتصوف، والتوحيد العام والخاص، والفناء في محبة الله ورسوله، وآل بيته الكرام، وأولياء الله العظام».

«فهو أويس زمانه، وابن مبارك أوانه، والحسن البصري في عصره، وابن سيرين في دهره، ومالك أقرانه، وشافعي إخوانه، وابن حنبل في أترابه، وأبو حنيفة في أحزابه، والشاذلي في وقته، والجيلاني في قطبانيته، قد جمع الله له الإمامة في علمي الباطن والظاهر، وخصه من الولاية الكبرى بالسر الباهر. ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾﴾».

ثم قال: «وسيدنا الشيخ يحرر المسائل الصعبة كلها، وذلك على طريقة الاجتهاد، فيقرر المسألة من كل فن، ويوضحها حتى تصير ضرورية، بحيث لا

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

يقوم الطالب من بين يديه إلا وقد أحاط علماً بما قرره عليه شيخه الذي يقصر اللسان عن وصفه وبيانه»[1].

محمد بن المفضل غريط (الوزير الأديب): قال عنه: «كان من طبقة سفيان الثوري وعبد الله بن المبارك، لم يكن يميل إلى الملوك فمن دونهم، ولا يدخل دورهم ولا يتناول طعامهم، ولا يقبل صِلاتهم»[2].

أحمد بن محمد بن الصديق الغماري (الحافظ النقاد): قال عنه في «المثنوني والبتار»: «شيخنا الإمام العارف بالله تعالى، بقية السلف الصالح، وخاتمة الطراز السالف؛ أبو عبد الله سيدي محمد بن جعفر الكتاني الحسني ـ رضي الله عنه ونفعنا به ـ كانت الملوك والأمراء تخدمه وتتشرف بالانتساب إليه، وهذا معلوم لدى الخاص والعام من أهل البلاد المغربية والحجازية والشامية، ومن وفد إليها من الأقطار البعيدة النائية... كان يحترمه ويعظمه أمراء الحجاز والدولة التركية، وعظماء البلاد الشامية، ويفدون لزيارته والتبرك به، والاهتداء بهديه...»[3].

عبد الحفيظ بن الطاهر الفاسي (المحدث المسند القاضي): قال عنه في معجم شيوخه «رياض الجنة»: «عين من أعيان علماء فاس وسراتها الأمجاد، مشارك متفنن في كثير من العلوم، متضلع في علم الحديث، بصير بمعانيه وفقهه، دؤوب على تدريسه وسرده، حسن النطق به، عارف بتراجم رجاله، مطلع على أخبار صلحاء وعلماء فاس، وطبقات علماء المذهب، مشارك في التصوف، عارف بمقاصد أهله واصطلاحاتهم، صحيح النقل، متحر في العزو، أصيل الضبط، مشار إليه اجتهاداً في العلم، ودؤوباً على تدريسه والاعتناء به والاطلاع على غرائبه».

---

(1) «عمدة الراوين في تاريخ تطاوين»: (9: 1) بخ.

(2) «فاس عاصمة الأدارسة»، تأليف العلامة محمد المنتصر بالله الكتاني، ص91، منشورات مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء.

(3) «المثنوني والبتار، في نحر العنيد المعثار، الطاعن فيما صح من الأحاديث والآثار»: ص66 بخ.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

«جانح إلى الخير، محب في أهل الصلاح، محسن الظن فيهم، منحاش إليهم. تام المروءة، حسن السمت، ميمون الحظ، ميسر المآرب، موفق المسعى، إلى سراوة، وفضل ولين جانب، وبعد عن الريب، وتمسك بعرى النزاهة، وسحب أذيال العفة، واكتساب الذكر والشهرة، وتعظيم عند الخاصة والعامة شرقاً ومغرباً... بالجملة؛ فهو آخر مثال رجال العلم والدين السابقين»[1].

(1) «رياض الجنة»: ص64.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

Black plate (73,1)

«سلوة الأنفاس»: القيمة والمنهج

د. محمد حمزة بن علي الكتاني[1]:

مدخل إلى كتابة التاريخ في المغرب

بقي المغرب مهملاً من حيث تأريخ أهله لوقائعهم ودولهم وإنجازاتهم، وتسليطهم الضوء على مختلف مراحل حياتهم، وأنواع عوائدهم وجهودهم الحضارية، السبب الذي أدى عدة من الأعلام إلى النعي عليهم هذا الإهمال، ولمزهم بدفنهم فضلاءهم في قبري تراب وإخمال[2].

ولعلَّ السبب في ذلك ليس لقصورهم عن كتابة تاريخهم بقدر ما هو إضاعتهم لما كتب من التاريخ. وإلا؛ فإننا نجد أن كل فترة من فترات التاريخ المغربي وجدت من يؤرخ ويكتب عن أعلامها ودولها.

ولعل أول كتاب كتب في تاريخ المغرب هو: «تاريخ الأدارسة» لقاضي فاس أوائل دولة مغراوة (القرن الخامس الهجري) الفقيه محمد بن عبد الملك بن الودون. وهو مفقود. وهكذا؛ فكل فترة من فترات التاريخ الإسلامي في المغرب وجدت من يؤرخ لها ويدون أخبارها، غير أن أهم أسباب ضياع ما كتب من تاريخ المغرب:

1 ـ الاضطراب السياسي الذي تخلل كل حقبة من حقب تاريخه، والذي انتهى في عدة أحيان إلى حرق المكتبات (دولة الموحدين مثالاً)، وإعدام جملة من العلماء (دولة السعديين مثالاً).

---

(1) باحث، دكتور صيدلي، وحفيد حفيد المؤلف.

(2) انظر: «مرآة المحاسن» للعربي الفاسي ص69.

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

2 ـ اختلاف العديد من الممالك التي حكمت المغرب في فلسفات الحكم، وفهم العقيدة، بحيث حاولت كل دولة طمس معالم الدولة التي سبقتها.

3 ـ الموقع الجغرافي للمغرب. فهو يقع في طرف العالم القديم، ولا يحده من الشمال إلا الأندلس (المتنفس الوحيد، والذي دمر على يد الأوروبيين وبادت حضارته)، ومن الغرب: المحيط الأطلسي، ومن الجنوب: إفريقيا (مع الجهل المطبق بها، وبعدها التام عن الحضارة العلمية). ومن الشرق: الجزائر؛ والتي شهدت عدم استقرار على طول تاريخها السياسي. فبقي المغرب بلاداً مغلقة قلت حظوظها في نشر معارف أهلها وكتبهم.

فكانت تلك أهم الأسباب التي حسرت فرص التعريف بالتاريخ المغربي، وأضاعت جملة عظمى مما كتبه أعلامه ومؤرخوه.

ولعل أهم مفقودات التاريخ المغربي: «المغرب في سيرة ملوك المغرب» لمؤلف مجهول، فرغ منه عام (599هـ)، و«المقتبس في أخبار المغرب وفاس والأندلس» لأبي عبد الله بن حمادة السبتي؛ تلميذ القاضي عياض، و«نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان» في عدة مجلدات، تأليف الشيخ أبي علي الحسن بن علي بن القطان الكتامي، المتوفى في النصف الثاني من القرن السابع.

غير أنه يبقى أهم سبب لانحسار كتب المغاربة وتواريخهم: عدم انتهاجنا ـ حكومة وشعباً ـ سياسة بحثية عملية جدية للتنقيب عن الكتاب المغربي؛ فلا توجد في المغرب مكتبة مركزية مجهزة بأحدث التقنيات في مستوى تاريخه، ولا زالت الخزائن الخاصة مقفلة غير معروفة محتوياتها ولا كنوزها، وما زالت أيدي الباحثين مشلولة عن إخراج الموجود من التراث إلى ميدان الطباعة والنشر.

وبالنظر إلى مجالات كتابة التاريخ المغربي من حيث الكتب المؤلفة في مختلف نواحيه؛ يمكننا تقسيم المواضيع التي عني بها الكُتاب المغاربة إلى:

ـ التاريخ العام.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

- تواريخ الدول والملوك.
- تواريخ الطبقات والأحداث المرتبة على السنوات.
- تواريخ المدن والمناطق.
- تواريخ رجال التصوف والمناقب.
- تواريخ الأدباء والوزراء.
- تواريخ الأنساب والأشراف.
- تواريخ البيوتات والعوائل.
- تواريخ الزوايا الصوفية.
- معاجم الشيوخ والفهرسات.
- الرحلات.

ومن أهم ما نلاحظه في كتابة المغاربة للتاريخ:

- اعتمادهم على المعلومة، وندرة التحليل والنقد والاستنتاج.
- إغفالهم ـ في العموم ـ ذكر المثالب والنقائص، وعفة أقلامهم.
- اقتضابهم واختصارهم في الكتابة، وعدم الإسهاب.
- زهدهم عن الوصف، ووصف مختلف مجالات الحضارة، وذكر الصنائع والقصور والمنقوشات... إلخ.

ومن مميزات الكتابات التاريخية في المغرب: الاعتناء بالتأريخ للمدن والمناطق، وهذا المجال في كتابة التاريخ ـ وإن كان لم يبرز بوضوح إلا في القرن الرابع عشر الهجري (العشرين الميلادي) ـ فإنه يعدُّ علماً بارزاً في مجالات كتابة التاريخ في المغرب. فنحن لا نجد مدينة من مدنه، أو منطقة من مناطقه إلا وتصدى أعلامها لكتابة تاريخها، وتدوين حياة أعلامها أو زعمائها.

تاريخ فاس وأهم ما كتب فيه:

ولا تعد مدينة فاس بدعاً في اعتناء العلماء بكتابة تاريخها، وتدوين

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

أيامها. بل لا يستغرب نيلها القدح المعلى في تدوين مختلف جوانب تاريخها السياسي والاجتماعي والحضاري. فهي أول عاصمة للمغرب، وبلدة مولانا إدريس الأزهر وقلعة ملكه، وهو ـ كما لا يخفى ـ ثاني مؤسس للمغرب ورائد لحضارته الإسلامية بعد والده الإمام مولانا إدريس الأكبر بن عبد الله الكامل الشريف الحسني رضي الله عنهما وفاس مركز العلم والثقافة والحضارة بالمغرب الإسلامي عموماً، وعرين زعمائه وساسته على مر الحقب والأزمان، وعاصمة ملكه ومماليكه، مع استثناآت لم تحجب سبقيتها وتقدمها. وجامعة القرويين وملحقاتها من المدارس العلمية والمساجد؛ نبراس المغرب الخفاق، وآلة صنع أطره العلمية بمختلف ألوانها. ولذلك فقد كانت الأعين متوجهة إليها، والأقلام متحفزة لتدوين مزاياها ومباهجها.

ولعل أول ما ألّف من الكتب حولها: تدوين صلحائها وأوليائها؛ وهو كتاب: «المستفاد، في مناقب العباد، بمدينة فاس وما يليها من البلاد»، المختلف نسبته بين الإمامين أبي عبد الله محمد بن علي الكتاني الفندلاوي (595هـ)، وتلميذه أبي عبد الله محمد بن قاسم التميمي (603هـ). الذي عد أقدم كتاب في تراجم صلحاء المغرب[1].

وبعد كتاب «المستفاد» تتابع الأعلام في التأريخ لها من مختلف الجوانب؛ ويمكن تلخيص أهم ما ألّف بخصوص مدينة فاس، منذ نشأتها إلى زمن صاحب «السلوة» في التالي:

1 ـ «المقتبس في أخبار المغرب وفاس والأندلس». تأليف **محمد بن حمادة السبتي**. (ت؟؟).

2 ـ «المقباس، في أخبار المغرب والأندلس وفاس». تأليف عبد الملك بن موسى الوراق. (ت بعد عام 578هـ).

3 ـ «الأنيس المطرب بروض القرطاس، في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة

(1) وهو يعدُّ من مفقودات الخزانة المغربية. وقد طبع القسم الموجود منه أخيراً ضمن منشورات جامعة عبد الملك السعدي بتطوان، بتحقيق: الدكتور محمد الشريف.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

فاس». تأليف علي بن عبد الله بن أبي زرع الفاسي. (ت بعد عام 726هـ).

4 ـ «الأنيس المطرب بروض القرطاس، في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس». (آخر). تأليف صالح بن عبد الحليم الإيلاني المصمودي. (ت 726هـ).

5 ـ «جنى زهر الآس في بناء مدينة فاس». لأبي الحسن علي الجزنائي. (كان حياً عام 766هـ).

6 ـ «ذكر بعض مشاهير أعيان فاس في القديم». تأليف إسماعيل ابن الأحمر. (ت 808هـ).

7 ـ «جذوة الاقتباس في ذكر من حلَّ من الأعلام مدينة فاس». تأليف القاضي أحمد بن محمد ابن القاضي المكناسي. (ت1029هـ).

8 ـ «بيوتات فاس الصغرى». تأليف الحافظ عبد الرحمٰن بن عبد القادر الفاسي الفهري. (ت1096هـ).

9 ـ قصيدة في صلحاء فاس. تأليف الحافظ عبد الرحمٰن بن عبد القادر الفاسي الفهري. (ت1096هـ).

1 ـ «التنبيه على من لم يقع به من فضلاء فاس تنويه». تأليف محمد بن محمد بن عيشون الشراط. (ت1109هـ).

2 ـ «الروض العاطر الأنفاس في أخبار الصالحين من أهل فاس». تأليف محمد بن محمد ابن عيشون الشراط. (ت1109هـ).

3 ـ «الدر السني في بعض من بفاس من أهل النسب الحسني». تأليف المؤرخ الشريف عبد السلام بن الطيب القادري. (ت1110هـ).

4 ـ «الدر النفيس، والنور الأنيس، في مناقب الإمام إدريس بن إدريس». تأليف الإمام أحمد بن عبد الحي الحلبي ثم الفاسي. (ت1120هـ).

5 ـ «روضة الآس، العطرة الأنفاس، في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين: مراكش وفاس». للأديب القاضي أحمد بن محمد المقري. (ت1041هـ).

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

6 ـ أرجوزة في مشاهير صلحاء فاس. للشيخ محمد المدرع الأندلسي الفاسي. (ت1147هـ).

7 ـ وفيات فاس في القرن الثالث عشر؛ المسمى: «الشرب المحتضر، والسر المنتظر، من معين أهل القرن الثالث عشر»، لوالد صاحب «السلوة»: شيخ الإسلام جعفر بن إدريس الكتاني الحسني. (ت1323هـ).

وهكذا دواليك.

ومع اعترافنا بالتقصير في تدوين تاريخ هذه المدينة المباركة؛ فإن ما كتب عنها وحولها يربو عن خمسين مجلداً إن جمع في موسوعة، بل ما كتبته أسرة واحدة عن تاريخ فاس ـ وهي أسرتنا الكتانية ـ يفوق ـ إن جمع ـ العشرين مجلداً[1].

«سلوة الأنفاس»

أتمَّ الإمام محمد بن جعفر الكتاني تأليف هذه «السلوة» حدود عام (1316هـ/ 1897م)[2]، بعد أن أمضى في كتابته أربعة عشر عاماً تقريباً، جاب فيها مختلف زقاق ودروب فاس، ومختلف الأرباض والمقابر والمساحات المثاخنة لأسوارها، ورجع فيها إلى النادر والمتاح من المؤلفات والقصاصات والأوراق والكنانيش التي كتبت عن تاريخ رجالات فاس، ولو عرضاً، ثم استقى معلومات عن أخبار مترجميه من أفواه الرجال، متدرجة بين أخبار موثقة وأخرى غير موثقة.

أ ـ جذور وأسباب كتابة «السلوة»:

يشير مؤلف «السلوة» رضي الله عنه إلى أهم أسباب تأليفه لهذا الكتاب؛ وهي:

(1) وقد نشطت في إخراج هذه المؤلفات وطبعها، فبلغت بتاريخ عام (1434هـ/ 2012م) نحو العشرة مجلدات.

(2) وهي السنة التي طبع فيها الكتاب، وآخر سنة وفاة أرَّخ لها: وفاة الفقيه الشريف سيدي محمد بن أحمد الصقلي الحسيني سنة (1316هـ) (انظر: ص349 حجرية).

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

1 ـ كثرة من ورد بهذه المدينة الإدريسية من العلماء، والصلحاء.

2 ـ ضياع أخبار معظم من عرف بها بالعلم والصلاح، وإهمال كتابة تاريخهم.

3 ـ ضياع معالم هؤلاء العلماء والصلحاء؛ من حيث دثور زواياهم وانهدام أضرحتهم.

4 ـ قلة الدين وعدم المبالاة.

فهو إذاً؛ يحفظ تاريخ علماء فاس وصلحائها، ويجبر خلل إهمال المغاربة للتأريخ لرجالاتها، ويصف أضرحتها وتاريخ بنائها، وأهم مقاماتها ومعالمها المتعلقة بما مر، ويعمل على إنقاذ الناس من قلة الدين وعدم المبالاة...

فكتابه: كتاب تاريخ لرجالات فاس، ولأهم معالمها المتعلقة بتلك الرجالات، وكتاب دعوة إلى الله تعالى، وتوعية لمختلف شرائح المجتمع. فهو كتاب تراجم، وآثار (أنثروبولوجيا)، ودعوة إلى الله تعالى، ووعي اجتماعي بالدرجة الأولى.

وبالنظر إلى ما كتبه العلماء في تاريخ فاس عبر عصورها إلى نهاية القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي)؛ نجد أن أوسع تلك الكتب وأكثرها إيعاباً؛ هو: كتاب «جذوة الاقتباس» لأبي العباس ابن القاضي المكناسي، الذي انتهى به مؤلفه إلى نهاية القرن العاشر الهجري. ويعد آخر كتاب استقصى رجالاتها. فتبقى الفترة من القرن الحادي عشر إلى نهاية الثالث عشر ـ وهي ثلاثة قرون ـ خلوا من دراسة وتأريخ شامل لرجالات تلك الفترة؛ استقصاء وجرداً.

ولا ننكر أن جملة من رجالات فاس الغراء ومؤرخيها قاموا بمجهودات تذكر فتشكر في هذا الميدان، وإن كانت بعيدة عن الاستقصاء الشمولي، والدقة العلمية، نسبة إلى ما نجده في «السلوة». ومن أهم تلك الأعمال: «الروض العطر الأنفاس» لابن عيشون الشراط، ومنظومة المدرع في صلحاء

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

فاس. مع تقديرنا الكبير للجرد الذي قام به الشريف محمد بن الطيب القادري في «نشر المثاني»، الأمر الذي جعله لبنة مهمة لكل من أراد الكتابة عن فاس ورجالاتها.

وفي العموم؛ يؤخذ على جلِّ ما أسلفناه من الكتابات عدة أمور:

1 ـ الاقتضاب في ذكر التراجم.

2 ـ عدم الاستقصاء والبحث الميداني. وهو أمر يعاب في كتاب المغرب ـ عموماً ـ باستثناء صاحب «السلوة».

3 ـ عدم الدقة في نقل الأخبار، وتحرير المشكوك منها والمختلف فيه.

4 ـ شح المصادر المعتمدة فيها، والاقتصار على المصادر المغربية، والفاسية، بل؛ والمعاصرة للمؤلف.

5 ـ عدم وجود كتاب ـ على الأقل حسبما وقفنا على تسميته ـ يتعرض لأطلال فاس، ومعالمها الحضارية، ومقامات أوليائها وأعلامها.

وبهذا الاستقصاء المقتضب؛ نلمس أهمية صدور كتاب كـ: «سلوة الأنفاس»؛ يجبر جل النقائص التي اتسمت بها كتب التاريخ الفاسي، ويجمع بين دفتيه أخبار أعلام فاس من شيوخ علم وشيوخ أخلاق؛ الذين هم ـ في حقيقة الأمر ـ نتاج الحضارة الإسلامية المغربية، يوم كان المغرب لا ينظر إلى الطائفية ولا الإثنية، ولا الطبقية، ولا القوانين الوضعية... معتزاً بدينه وقيمه الإسلامية، متنسلاً عن شريعة سيدنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله.

ب ـ منهجية المؤلف في «السلوة»:

عام (1316هـ/ 1898م) ظهرت «سلوة الأنفاس»، وعد ظهورها بداية مرحلة مهمة من مراحل كتابة التاريخ المغربي، حرية بالتوقف عندها، والبحث فيها.

وأول بداية لكتابة «سلوة الأنفاس» كانت حدود عام (1302هـ)؛ حيث بدأ الإمام محمد بن جعفر الكتاني في جمع بطاقات كتابه، وجذاذات أخبار

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

الفاسيين، التي لا يزال ورثته يحتفظون بها، ليتم كتابه بعد أربعة عشر عاماً.

ويتحدث ابن عمة المؤلف وتلميذه الشيخ عبد الحي الكتاني عن بدايته في تأليف «السلوة» في كتابه «إعلام الحاضر والآت» (1/ 5) ناقلاً عنه: «إن سبب وضعه واهتمامه بجمعه: هو أنه كان كثير الدوران على مقابر الصالحين والصالحات بفاس الجديد والبالي وغيرهما، فكانت المقابر التي يقصد ينسى اسم أصحابها، فصار يقيدهم في جريدة، ثم صار يكتب وفاة كل واحد بإزاء اسمه، ثم صار يلحق ما وقع له من كراماتهم وخوارقهم إلى أن أصبحت الجريدة في كراسة ثم في كراريس.. نعم؛ بعد أن صار كتاباً واسعاً في مناقب الصالحين والعلماء المدفونين بفاس، وكثر التعليق والسؤال والبحث من آل زيد عما قال الكتاني في جدهم عمرو، واضطر لأن يكون كتاب تراجم بالوفيات والولادات والمشيخات، والحلا والأمداح على عادة كتب التاريخ...».

وقد رتَّب المؤلف كتابه على مقدمة، وموضوع، وخاتمة...

أما المقدمة: فقد قسمها إلى قسمين:

قسم تمهيدي تاريخي؛ تكلم فيه عن سبب تأليف الكتاب، وتوسع بحثاً في ذكر مناقب أعلام فاس، وكثرة من تخرجوا منها، ووصف إهمال المغاربة تدوين آثارهم. وكذا سرد فيه جملة من الكتب التي ألفت في تاريخ فاس، واصفاً إياها وصفاً عاماً، واضعاً مقارنة بين كل كتاب وآخر.

ثم يتكلم (1: 10) عن منهجه في كتابة «السلوة»، مبرزاً أن: «الغرض ـ أولاً ـ ذكر كل من اطلعت عليه من أولياء هذه البلدة وعلمائها بعد البحث الشديد، والتنقيب البالغ الأكيد... فإذا به عاقني عنه بعض الموانع هنالك؛ فاقتصرت على من وقفت على التعريف به، أو له ظهور واشتهار فأذكره بسببه، وتركت كثيراً ممن اشتملت عليه الدور والبساتين والرحاب؛ لما عرض لي في بعضهم من الخلاف المفضي إلى الوهم والشك والارتياب... إلخ».

أما القسم الثاني من المقدمة؛ فقد قسمه إلى ثلاثة أقسام: مقدمة أولى وثانية وثالثة. جعلها دراسة شرعية في أحكام زيارة الأولياء الصالحين،

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

وآدابها، ومراسيمها، مستنكراً بعض ما شاع من البدع والمنكرات في هذا الميدان، وذاباً ـ كذلك ـ عن عدة من المراسيم والآداب والعادات في الدفن والزيارة، التي شاعت ـ خاصة عند المتأخرين ـ الشيء الذي يظهر جلياً مدى تأثير الاتجاه السلفي والوهابي في الساحة المغربية ذلك الوقت، وطريقة تعامل المؤلف معه.

وجعل المقدمة الأولى: في الحث على التبرك بذكر الصالحين، والعلماء العاملين، والاستماع لخبرهم، والتلذذ بجميل سيرهم.

أما المقدمة الثانية: ففي حكم الزيارة، وذكر بعض فضائلها وفوائدها المختارة، وفوائد وجود الأولياء بيننا، وظهورهم وظهور أضرحتهم لنا.

ويلمس القارئ في هذا الفصل اعتدال المؤلف رضي الله عنه والتزامه السُّنَّة النبوية وأفعال السلف الصالح، ومراعاته لفلسفة التشريع في مختلف فتاواه وآرائه في هذا الشان.

ثم أنهى المؤلف رضي الله عنه هذا الفصل بتنبيهات مهمة، تتعلق بالأولياء وما يتعلق بهم من الأمور العقدية والصوفية التي كان يؤمن بها المؤلف ويذب عنها.

أما المقدمة الثالثة: فهي في كيفية الزيارة، وبعض آدابها، وما ينبغي للزائر أن يفعله بسببها. وقد فصل المؤلف رضي الله عنه في هذا الفصل بذكر عدة مباحث مهمة؛ كوصول ثواب القراءة للميت، ثم آداب الزيارة، ومنهياتها. وأورد في هذا الباب عناوين كثيرة أشبعها بحثاً وتفنيداً، ثم ختمها بتنبيهات تتعلق بمواضيع المقدمة المذكورة.

وتعدُّ هذه المقدمة مؤلفاً حافلاً في زيارة القبور وأحكامها؛ انتهج فيه مؤلفه ذكر رأيه أولاً، معضداً بالكتاب والسُّنَّة، ثم المذهب المالكي، ثم آراء مختلف الفقهاء والعلماء رضي الله عنهم، ثم يذكر الخلاف في تلك المسألة.

وهذا النهج لم يعه جملة من قراء «السلوة» ودارسيها؛ فظنوا ظنوناً بمؤلفها، وفهموا بعض كلامه على غير وجهه؛ كالقول بتقبيل القبور،

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

والانحناء لها، والجثو بين يديها، والمؤلف إنما أنكر ذلك، وأشهر عدم جوازه أو استحبابه. إنما نقل نقولاً في جوازه في معرض ذكر الخلاف بين الفقهاء، لا تقريراً. وكذلك الحال في دعاء أهلها والاستغاثة بهم.

وقد استغرقت مقدمة «السلوة» سبعين صفحة من الكتاب، ونالت إعجاب جملة من العلماء المغاربة والمشارقة، بحيث نقل جلها أو كلها تلميذا المؤلف: العلامة أحمد بن محمد الرهوني في مقدمة تاريخه «عمدة الراوين في تاريخ تطاوين»، والقاضي العباس بن إبراهيم التعارجي في مقدمة تاريخ سبعة رجال «إظهار الكمال، في تتميم مناقب سبعة رجال»[1]. وانتهجها تلميذه المحدث أحمد بن محمد ابن الصديق الغماري في كتابه «إحياء المقبور بأدلة استحباب بناء المساجد والقباب على القبور».

وكذلك انتقد هذه المقدمة جملة ممن لم يوافقوا المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ فيما ذهب إليه من الآراء والمذاهب. وكلا الطرفين مصيب من وجه ومخطئ من آخر؛ والله أعلم.

ثم يشرع المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ في كتابه مقسماً إياه إلى (26) فصلاً: مبتدئاً أولاً بمن دفن داخل سور فاس، ابتداء بعدوة القرويين ثم عدوة الأندلس على النسق التالي: الحرم الإدريسي، حومة النجارين، وجرنيز، وما هو منضاف إليها، حومة المعادي، وزقاق البغل، والقطانين، وما هو منضاف إليها، حومة باب النقبة، والسبع لويات، والصاغة وما هو منضاف إليها، حومة الدرب الطويل، والبليدة، وما هو منضاف إليها، حومة فندق اليهودي، والحفارين، وسيدي أحمد بن يحيى، وما هو منضاف إليها من داخل باب الجيسة، بقية داخل باب الجيسة، وحومة زقاق الرمان، وما هو منضاف إليها، حومة زقاق الحجر، وسويقة ابن صافي، وما هو منضاف إليها، حومة الشرابليين، والمنية والشرشور، وما هو منضاف إليها، حومة طالعة فاس، وما هو منضاف إليها، حومة السياج، والدوح، والجرف والعيون، وما هو منضاف

(1) طبع في المطبعة الحجرية الفاسية دون تاريخ.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

إليها، حومة رأس الجنان، ورحبة الزبيب، وما هو منضاف إليها، حومة جزاء بن زكّون، وسيدي العواد، وما هو منضاف إليها، حومة الرصيف، والقلقليين، وما هو منضاف إليها، حومة جزاء ابن برقوقة، والمخفية، وما هو منضاف إليها، حومة درب الشيخ، وما هو منضاف إليها، حومة الجزيرة، وما هو منضاف إليها، حومة القواس، وما هو منضاف إليها، حومة شيبوبة، وجامع الأندلس، والكوان، والرميلة، وما هو منضاف إليها، **داخل باب الفتوح**.

ثم يخرج المؤلف خارج أسوار فاس على النسق التالي: خارج باب الفتوح، الروضة المعروفة بروضة العلماء، خارج باب المسافرين؛ وهو: المعروف الآن بباب سيدي أبي جيدة، خارج باب الجيسة، خارج باب الشريعة؛ المعروف اليوم بباب المحروق، وخارج باب السبع من فاس الجديد.

ثم يدخل إلى فاس الجديد وما هو في حكمها، وقد يصل إلى مناطق بعيدة عن فاس بعشرات الكيلومترات؛ كعين سيدي حرازم، وعين مولاي يعقوب.

وهو يذكر هذا المنهج في مقدمة الكتاب (ص10) قائلاً: «وذكرت ـ أولاً ـ من بداخل المدينة والسور. ثم انتقلت لمن حولهم من أرباب الروضات التي بالمدينة تدور. ورتبتهم في الذكر على حسب الرحاب والبقاع والأمكنة، من غير مراعاة تقدم أو تأخر في الأعصار والأزمنة، وذكرت الأول فالأول في الطريق؛ لأن ذلك أسهل إلى الزائر الطالب للتحقيق...».

فالمؤلف يدور على زقاق وأحياء فاس مبتدئاً من مركزها: جامع الشرفاء؛ حيث ضريح الإمام مولانا إدريس بن إدريس عليه السلام. ثم يدور دورة حلزونية على الأحياء الأخرى، إلى أن ينتهي إلى الأرباض والضواحي من فاس.

وهو رضي الله عنه يبتدئ الفصل الأول بترجمة الإمام مولانا إدريس بن إدريس باني فاس؛ فيترجم له ترجمة مسهبة، وهو الذي خصَّ له مجلداً حافلا

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» Printed on [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100]

بعنوان: «الأزهار العاطرة الأنفاس، بذكر مناقب قطب المغرب وتاج مدينة فاس، إدريس بن إدريس باني فاس». والتي قد تعد مقدمة موسعة لكتاب «السلوة». ومن خلال ترجمة الإمام مولانا إدريس الأزهر يذكر المؤلف بناء فاس، وكيف تم، ثم أهم معالمها؛ وهما: جامعا القرويين والأندلس. ثم يعدد فضائلها ومزاياها، ليعود مرة أخرى إلى ترجمة مولانا إدريس رضي الله عنه، ثم لباقي الكتاب.

وكذلك نلاحظ اعتناء المؤلف رضي الله عنه بذكر أهم المعاهد والمقامات والمواضع التي يمر بها؛ كحانوت النبي، وزاوية سيدي عبد القادر الجيلاني، ونعل مولانا رسول الله ﷺ وعلى آله، الموجودة لدى الشرفاء الطاهريين الصقليين الحسينيين، مدققاً في صحة نسبتها لمن نسبت إليه، وتاريخ بنائها أو ترميمها، وأهم الوقائع التي مرت بها... المؤلف في هذا الجانب يظهر كمرشد سياحي؛ سياحة إسلامية دينية، تعريفية بمآثر أئمة الإسلام وأعلامه.

وهو في كل ترجمة من التراجم يبتدئ بتحرير اسم المترجم له، ونسبه، وضبط ذلك، ثم ولادته، ونشأته، وأخذه العلم، ومن أخذ عنه، ورحلته، وحاله، ومؤلفاته، ثم وفاته ومحل دفنه. وربما توسع ـ أحياناً ـ في ذكر أهم أحواله وأخباره، أو الاستطراد بترجمة بعض شيوخه أو أبنائه. ويدبج اسم المترجم له صدر الترجمة بألقاب تلخص مقداره العلمي والمعرفي والحالي في كلمات لا تتجاوز ـ في العموم ـ السطر الواحد.

وقد يخرج المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ عن نهجه في ترجمة المقبورين بفاس؛ إلى ترجمة بعض الأعلام ممن لم يكن فاسياً، أو لم يقبر بها؛ كمولانا أبي سلهام، ومولاي عبد السلام بن مشيش، ومولاي العربي الدرقاوي، والعارف الحراق، وملوك الدولة العلوية... إلخ، لفائدة يراها في ذلك. الأمر الذي يصبغ الكتاب بصبغة شمولية؛ بحيث يحتاج إليه الفاسي وغير الفاسي.

والمؤلف ـ أحياناً ـ ينقل فتاوى أو فوائد علمية وعرفانية لبعض المترجم لهم، أو مباحث علمية وصوفية تتعلق بموضوع مهم في ترجمة بعض الأعلام، يوضح حاله، ويشرح بعض مواقفه.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

وللمؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ اعتناء بذكر الكرامات، وترجمة المجاذيب والبهاليل، ومن نسب إلى ذلك. غير أنه ضابط لما ينقله من ذلك؛ فهو لا يذكر أمراً من خوارقهم وعجائبهم إلا بمستند، وربما صدره بلفظة: «روي»، أو: «قيل» المفيدتين عند أهل الحديث للشك والارتياب في ذلك الخبر، قصده بذلك: توضيح الصورة كاملة للقارئ؛ صورة العصر، وصورة الزمان والفكر السائد فيه، وصورة حال المترجم له وما عرف به. كما لا يخفى الجانب الشعبي لتلك الحكايات وما له من العمل والتأثير تشويقاً للقارئ، ووعظاً للعامة والصغار الذين يأنسون لمثل تلك الحكايات، خاصة في ذلك العصر.

أما أسلوبه في تحرير التراجم؛ فهو أسلوب لم يسبق إليه ـ حسبما اطلعنا عليه من كتب التواريخ المغربية والمشرقية ـ فالمؤلف يحرر التراجم بنفس طريقة تحرير المسائل الفقهية؛ من حيث عرض الخلاف في المسألة المختلف فيها، ثم الترجيح بين الأقوال طبقاً للقواعد الحديثية والأصولية، والقرائن التاريخية. وكذا أسلوبه في نقل أقوال العلماء في المترجم لهم؛ أسلوب فقهي غريب عن الكتابة التاريخية، بحيث يعد ابتكاراً في أسلوب كتابة التاريخ لم يسبق إليه المؤلف، ودقة لا متناهية في تحرير بنود الترجمة...

وقد يتعرض المؤلف ﷺ في بعض التراجم لذكر منهج المترجم له في الفقه، وطريقته في التأليف، ومنهجيته في تحرير المسائل العلمية؛ بحيث تتبلور في منهجية المؤلف عدة مدارس علمية، تابعة لأئمة العلم بفاس، وعدة مناهج في الفقه وغيره.

غير أن المؤلف ـ وكما التزمه في مقدمة الكتاب ـ إنما يذكر مناقب المترجم لهم، ويتغاضى عن زلاتهم وشطحاتهم إلا لماماً. فكتابه كتاب مناقب لا كتاب مثالب، وكتاب يقصد به مؤلفه إرشاد الخلف إلى اقتفاء سير سلفهم. السبب الذي جعل الكتاب خلواً من العديد من الوقائع والفتن التاريخية التي كان بعض المترجم لهم طرفاً ضالعاً فيها. فقد قال (1: 9): «وتحريت فيه الصواب جهدي وغايتي، واستعملت من التثبت ما يمكن بحسب وسعي

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» Printed on [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100]

وطاقتي، وما وقفت عليه من حسن ذكرته، ومن سوء طويته وسترته؛ لأن لحوم العلماء ـ كما قاله الإمام الحافظ أبو القاسم بن عساكر، ونقله عنه النووي في «التبيان» والمقري في «أزهار الرياض» وغيرهما ـ مسمومة، وعادة الله في هتك أستار منتقصهم مشهورة معلومة، ومن أطلق لسانه فيهم بالثلب؛ ابتلاه الله تعالى قبل موته بموت القلب، ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: 76]».

ويعتذر عن عدِّه بعض من اصطبغ بما قد ينكر من الأقوال والأفعال ـ ممن عدهم من الأولياء الصالحين، أو المجاذيب الذين ظاهر أعمالهم يخالف ظاهر الشرع الكريم ـ بقوله (1: 8): «ولا يصدنك عن بعضهم ملابسته في الظاهر لبعض ما لابسه أهل زمانه، فإن الولي ـ كما في «المرآة» عن أبي المحاسن: لا يكون إلا على شكل أهل وقته وأوانه».

ثم يختم المؤلف رضي الله عنه كتابه بتنبيه يتكلم فيه عن صحابة دفنوا في المغرب؛ محرراً القول في رجال رگراگة ـ وإن كانوا من غير أهل فاس ـ مترجماً لهم واحداً واحداً، محرراً صحة لقياهم بالنبي ﷺ وعلى آله، وإن كان متوقفاً في ذلك.

بل يلحق هذا التنبيه بذكر أنبياء دفنوا في المغرب؛ فيذكر سيدنا دانيال ببلاد تگمت، وسيدنا ولكناس بين تزغت ووادي أسافن، وسيدنا شناول ببلاد تمدلت؛ بحيث: «قيل: وسبب دخول هؤلاء الأنبياء المغرب: هو أن بختنصَّر كان يقتل الأنبياء، وفر هؤلاء بأنفسهم وركبوا البحر، فلاح بهم الريح لرباط ماسة، وخرجوا منها، وتوجهوا لناحية القبلة... إلخ»[1]. وإن كان عقب كل ذلك بقوله: والله سبحانه وتعالى أعلم.

ومناسبة إيراد المؤلف لهذه التراجم وإن كانت من خارج فاس: المبحث الذي بحثه علماء المغرب عن أفضل المدفونين فيه، وتقرير أعلام فاس أن أفضل المدفونين بالمغرب هم: مولانا إدريس الأكبر بزرهون، ونجله مولانا

(1) «سلوة الأنفاس» (3: 240).

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

إدريس الأزهر بفاس؛ اللذين كانا السبب الرئيس في دخول الإسلام إلى المغرب وانتشاره[1].

ثم ختم المؤلف ذلك بتكملة في ذكر رجال صلحاء وعلماء فقهاء نص على أنهم توفوا بفاس ودفنوا بها، ولم يقف على تعيين ذلك؛ فترجم في هذا الفصل لحوالي مائتي شخصية مرتبين على الحروف الأبجدية المغربية.

والمؤلف في منهجه في الكتاب يذكر بأنه أراد استقصاء من وقف على وفاته ومدفنه بفاس، غير أنه استثنى من لم يتأكد من خبره ومحل دفنه. ثم استطرد في نهاية الكتاب (3: 319) فصلاً ذكر فيه جميع من يتضمنهم هذا الاستثناء؛ ليبرئ عهدته من عدم ذكره، قائلاً: «ذكرتهم الآن تتميماً للفائدة والغرض، وأداء لبعض حقهم المفترض، بقدر الطاقة والإمكان، في مستصعب هذا الزمان، على حسب ما يذكر على ألسنة الناس، متبرئاً من عهدة ما عسى أن يكون طرأ في بعضهم من التغيير والإلباس؛ كذكر الرجل في محل تعبده وسكناه، كما تحققناه في بعض من تركناه. وكتبديل اسمه أو تحريفه، أو نقصه أو تصحيفه... إلى غير ذلك من تغييرات العامة المعروفة، وتخليطاتهم المألوفة، وذكرت في خلالهم بعض من كان يحق ذكره في داخل الكتاب؛ لكنه لم يذكر فيه لسبب من الأسباب، وربما كررت ذكر البعض ممن هو مذكور فيه؛ لأمر ما، يوجبه أو يقتضيه...».

وقد رتب المؤلف تراجم هذا الفصل على أحياء فاس؛ بحيث يذكر كل حي ومن وقف على مدفنه فيه. وضمن هذا الفصل حوالي ثلاثمائة واثنين وثمانين ترجمة واسماً.

وتكمن أهمية هذا الفصل: في أنه يترجم للطبقة البائدة والقديمة من صلحاء فاس وعلمائها، والتي هي أحوج طبقة للبحث والتنقيب، بذل المؤلف في التعرف عليها جهداً وجرداً ميدانياً لا يعرف لدى المؤرخين المغاربة إلا نادراً، بحيث يصف كل قبر ومحله وصفاً كأنه يقود القارئ من يديه.

(1) انظر: «الأزهر العاطرة الأنفاس» للمؤلف. فقد توسع في هذا المبحث.

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

ومن أهم ما ينتبه له القارئ: تعدد عدة أسماء، والتي يغلب على الظن أنها ألقاب وليست أسماء؛ خاصة اسم: «سيدي المخفي». والأقرب للبال أن أصحاب هذا الاسم هم من الأشراف الأدارسة الذين فروا من ظلم موسى بن أبي العافية وأذيال العبيديين والأمويين الذين راموا اقتلاع شأفة الأشراف من المغرب، فكان أهل فاس يأوونهم في بيوتهم، وربما توفي كثير منهم وهم في حالة اختفاء، فسموا تدليساً بسيدي المخفي. وضاع الاسم الحقيقي ليبقى اللقب محفوظاً عبر الأجيال. وقد يكونون ممن اختفى من صلحاء وعلماء فاس في فتن أخرى غير فتنة الأدارسة. وعلى كل؛ فحفظ قبورهم، ومواقعها تلك الأزمان البائدة يدل على أنهم ﷺ كانوا من ذوي المقادير.

ثم ختم المؤلف ﷺ هذه التنبيهات بجرد لأهم المصادر التي اعتمدها في الكتاب؛ ليخلص إلى ذكر حوالي مائة وأربعين كتاباً كانت اللبنات الأساسية التي بنى بها المؤلف كتاب «السلوة» على مدى أربعة عشر عاماً، وإن كان في طي الكتاب رجع إلى ما لا يقل عن ضعف ذلك العدد!.

ويشار بالمناسبة، إلى أن عدد الأعلام الذين أحصت هذه الطبعة ذكرهم يكاد يبلغ الألف وتسعمائة ترجمة: أربعمائة منها مذكورة في الجزء الأول من الكتاب، وأربعمائة وخمسون منها في جزئها الثاني، وألف وخمسون ترجمة في الجزء الثالث والأخير، من ضمنها حوالي ثلاثمائة ترجمة لم يعرّف المؤلف إلا بأسماء أصحابها.

ج ـ قيمة «سلوة الأنفاس»:

لقد لقيت «سلوة الأنفاس» صدى واسعاً في المغرب والمشرق وأوروبا، واعتنى بها العلماء والباحثون دراسة ونقداً، وتذييلاً واستدراكاً. فما هي الأسباب التي ميزت «السلوة» بهذا الاعتناء دون غيرها من كتب تاريخ فاس، بل والتاريخ المغربي بعامة؟.

يمكن تلخيص أهم البنود التي ميزت «سلوة الأنفاس» في النقاط التالية:

- تعدُّ «سلوة الأنفاس» أكبر موسوعة لتراجم أعلام فاس، بما ضمته من

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

حوالي ألفي ترجمة؛ الأمر الذي فاقت به كل ما كتب قبلها في هذا الباب بخصوص فاس، وجعلها عمدة في التراجم لمن بعدها.

• مقدمة «السلوة»؛ والتي جاءت على خلاف كتب التواريخ من حيث التصدير بذكر البناء والتأسيس والعادات... فالمؤلف إنما صدرها بذكر القبور وزيارتها، وجميع ما يتعلق بذلك، والأولياء والصالحين ومناقبهم في الحياة وبعد الممات. الأمر الذي يعكس الشخصية الصوفية للمؤلف رحمه الله تعالى. وقد اعتمدت هذه المقدمة ـ كما أسلفنا ـ عند العديد من المؤرخين والفقهاء، والكتاب في تلك المجالات.

• اعتناء المؤلف بذكر مآثر فاس، ومقاماتها، ومزاراتها، وجميع ما يتعلق بذلك، بحيث ما اعتيد أن يكون في المقدمة وزعه على مظانه من محال الكتاب. وهو الشيء الذي عز اعتناء مؤرخيها به.

• الدقة في نقل الأخبار، وتحرير الولادات والوفيات، ومحال الدفن، وهي دقة لم تعهد في كتابات التاريخ المغربية على الأقل.

• أسلوب كتابة «السلوة». فكاتب «السلوة» فقيه محدث بالأصالة، ومؤرخ بالتبحر والاطلاع. فهو يحرر تراجم الكتاب على طريقة تحرير المسائل الفقهية والحديثية؛ الأمر الذي أكسبها ثراء وعمقاً ورونقاً عز نظيره بين الكتابات التاريخية.

• منهج المؤلف. فالمؤلف رضي الله عنه يدور دورة حلزونية على زقاق ودروب وأحياء فاس؛ الأمر الذي حفظ به معالمها وطريقة بنائها، وهي التي قيل فيها: «لا يوجد بها موضع شبر إلا وفيه عالم أو ولي صالح!». ثم يعتني بإيراد أبيات منظومة الشيخ المدرع في صلحاء فاس عند ذكر ترجمة من التراجم ذكرت في المنظومة المذكورة. وفي خاتمة الكتاب يصبح الكتاب معجماً بذكر أعلام وصلحاء فاس. فجمع الكتاب بين أساليب ثلاثة:

أ ـ السيرورة الجغرافية. وهي نفس الطريقة التي سبقه بها ابن عيشون الشراط في «الروض العاطر الأنفاس». وهذا الأسلوب ـ أسلوب البحث الميداني ـ من أرقى أساليب البحث العلمي الحديثة وأنجعها.

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

ب ـ شرح منظومة المدرع. فالباحث والمتمعن لا يخفاه أن كتاب «السلوة» يمكن أن يعد شرحاً واستدراكاً لمنظومة المدرع في صلحاء فاس، وعدة منظومات في التراجم مذكورة في محلها.

ج ـ المعجم. وهو أسلوب معروف في كتابة التراجم، وقد دأب عليه المؤرخون منذ القرن الرابع الهجري.

فكتاب «السلوة» يجمع بين هذه المناهج الثلاثة. دامجاً بين الأول والثاني، ومذيلاً بالثالث.

ـ جاء كتاب «السلوة» في فترة تعد فترة حاسمة في التاريخ المغربي من جميع النواحي: العلمية، والسياسية، والاجتماعية. وهي فترة ما قبيل الاستعمار الفرنسي والإسباني. فحفظ لنا الكتاب صورة المجتمع المغربي الفاسي في تلك الفترة فكرياً واجتماعياً أولاً. وشكل نبراساً وداعية لكل من جاء بعده في مختلف مدن المغرب للكتابة على ضوئه ونهجه، خاصة وأن مؤلفه كان شيخ الإسلام بالمغرب، وإمام الأئمة في مختلف مجالات المعرفة. إضافة إلى زكائه الديني والأخلاقي والوطني والجهادي...

ـ اعتنى المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ بتراجم من ثبت عنده إقبارهم ودفنهم بمدينة فاس فقط، دون من ثبت وفاته خارجها، وإن كان من أهلها، كما ترجم لمن كان من غير أهلها وصادفته المنية بها، أو أقبر بغيرها ثم نقل إليها.

• وسع المصادر المعتمدة في الكتاب، وكثرتها، واتساع نطاقها من كتب مشرقية ومغربية، ومتعددة المواضيع في مختلف مجالات المعرفة. وبعض تلك المصادر مفقود أو نادر الوجود.

ـ مؤلف «السلوة»: الذي يعد معلمة من معالم المغرب، من النواحي العلمية والصوفية والإصلاحية؛ الأمر الذي أعطى لكلامه وأفكاره مصداقية ومرجعية تفوق جميع من أفردوا في تاريخ فاس قبله وبعده، وجعل كتابه كتاب جرح وتعديل كذلك، على غرار كتب الرجال.

ـ هاجس تدخل المستعمر الأجنبي، في الشؤون العامة للبلاد. يتكرر

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

هاجس التدخلات الأجنبية، في عدة مواضع من التقييد. فهاجس التدخل الأجنبي في الشؤون العامة للبلاد قد أصبح في هذه الأزمنة الأخيرة هاجساً يقلق بال السلطة العمومية في البلاد، ويؤرق السلطة الدينية كذلك. ويظهر هذا الهاجس جلياً، حين يؤكد لنا المؤلف من ضمن ما يؤكد عليه في فضائل فاس (ص77). من: «أنها: محفوظة ـ إن شاء الله تعالى ـ من استيلاء الكفار عليها، وانحياشهم على وجه الأخذ إليها... تمم الله عليها نعمته (نعمة الاستقلال) وأدام عليها وعلى أهلها منته وعافيته، وحقق فيه رجاءنا، وبلغ فيه آمالنا..». وكذا الفتوى التي ساقها (2/ 243) بخصوص حكم الحج بالنسبة للمغاربة نظراً لجريان أحكام النصارى فيهم، وما يلاقونه أثناء ركوب مراكبهم من الاضطهاد والمهانة.

ـ «السلوة» كتاب تاريخ وتربية وأخلاق. فالمؤلف الجليل رَحِمَهُ اللَّهُ لا يخفي عن القارئ اهتمامه الأكيد، بجعل تقييده هذا كتاب تربية وأخلاق، وتوجيه للعامة والخاصة منهم، على حد سواء، إلى جانب كونه كتاب تأريخ للأعلام والرجال والمؤسسات: فقد تحرى في كتابته الموضوعية والصواب، ولزوم الأدب العام مع مقامات العلماء، وعدم النيل من أقدارهم...

ـ كتاب «السلوة» يترجم لجذور وسلاسل المغرب في علوم القرآن، والفقه، والحديث، واللغة، والتصوف... فالمؤلف يترجم لمختلف رجالات هذه السلاسل، ليعود بجميعها إلى الإمام مولانا إدريس الأزهر، ثم والده الإمام إدريس الأكبر ناشر الإسلام بالمغرب، ومؤسس الدولة المغربية. ولذلك قد يترجم المؤلف ـ وخاصة في مجال التصوف ـ لأعلام هم من خارج فاس، لم يستوطنوها، ولم يقطنوها؛ كأبي عبد الله آمغار، والجزولي، والتباع، والغزواني، والدرقاوي، والحراق... إلخ.

ويعتني المؤلف في سلاسل التصوف بذكر كل علم، وشيخه، وعمن أخذ؛ لينقسم التصوف بفاس والمغرب إلى:

1 ـ تصوف سلوك:

رجال الطريقة الشاذلية.

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

رجال الطريقة القادرية.

رجال طرق صوفية أخرى.

شيوخ مربون مستقلون.

شيوخ مربون من غير أوراد.

2 ـ تصوف الجذب: ويعد كتاب «السلوة» أوسع مرجع اعتنى بهذا النوع من التصوف ورجالاته. بحيث يمكن دراسة ظاهرة المجاذيب في فاس، تاريخياً، وفكرياً، ونفسياً، وصوفياً عن طريق «السلوة».

ولعل في ختم المؤلف لكتابه بذكر نسب الشيخ عبد القادر الجيلاني، مع بدئه بترجمة المولى إدريس الأزهر ووالده المولى إدريس الأكبر؛ إشارة لطيفة إلى امتزاج المشرب القادري الممثل بالشيخ عبد القادر الجيلاني في المشرب الشاذلي الذي تتفرع منه جل زوايا المغرب ـ وهو مشرب إدريسي المنشأ ـ في فاس وأهلها.

ـ الروح النقدية: فالمؤلف لم يكن حاطب ليل، بل كان واعياً بما ينقل، متثبتاً في أخباره؛ بحيث تصاحبك روحه الجادة مهيمنة على التقييد، ومن ذلك قوله (1/ 7): «وتوجد بيد بعض الناس أوراق في بعض ما له من المناقب والكرامات، الغالب أنها مصنوعة».

وإن كنا أسلفنا بأن كتاب «الأزهار العاطرة الأنفاس» للمؤلف يمكن أن يعد مقدمة لـ «السلوة»؛ فإن كتاب «السلوة» برمته يمكن أن يعد مقدمة لكتاب «جلاء الأصداء من القلوب الغينية في بيان إحاطته عليه الصلاة والسلام بالعلوم الكونية» المسمى بـ«العلم المحمدي»، والواقع في ثلاثة أسفار من تأليف المؤلف رضي الله عنه والذي يصح أن يسمى كذلك: «علوم أهل الله تعالى». وإن كانت «السلوة» معلمة ألفها الإمام الكتاني في أوج شبابه؛ فإن «جلاء الأصداء» معلمة ألفها في أوج كهولته، وكلاهما استغرق حوالي خمسة عشر عاماً ـ جمعاً وتأليفاً وتحريراً ـ. وقد نعد كتاب «الأزهار» مقدمة موسوعة المؤلف حول فاس، و«السلوة» تراجم رجالاتها وأعلامها ومعاهدها ومحالها، و«الجلاء» بحث في علومها ومذاهبها وآرائها!!.

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

د ـ مصادر «السلوة»:

عدد المؤلف رضي الله عنه في خاتمة «السلوة» مائة وأربعين مؤلفاً من المؤلفات التي اعتمدها في الكتاب. وقد قال صاحب «مؤرخو الشرفاء» عن هذه المصادر (ص274): «الكتاني استعمل بصفة خاصة جميع كتب مواطنيه بطريقة متناهية في الدقة والأمانة، وإن قائمة المصادر المكتوبة بإيجاز في آخر الكتاب لتظهر أن الخمسة عشر سنة التي قضاها في تأليف «السلوة» لا تكاد تكفي لقراءة هذه المصادر والبحث فيها وأخذ كل ما يجب أن يؤخذ منها». باختصار.

ونظراً لأهمية تلك المصادر؛ فقد خصت بعدة دراسات أكاديمية؛ منها: «دراسة عن مصادر سلوة الأنفاس» للمستشرق الفرنسي روني باسي. غير أن القارئ لـ«السلوة» يمكنه تقسيم مصادر المؤلف إلى:

- مصادر شفهية.
- مصادر كتابية.

أما المصادر الشفهية: فهي المعلومات التي تلقاها المؤلف عن الأفواه؛ وتنقسم إلى:

- معلومات متلقاة من أفواه العلماء.
- مصادر متلقاة من أفواه العامة وعموم الناس. وهي مصادر ذات صفة ظنية لا قطعية. خاصة فيما يتعلق بتراجم لم يذكرها المتحدثون عنها.

أما المصادر الكتابية؛ فتضم:

- الكتب والمؤلفات. وهي أهم مادة اعتمدها المؤلف.
- الوثائق والمستندات.
- النقوش وشواهد القبور.

هذه هي المادة التي اعتمدها مؤلف «السلوة» في كتابه. وبالنظر إلى القسم الذي لقي اعتناء كبيراً من الباحثين، بل ومن المؤلف نفسه، حتى أفرد له فصلاً في خاتمة الكتاب؛ وهو: الكتب والمؤلفات التي بنى عليها كتابه؛ فيمكن تقسيمها إلى:

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

أ ـ مصادر غير أصلية. وهي التي اعتمدها في مقدمة الكتاب، وبعض المباحث في صلب الكتاب. وتضم ـ في العموم ـ كتب الفقه والحديث وغيرهما من علوم الآلة.

ب ـ مصادر أصلية. وهي المصادر التي أسس عليها كتابه «السلوة». ويمكن تعدادها إلى:

1 ـ مصادر التاريخ العام.

2 ـ مصادر في التاريخ المغربي فقط.

3 ـ مصادر تخص تاريخ فاس فقط.

4 ـ مصادر تخص تاريخ رجال وعلماء فاس.

5 ـ مصادر تخص تاريخ صلحاء ومعاهد فاس.

6 ـ المشيخات والمعاجم.

7 ـ مصادر متخصصة في ترجمة أشخاص معينين.

8 ـ مصادر متخصصة في عائلة من العوائل، أو زاوية من الزوايا.

9 ـ مصادر تتحدث عن مدن غير مدينة فاس.

10 ـ مصادر تتحدث عن علماء وصلحاء مناطق غير فاس.

11 ـ الرحلات.

12 ـ كتب عامة؛ تعنى بمختلف مجالات المعرفة...

ومصادر «السلوة» من حيث وجودها وعدمه تنقسم إلى:

1 ـ مصادر موجودة ومتداولة.

2 ـ مصادر نادرة الوجود.

3 ـ مصادر مفقودة.

ويعتبر صاحب «إعلام الحاضر والآت» بأن صاحب «السلوة» اعتمد في الأساس على أربعة مصادر أساسية: «جذوة الاقتباس» لأبي العباس ابن القاضي، و«الروض العاطر الأنفاس» لابن عيشون الشراط، و«سلوك الطريق الوارية» لمحمد بن علي الزبادي، و«اللؤلؤ المكنون في اختصار ابن عيشون»

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

لمحمد بن أحمد بن المختار التاشفيني الساحلي، وهو اختصار وذيل على الكتاب المذكور.

وبالنظر إلى مدى الموضوعات التي اطلع عليها مؤلف «السلوة» واعتمدها في كتابة تراجمه؛ يظهر مدى تنوع المادة العلمية والثقافية في الكتاب، ومدى البحث والدقة في تراجمه، بحيث اهتم المؤلف بكل معلومة قد توصله إلى مبتغاه وتوخي البحث العلمي السليم، والحقيقة الصافية.

ونظراً لهذا البحث المتميز، والعمق في التحليل، والسعة في الاطلاع والاستقصاء؛ قال البحاثة الشريف المنوني رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: «إن «سلوة الأنفاس» تعتبر أكبر مصدر لتاريخ رجال فاس إلى عصر تأليفها. ولم يدون قبلها ولا بعدها ما يوازيها في موضوعها...».

ولا شك أن مكانة المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ في مجتمعه، وطول المدة التي قضاها في تأليف هذا الكتاب؛ كانت السبب الأكبر في وفرة وثراء خزينة المصادر المعتمدة في «السلوة»، وكيف لا؟؛ ووالده أبو المواهب جعفر بن إدريس الكتاني كان شيخ الإسلام وشيخ الجماعة في وقته، ومستشار الملك الحسن الأول، له القدرة على الوصول لمختلف الخزائن العلمية والمعرفية بالمغرب!.

هـ ـ مؤلفات على «سلوة الأنفاس»:

مثل ظهور «سلوة الأنفاس» حدثاً علمياً ومعرفياً مهماً في فترة ظهوره، خاصة وأنه طبع بعيد إتمام تأليفه بقليل، وفي حياة مؤلفه، بل في شبابه. الأمر الذي حذا مجموعة من العلماء والباحثين إلى خدمته؛ سواء بالدراسة، وبالنقد، وبالاختصار والتهذيب، وبالاستدراك والتذييل، أو بالترتيب... بحسب اطلاعنا؛ فيمكننا تعداد الكتب المذكورة في التالي:

(1) «المصادر العربية لتاريخ المغرب» (2: 215).

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

1 ـ «الاستيناس بتراجم فضلاء فاس» للعلامة الشيخ أحمد بن محمد بن الصديق الغماري (1380هـ/ 1960م). وهو اختصار لـ«السلوة»، وترتيب معجمي لها، وتذييل إلى زمانه. مخطوط لم يتم[1].

2 ـ «إعلام الحاضر والآت بما في السلوة من الهنات». للشيخ الحافظ عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني (1382هـ/ 1962م). «ذيل به على «سلوة الأنفاس»... واستدرك عليها مجموعة من التراجم، مع تكميلات لتراجم واردة بالسلوة. يوجد بخزانة خاصة بمراكش في سفرين، بهما إلحاقات كثيرة بخط المؤلف»[2]. وقد حزنا نسخة مصورة من الكتاب، وهي في مجلدين كبيرين، جلها في انتقاد مسائل على المؤلف، أو تصحيح هفوات، أما قسم الاستدراك فهو صغير، إن دل على شيء؛ فإنما يدل على موسوعية «سلوة الأنفاس» وقوة سبرها، بحيث لم يستدرك عليها إمام في اطلاع الشيخ عبد الحي الكتاني سوى نحو خمسة في المائة من مجموع تراجم الكتاب.

3 ـ تعليقات على «السلوة»، كتبها الشيخ عبد الحي الكتاني بهوامش نسخته المطبوعة من «السلوة». وهي تحمل بالخزانة العامة رقم: 1671ك مطبوعات[3]. ربما هي أصل «إعلام الحاضر والآت».

4 ـ «الأنس والاستيناس باختصار سلوة الأنفاس» لقاضي بيروت العلامة الشريف محمد العربي بن محمد المهدي العزوزي الزرهوني الفاسي ثم البيروتي (1382هـ/ 1962م). اختصر به «سلوة الأنفاس»، واستدرك تراجم من كان من أهل فاس وتوفي خارجها، ورتب المترجمين على

(1) مقدمة كتاب «المداوي لعلل المناوي» للمحدث أحمد ابن الصديق الغماري (1: 88)، بقلم مصطفى صبري، طبعة المطبعة المكية، وبحوزتنا نسخة مصورة منه بخط المؤلف.

(2) «المصادر العربية لتاريخ المغرب» (2: 216).

(3) المصدر السابق (2: 210)، وقد بحثنا عن هذا الكتاب في المحل المذكور فلم نجده!!.

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

حروف المعجم بادئاً بمن اسمه أحمد. طبع السفر الأول خالياً من ذكر المطبعة وتاريخ النشر[1].

5 ـ تعليقات كتبها القاضي عبد الحفيظ بن طاهر الفاسي الفهري (1385هـ/ 1965م) بهوامش نسخته المطبوعة من «السلوة». كانت محفوظة في خزانة خاصة بفاس[2].

6 ـ نظم «سلوة الأنفاس» للأديب الحسن بنونة. في ثلاثة مجلدات[3].

7 ـ «فهارس سلوة الأنفاس» إعداد حفيد المؤلف العلامة محمد الناصر لدين الله بن محمد الزمزمي الكتاني (1394هـ/ 1974م). استوعب أسماء المترجمين بالسلوة. طبع من إصدارات الخزانة العامة بالرباط عام (1966م).

8 ـ ولحفيد المؤلف العلامة محمد المنتصر بالله بن محمد الزمزمي الكتاني (1419هـ/ 1999م) مؤلف بعنوان: «القرويين: أقدم جامعة في العالم». وهو يعد اختصاراً وزبدة لـ «سلوة الأنفاس»، مع إضافات واستدراكات. وقد نشر ضمن كتابه: «فاس عاصمة الأدارسة»[4].

9 ـ وللشيخ المنتصر الكتاني ـ كذلك ـ دراسة حول «سلوة الأنفاس ومؤلفها» ذكرها في بعض مؤلفاته، غير أننا لم نقف عليها.

10 ـ «أوراق الفاغية وأزهار الآس، المقتطفة من جنان سلوة الأنفاس». وهي: فوائد منتقاة من كتاب «السلوة» تقع في عدة أجزاء. من جمع وانتقاء الأستاذ عبد الله بن مصطفى السناري المدني، بحوزتنا نسخة من الجزء الأول منها.

---

(1) المصدر السابق (2: 216). (2) المصدر السابق (2: 210).

(3) ذكر ذلك العلامة محمد المنتصر بالله الكتاني في مقدمة تحقيقه لـ«الرسالة المستطرفة» للمؤلف.

(4) طبع طبعة أولى بلبنان، دار إدريس عام (1971م)، والطبعة الثانية ضمن الموسوعة الكتانية لتاريخ فاس. العدد (3)، عام (2002م) بمطبعة النجاح الجديدة بالدار البيضاء. باعتناء وفهرسة حفيد المؤلف الدكتور حمزة بن علي الكتاني.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

11 ـ «العالم محمد بن جعفر الكتاني وكتابه: سلوة الأنفاس». وهو: رسالة دكتوراه للأستاذ عبد الإلـٰه الفاسي، ناقشها بحر عام (1423هـ/ 2002م).

12 ـ «النسق الفكري والاجتماعي لنخبة سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس فيمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس»، إنجاز علي علام، وهو بحث لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ، نوقش بكلية آداب ظهر المهراز ـ فاس خلال سنة (2002م)، (ص45) وما بعدها.

13 ـ دراسة عن «مصادر سلوة الأنفاس» للمستشرق الفرنسي روني باسي. نشرت في مجموعة المذكرات والنصوص للمؤتمر الدولي للمستشرقين المنعقد بالجزائر عام (1904م). وطبع في المطبعة الشرقية بالجزائر عام (1905م)[1].

14 ـ وللمحدث عبد الله بن عبد القادر التليدي الجرفطي ـ حفظه الله ـ اختصار وترتيب لـ«السلوة» على حروف المعجم. ذكره في ترجمته نفسه خاتمة كتابه: «أسباب هلاك الأمم»، ولما استفسرناه عنه أخبرنا أنه لم يتمه، وأنه إنما كان مشروعاً فقط!.

عدا الأبحاث والمقالات التي قام بها مختلف الباحثين في المشرق والمغرب، والتي تحتاج إلى بحث مستقل...

و ـ انتقادات على «سلوة الأنفاس»:

«سلوة الأنفاس» ـ وككل عمل كبير ـ معرضة للنقد من مختلف الباحثين، وقد يوافق منهج المؤلف وأفكاره توجه البعض وقد يخالف البعض الآخر، وقد ينال موافقة مؤلفها نفسه ومخالفته بعد فترة من كتابتها. خاصة وأنه رضي الله عنه كتبها في فترة الشباب، قبل رحلته للمشرق واطلاعه العيني على أحداث العالم

(1) «المصادر العربية لتاريخ المغرب» (2: 210). وقد قمنا بترجمة هذا البحث للغة العربية، وهو منشور ضمن هذا السفر.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

وتغير العقليات والمفاهيم[1]. وبالرغم من الانتقادات التي انتقدها العلماء والباحثون؛ فقد أجمعوا على أن «سلوة الأنفاس» تبقى إنجازاً إنسانياً فريداً، يستحق كل إعجاب وتفوق.

ويمكن تلخيص الانتقادات التي تعرضت لها «السلوة» في التالي:

- الاقتضاب في بعض التراجم والإسهاب في البعض الآخر. بل قد يتوجه الاعتناء إلى التفصيل في تراجم الصلحاء والعباد والمجاذيب، والاختصار في تراجم العلماء.
- التكرار. فالبعض انتقد على المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ تكراره بعض التراجم؛ فيترجم للشخص في فصل، ثم يعود لترجمته في فصل آخر.
- مقدمة الكتاب التي اعتنى فيها المؤلف ـ على خلاف عادة المؤرخين ـ بذكر مباحث تتعلق بالقبور وزيارتها، وخوارق العادات، وتعظيم الأولياء الصالحين؛ الأمر الذي لا يتوافق وتوجهات شريحة من العلماء؛ خاصة ذوي التوجه السلفي.
- الاقتصار على ذكر المناقب، والإحجام عن ذكر المساوئ؛ وهو الأمر الذي يجعل القارئ والباحث في منأى عن الحقيقة كاملة، ومعرفة الوجه السيئ للعصور المتأخرة؛ والتي تهدي إلى السبب الأساس في انحطاط الأمة وتخلفها.
- الاعتناء بذكر الكرامات وخوارق العادات، والتي قد لا يتوافق بعضها مع ظاهر الشريعة، ولا يتصورها العقل.
- الاعتناء بذكر المجاذيب والبهاليل، وتتبع أخبارهم، وذكر سيرهم بما قد يفوق ـ في بعض الأحيان ـ ذكر العلماء والمصلحين.

---

(1) وقد حدثني الأستاذ الداعية الدكتور عبد السلام الهراس ـ حفظه الله تعالى ـ أن مفتي بيروت القاضي محمد العربي الزرهوني العزوزي حدثه: أن جد جدنا الإمام محمد بن جعفر الكتاني (صاحب «السلوة») قال له: «لو استقبلت من أمري ما استدبرت؛ لما كتبت «السلوة» بالطريقة التي هي عليها»؛ يعني: من حيث الاستغراق بذكر الكرامات والمجاذيب. والله أعلم.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

- عدم الاعتناء بذكر المدارس العلمية واختلاف توجهاتها ومناهجها في التدريس والاستنباط؛ الأمر الذي يجعل التراجم متشابهة ـ أحياناً ـ بحيث قد لا تختلف إلا في اسم المترجم له.
- إغفال تراجم كبار القياد والملوك، وزعماء المجاهدين، وذكر أهم الأحداث التاريخية، والبناآت الدنيوية من قصور وغيرها.
- التركيز على تراجم من جاء بعد القرن العاشر الهجري، وقلة تراجم من كان قبلهم من أهل فاس نسبياً.
- إغفال المؤلف في مقدمة الكتاب الحديث عن فاس وحضارتها، والحياة العلمية والصوفية بها، وعادات أهلها وطقوسهم واهتماماتهم، الأمر الذي كان حرياً بتوضيح العديد من المفاهيم في صلب التراجم.
- استعمال اللهجة العامية ـ أحياناً ـ ودون ترجمة معنى ذلك إلى اللغة الفصحى.
- عدم التوسع الببليوغرافي في التعريف بمصادر ومراجع الكتاب، والاكتفاء بذكر اسم الكتاب ومؤلفه.

هذه أهم الانتقادات التي تعرضت لها «السلوة» من أعلام مغاربة ومشارقة، ومستشرقين، بل وبعضها ملاحظات نضعها نحن المحققون. وهذه الملاحظات من حيث صدقيتها تنقسم إلى:

- ملاحظات واقعية وصحيحة. غير أنها تصدق في بعض التراجم ولا تصدق في البعض الآخر.
- ملاحظات غير صحيحة. حيث ليست من منهج المؤلف، وإن كانت لها علاقة بالحياة العلمية والصوفية في فاس. كالملاحظة الثامنة.
- ملاحظات غير صائبة. إذ هي ميزات للكتاب الذي يعكس صورة الواقع المكتوب فيه.
- ملاحظات صائبة.

وعلى كل؛ فالمؤلف في جلِّ المعلومات التي يوردها يبرئ ذمته عن

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

طريق عزوها لمصادرها الأصلية، حيث من أسند فقد أعذر لنفسه ـ كما يقول المحدثون ـ.

ز ـ تأثير «سلوة الأنفاس» ومؤلفها في كتابة التاريخ المغربي:

إن مؤلف «السلوة» ليعرض علينا، من خلال موسوعته التاريخية الكبرى هذه، موسوعات فرعية صغرى، تتناول بالدراسة والبحث التاريخ الفكري والمذهبي والعلمي لكثير من الأسر العلمية المغربية العريقة، فرادى وجماعات، في منظومة فريدة من نوعها، لا تكاد تجدها في تقييد آخر غيره، بالطريقة التي أعدت بها، وقدمت فيها للباحثين والدارسين بصفة عامة، والجامعيين منهم بصفة خاصة.

وعلى أثر ذلك؛ فبعد ظهور «سلوة الأنفاس»، وبروز تلامذة الإمام محمد بن جعفر الكتاني؛ ازدهرت بصورة واضحة كتابة التاريخ المغربي؛ خاصة تاريخ المدن ورجالاتها. ولا يخفي جل من اعتنى بالتأريخ ـ تاريخ المدن ورجالاتها خاصة ـ مدى تأثره بـ«السلوة»، ولا يخلو كتاب من كثرة النقل عنها، بل ونقل تراجم كاملة منها؛ كـ«زهر الآس»، و«تحفة الأكياس»، و«الإعلام بمن حل مراكش وأغمات»، و«إتحاف فضلاء الناس»، و«عمدة الراوين»، و«المعسول»، و«تاريخ تطوان»... إلخ.

ومن المؤلفين من نقل تراجم كاملة من «السلوة»، ومنهم من استعار جل مقدمتها وأضافها لكتابه، ومنهم من انتهج نهجه من حيث الاعتناء بالأحياء والمقامات، ومواضع القبور والدفن.

ومن النصوص التي تعبر عن مدى تأثر المغاربة بـ«السلوة» في كتاباتهم التاريخية: ما قاله شيخ الإسلام في الشمال المغربي، ووزير العدلية في المنطقة الخليفية؛ العلامة أحمد بن محمد الرهوني (1373هـ/ 1953م) صدر مقدمة معلمته «عمدة الراوين في تاريخ تطاوين»[1]:

(1) (1: 54).

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

«لما من الله علي باقتناء كتاب «سلوة الأنفاس، ومحادثة الأكياس، فيمن أقبر بمدينة فاس»؛ لابن مبارك زمانه، وزهري أوانه، سلالة الأخيار، وضئضئ الأماثل الأبرار، عالم الشرفاء، شريف العلماء، إمام وقته في الفقه والتفسير والحديث، وغيرها من كل علم قديم وحديث، الولي الصالح، الزاهد الناصح، أحق من يطلق عليه اسم «المجدد» على رأس هذا القرن الرابع عشر، أكرم من بدا فضله في هذه الأعصار وانتشر، حائز قصب السبق في جميع العلوم، صاحب الحقائق والدقائق والرقائق والأذواق والفهوم، فارس المنابر، ومنور المحابر، الشريف الإدريسي الحسني، شيخنا أبي عبد الله، سيدي الحاج محمد... اغتبطت به غاية الاغتباط، وانبسطت له نفسي غاية الانبساط؛ لما عليه ذلك الكتاب من حسن الجمع وبراعة الصنع...».

«كتاب لم يسبق صاحبه إلى مثاله، ولم ينسج ناسج على منواله، جمع فأوعى، وخصب فيه المرعى. أنوار من شمله عليه ساطعة، تبدو للموفق من أقطار شاسعة. فاشرأبت نفسي ـ إذ ذاك ـ للحذو على نعله، والتبرك بوضع جبهتي تحت رجله؛ لما قد شاع على ألسنة الناس؛ من أن مدينة تطاوين بنت مدينة فاس...».

«... اتخذنا شيخنا المذكور إمامنا في هذه الوجهة الخيرية؛ فدخلنا في ذلك بما دخل فيه هو من النية...». انتهى باختصار.

وفي نهاية مقدمة الكتاب التي خصصها لما خصصها به صاحب «السلوة» يقول رضي الله عنه[1]: «وهذا آخر ما أردنا اقتطافه من ذلك البحر الزاخر. رضي الله عن مؤلفه وأرضاه، وجعل الوجه الكريم متقلبه وغاية مناه... بمنه وكرمه».

ولا يخفى أن الشيخ الرهوني إمام صناعة التاريخ في الشمال المغربي وعمدة من كتب بعده فيه، بل وفاتح باب التأريخ لمدينة تطوان خاصة، والشمال المغربي عامة. قال أخونا الأستاذ الدكتور جعفر بن الحسن ابن الحاج السلمي المرداسي في مقدمة تحقيقه لـ«عمدة الراوين في تاريخ تطاوين»

(1) (1: 69).

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

للشيخ الرهوني[1] ما نصه: «كان لدخول الاستعمار الإسباني إلى شمال المغرب ابتداء من سنة (1911م)، بدعوى الحماية؛ تأثير كبير على الطبقة المثقفة المخضرمة ومن جاء بعدها؛ أيقظ فيها ـ ولا شك ـ وعياً بالذات والزمن، فبرز هذا الوعي في كتابتها التاريخية. ولا شك أن الرائد الأكبر لهذه الحركة التاريخية التدوينية على عهد الحماية؛ هو: أبو العباس أحمد بن محمد الرهوني، لا ينازعه في هذا أحد. ثم ظهر بعده تلاميذه... إلخ».

وقد مضى قول الشريف المنوني في «المصادر العربية لتاريخ المغرب»[2]: «إن «سلوة الأنفاس» تعتبر أكبر مصدر لتاريخ رجال فاس إلى عصر تأليفها، ولم يدون قبلها ولا بعدها ما يوازيها في موضوعها...».

ولذلك قال صاحب «مؤرخو الشرفاء»[3]: «يعتبر [كتاب «السلوة»] نموذجاً للمؤلفات المغربية في هذا النوع... قد حالف النجاح [مؤلفه] كثيراً، إلى حد أن أصبح معجمه في الوقت الراهن أداة العمل الضرورية لكل من يهتم بالتراجم المغربية... إن «السلوة» على ما هي عليه تكون أحسن كتب التراجم المغربية، وستظل وثيقة أساسية لكل من يقوم بكتابة تاريخ مآثر مدينة فاس، وقد تقبل المغاربة «سلوة الأنفاس» بقبول حسن، وأدرك مؤلفها شهرة فاقت شهرة أهله، وراح الناس يقلدونه في عمله...»[4].

فهذه بعض النقول عن أعلام المغرب وغيرهم، والمعتنين بالتراث المغربي، حول «السلوة»، وتأثيرها لديهم، أو في كتابة التاريخ، وهي ـ لا شك ـ تعبر عن إمامة صاحب «السلوة» في هذا الميدان، واستداد أركان مدرسته التاريخية التي حفظت تاريخ المغرب، وأخرجته ـ ولو جزئياً ـ من زوايا الإهمال والنسيان...

ومن أهم تلامذة مؤلف «السلوة» الذين تخرجوا به، وكان لهم الأثر

---

(1) (1: 8).
(2) (2: 210).
(3) ص272.
(4) «مؤرخو الشرفاء» تأليف ل. بروفنسال. ترجمة: عبد القادر الخلادي، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

الكبير في كتابة التاريخ: عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، ومحمد بن عبد الكبير بن هاشم الكتاني، ومحمد إبراهيم بن أحمد الكتاني، وعبد الرحمٰن بن زيدان العلوي، والعباس بن إبراهيم التعارجي، وأحمد بن محمد الرهوني، وأحمد بن محمد الكانوني العبدي، ومحمد المختار بن علي الإلغي السوسي، ومحمد بن مصطفى بوجندار الرباطي، ومحمد بن محمد بن علي الدكالي السلاوي، وعبد السلام بن عبد القادر ابن سودة المري... غيرهم. وهؤلاء هم رواد كتابة التاريخ في المغرب القرن المنصرم. ثم جاءت بعدهم طبقة: محمد بن عبد الهادي المنوني، ومحمد بن عبد الله حجي، ومحمد بن تاويت، وعبد الوهاب بن منصور، وعبد الهادي التازي وأضرابهم ممن لهم اليد البيضاء في كتابة التاريخ المغربي.

ولا شك أن أهم سبب دعا صاحب «السلوة» ثم من جاء بعده إلى الاعتناء بهذا المجال من كتابة التاريخ: ردة الفعل الطبيعية للاتجاه الاستعماري الغربي الذي حاول أصحابه مسخ الحضارة الإسلامية المغربية، سواء عن طريق مدارسه ومنتدياته وبرامج تعليمه، وعن طريق إحراقه لعشرات الخزائن العلمية في جبال الأطلس وسوس وسجلماسة وغيرها، واعتبارها لا شيء أمام بهرجة الحضارة المادية؛ ليثبت أعلامنا بأن آباءنا وأجدادنا كانوا أصحاب رسالة خالدة، نقلوها ابناً عن أب لتصل إلينا؛ فنحمل هذا المشعل لنجسده واقعاً، ونورثه إلى الأبناء...

وكيفما كان؛ فإن «سلوة الأنفاس» وذيولها والأعمال التي أقيمت حولها، والمؤلفات التي كتبت وتأثرت بها وعلى منوالها؛ إنما تعد مادة معلوماتية خاماً، محتاجة إلى الدراسة والتحليل، والاستنتاج والاستنباط، في رسائل جامعية وأكاديمية بناءة؛ لتعمل عملها في الواقع المغربي، وسلوكيات مجتمعه الذي لا يمكن أن يزدهر إلا بسيرورته ضمن نطاق الهوية المغربية: العربية الإسلامية...

والمأمول من الله العلي القدير ألا تُخيِّب الأجزاء الثلاثة من «السلوة»، في طبعتها الحالية المعاصرة (1425هـ/ 2004م) آمال المؤلف الجليل شيخ

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

الإسلام الشريف أبي عبد الله سيدي محمد بن جعفر الكتاني رَحِمَهُ اللَّهُ، الذي حرص بنفسه على تصحيح طبعتها الحجرية الأولى تقديراً منه لقرائه، ومحبة في علماء فاس وصلحائها، وتخليداً لذكرهم العطر عبر العصور. والله من وراء القصد. وصلَّى الله وسلَّم وبارك على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه.

والحمد لله ربِّ العالمين

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

Black plate (107,1)

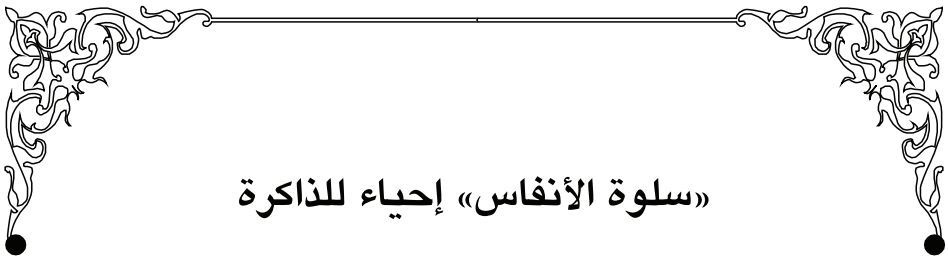

«سلوة الأنفاس» إحياء للذاكرة

أ. د. محمد ابن شريفة[1]:

أبدأ بشكر الإخوان في المؤسسة العلمية الحمزاوية الكتانية وفي مقدمتهم الأخ الأستاذ حمزة الكتاني على دعوتهم لي للمساهمة في تقديم هذه التحفة النفيسة التي يدل عليها عنوانها: «سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس، بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس». كما أهنئ الإخوة الذين قاموا بإعادة إخراجها وتحقيقها؛ وهم: الأساتذة عبد الله الكامل الكتاني، وحمزة بن محمد الطيب الكتاني، ومحمد حمزة بن علي الكتاني، ونهنئ كذلك أنفسنا معشر الباحثين المشتغلين بتاريخ المغرب بصدور «السلوة» في هذه الحلة القشيبة والطبعة الأنيقة والإخراج الممتاز الذي تشكر عليه الدار التي طبعتها، وقد كان المعتنون بالتراث المغربي يتمنون منذ زمن صدور هذه الطبعة بعد أن أصبحت الطبعة الحجرية في حكم المفقود ومن قبيل المخطوط، وها هي الأمنية تتحقق بمهمة المؤسسة العلمية الكتانية والقائمين عليها، وتجيء هذه الطبعة بعد أزيد من قرن على الطبعة القديمة التي كان المؤلف الشيخ سيدي محمد بن جعفر الكتاني قد وقف على تصحيحها عام (1316هـ/ 1897م) وقد توفي رَحِمَهُ اللَّهُ عام (1345هـ/ 1927م).

أما تأليفه هذا الذي يقول في تقديمه: «تقييد شريف، ومنزع لطيف، أذكر فيه إن شاء الله تعالى، بعض الصلحاء المشاهير، والعلماء الكبار النحارير، الذين قُبضوا بهذه الحضرة الفاسية، ذات الأنوار الساطعة والمحاسن

(1) أستاذ التعليم العالي، عضو أكاديمية المملكة المغربية.

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

الفاشية. وأشير لبيان ضرائحهم، وشيء من تراجمهم على سبيل الاختصار، من غير تطويل ممل ولا إكثار»؛ فهو من أشهر ما أُلف في صلحاء مدينة فاس وعلمائها، ومنذ طبع في المطبعة الحجرية والباحثون ينتفعون به ويرجعون إليه، ولا سيما فيما يتعلق ببعض الأعلام الذين لا يوجدون إلا في «السلوة»، أو في عدد من المعلومات التي تشتمل عليها التراجم. وأما ما يزخر به من أخبار الكرامات والمناقب؛ فإنه يجعل منه مرجعاً أساساً في التاريخ الديني والروحي والصوفي خلال حقبة من تاريخ المغرب عموماً وتاريخ مدينة فاس خصوصاً.

على أن «السلوة» ليست في حاجة إلى تنويهنا؛ فقد نوَّه بها منذ زمن علماء مغاربة ومشارقة ومستشرقون فرنسيون وإسبان وغيرهم، من أمثال روني باسيد، وليفي بروفنسال، وفرانسيسكو كوديرا.

وقد خصها بروفنسال بفقرة مطولة ختم بها كتابه المسمى «مؤرخو الشرفاء»، أشاد فيها بعلمه وأمانته، ومنهجيته وتجديده، وعرَّف بالسلوة ومضمونها، ودعا إلى ترجمتها. ومما قاله: «إن «السلوة» هي أحسن كتب التراجم المغربية، وستظل وثيقة أساسية لكل من يقوم بكتابة تاريخ مآثر مدينة فاس، ويستحسن أن تنشر ترجمتها قريباً؛ فهي ـ إجمالاً ـ أفيد من الترجمات التي خصصت لكتب التراجم المؤلفة قبلها».

ونجد مثل هذا التنويه عند المؤرخ المرحوم الأستاذ محمد المنوني الذي يقول: «إن «سلوة الأنفاس» تعتبر أكبر مصدر لتاريخ رجال فاس إلى عصر تأليفها، ولم يدوَّن قبلها ولا بعدها ما يوازيها في موضوعها».

لقد اعتمد سيدي محمد بن جعفر الكتاني على مصدرين بارزين:

المصدر الأول: يتمثل في المؤلفات التاريخية والإخبارية المتنوعة التي سرد منها في آخر كتابه مائة واثنين وأربعين مصدراً، وقد لاحظ ل. بروفنسال أن الخمس عشرة سنة التي قضاها في تأليف «السلوة» لا تكاد تكفي لقراءة هذه المصادر والبحث فيها، وأخذ كل ما يجب أن يؤخذ منها.

وأما المصدر الثاني؛ فهو: أضرحة الصلحاء الموزعة في حومات فاس ودروبها، وقبور العلماء الموجودة في الروضات والمقابر خارج فاس. فقد

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

كان يزورها ويسجل مواقعها، وينقل ما هو مكتوب في شواهدها. وهذا العمل الذي تحفل به «السلوة» يدل كما قال بروفنسال: «على اهتمام متقدم بالبحث لا عهد لنا به في المغرب».

ولا أجد أحسن من كلامه في وصف هذا العمل، قال: «قد بدأت تراجم «السلوة» بالمولى إدريس الأنور، وبما أن ضريحه يوجد في قلب المدينة؛ فإن الكتاني تابع عرضه للصالحين والعلماء بحسب المكان الذي دفنوا فيه، سالكاً خلال المدينة مسلكاً لا يخلو من غرابة؛ فهو يدور حول الضريح الإدريسي في اتجاه عقربي ساعة، وبعد أن يقطع هكذا أحياء وسط المدينة، ينتهي إلى الأحياء المتصلة بالأسوار الخارجية. وهذا ترتيب أهم الأحياء الذي يمكن معه تتبع المؤلف سهولة في دورانه حول المركز بحسب تصميم المدينة: النجارين، الگرنيز، القطانين، الصاغة، الدرب الطويل، البليدة، فندق اليهودي، داخل باب الجيسة، وزقاق الرمان، الشرابليين، وطلعة السياج، الدوح، الجرف، والعيون، رأس الجنان، الكدّان. ثم ينتقل المؤلف إلى المقابر الكبرى التي تمتد من كل ناحية من الباب المدعو: باب الفتوح، والتي توجد خارج باب سيدي بوجيدة، وباب الجيسة، وباب المحروق، ويصل في الأخير إلى فاس الجديد مدافن الملوك العلويين».

هذا كلام بروفنسال، ولعله كان يحسن وضع خريطة لمواقع هذه المزارات والمسالك التي تؤدي إليها كي تكون دليلاً مادياً لذوي السياحة الدينية، والراغبين في زيارة الصالحين، لا سيما أن المؤلف بدأ كتابه بمقدمة مسهبة في تبرير هذه الزيارة وتبيُّن آدابها، وفي أول هذه المقدمة تحدَّث عن نقطتين:

أولاهما: قلة اعتناء أهل المغرب بالتاريخ، واستشهد بما قاله سيدي يوسف الفاسي في كتابه «مرآة المحاسن»، وما قاله سيدي عبد السلام الفاسي في تقييد عرَّف فيه بابن أبي زرع صاحب التاريخ، وكلاهما تحسَّر على قلة اعتناء المغاربة بتاريخهم، وإهمالهم التعريف برجالهم.

والواقع أن هذه الشكوى ظهرت في آخر العصر الموحدي؛ فقد سمع

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

مؤلف كتاب «مفاخر البربر» ـ ولعله صالح ابن أبي صالح الإيلاني ـ سمع ابن عبد الملك المراكشي ينعى على المغاربة إهمالهم تاريخ أعلامهم ومعالمهم، وإغفالهم تخليد مفاخرهم ومآثرهم، ويقول: «كان بفاس من الفقهاء الأعلام، الأجلة أعيان الأنام، ما ليس في غيرها من بلدان الإسلام؛ إذ هي قاعدة المغرب، ودار العلم والأدب، لكن أهلها أهملوا ذكر محاسن علمائهم، وأغفلوا تخليد مفاخر فقهائهم».

ثم ترددت هذه المقولة في العصور التالية، ويبدو أنه كان إهمالاً مزدوَجاً، فعلاوة على قلة التدوين التاريخي؛ فإن عدداً من الذين دوَّنوا تاريخ المغرب لم تصل إلينا مدوناتهم؛ وأذكر منها على سبيل المثال: ما يتعلق بفاس.

وهنا أصل إلى النقطة الثانية التي يقول فيها مؤلف «السلوة»: إن الذين ألفوا في خصوص أعيان فاس وعلمائها وصلحائها قليلون، وسمى منهم: ابن القاضي، وابن عيشون، وابن الأحمر. والواقع أنه كان ثمة آخرون ألفوا في أعلام فاس في مختلف العصور، ولكن مؤلفاتهم ضاعت، ومن هؤلاء: أبو الحسن علي بن محمد بن سليمان النوفلي؛ الذي نقل عنه البكري في «المسالك» شيئاً من أخبار الأدارسة.

وعبد الرحمٰن بن محمد الزيجي؛ الذي نقل من كتاب له في أعلام فاس القاضي البناهي في كتابه «المرقبة العليا». وأبو مروان عبد الملك بن محمود الوراق؛ مؤلف «المقباس في تاريخ فاس»، و«أخبار الأدارسة» الذي ينقل منه صاحب «روض القرطاس». وابن الودُّون الذي ينقل عنه أيضاً.

فهؤلاء وغيرهم ضاعت كتبهم وكتب غيرهم بسبب الإهمال، ومن أمثلة هذا الإهمال: أن تاريخ ابن حيان المسمى بالمقتبس، وفيه أخبار من تاريخ المغرب منذ الفتح حتى نهاية القرن الرابع؛ كان موجوداً في مكتبة جامع الرصيف بفاس في مَطلع القرن الماضي، ثم فُقد، ولم يبق منه إلا أطراف من أحد أجزائه.

ومن المقالات التي شاعت وكانت سبباً فيما ذكر: مقالة «التاريخ علم لا

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

ينفع، وجهل لا يضر». من هنا يكون عمل الشيخ سيدي محمد بن جعفر الكتاني عملاً كبيراً، فقد أنقذ ما يمكن إنقاذه من أعلام فاس، وقد كان عمله المبارك حافزاً قوياً لبعض من عاصره أو أدركه؛ فقاموا بمثل ما قام به؛ ومن هؤلاء: الفقيه الصوفي ابن الموقت الذي ألَّف «السعادة الأبدية في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية»، والفقيه القاضي العباس ابن إبراهيم مؤلف «الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام». ثم قام غيرهما بالتعريف بأعلام حواضرهم؛ كابن زيدان، وابن علي الدكالي، وبوجندار، والفقيه داود، والمختار السوسي، والكانوني... وغيرهم. رحم الله الشيخ سيدي محمد بن جعفر وجزى الله أهله الذين قاموا بإخراج هذا العمل النافع.

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

Black plate (112,1)

تقييم تاريخي لكتاب «سلوة الأنفاس»

أ. د. إبراهيم حركات[1]:

يسعدني أولاً وقبل كل شيء، أن أضم صوتي إلى صوت الزميل الكريم الدكتور محمد بن شريفة، في التنويه بالعمل الذي قام به الفقيه العالم محمد بن جعفر الكتاني، وحيث نذكر لفظة الكتاني، فمن هم هؤلاء الكتانيون؟ من أين جاءت اللفظة أولا؟.

الكتانيون ينتسبون إلى يحيى بن محمد بن إدريس (إدريس الثاني)، ولماذا هم كتانيون؟. لأن البصرة التي بناها الأدارسة في الثلث الأول من القرن الثالث الهجري، كانت تنتج القطاني والكتان، ولكن بفضل من؟. بفضل يحيى بن محمد بن إدريس[2]، وهو أول من لقب بالكتاني لأنه زرع الكتان في ذلك الوقت. ومن المعلوم أن الأدارسة كانوا مغرمين بالعمل الزراعي وبالإنتاج إلى حد أن بسيط «سايس» المعروف الآن هم أول من زرعوه، وهم أول من غرسوا فيه الزيتون.

إذن فهذه الأسرة تنتمي إلى الأدارسة، وجدها كما عرفنا، هو يحيى بن محمد بن إدريس الكتاني في القرن الثالث الهجري، والإسم العائلي مستمر إلى الآن، وهذا شيء نادر؛ نادر لأن الأسر ـ وبالأخص الأسر الغير الشريفة ـ

(1) أستاذ التعاليم العالي ـ مؤرخ ـ كلية الآداب، جامعة محمد الخامس، الرباط.

(2) لا يصح هذا القول، فأول من دعي بالكتاني: أمير الناس يحيى بن عمران بن عبد الجليل بن يحيى بن يحيى بن محمد بن إدريس، جد الشرفاء الكتانيين، أمير زواوة، وآخر ملوك الأدارسة، وذلك لأنه خيم لجيشه بخيام من الكتان بدل الشعر. انظر: «معلمة المغرب» ج20، قسم «الكتاني» المحققان.

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

تتغير الأسماء فيها بحسب الأشخاص وبحسب الأجيال وتطورها، والقبائل نفسها تندثر وتبقى منها بعض الفروع. ولا ندخل في التفاصيل بهذا الشأن.

المهم أن العمل الذي قام به محمد بن جعفر الكتاني هو في نظري وفي نظرنا جميعاً، بدون شك هو ليس بتاريخ سياسي كما لا يخفى، بل هو قبل كل شيء تاريخ ثقافي، وفي جزء مهم منه تاريخ اجتماعي.

تاريخ ثقافي لأنه يمد لنا معلومات عن الأعلام من المثقفين من سائر فروع المعرفة المتعارفة في عصره، وفيما قبل عصره بقرون متعددة على طول هذه المراحل الطويلة، وهو لا يستثني أحداً ممن أمكنه الوصول إليه، والكتاب ليس كتاب علماء فقط ولا صلحاء فقط، بل يتناول مثقفين آخرين. وكلمة مثقفين لم تكن مستعملة في وقته، ربما في المشرق بشكل ما، ولكن كان هناك بعض السفراء، وهناك بعض الأدباء والشعراء ممن لا صلة لهم بالعلماء ولا بالعلم المتعارف في ذلك الوقت مطلقاً.

هناك فيما يخص الأحداث السياسية بعض الإستطرادات التي يأتي بها، ولكن في مجموعه وكما قلنا تاريخ ثقافي وإلى حد ما تاريخ اجتماعي، وهو يقسم عمله إلى أعلام من العلماء وأعلام من الصلحاء.

فالعلماء أولاً هم: قبل كل شيء علماء شريعة، محدثون، فقهاء، وكذلك علماء علوم القراءات والتفسير والناسخ والمنسوخ وأسباب النزول بطبيعة الحال، التفسير والقراءات كذلك في المقدمة. هذا فيما يتعلق بالعلماء. لكنه ذكر مؤرخين وفرضيين وحيسوبيين؛ يعني: غطى تقريباً جميع أنواع المعرفة التي أمكن له أن يصل إلى أعلامها.

أما بالنسبة للصلحاء؛ فالكلمة جمع: صالح، والصالح هو شخص يتعبد ويقوم بأعمال صالحة؛ كاسمه وصفته، وربما يقوم بأشياء كثيرة متطوعاً؛ كتنظيف مسجد أو تنظيف زاوية أو تنظيف الزقاق الذي يسكن فيه؛ أي: يقوم بأعمال لا يقوم بها غيره، وهكذا فإن الصلحاء كانوا في الواقع يقومون بأعمال اجتماعية ومهنية كالزراعة وغيرها.

ولكن لا بد من التفريق بين الصالح والصوفي، فليس كل صالح هو

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» Printed on [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100]

صوفي، والصلحاء ليسوا كلهم صوفية. فهناك ناس أميون تماماً، وهم كثيرون جداً، وذكرهم محمد بن جعفر الكتاني رَحِمَهُ اللَّهُ. وأما الصوفية؛ فلا بد أن يكونوا صلحاء. والصالح ليس من المفروض فيه أن يكون صوفياً. فلا بد من التفرقة. لماذا؟. لأن الصوفي هو من يعرف تصوُّف الحقيقة، مثل درجات التصوف ومعالم التصوف وتقسيماته وأفكاره، ذلك أن التصوف يتضمن أفكاراً وتنظيمات عظيمة وذات بعد زماني وإنساني كبير، وليس لأي واحد أن يكتب في التصوف على هذه الشاكلة.

كذلك هناك تصوف الطريقة؛ أي: أن يكون للصوفي طريقة يتبعها، أو أن يكون هو نفسه منشئ طريقة. هذه الطريقة نفسها تعتمد على أسس صوفية؛ أي: لها أفكار وطقوس خاصة بها، ولكل موضعه، في المجال الاجتماعي أيضاً. وهذا جانب لا محل للتوسع فيه هنا.

ومن جملة الملاحظات التي أثارت انتباهي فيما يخص الصلحاء: أن العالم محمد بن جعفر الكتاني يكثر من ذكر حالات الجذب. والجذب الصوفي، له في الحقيقة مظاهر، وله أيضاً أسباب اجتماعية، تتعلق بالمجتمع وبالبيئة التي تنشأ فيها هذا المجذوب، وليس من الضروري أن يكون مثقفاً، لكن هناك من ينشد الأشعار، وهناك من يتكلم بكلمات مبهمة ويعبر بها عن حالات معينة من اليأس الاجتماعي ومن الفقر وغيره. وهذه الظاهرة نلمسها كثيراً فيما كتبه ـ ولكن بصفة غير مباشرة ـ مؤلف «السلوة»، خصوصاً بالنسبة للقرن العاشر الهجري (السادس عشر ميلادي) الذي يعادله العصر السعدي، فقد كانت الظروف بالمغرب صعبة لفترة غير قصيرة بعد ظهور السعديين، وبموازاة صراعهم مع الوطاسيين والبرتغال. وقد عامل السعديون الصوفية خصوصاً من أرباب الزوايا بشيء من الصرامة، بحيث رفضوا منحهم امتيازات ضريبية.

إن الشيخ محمد بن جعفر الكتاني لم يوف الصالحات حقهن عدداً ومعلومات، وهذه ظاهرة لم يختص بها وحده، فهو معذور في هذا الجانب، بسبب شح المصادر والوثائق. وقد تتردد أسماء الكثير من الصالحات

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

والعالمات والأديبات عبر تاريخ المغرب. كما أدركه مؤلف «سلوة الانفاس»، ولكن شح المعلومات بالنسبة لمعظمهن، يأتي من كون تكوينهن أو ميولهن، كان في أغلبه داخل الأسرة، حيث تحاط الإناث بأكثر ما يمكن من السرية والتستر، شأن باقي مظاهر الحياة العامة بالنسبة للوسط النسوي، وإن لم تخل بعض كتب المناقب والتراجم من تفاصيل عن عدد من الشخصيات النسوية في المجالات التي سبق ذكرها.

ومن فضائل عمل الشيخ محمد بن جعفر الكتاني، والتي يشاركه فيها بعض الذين سبقوه: إثبات أسماء شخصيات موسومة بالعلم أو الصلاح أو التكوين الأدبي أو غيره، حتى ولو لم يتوفر على معلومات تذكر بشأنها، وقد يكتفي بالحديث عن مدفنها في انتظار أن يكشف عنها هو أو غيره لاحقاً.

وقد رجع مؤلف «سلوة الأنفاس» إلى مصادر كثيرة، بعضها غير متداول، وعدد غير قليل منها لم ينشر حتى الآن. وقد عمل على ترجمة عدد من الملوك والأمراء الذين ألحقهم بالعلماء مهما اختلف رصيدهم المعرفي، لكن الأمثلة الكثيرة التي قدمها هي ـ على العموم ـ موضع تنويه المصادر التي رجع إليها، مثل إدريس الأول، وإدريس الثاني، وعلي بن يوسف المرابطي، وسليمان العلوي.

وكتب مؤلف «السلوة» أيضاً عن أمراء أندلسيين، ممن توفوا ودفنوا بفاس، خصوصاً منهم إسماعيل بن يوسف ابن الأحمر الذي تميَّز في التاريخ والأنساب، وألَّف كتابه القيم عن بيوتات فاس. غير أن عدداً كبيراً من الأسر التي تناولها انقرضت قبل عصر ابن الأحمر هنا أو بعده، ومنهم: بنو فدن، وبنو علي، وبنو دبوس. ومن الأسر الباقية: الشرفاء الصقليون، وبنو بكار (البكاريون)، والفشتاليون... إلخ.

وخص الأعلام الأندلسية بالكثير من اهتمامه؛ ففاس ومراكش هما أكثر المدن استقبالاً لهؤلاء الأعلام، إلى جانب سبتة التي بحكم جوارها للأندلس كانت علاقاتها مع هذه البلاد على أوسع نطاق.

وذكر الشيخ ابن جعفر الكتاني أعلاماً كثيرين من الأندلس حلوا بفاس

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

خلال القرن السادس الذي شهد سقوط عدد من مدن الأندلس تباعاً، لكن علماء الأندلس ومثقفيها حظي عدد كبير منهم بالترحاب، وحتى بتشجيع المرابطين والموحدين، حيث كان للدراسات الحديثية والأصولية موقع خاص كما هو أمر معروف. ولعلماء الأندلس إشعاع في هذا المجال لا يمكن إغفاله.

كذلك خص العالم المحدث مؤلف «سلوة الأنفاس» أعلام تلمسان بفاس، بعناية يستحقونها، فقد أنجبت تلمسان في القرنين الثامن والتاسع (14 ـ 15م) أعلاماً في المعقولات من مستوى عال، كما هو الشأن فيما كان يعرف بالتعاليم التي تشمل الفلك والرياضيات والطب، وحتى الفلسفة. وأبرزهم: الشيخ الآبلي التلمساني الذي توفي ودفن بفاس، وهو شيخ ابن خلدون. وقد تلقى الآبلي دراسته في التعاليم على ابن خلوف اليهودي بفاس، علماً بأن عدداً من أعلام التعاليم اليهود استقروا بتلمسان، وكان لهم تأثير بها في هذا المجال.

نجد في «سلوة الأنفاس» تراجم عدد كبير من العلماء الدلائيين الذين احتضنتهم فاس أحياءً وأمواتاً، والتلاحم بين فاس والزاوية الدلائية سبق عصر المؤلف بوقت طويل، ويكفي أن أبا المحاسن الفاسي وهو أبرز شخصيات فاس في العلوم الإسلامية، فوق كونه صوفياً متميزاً، كان ضمن الأعداد الكبيرة من الطلاب الذين استكملوا دراستهم بهذه الزاوية التي كانت مركزاً ثقافياً عظيماً في قلب الأطلس المتوسط.

لكن بعد نكبة الزاوية؛ أخذت فاس تستقطب أعداداً متزايدة من طلاب الزاوية وعلمائها. حقاً إن الثقافة الإسلامية كانت بالنسبة لفاس نقطة التقاء والتحام بين كل الذين احتضنتهم هذه المدينة بعيداً عن كل الفروق الإجتماعية والطائفية، وحقاً فإن المراكز المغربية كلها كانت المواطنة الثقافية فيها وظلت حتى الآن، مطبوعة بروح التسامح والانفتاح، لكن التعددية الشاملة بفاس، تفوق ما كانت عليه في أي مركز ثقافي آخر بالمغرب، نظراً لوضعها الإستراتيجي والسياسي والاقتصادي.

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

ومما يلفت النظر؛ أن الشيخ محمد بن جعفر الكتاني وهو المحدث والمؤرخ لأعلام فاس، لم يضع جانباً من ليسوا صلحاء ولا علماء. فهم بطبيعة الحال يحظون بالاعتبار عنده قبل غيرهم، لكن صدره اتسع للأدباء وأصناف أخرى من المثقفين. وقد دافع عن الفيلسوف الأندلسي ابن باجه وهو يترجم له ورفض وصفه بالزنديق، والذي وسمه به الفتح بن خاقان في «قلائد العقيان»، ورد ذلك إلى ما كان بين ابن خاقان ومواطنه ابن باجه من حزازات شخصية، لو أخذنا بلغة العصر الذي نعيشه، بل وبلغة العصور الماضية، لكان ابن باجه يسارياً أو في الطرف المواجه لحماة النصوص الشرعية (والتي بينها الكثير مما يضع للعقل مكاناً مشرفاً)، وإنما يوجه المؤلف «السلوة» خطاباً بشكل غير مباشر، إلى الذين يقدحون في الآخرين، وهم أحق بأن يخففوا من أوزارهم، وبينهم الفتح ابن خاقان نفسه.

وهكذا؛ فإن كان للصلاح والعلم وزن كبير في هذا العمل الموسوعي، فإن الثقافة الإنسانية المجردة، تحتلُّ بدورها مكاناً تستحقه في «السلوة»..

وقد كان الشيخ محمد بن جعفر الكتاني غزير الأخذ والعطاء، وقد قضى زهاء ثلاث عشرة سنة بالمشرق، حيث استقر لسنوات بالمدينة، ثم قضى نحو سبع سنوات بدمشق. وكان انتقاله بأهله وأبنائه. ومن المؤكد أنه ازداد اطلاعاً وبحثاً وتوسعاً في مسالك المعرفة بفضل المخطوطات والمؤلفات المنشورة، فضلاً عن متابعته عن كثب لحركة الإصلاح والتجديد التي ينادي بها عبد الرحمٰن الكواكبي وشكيب أرسلان، وآخرون سابقون ولاحقون.

وعاد الشيخ العالم محمد بن جعفر الكتاني إلى فاس، بعد هجرته الطويلة إلى المشرق، وكانت وفاته سنة (1345هـ/ 1927م) بهذه المدينة التي كان بها مولده، وكأن الأقدار الإلـٰهية جنبته معايشة عصر الحماية لوقت طويل؛ لأنه هاجر إلى المدينة قبل سنتين من إقرار الحماية بالمغرب، وتوفي في السنة التي عاد فيها إلى بلاده، ولكن مقدرته كباحث خبير ومؤلف أصيل، تطل علينا من شرفات كتابه «سلوة الأنفاس» الذي سيظل مصدراً تاريخياً وثقافياً لا يقدر بثمن... رحم الله مؤلفه رحمة واسعة.

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

ويبقى بعد هذا العرض الموجز حول التقييم التاريخي لعمل المؤلف في «سلوة الأنفاس» والمتميز في المجال الثقافي خاصة، أن تقال كلمة حق في تقدير الجهد الذي بذله كل من الأساتذة المحققين في تنقيح الكتاب وترتيبه وتزويده بالفهارس العلمية، والمؤسسة التي تولت نشر الكتاب بعناية تناسب صيته وقيمته التاريخية والثقافية.

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

Black plate (119,1)

«سلوة الأنفاس»
من خلال كتاب «مؤرخو الشرفاء»

الأستاذ ليفي بروفنسال[1]:

إن أحدث طريقة صوفية بالمغرب تسمت باسم مؤسسها الذي ينتسب للكتانيين الأدارسة، ويدعون أيضاً: شرفاء عقبة ابن صوال، وقد ألف في هذه الأسرة الشريفة، كما رأينا من قبل، الطالب ابن الحاج في أواسط القرن التاسع عشر، وأدركت في فاس شهرة عظيمة، حتى إن أفرادها حجبوا سائر علماء الأسر الكبيرة من فاسيين وقادريين وبني سودة، وأشهر هؤلاء الشرفاء اليوم في الأوساط المغربية ما يزال بقيد الحياة؛ وهو: مؤلف «سلوة الأنفاس»، وقبل أن نقدم بعض المعلومات عنه وعن كتابه، نستعرض المؤلفين الآخرين من أسرته الذين مات معظمهم منذ سنوات.

المأمون بن عمر الكتاني:

نذكر من بينهم المأمون بن عمر بن الطائع بن إدريس الكتاني[2]، تلميذ أحمد بن محمد الحجرتي، وأحمد العراقي[3]، وقد ألف في جملة ما ألف:

---

(1) مستشرق فرنسي شهير، تولى عدة مناصب أكاديمية. والنقل عن كتابه «مؤرخوا الشرفاء»، تعريب الأستاذ عبد القادر خلادي، طبع بدار المغرب للطباعة والنشر بالرباط، عام (1397هـ/ 1977م)، وقد قمنا ببعض التصحيح للترجمة.

(2) انظر الفضيلي: «الدرر البهية» 2/ 122.

(3) أحمد بن محمد بن المهدي العراقي الحسيني، المتوفى بفاس في متم جمادى الثانية (1286هـ/ 6 أكتوبر 1869م)، انظر: الكتاني «سلوة الأنفاس» 3/ 37.

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

كتاباً عن الإسلاميين بفاس، وترجمة لمولاي الطيب الكتاني[1]، «الغمام الصيب في مناقب مولاي الطيب»، ومات عام (1309هـ/ 1891 ـ 92م).

جعفر بن إدريس الكتاني:

أبو عبد الله جعفر بن إدريس بن الطائع بن إدريس الكتاني[2]، المولود بفاس عام (1240هـ/ 1824 ـ 25م)، تتلمذ لكثير من الأعلام؛ أمثال الوليد العراقي، وابن سعد التلمساني[3]، والحاج الداودي التلمساني[4]، والقاضي محمد العلوي[5].

وظهر نبوغه مبكراً كأحد العلماء النابهين في العاصمة، لم يتولَّ قط أي وظيف رسمي، فاستحق لقب شيخ الجماعة، ومات عام (1323هـ/ 1905م). ودفن خارج باب الفتوح، بالقرب من قبر سيدي دراس بن إسماعيل[6].

من المؤكد أنه ألف أكثر من مائة كتاب، من بينها: فهرس لشيوخه طبع على الحجر بفاس، وكتاب عن أسرته «الرياض الريانية، في الشعبة الكتانية»، وكتيب عن الشخصيات الفاسية المتوفاة في القرن الهجري الثالث عشر: «الشرب المحتضر، السر المنتظر، من معين أهل القرن الثالث عشر»[7].

---

(1) أبو المواهب مولاي الطيب بن محمد الكتاني، المتوفى في (3 جمادى الثانية 1253هـ/ 4 شتنبر 1837م)، انظر: الكتاني «سلوة الأنفاس» 2/ 251.

(2) انظر: الفضيلي «الدرر البهية» 2/ 120.

(3) الحاج الحسني البيدري التلمساني، كان قاضياً بتلمسان، وتوفي بفاس في (27 محرم 1264هـ/ 4 يناير 1848م)، انظر: الكتاني «سلوة الأنفاس» (3/ 78).

(4) عالم وقاض بتلمسان أيضاً، التجأ إلى فاس عندما احتلت القوات الفرنسية تلمسان، ومات بها في (14 محرم 1271هـ/ 7 أكتوبر 1854م)، انظر: الكتاني «سلوة الأنفاس» 1/ 205.

(5) محمد بن عبد الرحمٰن الفيلالي المدغري الحسني العلوي، قاضي فاس منذ (7 صفر 1274هـ/ 27 شتنبر 1857م)، إلى أن مات في (27 رمضان 1299هـ/ 12 غشت 1882م)، انظر: الكتاني «سلوة الأنفاس» 1/ 205.

(6) انظر أخباره عند الكتاني: «سلوة الأنفاس» 2/ 175 وما بعدها.

(7) طبع على الحجر بفاس عام (1309هـ).

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

محمد بن جعفر الكتاني:

وولده أبو عبد الله محمد بن جعفر[1]؛ ولد بفاس عام (1275هـ/ 1858 ـ 59م)، وتتلمذ له بصفة خاصة، وحضر أيضاً مجالس القاضي محمد العلوي، والمهدي ابن الحاج، والمدني ابن جلون[2]، ومحمد بن عبد الواحد ابن سودة[3]، والهادي الصقلي[4].

حج مرتين إلى مكة المكرمة (عام 1321، و1325هـ/ 1905، 1907م)، وبعد ثلاث سنوات هاجر من المغرب إلى المدينة، ولما طرده الأتراك[5] منها التجأ إلى دمشق حيث يشتغل الآن بالتدريس هناك.

نذكر من مؤلفات محمد بن جعفر الكتاني: كتاباً مختصراً في نسب أسرته بعنوان: «النبذة اليسيرة النافعة، التي هي لأكبر السلالات الكتانية جامعة»، ومجموعاً في مناقب إدريس الثاني: «الأزهار العاطرة الأنفاس، بذكر بعض محاسن قطب المغرب وتاج مدينة فاس»[6]، الذي هو تنقيح وزيادة للكتب السابقة للحلبي والطالب ابن الحاج.

لكن أهم مؤلفاته هو فهرسه الجامع لتراجم أعلام فاس: «سلوة

---

(1) انظر: الفضيلي «الدرر البهية» 2/ 121.

(2) محمد المدني بن علي بن جلون الگومي الفاسي، عالم فاس، ولد في ربيع الأول (1264هـ/ 1848م)، ألف عدة كتب، ومات في (14 ربيع الأول 1298هـ/ 4 فبراير 1881م)، انظر: الكتاني «سلوة الأنفاس» 2/ 363.

(3) محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن التاودي ابن سودة، قاضي القصر، وخطيب فاس، مات بها في العشرة الأخيرة من ذي القعدة (1299هـ/ 1882م)، انظر: الكتاني «سلوة الأنفاس» 1/ 121.

(4) قاضي فاس المتوفى بالمدينة المنورة في محرم (1311هـ/ 1893م)، انظر: الكتاني «سلوة الأنفاس» 1/ 139.

(5) لم يتم طرد الإمام محمد بن جعفر الكتاني من قبل الأتراك، والمعلومة المذكورة خاطئة، إنما كان في غاية التبجيل والتكريم من طرفهم، وراجع الترجمة المثبتة في المقدمة. المحققان.

(6) طبع على الحجر بفاس عام (1314هـ).

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

الأنفاس، ومحادثة الأكياس، بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس»[1]، الذي يعتبر نموذجاً للمؤلفات المغربية في هذا النوع.

أنهى محمد الكتاني تأليفه عام (1313هـ)، بعد أن ظل يكتبه خمس عشرة سنة، وقد قصد أن يخصص لكل من الشخصيات الشهيرة من بين العلماء والصلحاء المدفونين في فاس ترجمة طويلة أو قصيرة، ويأتي بخلاصة ما عند ابن القاضي في «جذوة الاقتباس»، ومؤلف «الروض العاطر الأنفاس» بعده، لكن على نطاق أوسع، وحتى عصره، وقد حالفه النجاح كثيراً إلى حد أن معجمه أصبح في الوقت الراهن أداة العمل الضرورية لكل من يهتم بالتراجم المغربية.

ينقسم الكتاب إلى ثلاثة أقسام كبرى: الأول عبارة عن مقدمة مسهبة في زيارة الصالحين، والثاني ـ وهو أكبرها ـ يحتوي على قائمة مشاهير العاصمة مرتبين على الأماكن بحسب الأحياء التي دفنوا فيها. والثالث: لائحة مرتبة ترتيباً أبجدياً للمشاهير المدفونين بفاس، والذين لم يتمكن المؤلف من الوقوف على قبورهم.

وتكون مقدمة «سلوة الأنفاس» وجدها كتاباً ذا فائدة كبرى، ولها: تبرير مطول للتبرك بالصالحين، وقد اجتهد الكتاني في الاستشهاد بأقوال علماء السُّنَّة ليبيِّن أن ذكر مناقب الصالحين يتفق تماماً مع حرفية الدين.

تأتي بعد ذلك آداب الزيارة، فتجد كل ما ينبغي للزائر أن يفعله من نزول الراكب عن الدابة، وخلع نعليه عند الدخول إلى الضريح، والانحناء للقبر، وتقبيل الأرض بين يدي الولي. ثم يبيِّن الكتاني الدعوات التي تقرأ عند الزيارة، و[أحكام] الذبائح التي تذبح عندها، وإيقاد القناديل والشموع عند قبور الصالحين، وينتهي العرض إلى هذه النتيجة وهي: أن صالح فاس الذي ينبغي أن يقصد هو: مؤسس المدينة مولاي إدريس الأنور بن إدريس الأكبر.

وقد بدأت تراجم السلوة بالمولى إدريس الأنور، وبما أن ضريحه يوجد

(1) طبع على الحجر بفاس عام (1316هـ) في 3 أجزاء.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

في قلب المدينة، فإن الكتاني تابع عرضه للصالحين والعلماء بحسب المكان الذي دفنوا فيه، سالكاً خلال المدينة مسلكاً لا يخلو من غرابة، فهو يدور حول الضريح الإدريسي في اتجاه عقربي ساعة، وبعد أن يقطع هكذا أحياء وسط المدينة، ينتهي إلى الأحياء المتصلة بالأسوار الخارجية.

وهذا ترتيب أهم الأحياء الذي يمكن معه تتبع المؤلف بسهولة في دورانه حول المركز بحسب تصميم المدينة: النجارين، الكرنيز، القطانين، الصاغة، الدرب الطويل، البليدة، فندق اليهودي، داخل باب الجيسة وزقاق الرمان، الشرابليين، وطلعة السياج، الدوح، الجرف والعيون، رأس الجنان، الكدان.

ثم ينتقل المؤلف إلى المقابر الكبرى التي تمتد من كل ناحية من الباب المدعو باب الفتوح، والتي تدعى إحداها بروضة العلماء، ثم إلى المقابر التي توجد خارج باب سيدي بوجيدة، وباب الجيسة، وباب المحروق، ويصل في الأخير إلى فاس الجديد حيث مدافن الملوك العلويين.

من المعروف أن مدينة فاس استحقت منذ أمد طويل أن تدعى «دار العلم»، تحقيقاً لدعوة المولى إدريس، فتكثر بها قبور الصالحين والعلماء، ويفهم إقبال الناس على دراستها عبر العصور، ومن جهة أخرى؛ فإن معظم صلحاء فاس هم من علماء الإسلام المشهورين، وبعضهم من الكتاب أيضاً. وتشمل تراجم الكتاني الجميع، من شرفاء، وأعيان، وشيوخ الإسلام، وفقهاء ومتكلمين، وأساتذة قُدسوا بعد موتهم.

ونقدر منذ الآن أن عدد الشخصيات التي سيعرضها، سيكون ضخماً، يمكن أن نعد من بينهم أكثر من مائة وأربعين من مؤلفي الكتب الإسلامية، كما لاحظنا ذلك بمهارة العالم المستشرق كديرا.

ويوجد في «السلوة»، من جهة أخرى، إلى جانب الصلحاء العلماء، بعض الصالحين الشعبيين (الأميين)، الذين تلوّث أسماؤهم هذا الكتاب، ومع ذلك؛ فإن هؤلاء الصالحين الصغار الذين يدعون: سيدي المخفي، وسيدي مسا الخير، وسيدي قاضي الحاجة، إنما أشير إليهم على سبيل التذكير فقط، وقد ترك المؤلف جانباً متعمِّداً مثل أسلافه، جميع الأساطير المتداولة لهؤلاء

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

الصالحين، وقد سمع بها، وربما فتن بها في صغره كسائر أبناء الحضر.

كان على الكتاني ـ الذي يعرف جيداً مدينته ـ أن يجوب خلالها، ويصل إلى أصغر زواياها المخبأة ليضع معجمه، ويشعر القارئ أنه بحث في كل مكان، ورجع إلى الوثائق العائلية كلما أمكنه ذلك، ودخل إلى أصغر الأضرحة، وسجل مواقع الأضرحة بكل ضبط، ونقل ما عليها من كتابات، وبهذه الصفة؛ تدل «سلوة الأنفاس» على اهتمام متقدم بالبحث لا عهد لنا به في المغرب.

لكن الكتاني استعمل بصفة خاصة جميع كتب مواطنيه بطريقة متناهية في الدقة والأمانة، وأن قائمة المصادر المكتوبة بإيجاز وبدون عناية بأي ترتيب زمني، والمذكور في آخر كتابه[1]، لتظهر أن الخمس عشرة سنة التي قضاها في تأليف «السلوة»، لا تكاد تكفي لقراءة هذه المصادر والبحث فيها، وأخذ كل ما يجب أن يؤخذ منها.

وقد سبق أن رأينا الأهمية التي لهذه المصادر، وكانت منذ بضع سنوات موضوع دراسة خاصة[2]، إن هذه القائمة تكاد تكون كاملة فيما يخص كتب التراجم، وإذا كان فيها نقص كبير فيما يخص كتب التاريخ، فإنها مع ذلك تحتوي على المهم من المؤلفات المغربية غير التي تتعلق بالعلوم الإسلامية الصرفة.

ومن جهة أخرى، فإن الكتاني باستعماله المصادر لم ينج من أن يبدو ملفقاً من أسلافه المؤرخين وأصحاب كتب التراجم، لكنه يمتاز عنهم بأنه ليس ملفقاً ضعيفاً، وإنما هو ملفق أمين، فكل ترجمة في معجمه هي في الواقع خلاصة أو إعادة حرفية لجميع التراجم التي كتبت قبله لنفس الأشخاص، لكنه يترك لكل مصدر من مصادره مسؤولية ما قال، لا سيما أنه يعطي لكل ترجمة مراجع مغربية كاملة، وهو بهذا العمل مجدد بلا ريب!.

(1) «سلوة الأنفاس» 3/ 357 ـ 363.

(2) ر. باصي: «أبحاث ببليوغرافية عن مصادر سلوة الأنفاس»، الجزائر (1905م).

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

ولو أنه أضيفت إلى تلك الإشارات أرقام الأجزاء والصفحات؛ لما كانت «السلوة» أقل قيمة من الكتب العربية المؤلفة بالشرق في السنين الأخيرة، على الطؤق الحديثة. ومع ذلك؛ فإن «السلوة» على ما هي عليه؛ تكون أحسن كتب التراجم المغربية، وستظل وثيقة أساسية لكل من يقوم بكتابة تاريخ مآثر مدينة فاس، ويستحسن أن تنشر ترجمتها قريباً، فهي إجمالاً أفيد من الترجمات التي خصصت لكتب التراجم المؤلفة قبلها.

وقد تقبل المغاربة سلوة الأنفاس بقبول حسن، وأدرك كؤلفها شهرة فاقت شهرة أهله، وراح الناس يقلدونه في عمله، فمنذ بضع سنوات فقط؛ قام أحد أدباء مراكش وهو محمد بن محمد بن عبد الله ابن الموقت المسفيوي، المراكشي، المعروف من قبل بكتابته في التراجم، حيث أصدر كتابين صغيرين؛ أحدهما: عن أبي العباس السبتي[1]، والثاني: عن أسرته هو[2]، فألف معجماً طبوغرافياً عن صلحاء مراكش بعنوان: «السعادة البدية، في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية»[3].

وحاصل الكلام: إنه ليس سوى محاكاة باهتة لسلوة الأنفاس، لكن يوجد فيه بعض المعلومات المهمة، وستظل السعادة الأبدية مفيدة غلى أن يقوم عالم مراكش القاضي حالياً بسطات: العباس ابن إبراهيم المراكشي، الذي سبق أن أصدر ترجمة جيدة لسبعة رجال عاصمة الجنوب: «إظهار الكمال، في تتميم مناقب سبعة رجال»[4]، ويخرج للناس معجم تراجم علماء جنوب المغرب الذي يشتغل في تهييئه منذ عدة سنوات.

(1) «تعطير الأنفاس في التعريف بالشيخ أبي العباس»، طبع على الحجر بفاس عام (1336هـ).

(2) «إظهار المحامد، في التعريف بمولانا الوالد»، طبع على الحجر بفاس في هامش الكتاب السابق.

(3) طبع على الحجر بفاس عام (1336هـ) في جزأين.

(4) طبع على الحجر بفاس عام (1334هـ) في جزأين.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

Black plate (126,1)

كتاب «السلوة» قراءة في دلالة نص العنوان[1]

أ. د. عبد الوهاب الفيلالي[2]:

عرف النص الموازي في شخص العنوان غير قليل من اهتمام المنتج لصناعة الكتابة أو القول ومتلقيها منذ القديم، يدل على ذلك ما نلاحظه من معنى التطريز والتحبير، وأسلوبي السجع والازدواج، والتفنن في وضع عناوين المتون التراثية، وما تفضي إليه الدراسات المقارنة في المجال، أعني بين المتن وعنوانه، من تواصل دلالي عميق، وتوازن فكري دقيق، وإن اختلف الكم بينهما حجما وبناء.

يحيلنا ذلك على مكانة نص العنوان في بناء دلالة النص الرئيس، وفي تلقيه بعد إبداعه أو إنتاجه، ومدى ما يمكن فعله في المتلقي إغراء بالقراءة وتحبيباً للتتبع... كما يتربى لدينا وعي معرفي بقيمة العنوان في ذاته بناء ودلالة، وإلا ما السر في هذا الزخم من الدراسات الحديثة والمعاصرة، الغربية والعربية، الملتفتة إلى العنوان التفاتة تحليل ونقد حيناً، وتنظير حيناً آخر؟، إن في علاقته بذاته، أو في صلته بما يشاركه هوية النص الموازي المحيط (le peritexte) أو النص الموازي الفوقي[3] (l'épitexte)، أو في

(1) ترتبط هذه المداخلة بشبكة علائقية من المفاهيم النصية؛ منها: النص الرئيس، والنص الموازي، والميتا نص، والنص اللاحق، والنص السابق، وغير ذلك مما تداوله جيرار جنيت في كتاباته.

(2) أستاذ التعليم العالي بكلية الآداب، جامعة محمد بن عبد الله، فاس.

(3) النص الموازي الفوقي هو: كل الخطابات المتصلة بالنص الرئيس والموجودة خارجه؛ منها: التعليقات والقراءات النقدية، والشهادات والتقاريظ، والمراسلات والاستجوابات.

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

ارتباطه بالنص الرئيس (texte principal) المشكل للمتن وموضوعه «ولن نبالغ إذا قلنا إن العنوان يعتبر مفتاحاً إجرائياً في التعامل مع النص في بعديه: الدلالي والرمزي»[1].

يدخل نص العنوان، إذن، في علاقة وطيدة التواصل والتفاعل مع النص الرئيس؛ لأنه يشكل عصارته ومعادله، ومع المنتج له؛ لأنه مختصر فكره في ذلك النص ومفتاحه المعين له[2]، والمحدد بدءاً لقيمته ومستوى تلقيه. ولنعمد لاستكناه ذلك أو بعضه في العنوان موضوع دراستنا: «سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس»؛ إلى أي مدى كان وفياً لدلالة النص وحجم فحواه، وهل وازاه وشكل قيمة دلالية معادلة له ثم مضافة بفعل مقوماته الأسلوبية والإيقاعية والبنائية الهيكلية الصورية؟...

إذا كان الدرس المنهجي الغربي يقول، بلسان «هانس روبر ياوس» مثلاً: إن دراسة نص قديم في وقتنا الراهن كفيلة بأن تجيب على أسئلة معاصرة لنا وملحاحة في هذا المجال أو ذاك، وأن تتجاوز ذلك إلى فتح أفق تجارب جديدة[3]، فما بالنا بنصوص تراثنا العربي والإسلامي. وما دمنا في رحاب «السلوة»، ألا يعد هذا الكتاب نصاً من هذا القبيل القمين بفتح آفاق الاشتغال العلمي والمنهجي؟.

نعم؛ إنا نستند اليوم، وينبغي أن نفعل، إلى كتاب «السلوة» وما يماثله من كتب في مجاله للتثبت من أعلام العلم والصلاح في المغرب عامة وفاس خاصة، ولِتَبَيُّن أنواع من المعرفة التاريخية والأدبية والمنقبية والجغرافية وغيرها؛ إذ هو كما قال عبد السلام بن عبد القادر ابن سودة: «أجمع كتاب

(1) عبد الرحمٰن طنكول: «خطاب الكتابة وكتابة الخطاب في رواية مجنون الألم»، مجلة كلية الآداب، فاس ع9، 1987، ص135.

(2) تنظر تعريفات العنوان في:

- CHARLES GRIVEL: Production de l'intérêt Romanesque. Paris La HAYE MOUTON: 1973, p. 166/167.

(3) ينظر:

- JAUSSE(H.R): Pour une herméneutique littéraire. Ed. GALLIMARD: 1988, p. 436.

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

لتراجم علماء وصلحاء أهل فاس في العصور الأخيرة»[1]، وهو كما جاء عند محمد المنوني: «أكبر مصدر لتاريخ رجال فاس إلى عصر تأليفها، ولم يدون قبلها ولا بعدها ما يوازيها في موضوعها»[2]؛ مشيراً بذلك إلى «سلوة الأنفاس».

لقد جاء عنوان هذا الكتاب وفياً لمتنه وموافقاً لحجم فحواه، ومتجاوزاً ذلك إلى الإغراء باكتشاف خباياه وزيارة أحيائه وحوماته، والاستئناس بساكنته وإن تعددوا، ذلك أن صاحبه أحكم وضعه حين أتقن الموازنة بينه وبين المتن أو النص الرئيس، من خلال مراعاة الانسجام والتناسب أو التعالق المطلوب بين العنوان ومبدعه ومتلقيه وموضوع النص، ولو تداولنا كل طرف من العنوان ثم نسجنا، نسجل تحليل، العلاقة بين الأطراف ثم بين العنوان والنص والتلقي لاتضح ذلك جلياً، وإليكم البيان:

يتكون عنوان كتاب «السلوة» من الوحدات الآتية: السلوة ـ الأنفاس ـ المحادثة ـ الأكياس ـ العلماء ـ الصلحاء ـ الإقبار ـ فاس. تشكل خلايا ائتلافية من خلال تركيب الإسناد مرة، والعطف أخرى، والإضافة ثالثة: سلوة الأنفاس ـ محادثة الأكياس ـ العلماء والصلحاء ـ الإقبار بفاس. حيث يأتي الشق الأول من العنوان حاملاً معنى التحبيب والإغراء بأسلوب فني يشخصه التوازي أو التماثل القائم بين وحدتي: «سلوة الأنفاس» و«محادثة الأكياس»؛ في الموقع والتركيب والجرس الموسيقي وتقارب أو تكامل الدلالة؛ فالسلوة تتحدد بالأنفاس جمعاً، والمحادثة تتعين بالأكياس جمعاً كذلك، وكلا الطرفين أو الوحدتين ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالأخرى، ثم بعلماء فاس وصلحائها المشكلين للذوات الموضوع في النص الرئيس، حيث ينجلي في مستوى من القراءة أن الأنفاس هم عينهم الأكياس، وأن المحادثة سلوة، ويظل الكل

(1) «دليل مؤرخ المغرب الأقصى»، دار الكتاب، الدار البيضاء، ط2، 1960م، 1/ 67.
(2) «المصادر العربية لتاريخ المغرب» (الفترة المعاصرة)؛ منشورات كلية الآداب، الرباط: (1410هـ/ 1989م) 2/ 210.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

رهيناً بفضاء فاس، فيوحي هذا المسار ببناء تبئيري لا يزيد إغراء أو تحبيب المتلقي في استكشاف النص الرئيس إلا عمقاً وخباباً.

يتضح ذلك أكثر حين نعلم أن مدلول «الأنفاس» في بعد تأويلي ممكن يفيد الحياة والدينامية المتمركزتين في «السلو» أو الانشغال بأعلام فاس العلماء والصلحاء عن غيرهم. كذلك هو الشأن بالنسبة لمدلول «المحادثة» الذي يفيد الحركة والحياة لا السكون والموت، وتترسخ دلالته تلك في ارتباطه «بالأكياس ـ الأنفاس»؛ هؤلاء المتلقين المقصودين المتميزين في خلد المرسل المؤلف ووجدانه بالفطنة وحسن الفهم والظرف والتأدب، والكل يؤشر على موضوع ذي بال وتأليف ذي شأن يسمو بذاته على دلالة الموت إلى دلالة الحياة، ويعلو بأعلام كتاب «السلوة» أو قاطنيه عن مقام الانقضاء والانغلاق إلى مقام القذف والانفتاح مع الاستغراق؛ حيث تستمر حركة الأنفاس، وتتمادى محادثة الأكياس في كل جغرافية فاس؛ داخل السور وخارجه، وفي نفوس المؤلف والمتلقين، ويتحول الإقبار من دلالته المباشرة الأولى: الدفن بعد الموت، إلى دلالة الحياة واستمرارها من خلال هؤلاء الأعلام وعلمهم وصلاحهم، ثم هوية المكان المادية الحضارية والروحية الوجدانية، وكذا من خلال الدعم الصوتي المناسب لذلك والكامن في كينونة صوت السين المنساب باسترسال لطيف وفعال في وحدات «السلوة» و«الأنفاس» و«الأكياس»، ليجد ضالته في حاضرة فاس تلك؛ موطن أهل العلم والصلاح، والحاضرة صوتياً وتركيبياً ونفسياً ودلالياً في الجملة المنطلق: سلوة الأنفاس، والجملة القنطرة: محادثة الأكياس، والفضاء الهدف: فاس قفل العنوان، حيث تتحول كل هذه الأطراف أو المكونات في شبكتها العلائقية إلى موطن وجداني ذوقي وكيان موضوعي فعلي يأوي الذوات الموضوع في الكتاب: العلماء والصلحاء.

نخلص من كل ما قيل إلى أن هذا النص الموازي؛ عنوان هذا الكتاب أو النص الرئيس يحقق من خلال مكوناته اللغوية والأسلوبية وخصائصه البنائية والموسيقية دلالة عميقة موازية لمضمون الكتاب، ومسهمة في تحديده،

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

ومشرئبة إلى دلالة أعمق مما يوحي به ظاهره؛ ذلك أنه عنوان منفتح مهما انغلق، يغري بالقراءة ويحفز المتلقي ويثيره، ويبئر حجم المدلول وحمولته الدلالية، ويسافر في اتجاه النص الرئيس؛ في مسار إيقاعي يتناسب وفضاء موضوعه.

هكذا، تنجلي دلالة العنوان المستخلصة من عدد من مناحي قيمته:

1 ـ قيمته الفنية المتمثلة في حسن السبك، وإتقان الرصف، وبراعة التوليف، والتنسيق الأسلوبي والإيقاعي والبنائي المعماري بين مختلف مكوناته، وكذا وظيفته الأيقونية أو البصرية...

2 ـ قيمته الروحية الذوقية المستمدة من الخصوصية الوجدانية التي تطبع وحداته، وشبكتها البنيوية أو العلائقية، وما يوفره ذلك من تعميق لدلالة السفر أو السياحة الروحية والموضوعية في فاس مع أعلام من أهلها...

3 ـ قيمته الموضوعية، الوصفية الإيحائية الكامنة في إحاطته بفحوى النص الرئيس ومعادلته الموضوعية له، التي لم تخل من التحفيز أو الترغيب في ولوج عالم النص الرئيس وملامسة ديناميته وحيوية من أقبروا فيه من الأعلام[1].

4 ـ قيمته القدسية المتجلية في تآلف الإشارة الفنية والدلالة الموضوعية، والرمزية النفسية الروحية للفضاء الفاسي المليء بالمقدس الديني والروحي الصوفي والحضاري الفني...

من ثمة؛ يغدو عنوان كتاب «السلوة» نصاً منفتحاً لا منغلقاً، مستغرقاً لا مستغلقاً؛ يخبر فيؤثر، ويبلغ فينفع، ويبدع فيمتع، من خلال وظائفه الإغرائية والإيحائية والوصفية والتعيينية، وفي ذلك مكمن دلالته، وبؤرة مختلف تجلياته ووظائفه وقيمته. كيف لا وهو النص الذي ما زال، بانفتاحه الدلالي الملتزم

(1) ينظر حول القيمة التحفيزية للعنوان وغيرها:

- CLAUD DUCHEL: éléments de titrologie romanesque, in littérature.Paris. larouse;1973.n°12.

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

والمتزن، مواكباً لانفتاح كتاب «السلوة» ولوتيرة الاهتمام القائم به فهرسة ودراسات وقراءات؛ وكلها نصوص موازية يظل نص العنوان مؤهلاً للتلويح إليها واحتضانها وإن تعددت، بفعل دلالته الدينامية تلك التي تذوقنا معادلتها لدينامية كتاب «السلوة» في ذاته ومن خلال موضوعه، ونلمسها في وثوق صلة هذا الكتاب وأقرانه في الموضوع بما يتداول اليوم عن اقتصاد السياحة الروحية الذي يمكن أن يسلمنا إلى قراءة أخرى لدلالة العنوان يمسي معها الكيس سائحاً، ومحادثته تسويقاً لمنتوج سياحي روحي وحضاري... وسلوته تمتعاً بالفضاء الروحي وتذوقاً لجلاله وجماله وأجوائه المقدسة وجداناً وحضارة وعلماً وفناً...

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

البنية في «السلوة»

أ. د. أحمد العراقي[1]:

إن صدور كتاب «سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس» للعلّامة محمد بن جعفر الكتاني (ت1345هـ) في طبعته العصرية الجديدة المحققة[2] لا ينبغي أن يكون بحقّ إلّا حدثاً ثقافياً متميّزاً، يثري الحقل الثقافي عموماً بالمغرب، ويلبي رغبة ملحّة لدى المهتمين بشأن تاريخه الثقافي والعلمي والديني والاجتماعي من خلال رجالاته المقبورين بقاعدته العلمية مدينة فاس؛ فلطالما انتظروا صدوره في نشرة عصرية تساعدهم على الوصول بيسر إلى أغراضهم العلمية المختلفة فيه.

وكان صدوره أول مرة عن مطبعة فاس الحجرية قبل أكثر من قرن من الزمان، وذلك خلال سنة (1316هـ/ 1898م) قد شكّل آنذاك حدثاً ثقافياً متميزاً شدّ إليه انتباه المهتمين، وعلى رأسهم بوجه خاص الباحثون المستعربون. إنه لم يكن ما كان يصدر حينئذ من مؤلفات المغاربة ـ حسبما لاحظه أحدهم، وهو المستعرب الفرنسي روني باصي (R. Basset) ـ يثير انتباههم كثيراً؛ لكنه لم يتردّد في اعتبار صدور «السلوة» حدثاً متميّزاً يكتسي أهمية كبرى. ومردّ ذلك في نظره إلى الكمّ الضخم من المصادر التي كانت معتمد صاحبها في جمع مادتها، ولم يكن معروفاً منها آنذاك لدى هؤلاء

(1) أستاذ التعليم العالي، كلية الآداب، جامعة محمد بن عبد الله، فاس.

(2) صدر في ثلاثة أجزاء عن دار الثقافة بالدار البيضاء، خلال سنة (1424هـ/ 2004م)؛ بتحقيق: عبد الله الكامل الكتاني وحمزة بن محمد الطيب الكتاني ومحمد حمزة بن علي الكتاني.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

Black plate (133,1)

المستعربين إلّا القليل؛ وكذلك إلى سبقه على خلاف أسلافه وأقرانه من المؤرخين المسلمين إلى وضع لائحة بها في آخر كتابه، وهي جدّ مفيدة للباحثين على الرغم ممّا هي عليه من اقتصار على ذكر العناوين وأسماء المؤلفين وبدون ترتيب معيّن[1].

واحتفل المستعرب الفرنسي ليفي بروفنسال (E.Lévi - Provencal) بالسلوة أيما احتفال في ثنايا مؤلفه «مؤرخو الشرفاء» الذي أصدره سنة (1922م)، وجعل الحديث عنها مفصلاً في آخر مباحثه، واجتهد في تبيان مميزاتها المتعددة من حيث غناها المصدري وبناؤها العام وبناء تراجمها، واعتبر أنه «بهذه الصفة تدل «السلوة» على اهتمام متقدم بالبحث لا عهد لنا به في المغرب»[2] وأنّ صاحبها «قد حالفه النجاح كثيراً إلى حدّ أنّ معجمه أصبح يكوّن. . . أداة العمل الضرورية لكل من يهتم بالتراجم المغربية»[3].

وإذا كان ليس من غرضنا في هذا المقام أن نستعرض كلّ ما استقبلت به «السلوة» وعمل صاحبها فيها منذ طبعتها الأولى الحجرية إلى طبعتها العصرية الحالية، وهو موضوع جدير بالبحث لمن توفّرت له أسبابه البيبليوغرافية؛ فإنه ينبغي لنا أن نبحث عمّا جعل صدورها قد شكّل في الأول ويشكّل الآن حدثاً ثقافياً متميزاً.

ليس في الأمر شكّ أنّ في ذلك دليل على أن لها قيمة لم تبل. ولعلها تكمن في مادة تراجمها الغنية وما تتيحه للباحثين من معلومات في مجالات شتى تفيد المهتم بتاريخ المغرب عموماً من خلال رجالاته المقبورين بإحدى حواضره الكبرى وعاصمته العلمية مدينة فاس، وذلك على وجه الخصوص في جوانبه الثقافية والعلمية والدينية والاجتماعية.

---

(1) - R. Basset, Recherches bibliographiques sur les sources de la Salouat el -Anfas; (ds. Recueil de memoires et de textes publié en l'honneur du XIV^{o} congrès des oriontalistes; Alger; 1905): 1 - 4.

(2) «مؤرخو الشرفاء» لليفي بروفنسال: 274.

(3) المرجع السابق: 272.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

ولعلَّ قيمتها تكمن أيضاً في شكلها الذي أقامها مؤلفها عليه، والقصد إلى بنيتها العامة ثم بنية تراجمها الخاصة؛ وهو ما سنحصر النظر فيه هنا في محاولة للكشف عن مكوناته ومميزاته، ومدى جدّته، وكيف صار نموذجاً يحتذى به من قِبل غيره.

تطالع الناظر في البنية العامة للسلوة أقسامها الكبرى التي جعلها صاحبها عليها، وهي أربعة:

أما أولها: فهو عبارة عن تقديم مسهب في حوالي سبعين صفحة من جزئها الأول في طبعتها الجديدة، أقامه على تصدير وثلاث مقدمات. تناول في التصدير الحديث عن فاس وفضلاء رجالاتها في مجالات العلم والصلاح، وضرورة الاهتمام بذكرهم والتعريف بهم، وفوائده الكبيرة، مع الإشارة إلى بعض من ألّفوا في التاريخ لهم من السابقين، ثم الحديث عن شرطه أو منهجه الذي اختاره لمؤَلَّفه، وأخيراً تسميته.

وأما المقدمات الثلاث؛ فالأولى: في الحثّ على التبرك بذكر الصالحين والعلماء، والثانية: في حكم الزيارة وذكر فضائلها، والثالثة: في كيفيتها وآدابها.

وأما ثانيها: فهو الأساس والمقصود من وضع مؤلَّفه، وجعله لإيراد تراجم المشاهير من العلماء والصلحاء المقبورين بفاس، ورتّبه حسب مواقع دفنهم بها. وهو أكبر الأقسام الأربعة، ويقوم على ما يناهز ثلاثاً وأربعين ومائتين وألف ترجمة. [من الترجمة رقم 1 إلى رقم 1243].

وأما ثالثها: وهو من المقصود أيضاً، وتكملة له؛ فجعله لإيراد تراجم المقبورين بها ممّن لم تعلم مواقع دفنهم، ورتّبهم حسب أسمائهم. وعدّتهم مائتان وعشرة مترجمين. [من الترجمة رقم 1244 إلى رقم 1453].

وأما رابعها: فقد جعله مستدركاً على قسمها الثاني؛ أورد فيه من كان ترك ذكرهم ولم تكن لهم شهرة، ورتّبهم حسب مواقع دفنهم. وعدّتهم ثمانية وعشرون وأربع مائة مترجم. [من الترجمة رقم 1454 إلى رقم 1881].

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

ويبدو أن الذي شدّ انتباه عدد من الباحثين عند النظر في البنية العامة للسلوة ليس هذا التقسيم الذي وصفناه، وإنما ما سار صاحبها عليه في ترتيب تراجم قسميها الثاني والرابع ـ وهما معظمها ـ ترتيباً اعتمد فيه التنقل بين مواقع دفن مترجميه داخل المدينة ثم خارجها. فقد سلك مسلكاً جغرافياً انطلق فيه من مركزها، وهو ضريح مؤسسها المولى إدريس الأزهر، وأخذ ينتقل لمواقع الدفن بالأحياء من حوله دورانا بلغ به إلى حدود أبوابها من داخلها ثم إلى ما هو واقع منها خارجها. وكان اختياره لهذا المسلك قد حرّره من التقيّد بترتيب تراجمه ترتيباً زمنياً حسب الوفيات، وكذلك من التقيّد بترتيبها حسب الأسماء، وإن كان قد اضطر إلى اعتماده في تراجم القسم الثالث التي لم تُعْلم مواقع دفن أصحابها.

ويمكن اعتبار «السلوة» ـ بالنظر إلى هذا الجانب المتميز الذي اختاره مؤلِّفها لبنيتها العامة ـ معجماً جغرافياً لأعلام فاس من العلماء والصالحين المقبورين بها، يتيح للباحث المهتم التعرف على عدد من رحابها وبقاعها وأمكنتها من داخل وخارج أسوارها من خلال مواقع دفنهم.

وكان المستعرب الفرنسي ليفي بروفنسال قد أعجب كثيراً بصنيع الكتاني هذا واعتبره «مسلكاً لا يخلو من غرابة»، تميّز به، «وراح الناس يقلدونه في عمله»؛ وأشار إلى محاولة محمد بن الموقت في «سعادته الأبدية» النسج على منوال «السلوة» في جعلها معجماً طبوغرافياً عن صلحاء مراكش، ولكنه وجد عمله فيها مجرّد محاكاة باهتة![1].

وذهب أحد الباحثين من بعده كثيراً أبعد من ذلك، فاعتبر صنيع صاحب «السلوة» في ترتيب تراجمه على أساس المواقع الجغرافية لمدينة فاس منهاجاً جديداً لم يُؤْلَف في كتب التراجم السابقة المعتمدة إما على التسلسل الزمني وإما على الترتيب الأبجدي[2].

(1) نفسه: 273 ـ 275.

(2) «العالم محمد بن جعفر الكتاني وكتابه سلوة الأنفاس» لعبد الإلٰه الفاسي (المناهل: عدد 54، سنة 1997م): 153.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

وإذا كان لنا أن نشاطر هذين الباحثين ـ وغيرهما ـ تقديرهما لهذا الصنيع والإعجاب به، فإن ذلك لا يمنع من ملاحظة أن الكتاني لم يكن مبتدعه وصاحبه الأول فيمن ترجموا للأعلام المقبورين بفاس؛ والظاهر أنه تأثّر غاية بصنيع مؤلِّف «الروض العطر الأنفاس، بأخبار الصالحين من أهل فاس»، وكان انتهى من تأليفه أواخر القرن الحادي عشر الهجري (1099هـ). وقد كان «الروض» من المصادر التي نوّه بها الكتاني واعتمدها كثيراً، ونقل معظم تراجمه في سلوته، وزاد فيها معلومات جديدة وتعاليق[1]. فنحن واجدون أن «الروض» قد تغيّى صاحبه فيه مقصوداً وأقامه على ترتيب، نراهما شبيهين إن لم يكونا هما نفس المقصود الذي تغيّاه الكتاني من بعده في «السلوة»، وكذلك نفس الترتيب الذي اختاره لها.

لقد أشار صاحب «الروض» في مقدمته إلى مقصوده فيه قائلاً: «وقد تحرك مني العزم الساكن لجمع تقييد أذكر فيه من وقفت على تعريفه من الأولياء الكائنين بقاعدة المغرب مدينة فاس»[2]؛ ونراه قد سبق إلى ترتيب تراجمه بحسب مدافن أصحابها داخل الأبواب أو خارجها، وتتبّع أحياناً مدافنهم داخل الحومات والروضات[3]؛ وسبق أيضاً إلى جعل منطلق عمله ضريح مؤسس المدينة المولى إدريس الأزهر، قال: «فلنبدأ بمن يجب البدء به وتقديمه، وإكباره بالتصدير وتعظيمه؛ وهو: إمام فاس وسلطانها وبانيها، وواسطة عقدها وحرزها وبركتها وأمانها...»[4]؛ وقال بعد إيراد ترجمته: «ثم لنبدأ من أهل بلدته بمن هو في جهة قبلته، ونستفتح بأهل باب الفتوح...»[5].

وكان هو ـ أيضاً ـ سابقاً إلى وضع ذيل بأعلام المقبورين بفاس ممّن لهم ذكر بين الناس ولم يعثر لهم على ترجمة؛ وعلى هديه أيضاً سار الكتاني في القسم الرابع من سلوته.

---

(1) «الروض العطر» لابن عيشون الشراط، مقدمة محققته: زهراء النظام: 36.
(2) المصدر السابق: 47.
(3) نفسه، مقدمة محققته: 29.
(4) نفسه: 48.
(5) نفسه: 49.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

لعلنا لن نجافي الحقيقة إذا قلنا الآن إن «السلوة» هي محاذاة للروض في الفكرة والإنجاز ـ أو بتعبير آخر: في المقصود والترتيب ـ ولكنها محاذاة متطورة بقدر كبير، يحفظ لها قيمتها التي يعرفها لها الباحثون المهتمون، وذلك من حيث عدد التراجم ومضامينها، وعدم الاقتصار فيها على الأولياء دون العلماء، وكذلك من حيث إحكام الترتيب القائم على منزع جغرافي قضى بالتنقل انطلاقاً من مركز المدينة ـ وهو: ضريح مؤسسها ـ والدوران بالأحياء من حوله في اتجاه عقربي الساعة على حدّ تعبير ليفي بروفنسال[1]، انتهى إلى حدود أسوارها من داخلها ثم إلى خارجها.

ليست البنية العامة للسلوة هي كلّ ما شدّ ـ ويشدّ ـ انتباه الباحثين المهتمين إليها، فعمل صاحبها فيما قامت عليه تراجمها كان موضوع تقدير كبير أيضاً؛ بل لعلّ قيمتها الكبرى تعود إلى هذا الجانب أكثر من غيره، ذلك أنه هو الأساس والمقصود فيها. فعلى ماذا قامت بنية تراجمها الخاصة؟، وماهي العناصر المكونة لها؟، وكيف هي؟، وماذا لابسها؟، وكيف رتبت المعلومات فيها؟، وكيف وثقت؟، وهل كان لشخصية صاحبها ظهور إزاء ما ينقله فيها؟...

لا مراء في أن كتابة الترجمة لا تكون اعتباطاً دون خطة معينة يضعها مؤلفها نصب عينه، وتقوم على توفير جملة عناصر محدّدة، تجعل لها بنية ما، تشترك فيها بشكل أو بآخر مع غيرها من التراجم السابقة واللاحقة في نسق مؤَلَّف وُضع في التراجم مثل «السلوة». نحن نجد أنه قد تعددت العناصر التي أقام الكتاني عليها تراجمه وحددت بنيتها، وهي تختلف اختلاف أصناف المترجمين ووفرة المعلومات عنهم أو شحها، وغير ذلك ممّا قد يتحكّم في إضافة عنصر معيّن إلى غيره أو حذفه. ويبقى أن أهم هذه العناصر التي أدار عليها عموم تراجمه، وعليها يقوم عمودها الذي به أساسها؛ هي:

ـ ذكر اسم المترجم وتحليته بما يناسب مقامه في العلم أو الأدب، أو

(1) «مؤرخو الشرفاء»: ص273.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

الصلاح أو الشرف، أو ما إليها من أسباب التميز والشهرة. وكثيراً ما يتضمن هذا العنصر ذكر الكنية والتعريف بالنسب ورفعه أحياناً إلى الجد الأعلى؛ وقد يعمد إلى الإشادة أو إلى التصحيح أو التمريض عندما يكون في الأمر ما يحمل على شيء من ذلك.

- ذكر ما يتعلق بنشاطه العلمي إن كان من العلماء؛ ويتضمن عادة ذكر المشايخ وما أخذ عنهم، والتلاميذ وما أخذوا عنه، والحرص على ذكر تنقلاته ـ إن كانت له ـ وبخاصة الرحلة إلى المشرق وما تمّ له فيها أخذاً وعطاء، وإلى نوع عمله وما قد يكون أسند إليه من مهام، وسيرته فيها؛ ثم ما قد يكون خلّفه من آثار فكرية أو إبداعية إن كان أديباً شاعراً أو ناثراً.
- ذكر ما يتعلق بأحواله وكراماته إن كان من أهل الصلاح؛ ويتضمن عادة ذكر سنده الصوفي وطريقته، وعمّن أخذ ومن أخذ عنه، وتحقيق سنده في ذلك، وما قد يكون تمّ له من سياحة في البحث عن الشيخ المربي. وقد لاحظ بعضهم أن الكتاني قد سلك في كتابه أصنافاً ممّن سمّاهم بالصالحين الشعبيين (الأميين)، مقابل (الصالحين العلماء) وآخذه على ذلك واعتبره غير لائق به، وإن كان قد وجد أنّ ما أشار إليهم «على سبيل التذكير فقط، وقد ترك... جانباً..... جميع الأساطير المتداولة لهؤلاء الصالحين، وقد سمع بها، وربّما فُتن بها في صغره كسائر أبناء الحضر»[1]. ويبدو أن الكتاني كان قد بلغه شيء من هذه المآخذ، فأذن لبعض تلاميذه باختصار كتابه «وحذف ما ذكر فيه ممّا ظاهره مخالف لمعتقد أهل هذا العصر»[2].
- ثم يأتي عنصر ذكر الوفاة؛ ويحرص على تحديد تاريخها تحديداً دقيقاً باليوم والشهر والسنة، إن تيسّرت له أسباب ذلك؛ كما يحرص على تحديد موقع الدفن وموضع القبر بين غيره، وما قد يكون كتب على شاهده. وقد

(1) المرجع السابق: 274.

(2) «الأنس والاستئناس» لمحمد العربي العزوزي: 1/ 13.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

ينصرف إلى وصف مشهد الجنازة، وذكر بعض من حضرها، وأين صُلِّي عليه، ومَن صلّى عليه. كما قد يشير أحياناً إلى ما كان للمترجم من العمر عند وفاته، إن بالتقريب غالباً أو بتحديد سنة ولادته. ولكن هذا لا يرد إلا قليلاً، وتعيينه غير حاصل كثيراً؛ ومردّ ذلك إلى ما كان سائداً بين الأكابر من اعتبار الإخبار بالسنّ ليس من المروءة، ويُروى في هذا الشأن عن الإمام مالك أن «إخبار الشيوخ عن سنّهم سفه»[1].

- وهناك عنصر أساس في تراجم القسمين الثاني والثالث؛ وهو: ذكر مصادرها، ونقل كثير من مواد عناصر الترجمة عنها، إن بالحرف، والنصّ عليه بلفظ القول، وعلى الانتهاء منه بلفظ: انتهى. وإن بالتصرف، والنصّ عليه. ويختفي هذا العنصر في تراجم القسم الرابع، وعدم توفره فيه راجع لعدم وقوف المؤلِّف على شيء من المصادر في شأنها، وإن ذلك هو ما جعله يفصل تراجمه عمّا في القسم الثاني، وقد اكتفى فيه بما يذكر على ألسنة الناس «متبرئاً ـ على حدّ تعبيره ـ من عهدة ما عسى أن يكون طرأ في بعضهم من التغيير والالتباس»[2].

ويعتبر هذا العنصر لبنة قوة في بنية تراجم «السلوة»، فرضه الكتاني خلالها، وأتى في آخر كتابه بجرد عام لجملة منها «ليكون ذلك ـ كما قال ـ أهدى لمن أراد أن يرجع إلى شيء منها»[3]. ولعل هذا الصنيع يعكس لنا بصدق مدى حسه التوثيقي وصرامته.

وقد كان هذا العنصر أكثر شيء لفت انتباه الباحثين المستعربين في عمل الكتاني في سلوته؛ فاعتبره روني باصي ـ كما مرّ بنا أوّلاً ـ أساس أهميتها الكبرى، وجعله موضوع دراسة خاصة[4]. ونوّه به ليفي بروفنسال كثيراً فيما كتبه عن «السلوة» في كتابه «مؤرخو الشرفاء»؛ فأشاد بكثرة مصادرها وغناها،

---

(1) «رياض الورد» لمحمد الطالب ابن الحاج: 2/ 89 ـ 90.
(2) «السلوة»: 3/ 410.
(3) المصدر السابق: 3/ 491.
(4) هي مقالته التي أشرنا إليها سابقاً في هوامش هذا البحث.

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

وبحسن طريقة استعمالها من قِبل مؤلِّفها. وقد لاحظ أن «الكتاني استعمل بصفة خاصة جميع كتب مواطنيه بطريقة متناهية في الدقة والأمانة، وإن قائمة المصادر المكتوبة... في آخر كتابه؛ لتظهر أن الخمس عشرة سنة التي قضاها في تأليف «السلوة» لا تكاد تكفي لقراءة هذه المصادر والبحث فيها، وأخذ كل ما يجب أخذه منها»[1].

كما لاحظ ـ أيضاً ـ أنه: «باستعماله هذه المصادر لم ينج من أن يبدو ملفقاً مثل أسلافه المؤرخين وأصحاب كتب التراجم، لكنه يمتاز عنهم بأنه ليس ملفقاً ضعيفاً وإنما هو ملفق أمين!، فكل ترجمة في معجمه هي في الواقع خلاصة أو إعادة حرفية لجميع التراجم التي كتبت قبله لنفس الأشخاص، لكنه يترك لكل مصدر من مصادره مسؤولية ما قال، لا سيما أنه يعطي لكل ترجمة مراجع مغربية كاملة، وهو بهذا العمل مجدد بلا ريب»[2].

وإذا كنا لا نقلّل من قيمة هذا العنصر وأهميته الكبرى؛ فإنه مع ذلك ينبغي أن نشير إلى أن الكتاني لم يكن صاحب الصنيع الأول فيه، وإن كان قد طوّره عمّن سبقوه وألحّ عليه إلحاحاً. فقد تقدّمت لغيره بذوره، ومنهم على الخصوص صاحب «الروض العطر الأنفاس»، وهو كما نعلم من مصادر «السلوة» المعتمدة، فكثيراً ما كان يحرص في نقول مواد تراجمه على ذكر اسم مصدره واسم مؤلِّفه، وينصّ على بداية النقل ونهايته، وأنه بحروفه، أو باختصار إن كان تناوله به. ومن الغريب حقاً في هذا المقام ألّا يلتفت باحث مثل ليفي بروفنسال إلى شيء من هذا، وكان قد وقف على نسخة خطية من «الروض» وعرّف به في كتابه «مؤرخو الشرفاء»[3]. ولكنه فيما يبدو لم يمعن النظر فيه طويلاً ليستخلص صنيع صاحبه فيه؛ ولعل إعجابه الكبير بالسلوة كان قد صرفه أحياناً كثيرة عن تقدير صنيع غيرها وتجاوزه إليها والتصريح به كما نراه يقول معقِّباً في آخر حديثه عن «الروض»: «ومهما يكن؛ فإننا نجد في

(1) «مؤرخو الشرفاء»: 274.
(2) المرجع السابق: 275.
(3) نفسه: 198 ـ 199.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

«السلوة» تراجم جميع من ذكروا بالروض؛ ولذا يسوغ لنا أن نرى «السلوة» من المصادر التي لا غَناء عنها للمهتم بتاريخ تراجم أعلام المغرب»[1].

وينبغي بعد استعراض أهم العناصر التي قامت عليها بنية تراجم «السلوة»؛ أن نشير إلى ما كان يتخلّلها أحياناً فيضيف إليها غيرها ممّا قد لا يكون على شرط وضعها الأول، وهو الاستطراد إلى إيراد تراجم عرضية لبعض الأعلام ممّن لم يقبروا بفاس، يتحيّن له فرصة ذكر مشيخة المترجم أو التلمذة له أو أصله أو ذريته، أو أية علاقة أخرى يقضي بها حاجة في نفسه للتعريف بهم قبل الرجوع إلى مترجمه. ولنا أن نمثل لهذا بما تخلّل الترجمة الثانية في «السلوة»؛ وهي: لعمر بن إدريس الأزهر، فقد تضمّنت ترجمتي كل من أبي الحسن الشاذلي دفين صحراء عيذاب على شاطئ بحر جدة، ومحمد بن أحمد المعروف بالشريف التلمساني دفين تلمسان، وكلاهما من أعلام ذرية المترجم. وقد أحسن محقّقو «السلوة» في تمييز هذه التراجم العرضية، وجعلها تحت أرقام هي أيضاً، كان الأولى ألّا تكون ضمن أرقام التراجم الأصلية في تسلسلها، وإنما مستقلة عنها، حتى يبقى عدد التراجم الأصلية معلوماً متميّزاً.

وقريب من هذا: الاستطرادُ أحياناً إلى ذكر بعض الأحداث التاريخية أو الحضارية أو ما إليها ممّا يكون له علاقة معينة بالمترجم؛ ومنه مثلا: ما أورده ضمن ترجمة المولى إدريس الأزهر ـ وهي: أولى تراجم «السلوة» ـ من حديث عن تأسيس مدينة فاس واستعراض جملة من فضائلها.

وقريب منه أيضاً ـ وإن لم يكن من جنسه ـ ما خلّل به عدداً من تراجمه من مادة شعرية، تتوزع إلى أنظام وأشعار، أتى بها يستشهد لمقاصده المختلفة. فغالب الأنظام جاء به لتوثيق وفيات بعض الأعلام والتعريف بهم؛ وتأتي على رأسها: منظومة أبي عبد الله محمد المدَرَّع (ت1147هـ) في مشاهير صلحاء فاس، التي لخّص فيها كتاب «الروض العطر»[2]، وقد ضمّن منها أكثر من نصف أبياتها الخمسمائة؛ ثم منظومة أبي عبد الله محمد بن أبي بكر

(1) نفسه: 199.

(2) ؟؟؟.

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

اليازغي (ت1238هـ) «حدائق الأزهار الندية في التعريف بأهل الزاوية الدلائية البكرية»، وقد ضمّن منها في نحو عشرين موضعاً. وأما الأشعار؛ فتختلف موضوعاتها، ومنها: ما أورده لأصحابه عند الترجمة لهم، ومنها ما قيل فيهم أو ممّا دعت إليه حاجة متعلقة بهم. وهي ـ في عمومها ـ إما مقطوعات أو مجرّد أبيات مفردة[1].

وقد يكون فيما ذكرناه من أنواع الاستطراد والاستشهاد دليل على حرص المؤلَّف على إغناء تراجمه بما يجعلها مستوفية لأغراضه فيها، وذلك حسبما تسعفه به مصادره من مواد قد تكون كثيرة وافرة لشهرة صاحبها، فتطول لذلك أحياناً بعض تراجمه، ولكن دون إسراف، وإنما يكون ذلك كما قال: «على سبيل الاختصار، من غير تطويل مملّ ولا إكثار»[2].

لقد حاولنا فيما تقدم لنا؛ النظر في بنية «السلوة» العامة، وفي بنية تراجمها الخاصة؛ ولا شك في أن عمل صاحبها فيها قد كان جانباً مهمّاً من الجوانب التي لفتت انتباه الباحثين إلى «السلوة»، فنوّه بعضهم بها أيما تنويه، واعتبر صاحبها مجدّداً في صنيعه؛ وإن كنا قد وجدنا أنه لم يكن سابقاً تمام السبق فيما رام، وإنما له فضلُ تطويرِ عمل من تقدّموه وإحسانِ إحكامه.

مصادر ومراجع البحث

- «**الأنس والاستئناس**»، لمحمد العربي العزوزي الإدريسي، (ج1)، د. ط، د.ت.
- «**الروض العطر الأنفاس، بأخبار الصالحين من أهل فاس**»، المنسوب لمحمد بن عيشون الشراط دراسة وتحقيق: زهراء النظام، ط1، منشورات كلية الآداب، بالرباط، 1997م.
- «**رياض الورد فيما انتمى إليه هذا الجوهر الفرد**»، لمحمد الطالب ابن الحاج، تحقيق: د. جعفر ابن الحاج السلمي، (ج2)، ط1، منشورات كلية الآداب وجمعية تطاون أسمير، تطوان، 1999م.

(1) نفسه: 216.

(2) «السلوة»: 1/ 3.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

- «**سلوة الأنفاس، ومحادثة الأكياس، بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس**»، لمحمد بن جعفر الكتاني، ط. حجرية، فاس، 1316هـ، وبتحقيق: عبد الله الكامل الكتاني، وحمزة بن محمد الطيب الكتاني، ومحمد حمزة بن علي الكتاني، ط1، دار الثقافة، الدار البيضاء، 2004م.
- العالم محمد بن جعفر الكتاني وكتابه «**سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بمدينة فاس**»، لعبد الإلٰه الفاسي، مقال بمجلة «المناهل» (المغربية)، عدد 54، سنة 1997م، (ص116 ـ 162).
- «**مؤرخو الشرفاء**»، ليفي بروفنسال، تعريب: عبد القادر الخلّادي، ط1، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1977م.
- R. Basset, Recherches bibliographiques sur les sources de la Salouat el - Anfas; (ds. Recueil de memoires et de textes publiإ en l'honneur du XIV° congrةs des oriontalistes; Alger; 1905): pp 1 - 47.

Black plate (144,1)

نظرات في منهجية كتاب «سلوة الأنفاس»

أ. د. محمد بن عبد المالك الكتاني[1]:

يعدُّ كتاب «سلوة الأنفاس، ومحادثة الأكياس، بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس» للعلامة شيخ الإسلام محمد بن جعفر الكتاني، المتوفى بفاس سنة (1345هـ/ 1927م) من كتب التراجم والمناقب، التي تزخر بها المكتبة الإسلامية في المشرق والمغرب، والتي تعتبر نمطاً من تاريخ المجتمعات الإسلامية، في ثقافتها وموروثها الحضاري. ولذلك يعد الكتاب «السلوة» مصدراً تاريخياً للأعلام الذين كان لهم أثرهم في مجتمع فاس على امتداد العصور، ودليلاً لا يستغنى عنه، في قراءة ذاكرة فاس، التي يتجاوز تاريخها ألفاً ومائتي سنة، واستحضار ما كانت تختزنه من طاقات روحية، **ورموز دينية وعلمية.**

والمؤلف من أعلام المغرب في القرنين الثالث عشر والرابع عشر. ولد بفاس وبها نشأ وتلقى تكوينه العلمي. ثم تصدر للتدريس بجامعة القرويين، وبغيرها من المدارس والزوايا، مبرزاً في الفقه والحديث. كما شارك في الحركة الإصلاحية في عهد السلطان المولى الحسن الأول (1873 ـ 1894م) وأهم أفكاره الإصلاحية واردة في رسالته المشهورة: «نصيحة أهل الإسلام بما يدفع عنهم داء الكفرة اللئام» التي قدمها للسلطان المولى عبد العزيز (1900 ـ 1908م).

وقد هاجر إلى المدينة المنورة ثم إلى الشام، قبيل عقد الحماية

(1) أستاذ التعليم العالي، عضو أكاديمية المملكة المغربية.

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

بالمغرب. فاستقر على التوالي بهما، محاطاً بتقدير عدد كبير من العلماء والحكام، وأشراف الحجاز والشام، ثم عاد إلى المغرب، لكنه وجد أحواله تحت الاحتلال الفرنسي لا يمكن قبولها. فهاجر مرة أخرى حوالي سنة (1918م).

وعاد في آخر المطاف إلى مسقط رأسه. فاستأنف نشاطه العلمي الديني بجامعة القرويين، واشتهر بالعلم الغزير، والاستقامة الخلقية والصرامة في أمور الدين، والغيرة على المسلمين. وكان يعدُّ إلى جانب ذلك شيخاً ومربياً لجيل من العلماء الدعاة والمصلحين. من تلاميذه: أحمد الشريف السنوسي زعيم الحركة الإصلاحية بليبيا، ومحمد بن عبد الكريم الخطابي زعيم الثورة الريفية. وقد ترك العديد من الكتب والرسائل التي تناهز الثمانين.

لكن أشهرها هو: «الرسالة المستطرفة في مشهور كتب السُّنَّة المشرفة»، و«نظم المتناثر من الحديث المتواتر»، و«سلوة الأنفاس» **الذي هو موضوع هذا الحديث.**

وبوسع الباحثين في التاريخ وعلم الاجتماع والحضارة أن يجدوا في كتاب «السلوة» منجماً لا ينضب من المعطيات التاريخية؛ لأنه يترجم لأكثر من ألف وأربعمائة شخصية، من كل شرائح المجتمع الفاسي. نذكر منهم: الأولياء والعارفين بالله، وشيوخ التربية، والفقهاء والمحدثين، والأساتذة المدرسين، والقضاة والفرضيين، والعدول والخطباء، والأدباء والمقرئين، والكُتَّاب والمؤرخين، والعباد والمجذوبين... دون إغفال الترجمة للنساء أيضاً ممن عرفن بالعلم والصلاح، مضيفاً إلى هذا العدد نحو الثلاثمائة من المغمورين أو ممن لم يشتهر الشهرة المعتبرة.

لقد كان بين يدي المؤلف من الكتب المؤلفة في هذا الموضوع الشيء الكثير، وما ذكره في فهرس مراجعه، لكنه أقدم مع ذلك على جمع ما تفرق في التقاييد والكتب المؤلفة في تاريخ فاس وأعلامها، والتأليف فيها من جديد، صادراً في ذلك عن إيمان بضرورة استحضار ذكريات رجال كانوا وسيظلون قدوة في العلم والتربية والصلاح.

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

ولا شك في أنه كان بين ثلاثة مناهج معروفة في التأليف في الموضوع؛ وهي: ترتيب الأعلام حسب الفئات أو الطبقات، أو ترتيبهم حسب أعلام المئات، أو ترتيبهم حسب التعاقب في الزمان، أو ترتيبهم حسب التواجد في المكان، وقد اختار الترتيب الأخير الذي عمل به قبله القاضي محمد العربي بردلة (1134) في كتابه «تقيد في صلحاء فاس»، وربما كان غرضه من وراء هذا الاختيار هو تقديم صورة عن مدينة تجانست فئاتها الاجتماعية، ففي كل حي من أحيائها شرفاء وأولياء وعلماء وقضاة ومجاذيب. وفي كل حي من أحيائها عاش أعيان من قبائل المغرب في الشمال والجنوب ومن الصحراء، ومن الأندلس، وإن كنا قد لاحظنا أن حومات معينة غلب على سكانها أو دفنائها أسرة معروفة؛ ففي زقاق البغل والقطانين مثلاً يوجد بكثرة السوديون، وفي باب النقبة والسبع لويات الشرفاء الصقليون، وفي حومة جزاء ابن زكون وسيدي العواد الفاسيون.

ويمكن للباحثين استخلاص معطيات مجتمعية هامة من هذا النسيج الاجتماعي.

لقد رتب المؤلف أعلامه ـ كما قلت ـ حسب مدافنهم في أحياء المدينة العتيقة، أو ما يحيط بها. بادئاً بالحرم الإدريسي، الذي يتوسطه ضريح المولى إدريس مؤسس المدينة، ومنتقلاً منه إلى ما حوله من الأحياء والحومات، ومن هذه الأحياء ما يحتضن زهاء مائتي قبر لأعلام فاس المعروفين المنسوبين إلى الأسر الفاسية أو إلى القبائل المغربية أو إلى المدن والجهات التي جاؤوا منها، أو إلى الزوايا، أو من السلاطين؛ كأبي عنان المريني، والمنصور الذهبي، والسلطان سيدي محمد بن عبد الله، والسلطان مولاي سليمان.

وبعد استيفاء تراجم هؤلاء؛ أورد المؤلف تكملة في ذكر أعلام آخرين ثبتت وفاتهم بفاس. لكن لم يتعين محل دفنهم بها، وهذا في نظره لا يمنع من الوقوف على تراجمهم. وقد رتبها حسب حروف المعجم على خلاف المنهج الأول في الترتيب؛ كالإمام الحافظ أحمد القباب (778هـ)، وكالعالم أحمد بن جيده المديوني أستاذ كرسي علم الكلام بالقرويين (951هـ)، وكالفيلسوف ابن

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

باجة (533هـ)، وكالإمام الصوفي محمد بن قاسم التجيبي، والإمام الفقيه محمد بن محمد المقري الكبير (759هـ)، وإمام المعقول والمنقول محمد بن إبراهيم الآبلي (757خ).

وبذلك يؤكد كتاب «السلوة» أن مدينة فاس كانت بوتقة حضارية واجتماعية انصهرت في تركيبتها السكانية كل القبائل المغربية الأطلسية والصحراوية مع الأندلسيين والأفارقة.

أما منهجية الكتاب؛ فتتجلى في جمع المادة وتوثيقها، وفي تمحيص الروايات ومقارنتها، وفي الضبط والتدقيق في كل ما يسوقه من معلومات. وسنقدم الأمثلة الدالة على ذلك.

أما العنوان المسجّع للكتاب؛ فيمكن القول بأنه مقتبس أو مستلهم مما سبقه من كتب رجع إليها المؤلف. أو يغلب على الظن ذلك. مثل كتاب: «الروض العطر الأنفاس، بأخبار الصالحين من أهل فاس» المنسوب لابن عيشون، . و«سلوة الخاطر» لابن الحاج، و«سلوة الطالبين» في التصوف لابن حمويه، و«حياة الأنفاس، في التعريف ببعض صلحاء فاس» للجوطي الذي اتبع مؤلف «السلوة» منهجه في الترتيب.

ومن حيث البناء العام للكتاب؛ نرى المؤلف يقدم في البداية نظرة مستفيضة عن مكانة مدينة فاس في تاريخ المغرب. وعن فائدة التعريف بالعلماء والأولياء، ثم يكتب مدخلاً للكتاب يتحدث فيه عن كل ما يتصل بزيارة القبور والتبرك بها. من حكم شرعي، وآداب مرعية، ومنهيات يقع فيها العامة.

ونلاحظ هنا: أن المؤلف أخذ بالمنهجية الحديثة، حينما تحدث في مدخل كتابه عن الكتب التي سبق لها تناول موضوعه، فذكر المراجع التي تناولت الترجمة لعلماء فاس وأعلامها من كل صنف. تاركاً للقارئ أن يلاحظ من خلال المقارنة أن «سلوة الأنفاس» أكثر استيعاباً للمعلومات مما سواه. فالمؤلف يجمع المادة من عشرات المصادر والمراجع المؤلفة في الحديث وشروحه، وكتب التصوف والتاريخ والمناقب، وطبقات الفقهاء والصوفية

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

والأعيان. كما اعتمد إلى جانب هذه الكتب الوقوف على الأضرحة والآثار، والأماكن ذات الصلة من دور ومساجد وزوايا، مقدماً في الأخير وعلى منهج الباحثين المعاصرين، الكتب المرجعية المعتمدة في كتابه. فذكر نحو المئة والخمسين مرجعاً، بما فيها عشرون فهرسة من فهارس العلماء، معتمداً ـ بالإضافة إلى ذلك ـ ما تلقاه من أفواه أعيان فاس من علماء وأكابر، وما التقطه من بطون التقاييد والدفاتر.

ولعله لم يذكر إلا الأهم؛ لأنه لم يشر إلى أخرى من بينها كتاب لا شك في أنه رجع إليه؛ وهو: «تقييد في صلحاء فاس» للقاضي محمد العربي برذُلة المتوفى سنة (1134هـ)، الذي ترجم له في الجزء الثالث.

أما طريقته في تحرير الترجمة؛ فنراه يتوخى الإيجاز والتركيز في الغالب، فبعض التراجم لا يتعدى بضعة أسطر. وبعضها الآخر يتجاوز الصفحتين والثلاث، حسب ما تسمح به المادة المتوفرة عن كل شخصية، لكن بعض مترجميه يحظون بأكثر من ذلك؛ كالإمام العارف محمد بن عباد النفزي؛ إذ خصه بتسع صفحات.

ويتبع المؤلف في كل تراجمه التقديم للشخصية بما يفيد الفئة التي تنتمي إليها، والصفة الغالبة عليها، ذلك في عبارات محكمة النسج، مسجعة الأسلوب، بليغة الصياغة، موشاة بالتحلية اللائقة بالشخصية؛ من علم أو قضاء، أو رياسة أو ولاية، ثم يسوق ما يعتبره أساسياً لمعرفتها من تاريخ ميلاد ووفاة، ونسب وتأليف أو تصنيف، ومن شيوخ وتلاميذ، ومن ترجم له من العلماء قبله. وقد يذكر حتى ما كتب في رخامة أو حجر منقوش على قبر المترجم على أساس المعاينة والوقوف على ذلك القبر. وهو يتحرى في جمع معلوماته، التقصي للأخبار والتثبت في الأحكام.

ومن المهم الإشارة إلى أنه لم يذكر خلال تراجمه أي شيء عن المترجمين لهم إذا كان مما يستهجن ذكره أو يكشف عن مساوئه لأسباب يذكرها.

وبرغم هذا التحري في الجمع؛ نجد المؤلف يعتذر عما يمكن أن يكون

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

قد وقع فيه من التقصير في حق البعض. كما ينص في الخاتمة على أنه ترك الكثير من الرجال ممن عرفوا بالمرور بمدينة فاس، أو بالإقامة بها؛ لعدم التحقق من وفاتهم بها، كما يذكر أنه ترك عدداً آخر من الرجال الذين عاشوا في العصور الأخيرة، وماتوا بها، إما لأن أخبارهم لم يكتب عنها، وإما لوقوع المؤلف في «الجهل والقصور» حسب تعبيره.

وهذا كاف في الدلالة على اتصاف المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ بصفة العالم الثبت، ذي العلم الغزير والخلق الرفيع، والأدب اللائق تجاه من نقل عنه أو استفاد منه، ولا يسع المرء إلا أن يقدر حق القدر الجهد الذي بذله المؤلف على امتداد ستة عشر عاماً التي قضاها في هذا التأليف، مما لا يدرك مداه ومشاق الخوض فيه إلا المتخصصون المتمرسون في التصنيف في هذا الموضوع.

ونورد فيما يلي أهم جوانب المنهجية التي أشرنا إليها، وذلك من خلال أمثلة قليلة لا تقدم سوى غيض من فيض:

أولاً: فيما يتعلق بضبط الأسماء والأنساب، والمختلف والمؤتلف منها، وهو أمر ضروري في الكتابة عن الأعلام، نراه يتحرى التدقيق والترجيح بين الأخبار المروية والتمييز بين المختلف والمؤتلف، على أساس تقصي مظان الترجمة.

فمن أمثلة ذلك: ما جاء في ترجمة الإمام الحافظ عبد الرحمٰن سُقَّين العاصمي. فيقول عنه: «عرف بضم السين المهملة وفتح القاف وتشديدها». وكذلك في ترجمته لأحمد بن قاسم الأندلسي الشرفي يقول: «بفتح الشين والراء؛ نسبة إلى الشرف من سواد إشبيلية بالأندلس». وكذلك في ترجمته للفقيه محمد بن محمد المقري؛ إذ يقول: «عرف بالمقّرى، بفتح الميم وشد القاف المفتوحة، كذا ضبطه الأكثرون؛ ومنهم: أبو زيد الثعالبي في كتابه «العلوم الناضرة»، والونشريسي في بعض فوائده، وضبطه ابن الأحمر في فهرسته، والشيخ زروق في شرح «الإرشاد»، والعلامة ابن مرزوق بفتح الميم وسكون القاف (المقْري). وهما لغتان في البلدة التي نسب إليها».

وفي ترجمته للإمام عبد الرحمٰن الفاسي يقول: «كان جده سيدي يوسف

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» Printed on [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100]

يتردد من فاس إلى القصر للتجارة؛ فلقب عند أهل القصر بالفاسي، وبقي هذا اللقب من أولاده إلى الآن، وهم من بني الجد الذين هم كبراء مالقة. وبنو الجد من فهر، وفهر هذا من قريش على أحد الأقوال فيهم التي تبلغ عشرين قولاً».

ومن أمثلة ذلك: ما جاء عنده في ترجمته الشيخ سيدي صالح ابن حرزهم؛ فقد أورد أن الساحلي ذكره بلفظ ابن حرازم، «والأول عندي أصوب، ويقال أيضاً: حرزم بدون هاء». والثاني هو الذي عليه الناس اليوم، وينقل الكتاني مختلف أشكال الضبط التي ذكرها مؤلفون آخرون، من بينهما ما حققه أبو عبد الله العطار، الذي ينطق به حرزهم بكسر الحاء المهملة وسكون الراء.

وفيما يتعلق بضبط الوفيات التي كثيراً ما وقع فيها الاختلاف عند المتقدمين؛ يتحرى ما اتفق عليه المترجمون أو غلب عليه اتفاقهم، فينبه ـ مثلاً ـ إلى أن وفاة العارف بالله سيدي قاسم ابن رحمون دفين حومة النجارين كانت سنة (1146هـ)، معتمداً في ذلك على المكتوب على رأس ضريحه، ولكنه لم يكتف بنقله ذلك عن خمسة مراجع مهمة من بينها «نشر المثاني» و«التقاط الدرر» و«الروضة المقصودة»؛ لأن هناك من حدَّد وفاته بمتم عام تسعة وأربعين ومئة وألف، بينما الشيخ التاودي ابن سودة ينفرد وحده بذكر أن هذه الوفاة حصلت سنة (1155هـ)؛ وهي سنة الوباء فاس. ويعلق الكتاني بكل أدب على ما قاله الشيخ التاودي بقوله: «إن هذا القول منه مجرد سبق قلم».

ويقول في ترجمته لسيدي عبد الواحد الورياغلي وكان من شيوخ العلم في فاس: «ففي «درة الحجال» و«الدرر» أنه: توفي سنة (892هـ)، وعليه؛ فهو من أهل القرن التاسع لا العاشر، وصاحب «دوحة الناشر»؛ وهو: أبو عبد الله محمد بن عسكر ترجم له في عداد أعلام القرن العاشر، ويعلق المؤلف على ذلك قائلاً: «وصاحب «الدوحة» كثيراً ما يقع له الغلط في الوفيات؛ لأنه يذكرها لا عن تحقيق»..

أما في ترجمته للولي المجذوب سيدي عزوز بن مسعود؛ دفين باب

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

السراجين المتصل بباب الدرب الذاهب إلى الدوح؛ فيذكر ثلاث روايات في تاريخ وفاته بدون أن يرجح أيّاً منها.

وأما التحقيق في المدفن؛ أي: القبر. فهو من المسائل التي يتتبعها بكل اهتمام، ومن هذا القبيل: تحقيقه في مدفن القاضي ابن العربي المعافري المتوفى سنة (543هـ) بفاس. فقد ذكر صاحب «أنس الفقير» أن قبره بين المدينتين، فاس القديم وفاس الجديد؛ قائلاً: «إنني وقفت على قبره». وقد ذكر المقري في «نفح الطيب» قول بعضهم: «إنه دفن خارج باب الجيسة بفاس، والصواب أنه: دفن خارج باب المحروق»، يقول ذلك بعد أن يستحضر ما ورد في كتب المتقدمين في هذه المسألة؛ مثل «المرقبة العليا» للنباهي، و«الغنية» للقاضي عياض.

ونظير ذلك: ما فعله في ترجمته للشيخ عبد العزيز الورياغلي؛ قال: «ودفن في روضة الشيخ الهزميري، الذي كان مدفوناً بداخل باب الفتوح من حومة الكغادين، ونقل بعضهم أن قبره هو الذي عن يمين الداخل من الزاوية المذكورة مقابل بابها، وبه تعرف الزاوية المذكورة، وذلك ما يؤكده الفقيه الطالب ابن لحاج في كتابه «الإشراف». لكن مؤلف «السلوة» يقول: «وأظن أن هذه الروضة هي التي بظهر معصرة الزيتون، الكائنة عند رأس زاوية سيدي أحمد بن عبد الله، التي بآخر حومة المخفية، والله أعلم».

وفيما يتعلق بضبط المختلف والمؤتلف من الأسماء؛ لا يدخر وُسعاً في ضبط معلوماته، فهو حين ترجم لأحد مشاهير الصلحاء؛ وهو: سيدي المكي الزيتوني؛ يحدد مدفنه في الساباط من الحفارين، فوق رحبة الزرع، لكنه لم يجد أحداً قبله قد عرف به، إلا أن عامة أهل فاس يعتقدون أنه الولي الشهير سيدي محمد بن عبد الله الزيتوني المتوفى ـ كما في «الابتهاج» ـ سنة (911هـ). وقد ذكروا أنه أحد أشياخ الشيخ زروق الذي خدمه بفاس عدة سنوات إلى أن ارتحل هذا الأخير إلى المشرق.

ويقول الكتاني: «إنه قطعاً ليس شيخ زروق؛ لأن شيخ زروق المذكور هو دفين المسيلة من بلاد الجريد كما ذكر من لا يُحصى من المؤلفين».

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

ويعتمد ما جاء في كتاب «المقصد الأحمد» من أن الشيخ زروق كان له شيخان؛ أحدهما: الولي الكبير محمد بن عبد الله الزيتوني الفاسي دفين المسيلة من بلاد الجريد، والثاني: دفين داخل باب الجيسة من فاس؛ وهو المترجم له!.

ومن قبيل ذلك: ما جاء في ترجمته للمولى يعقوب دفين ناحية فاس بجانب الحمة المقصودة اليوم للاستشفاء، والذي نسجت حوله الحكايات، وقد أورد المؤلف مختلف المرويات في تحديد شخصيته. فالبعض ذكر أنه هو الخليفة الموحدي أبو يعقوب يوسف بن عبد المومن الذي تخلى عن الخلافة لابنه محمد الناصر. بينما نسج البعض الآخر حول هذا التخلي صورة أمير زاهد يطلب الحقيقة؛ فقالوا: إنه رحل إلى الشرق، وتلقى السلوك الصوفي من الشيخ مولاي عبد القادر الجيلالي، وأنه مدفون بالمزار الموجود اليوم ببيروت والذي وقف عليه ابن بطوطة في رحلته وقال: «إن العامة هناك يزعمون أنه أحد ملوك المغرب». بينما جمهور المؤرخين يثبت أن الخليفة الموحدي مات بمراكش سنة (595هـ) وحمل إلى تينملل فدفن بها. أما المقري في «النفح»؛ فيعزو هذه الحكاية الشائعة عن الخليفة إلى العقلية الشعبية التي جعلت العامة مولعين بها، وأنه ليس أحد من علماء المغرب يقول بذلك.

لكن مؤلف «السلوة» يكشف في سياق تحرياته وقراءاته أن ابن أبي زرع في قرطاسه ذكر أن مولاي يعقوب الذي تنسب إليه الحمة المشهورة مذكور بالكنية؛ فهو: (أبو يعقوب) وليس يعقوب الذي هو أبو يوسف المنصور الموحدي، والمرجح في ظنه أن يكون هو: أبا يعقوب الأشقر المتوفى أواخر القرن الثامن. وذلك لأن بعض تآليف علماء القرن التاسع ذكرت في سياق الحديث عن بني بهلول الزناتيين الذين كانوا نازلين على نحو فرسخ من فاس يمين المار من فحص سايس إلى وادي مكس. أن الجبل الحائل بينهم وبين جبل زرهون هو المدفون فيه الولي الصالح أبو يعقوب ابن الأشقر البهلولي.

أما فيما يتعلق بالتحقيق في وجود صلة علمية أو صوفية بين المترجم لهم وبين معاصريهم؛ فهو يقف على ذلك وقفة الناقد البصير، ومن أمثلة ذلك: ما

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

ورد في ترجمته للشيخ سيدي صالح ابن حرزهم؛ فهو ينقل عن الساحلي الذي ترجم له في كتابه «بغية السالك في أشرف المسالك» بشأن رحلة ابن حرزهم إلى الشرق ومقامه بالشام، ولقائه بشيخ الإمام الغزالي وجيه الدين أبو حفص عمر السهرودي، وعن عمه ضياء الدين أبي النجيب لأخذ الطريقة على يد هذا الأخير، وأن ابن حرزهم زار بيت المقدس ولقي الإمام الغزالي به نفسه، فاستشكل الكتاني هذا الأمر من عدة نواح:

فوجيه الدين المذكور هو شيخ السهرودي، وقد ولد سنة (539هـ)، وكانت وفاته سنة (632هـ)، وابن حرزهم لقي الغزالي المتوفى سنة (505هـ)، ولما كان من الطبيعي أن يكون ابن حرزهم قد لقي الغزالي وهو في سن النضج في أواخر المائة الخامسة؛ فسيكون لقاؤه بوجيه الدين المولود بعد وفاة الغزالي بنحو ثلاثين سنة بعيد الاحتمال أو غير ممكن، وكذلك الشأن في زعم الساحلي بأن ابن حرزهم أخذ عن ضياء الدين المولود سنة (490هـ)، والمتوفي ببغداد سنة (563هـ)، ومصدر الإشكال: أن ابن حرزهم هذا لم يذكر له مترجموه تاريخاً لوفاته، لا في كتاب «المستفاد»، ولا في كتاب «التشوف»، ولا في كتاب «الجذوة».

ونفس الضبط في ترجمته للشيخ سيدي علي بن حرزهم، وذلك في موضوع أخذه الطريقة عن الإمام ابن العربي، الذي أخذ عن الغزالي عن الإمام الجويني عن أبي طالب المكي عن الإمام الجنيد حسب ما يرويه البعض، وذلك في نظر الكتاني غير معقول، فأخذ الطريقة لا يكون إلا من أهل الباطن، فكيف يصح أخذ أهل الباطن من أهل الظاهر الذين هم الفقهاء والمتكلمون؟!، فأخذ الغزالي ـ وهو عمدة أهل الباطن ـ عن إمام أهل الظاهر الجويني أمر غريب، وإن كنا نعلم تلقي الغزالي من الجويني علوم الفقه والأصول والكلام، وأنه لا يصح أخذ الجويني عن أبي طالب المكي ولا هذا الأخير عن الإمام الجنيد؛ لأن المعروف عن الشيخ أبي طالب المكي أنه أخذ عن أبي سالم وهذا عن سهل، وهذا الأخير عن الجنيد.

ثانياً: فيما يتعلق بالتوثيق للمعلومات والأخبار المروية؛ يلتزم المؤلف

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

بأخذ عبارة المرجع الذي اعتمده بالنص، ثم يراجع المعلومة المنقولة في ضوء المقارنة بين عدة مراجع، ملتزماً ـ في الغالب ـ في آخر الترجمة بإيراد أهم المصادر التي يمكن أن يعود القارئ إليها إن شاء التوسع أو التحقيق، وقد رأينا في الأمثلة السابقة ما يدل على ذلك.

ثالثاً: يورد المؤلف خلال تراجمه الأشعار المروية للمترجم لهم، إن كانت، أو التي نظمت في مدحهم أو رثائهم، وبذلك تنضاف مزية أخرى لكتاب «السلوة»، حيث يجد فيه القارئ أكثر من ألف بيت في الرثاء والمدح ومناقب الصلحاء.

وهناك جانب آخر من جوانب الكتاب؛ وهو: الاستطرادات التي يوردها المؤلف؛ كالتحقيقات التاريخية أو النصية، أو المتعلقة بالفتاوى المنسوبة للمترجم لهم أو غير ذلك.

وفي مقدمة هذه الاستطرادات: ترجمته لبعض الصوفية والعلماء الأعلام من غير دفناء فاس؛ كترجمته للإمام أبي الحسن الشاذلي، وترجمته للشيخ مولاي عبد القادر الجيلاني، وترجمته للقاضي عياض، ولأبي مدين الغوث. ومن هذه الاستطرادات: حديثه عن رجال رگراگة، وما قيل في شأنهم من كونهم يعدون من الصحابة، وكذلك وقوفه على ما كان شائعاً لدى أهل سوس عن وجود قبور لبعض الأنبياء بالمغرب، وتحقيقه في مسألة وجود النعل النبوي لدى الشرفاء الطاهريين.

وقد استفدت من معلومة انفرد بها كتاب «السلوة»، في ترجمته للسان الدين ابن الخطيب دفين باب المحروق بفاس، فقال: «إنه بعد مقتله وإخراجه من قبره وإضرام النار في جثته وتركِه على حافة القبر؛ جاء رؤساء بني مرين فوراً، فأعادوه إلى قبره». والجديد في هذا الخبر؛ هو: حين ذكر أنه عظم النكير على السلطان المريني وعلى أعيان الدولة، وذلك من لدن ملوك المسلمين وعظماء النصارى؛ لكون السلطان وبطانته تركوا العامة من الأندلسيين يفعلون بابن الخطيب تلك الفعلة الشنعاء.

كما نلاحظ أن المؤلف يسجل ما كان لبعض الأعلام من فقهاء فاس من مواقف سياسية تندرج عنده في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

قبيل ذلك: ذكره لما كان لبعض الفقهاء أو الأولياء من مواقف يمكن أن نسميها اليوم مواقف سياسية، تتمثل في معارضة السلطان أو الدولة، ففي ترجمته للإمام الشهيد سيدي محمد بن علي البقال، الذي كانت أسرته من أعرق بيوتات المغرب في تعدد الأولياء والصلحاء. ذكر أن السلطان السعدي محمد الشيخ ابن المنصور الذهبي طلب من علماء الوقت أن يفتوه بإباحة بيع مدينة العرائش للنصارى، فمن هؤلاء الفقهاء من أباح له ذلك؛ كقاضيه محمد بن أحمد الدكالي. ومنهم من امتنع، وكان الممتنعون على ثلاث فرق: فرقة فرَّت من فاس؛ كالإمام سيدي العربي بن يوسف الفاسي الذي ذهب إلى القصر الكبير، وفرقة اختفت حتى خمدت الفتنة؛ كالعلامة ابن عاشر، وفرقة أغلظت النقد للسلطان، واعترضت عليه بقوة؛ كالمترجم له، فأمر السلطان بإحضاره إلى فاس وبقتله سنة (1017هـ).

وكذلك يفعل في ترجمته للإمام عبد العزيز الورياغلي الذي وصفة الونشريسي بصاعقة الأرض؛ لشدة وقوفه في وجه المنكر. فقد وقف ضد السلطان المريني عبد الحق بن سعيد لتقريب هذا الأخير لليهود. وطالب بخلعه، متزعماً ثورة الجماهير بفاس في هذا الشأن.

وكذلك بالنسبة للشيخ الحافظ سيدي إسحاق الورياغلي؛ فقد ذكر خلافه مع السلطان المريني يعقوب بن عبد الحق، وما نتج عن ذلك من نفيه بعد اتهامه بتحريض الطلبة ضد السلطان.

غير أن ما يلاحظه القارئ في سياق تراجم شيوخ التصوف والعباد والمجذوبين: أن المؤلف وهو يلتزم التدقيق والمقارنة والتوثيق في التراجم؛ يذكر الكرامات التي تروى عنهم. ولا سيما وبعض هذه الكرامات مما يحيله العقل دون تقديم أي دليل عليها سوى الرواية الشعبية، والظاهر أن اقتناع المؤلف بها يندرج ضمن الثقافة السائدة يومئذ، بما في ذلك التفسير الخرافي لبعض الظواهر الطبيعية. وهو ما يتجلى في تفسيره لظاهرة الزلازل وقوله بفساد رأي الفلاسفة في ذلك، ولعلَّ ذلك ما حمل المؤرخ عبد السلام ابن سودة على القول: «إن «سلوة الأنفاس» هي أجمع كتاب لتراجم علماء وصلحاء

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

فاس، ولولا ما حوته من قصص خرافية ينبو عنها الشرع؛ لكان فريداً في بابه؛ لأمانة ناقله وصدق حديثه، وعظيم فائدته».

والخلاصة: إن كتاب «سلوة الأنفاس» يمثل المنهج التوثيقي التاريخي المستمد عند المؤلف من مناهج المحدثين، وهذا المنهج ـ كما نعلم ـ قائم على جمع المادة المروية، ومقارنة مضامينها، وتصحيح أسانيدها، وترجيح الأصوب منها. كما يمثل موسوعة شاملة لأعلام فاس عبر التاريخ من جميع الفئات، إلا أن الإحاطة بأعلام فاس تظل مسألة نسبية، ولذلك ذكر بعضهم أن الشيخ عبد الحي الكتاني جعل لكتاب «السلوة» ذيلاً جمع فيه ما بقي على مؤلفها أن يذكره، وهذا الذيل في ثلاثة أسفار. إلا أن مقارنة هذا الكتاب بأمثاله من كتب الأعلام تبوئه مكان الصدارة بينها بغير منازع، وتجعله جديراً اليوم بالدراسة والتحليل من كل جانب. رحم الله مؤلفه وأسنى جزاءه وثوابه.

ولا يفوتني أن أنوِّه بالجهد الكبير الذي قام به محققو الكتاب، وبما أصابوه من توفيق في تقديم نصه إلى القراء، مفقراً إلى فقرات، مضبوطاً نقياً من الأخطاء، مفهرساً بعدة فهارس، مرقوم التراجم بشكل جيد، وعلى النحو الذي يرضي القارئ المعاصر، إلا أنني كنت أرجو أن تشتمل فهارسه على فهارس أخرى ضرورية تتعلق بالأمكنة والبقاع، وبالأسر والقبائل، وبالأحاديث النبوية والأشعار، وبعناوين الكتب الواردة في المتن، فكتاب «السلوة» موسوعة ضخمة من التراجم والتواريخ، ولا بد للباحث فيه أو القارئ له، من دليل يقوده مباشرة نحو غرضه.

وأخيراً؛ لا أخفي مشاعري تجاه هذا الكتاب؛ لأنه ذاكرة مدينة رأيت نور الحياة في فضائها، وتنشقت عبق تاريخها، وتلمذت لشيوخها، وظلت ذاكرتي مرتبطة بمعالمها، فقد أوقفني الكتاب على ماضيها، الذي نسجته عبقريات أعلامها، وتوجيه شيوخها وأساتذة جامعتها الذين يرقدون تحت تراثها، ويمتزج رفاتهم بأديمها، فأستشعر التهيُّب من المشي على أديمها مرحاً أو بخيلاء، مستحضراً قول أبي العلاء:

سر إن اسطعت في الهواء رويداً ... لا اختيالاً على رفات العباد
وقبيحٌ بنا وإن قدم العهـ ... ـدُ هوانُ الآباء والأجداد

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

Black plate (157,1)

«سلوة الأنفاس» في نظر المستشرقين الأجانب

أ. د. إدريس بن محمد بن جعفر الكتاني[1]:

قبل أن يكون لي شرف تقديم هذا الكتاب الذي انتظر الباحثون والعلماء والمؤرخون المغاربة خلال قرن كامل، الحصول على نسخة منه، منذ طبعته الحجرية الأولى بفاس أواسط **شعبان عام (1316هـ/ موافق يناير 1899م)**. أشير إلى أن الخزانة العامة للكتب والمستندات بالرباط (المكتبة الوطنية الرسمية للدولة المغربية)، قامت بإصدار فهرس عام لمجلداته الثلاثة في 180 صفحة رتبت (أسماء الأعلام) فيه على الحروف الهجائية، ضم ثلاثة آلاف ترجمة، لكنه أغفل ذكر مراجع «**السلوة**» الهامة وتشمل على مائة وأربعين مرجعاً، أغلبها مخطوط نادر، وأشرف على إعداد وتقديم هذا الفهرس يومئذ ابن أخي المرحوم العلامة الناصر الكتاني الأستاذ يومئذ بدار الحديث بالرباط سنة (1386هـ/ 1966م).

وحتى أبقى ملتزماً بالحديث عن «**السلوة**»، لا عن مؤلفها ومؤلفاته، وترجمة حياته، ربما يكون وصف وتحليل بعض الباحثين المستشرقين الذين عاصروا المؤلف في مطلع القرن العشرين، لكتاب «**السلوة**»، بحكم منهجهم الحديث في البحث العلمي، أكثر دقة مما تعودناه نحن في أغلب كتب المتأخرين، مع العلم بما عرف عن أغلب المستشرقين من أخطاء ناتجة عن سوء فهم وإدراك لمعطيات التاريخ وقيم الحضارة الإسلامية، أو فقط عن سوء نية عدائية مبيتة.

---

(1) أستاذ الجيل، مختص في العلوم الإسلامية والدراسات الاجتماعية. نجل مؤلف «سلوة الأنفاس».

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

يقول المستشرق الدكتور «ليفي بروفنسال» المعروف في المغرب في كتابه[1]: «مؤرخو الأشراف» ص379 بعد أن قدم ترجمة مختصرة للمؤلف وبعض مؤلفاته:

«يعدُّ كتاب «**سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس، بمن أُقبر من العلماء والصلحاء بفاس**» أنموذجاً لهذا الفن في المغرب».

«وقد أمضى محمد الكتاني في تصنيفه خمسة عشر عاماً، وفرغ من كتابته عام (1313هـ/ موافق 1896م)، واعتزم أن يخصص لكل شخصية بارزة من العلماء والصلحاء المقبرين بفاس ترجمة، تتفاوت طولاً وقصراً، وبالجملة؛ أراد أن يعيد في نطاق أوسع، وإلى عهده، عمل ابن القاضي في «**جذوة الاقتباس**»، وفيما بعد مؤلف «**الروض العاطر الأنفاس**»، فوفق تمام التوفيق، حتى إن معجمه[2] يعتبر في وقتنا هذا مرجعاً لا غنى عنه لكل من يهتم بالتراجم والفهارس المغربية».

«قسم هذا الكتاب إلى ثلاثة أقسام كبيرة: **أولها**: مقدمة ضافية تتعلق بزيارة الصالحين. **وثانيها**: وهو أطول بكثير من السابق، يتضمن سرد مشاهير العاصمة، حسب ترتيب مكاني تبعاً للحي الذي دفنوا فيه. **والثالث**: عبارة عن قائمة بأسماء الشخصيات المتوفاة بفاس ولكن المؤلف لم يعثر على مقابرها، وقد راعى في ترتيبها الحروف الهجائية».

«ثم إن مقدمة (**سلوة الأنفاس**) تقوم وحدها مقام مؤلف ذي أهمية لا يعلى عليها، فالواقع أنها كما عرفها الأستاذ مرسيه (W. Marcais)، رسالة صغيرة في (**التبرك بذكر**) الأولياء، من وجهة نظر العقيدة المغربية، وبيان

---

(1) ترجمة الأستاذ الخلادي ص217 حسب les Historiens des Chorafa au: Maroc.. Paris 1922.

(2) المستشرقان معاً يترجمان المفهوم الإسلامي المذكور بكلمة (تقديس) بمفهومها المسيحي الذي يختلف تماماً عن المفهوم الإسلامي الذي تدل عليه كلمة «البركة» أو «التبرك»، خاصة عندما تسند إلى ذكر اسمه المعنوي وليس إلى شخصه الذاتي، كما هو المذكور في «السلوة».

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

لآداب هذه الزيارة[1]».

«وتبدأ المقدمة بالإضافة في تبرير التبرك بذكر الصالحين، يجتهد الكتاني خلالها في إقامة الدليل، استناداً إلى أجل أئمة السلف على أن تعظيم أولياء الله مطابق تماماً لنصوص الدين، وعلى أن العلماء والأولياء يستحقون التبجيل سواسية، وحتى أولئك الذين لا نعلم شيئاً عن حياتهم وكرامتهم، لا ينبغي بسبب هذا إهمالهم أو النقص من تبجيلهم؛ لأنه إن كانت زيارتهم يمكن أن لا تنفع، فمن الواضح أنها لا تضر، وبالتالي تكون طريقة سلوك الزائر ما سماه الكتاني نفسه **(آداب الزيارة)**، وفيه نجد كل الوصايا التي يجب أن يمتثل لها الزائر».

وننبه مرة أخرى إلى أن هذا الباحث عندما استعرض هذه الآداب، ذكر من بينها: أن على الزائر (أن ينحني ويقبل الأرض أمام القبر)، وهذا ما يستحيل على أي عالم عارف بالإسلام أن يقبل به، ومع ذلك عدت إلى النص الأصلي في «السلوة» فوجدته يقول: «ومنها: **(آداب الزيارة)** عدم التمسح بالقبر، وعدم تقبيله ومسّه؛ لأنه من فعل النصارى (ج1، ص43). ومنها: عدم الانحناء للقبر كما يفعله كثير من الجهال، وهو من البدع القبيحة المستهجنة، وأقبح منه: تقبيل الأرض بين يدي الولي، وأقبح وأبشع وأشنع: السجود له بوضع الجبهة على الأرض، والمبالغة في الانحناء حتى يصل لحد الركوع، وهو شيء تشمئز منه نفوس السامعين، وتكاد تنفطر من أجله قلوب الناظرين، ويجب على من له قدرة منع الناس منه وتأديبهم عليه» (ج1، ص47).

كما ذكر «**بروفنسال**»: أن من هذه الآداب: «**نوع الذبائح التي تمكن تضحيتها**». وعدت إلى «**السلوة**»؛ فوجدتها بعد وصف العلامة الطيب ابن كيران لانتشار هذه العادة وقصد العاملين بها، موقفه من أنها لا تقتضي شركاً

(1) نفس المشكلة تتكرر: زيارة أولياء الله الذين قال الله تعالى عنهم: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [يونس: 62]، لها في الإسلام آداب يجهلها الناس اليوم، لكنها تتميز عن آداب مقابلة الرؤساء والملوك: يسميهم المستشرقون بالطقوس الدينية؟!. تبعاً لمفهومهم المسيحي.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

ولا كفراً، ولكنها: «جهل عظيم، وغباوة» لإجرائهم الأولياء على مقتضى عوائدهم التي لا يقتضيها شرع ولا طبع (ج1، ص56).

وينتهي «**بروفنسال**» بهذه الخلاصة؛ وهي: «أن ولي فاس الذي ينبغي أن توجه إليه أكثر الدعوات هو موتى المدينة ومؤسسها، مولاي إدريس الأنور ابن إدريس الأكبر».

«وبه بدأت «**سلوة الأنفاس**»، سلسلة تراجمها، وبما أن ضريحه يوجد في قلب المدينة؛ فإن الكتاني في عرضه الأولياء والعلماء حسب مكان دفنهم يتجول في المدينة تجوّلاً لا يخلو من غرابة، فالواقع أنه يطوف حول ضريح إدريس على خط حلزوني في اتجاه دوران عقربي الساعة، وبعد طوافه هكذا بأحياء فاس المركزية، ينتهي إلى الأحياء التي تحدها الأسوار الخارجية، وهاكم ترتيب أهم الأحياء التي يمكن بفضلها أن نتتبع طواف المؤلف حول مركز المدينة بسهولة: النجارين، وگرنيز، والقطانين، والصاغة، ودرب الطويل، والبليدة، وفندق اليهودي، وداخل باب الگيسة، وزقاق الرمان، والشرابليين، والطالعة، والسياج، والدوح، والجرف، والعيون، ورأس الجنان، والكدان».

«ثم ينتقل المؤلف إلى المقبرتين الفسيحتين اللتين تمتدان على جانبي باب الفتوح، تسمى إحداهما: «**القبب**»؛ وهي: روضة العلماء، ثم المقابر التي توجد خارج باب سيدي بوجيدة، وباب الگيسة، وباب المحروق، ليصل أخيراً إلى فاس الجديد، حيث دفن السلاطين العلويون».

«ومعلوم أن فاس قد استحقت منذ زمن طويل لقب «**دار العلم**»، ويقال: إنها مدينة بهذا اللقب لدعوة خاصة من إدريس، وفعلاً تضيق رحابها بقبور الأولياء والعلماء، فلا غرابة أن يكون المعتنون بتاريخ الرجال قد اهتموا بدراستها عبر القرون، خصوصاً وأن أكثر أولياء العاصمة كانوا من علماء الإسلام المشهورين، بل كان بعضهم كتاباً، وقد خصص الكتاني تراجمه لهم جميعاً من الشرفاء الأعيان، ومشايخ العلم الإسلامي، والفقهاء والمتكلمين والأساتذة الذين اعترف بولايتهم بعد وفاتهم».

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

«ومن ثم ندرك لماذا كان عدد الشخصيات التي يستعرضها عظيماً، ومن بينهم يمكن أن نعد أكثر من مائة وأربعين ألف كتباً إسلامية، كما أصاب العالم (Codira)، في ملاحظة ذلك: على أننا نجد في «**سلوة الأنفاس**» إلى جانب الأولياء المتفقهين بعض الأولياء العاميين تماماً، بيد أن أسماء هؤلاء الآخرين إنما هي لمعة في هذا الكتاب، ولم يذكر أولئك المربين الصغار أمثال سيدي المخفي، وسيدي مسا الخير، وسيدي قاضي الحاجة، إلا على سبيل الإشارة، وكما فعل من سبقوه، يترك المؤلف عمداً على حدة قصتهم العامية، مع أنه لا بد أن يكون سمعها، وربما كانت سحرت خياله يوم كان طفلاً من أطفال المدينة».

«والكتاني الذي يعرف مدينته معرفة مدهشة، لا بد أنه لإقرار (قاموسه)، قد طاف بأخفى زوارها، ونشعر في كتابه بأنه فتش في كل مكان، وراجع كل ما أمكنه من وثائق العائلة، وزار أصغر الأضرحة، وقيد الموقع المضبوط لكل قبر، ونقل بعناية كل نقوش الأضرحة، ومن هذا القبيل تبرهن «**سلوة الأنفاس**» على عناية بالتحقيق لم يعهد وجودها على مثل هذا الحد البعيد في المغرب».

«ولكن الكتاني فوق كل شيء؛ استعان بجميع مؤلفات مواطنيه بشكل بلغ من التحري مبلغه من النزاهة!».

«أما لائحة مراجعه التي وضعها، حقاً، بصيغة إجمالية، ودون أدنى مراعاة للترتيب الزمني؛ فقد قدمها في آخر كتابه، وهي تدل على أن الأعوام الخمسة عشر التي أمضاها في تأليف «**سلوة الأنفاس**»، إنما تكاد تكون كافية للبحث عن تلك المراجع وقراءتها، وتقييد كل ما كان عليه أن ينقله منها».

«ولقد سبق أن رأينا أهمية قائمة تلك المراجع التي كانت فعلاً منذ بضعة أعوام موضوع دراسة خاصة بعنوان «**أبحاث فهرسية حول مصادر «سلوة الأنفاس»**»، الجزائر 1905م ـ روني باسي (Recherches bibliographique sur les Sources de la Salouate el -Anfaas. Alger - 1905. - R - Basset).

«وهذه القائمة تكاد تكون كاملة فيما يتعلق بفن تراجم الرجال. ولئن كاد يوجد فراغ كثير فيما يتعلق بالكتب التاريخية، فإنها مع ذلك تحتوي على أهم

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

فهارس المؤلفات المغربية، علاوة على تلك التي لها صلة بالعلوم الإسلامية البحتة».

«وليس معنى هذا أن الكتاني ـ باستعماله هذه المراجع ـ لم يظهر فوق كل شيء ناقلاً متوسط القيمة، بل كان ناقلاً نزيهاً، وفعلاً نرى في (قاموسه) أن كل ترجمة، إما هي خلاصة أو نقل أمين متواصل الأطراف للتراجم التي خصصت قبله للشخصية نفسها، ولكنه يترك لكل من ينقل عنهم مسؤولية ما يذكرون، وفوق كل شيء، وهذا ما يجعله مجدداً بلا مراء، يرفق كل خبر من أخباره بذكر مراجعه المغربية كلها، ولو أنه أضيف إلى هذه الإشارات تنبيه إلى رقم الأجزاء والصفحات، لما كانت «**سلوة الأنفاس**» أقل قيمة من الكتب العربية المؤلفة في الشرق هذه الأعوام الأخيرة، طبقاً لأحدث الأساليب العصرية».

«ومع هذا؛ فهي كما هي، تكون خير القواميس المغربية لتراجم الرجال، وستكون وثيقة من الطراز الأول لمن شاء الكتابة عن (تاريخ أعلام مدينة فاس)، بل قد يكون من المتمنى أن تنشر ترجمتها قريباً؛ لأنها بما فيها أفيد مما ترجم من صنفها من مؤلفات أقدم».

«على أن «**سلوة الأنفاس**»، قد حظيت في المغرب بإقبال لا مزيد عليه، واستحق المؤلف بكتابه شهرة فاقت شهرة أقاربه، وما لبث أن صار مثلاً يحتذي به المحتذون».

«ومنذ بضع سنين فقط، رأينا أحد أدباء مراكش: محمد بن عبد الله ابن المؤقت المسفيوي المراكشي، وهو الذي سبق أن عرف بمثابة مؤرخ لحياة الرجال، لتصنيفه رسالتين: أحدهما عن أبي العباس السبتي، والأخرى عن عائلته نفسها، يؤلف كتاباً عن أعلام مراكش، وتعيين أضرحتهم فيها، سماه: «**السعادة الأبدية، في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية**»، وهو كتاب ليس في جملة الأمر، إلا تقليداً ضئيلاً جداً لسلوة الأنفاس، ولكن مع ذلك؛ نجد فيه معلومات هامة، وسيبقى كتاب «**السعادة**» مفيداً إلى اليوم الذي يقدم فيه أحد أعلام مراكش، وقاضي سطات حالياً، أعني العباس بن إبراهيم

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

المراكشي، الذي عرف قبل بمؤلفه الخاص بسبعة رجال عاصمة الجنوب: «**إظهار الكمال في تتميم مناقب سبعة رجال**» إلى اليوم الذي يقدم فيه لجمهور بلاده (قاموس تراجم علماء الجنوب المغربي) الذي يعمل في تأليفه منذ عدة أعوام»[1]. بهذا ختم «**ليفي بروفنسال**» تحليله العلمي الدقيق للسلوة.

ونضيف إلى ذلك بعض المعلومات المتعلقة بمصادر كتاب «**السلوة**» التي أشار إليها «**ليفي بروفنسال**» سابقاً، فقد اهتم أخونا الأستاذ عبد الوهاب بن منصور بنشر ملخص مقدمة الدراسة التي قام بعرضها المستشرق الأستاذ «**روني باسي**» مدير المدرسة العليا للآداب في إحدى جلسات مؤتمر المستشرقين الدولي الذي انعقد بالجزائر سنة (1904م)، في العدد الخامس من مجلة: «**العبقرية**» التي كان يصدرها بتلمسان بتاريخ (**شوال 1366هـ/ موافق غشت 1947م**) تحت عنوان: «**مصادر كتاب: سلوة الأنفاس**» للأستاذ «**روني باسي**»، وتعريب المجلة:

«**ملخص المقدمة**: ابتدأ الباحث كلامه مشيراً إلى أن المطبوعات التي صدرت بالمغرب الأقصى لم تثر حتى ذلك العهد انتباه المستشرقين كثيراً، ولم يستثن من المستشرقين إلا خمسة اهتموا بتلك المطبوعات؛ **أولهم**: «**السنيور قوديره ي زيد**» في مذكراته، فإنه أشار إلى قسم منها: كـ«**النتيجة**» و«**الإشراف**»، و«**الدر السني**»، و«**الدوحة**»، و«**الصفوة**»، و«**الممتع**»، و«**نشر المثاني**»، و«**الزجر والإقماع**» لمحمد بن المدني گنون، **ثانيهم**: «**الهر بروكلمان**» صاحب «**تاريخ الأدب العربي**»، فإنه أشار إلى بعضها. **وثالثهم**: «**الأستاذ كور**» صاحب كتاب «**نشوء دولة الأشراف بالمغرب وعلاقتهم مع**

(1) وفعلاً نشر هذا الكتاب تحت عنوان: «**الإعلام بمن حلَّ بمراكش واغمات من الأعلام**» من نحو عشرة أجزاء، كما أن الأستاذ محمد داود أصدر كتاب: «**تاريخ تطوان**» في تسعة مجلدات، والعلامة عبد الرحمٰن بن زيدان أصدر كتاب «**إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس**» في خمسة مجلدات، والأستاذ محمد بن مصطفى بوجندار أصدر كتاب: «**الاغتباط بتراجم أعلام الرباط**»، حيث أصبح لكل مدينة مغربية مهمة ـ تقريباً ـ من اهتم بكتابة تاريخها.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» Printed on [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100]

أتراك إمارة الجزائر»، ورابعهم: «**المستور**» في كتابه «**شيوخ المغرب**» الذي اعتمد فيه على الإفراني وابن عسكر، **وخامسهم**: «**الأستاذ سالمون**» الذي اعتمد في بحثه عن شرفاء فاس الأدارسة على كتاب «**الدر السني**» للقادري».

«ثم ذكر أن من بين المؤلفات الهامة التي وضعتها مطابع فاس الحجرية، بين أيدي المهتمين بشؤون المغرب الأقصى: كتاب «**سلوة الانفاس، ومحادثة الأكياس، بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس**» للسيد محمد بن جعفر بن إدريس الكتاني، وهنا تكلم على نسب الكتانيين وساق جدولين لعمود نسبهم إلى النبي ﷺ».

«ثم أشار «**الأستاذ باسي**» إلى مؤلف «**السلوة**» فوضعه بأنه معاصر، ولكن كتابه مليء بالوثائق الهامة، التي راجعها خلال تأليفه، والتي لا يملك المستشرقون منها إلا القليل، وقال: إن المؤلف ذكر قائمة هذه المستندات في خاتمة كتابه (ج3، ص365 ـ 756)، خلاف عادة المؤرخين المسلمين، وقال: إن في استطاعة أحد المستشرقين، إذا قام ببحث مسترسل في مكتبات فاس، لا سيما الخاصة منها، أن يعثر على جل تلك المؤلفات، ويضعها بين أيدي المستشرقين».

«ثم ذكر أن القائمة التي ساقها ابن جعفر للكتب التي استند إليها في تأليف «**السلوة**»، غير تامة، فليس فيها «**المعجب**» **للمراكشي**، ولا «**البيان المعرب**» **لابن عذارى**، ولا «**الحلل الموشية**» ولا مؤلفات البكري والإدريسي».

«وفي الأخير بين الباحث أن مؤلف «**السلوة**» قد ذكر المؤلفات ومؤلفيها، دون أن يزيد على ذلك شيئاً، فأراد أن يتلافى هذا النقص بتقديم المعلومات اللازمة عنهم وعنها، وهو بذلك يقدم خدمة إلى المهتمين بتاريخ المغرب قديمه وحديثه، ويضم جهوده إلى جهود مدرسة الآداب بالجزائر، والعلماء الملتفين حولها. وفعلاً شرع في التعريف بهذه المراجع التاريخية. وهذا مع العلم بأن موضوع كتاب «**السلوة**» خاص بتراجم من دفن بفاس وليس استقراء جميع كتب تاريخ المغرب!».

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

وبعد؛ فهذه نظرة علمية تحليلية منهجية لكتاب «**سلوة الأنفاس**»، قام بها أستاذان خبيران في اللغة والحضارة العربية الإسلامية قبل أكثر من مائة عام، بل قبل توقيع عقد الحماية الفرنسية باثني عشر عاماً، وبعد طبع «**سلوة الأنفاس**» بفاس (1899م) بخمس سنوات فقط، كان مؤتمر المستشرقين المنعقد بالجزائر (1904م) يستمع إلى عرض مفصل عن أهم كتاب أخرجته المطابع الحجرية بعاصمة المغرب السياسية والعلمية، خاص بأعلام رجالها (ثلاثة آلاف) الذين دفنوا بها خلال أكثر من اثني عشر قرناً.

هذان المستشرقان؛ وخاصة منهما: «**ليفي بروفنسال**»، برهنا على اطلاع واسع على تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، وخاصة منها ما يتعلق بالمغرب والأندلس.

أتساءل اليوم: بعد أن طلبت مني «**جمعية الشرفاء الكتانيين للتعاون والثقافة**»، وعلى رأسها صديقنا الأستاذ الدكتور حمزة ابن الشيخ الطيب الكتاني، أن أكتب مقدمة «**السلوة**» أتساءل:

1 ـ هل يوجد اليوم في المغرب العربي من بين المؤرخين والباحثين الأحياء من درس واستوعب واهتم بالإنتاج العلمي والحضاري للمغرب والأندلس، ونشر عنه عدة كتب، وعشرات من الأبحاث والمقالات، من هو في مستوى هذين الباحثين المستشرقين اللذين عاشا قبل مائة عام؟.

2 ـ وهل كان في إمكاني، أنا نفسي اليوم، أن أقرأ «**السلوة**» قراءة باحث يصفها ويحللها تحليلاً منهجياً وتاريخياً وثقافياً ومقارناً بغيرها من الكتب المغربية الأخرى، كما فعل الدكتور «ليفي بروفنسال» قبل مائة عام؟.

3 ـ بل وهل يوجد اليوم في المغرب من الباحثين والمؤرخين من يجد من الوقت والصبر والقدرة على البحث والتنقيب بين أزقة فاس والمقابر المحيطة بأسوارها شرقاً وغرباً، طيلة خمسة عشر عاماً، للاكتشاف والتعرف على كل من دفن بها من العلماء والصلحاء والسياسيين منذ أكثر من اثني عشر قرناً، معرفة علمية منهجية تستند إلى مائة وأربعين

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

مرجعاً أغلبها مخطوط ونادر، وفي المكتبات الخاصة، ويخرج لنا كتاباً من ثلاثة مجلدات تشتمل على ثلاثة آلاف شخصية علمية إسلامية كان لها دور ما في التاريخ السياسي والفكري والحضاري للمغرب؟.

أما السؤال الرابع والأخير؛ فهو: لو لم يكن الشيخ محمد بن جعفر الكتاني قام بهذا المجهود التاريخي الكبير منذ مائة عام، وقدم لمدينة فاس تاريخها الزاخر بالآلاف من العلماء العظام، هل كان في إمكانها اليوم أن تفعل ذلك؟.

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

Black plate (167,1)

أماكنية مدينة فاس
من خلال كتاب «سلوة الأنفاس..»

أ. د. عبد الإلٰه بن مليح[1]:

تقديم

لقيت الأماكنية أو المواقعية أو الأعلام الجغرافية أو الطوبونيميا[2] اهتماماً كبيراً على عدة مستويات، مثل المستوى الأكاديمي، حيث تدخل ضمن اهتمامات الباحثين في مختلف الحقول المعرفية؛ كالجغرافيا والتاريخ، والأركيولوجيا والسوسيولوجيا، والأنثروبولوجيا، واللسانيات... وغيرها، ثم المستوى الرسمي، نظراً لاهتمام الحكومات بضبط الأسماء، خاصة أمام التوسع الحضري والتزايد الديمغرافي، واتساع رقعة الأنشطة الاقتصادية، ثم المستوى الشعبي باعتبارها أداة تواصل ضرورية بين الناس.

وتظل الحاجة قائمة وبصفة دائمة إلى ما تفصح عنه دراسة أسماء المواقع من فوائد جلى في خدمة التراث والتواصل والحفاظ على الهوية.

والطوبونيميا بهذا المفهوم تعد وسيلة لا غاية: وسيلة للقيام بجرد لأسماء

---

(1) أستاذ التعاليم العالي، كلية الآداب، جامعة محمد بن عبد الله، فاس.

(2) رأى أحد الباحثين في اختلاف هذه التسميات تعبيراً عن هم لسني يروم ضبط المصطلح، وليس تضارباً في المعارف، عبد الفتاح الزين، تقديم **كتاب «الاسم الجغرافي: تراث وتواصل»**، أعمال الندوة الوطنية الأولى حول الأعلام الجغرافية (15 ـ 17 أبريل1992م)، مطبعة فضالة، المحمدية، 1994م، ص23.

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

الأماكن في مرحلة أولى، وإخضاعها للتصنيف في مرحلة ثانية، قبل فهرستها في مرحلة ثالثة، ثم البحث في دلالاتها التاريخية واللغوية وغيرها في مرحلة رابعة، وصولاً إلى توطين هذه الأسماء على خرائط طبوغرافية أو تاريخية أو أثرية وتصاميم حضرية؛ وذلك باعتبار أن الخريطة ضرورة لتبيان مميزات الموضع وموارده وخيراته، لتخدم أولاً إمكانيات استغلاله بطريقة معقلنة ومحكمة، ولإغناء المعرفة بالمجتمع ثانياً.

وشعوراً بهذه الأهمية؛ تم بالمغرب سنة (1977م) تشكيل لجنة وطنية، مباشرة عقب انعقاد الدورة الثالثة لهيئة الأمم المتحدة في أثينا، في غشت من السنة ذاتها، أوكلت إليها مهمة البحث في مختلف أسماء المواقع المغربية وجمعها وتحديد أساليب الاشتغال عليها. كما نظم المغرب في الرباط فيما بين ثاني وسابع دجنبر (1985م) ـ بتعاون مع الأمم المتحدة ـ دورة تدريبية للبلدان العربية في موضوع تنميط الأسماء الجغرافية. وشارك المغرب في المؤتمر الخامس للأمم المتحدة، المنعقد بمونريال صيف عام (1987م)، حول موضوع تنميط الأسماء الجغرافية. ويتولى قسم الخرائطية بمديرية المحافظة العقارية والأشغال الطبوغرافية رصد الأسماء الجغرافية وجمعها ودراستها[1].

أما على المستوى الأكاديمي بالمغرب؛ فإنه رغم الشعور السائد بين الباحثين ـ على اختلاف تخصصاتهم ـ بأهمية الطبونيميا، فإننا نفتقر إلى دراسات اتخذت من الطوبونيميا موضوعاً لها. غير أن ذلك لم يمنع من كون جميع هؤلاء لامسوا ـ من قريب أو بعيد ـ أحد محاور الدراسة الطوبونيمية في أبحاثهم، سواء على مستوى التصنيف أو الدلالة أو الخرائطية.

ولا يتسع المجال لاستعراض مسار بعض البحوث التي اهتمت بالأسماء الجغرافية المغربية، غير أن ذلك لا يمنع من استحضار دراسات طوبونيمية

(1) المرجع السابق، ص18.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

شهيرة[1] أسست لدراسات لاحقة. نذكر من الدارسين الرواد: Emile LAOUST في كتابه: Contribution à une étude de la toponymie du Haut Atlas, Paul Geuthner, Paris, 1942.

الذي اعتمد خرائط الجيوموفولوجي الفرنسي الشهير Jean DRESCH عن الأطلس الكبير. وانطلق LAOUST من 2477 اسماً أورده DRESCH ليقوم بتصنيف 641 اسماً فقط، ويبحث في دلالتها، وليختم عمله بقائمة بأسماء أماكن غير مدروسة[2] liste des toponymes non étudiés. (ص ص156 ـ 158) مما يكشف عن الصعوبات التي تواجه البحث الطوبونيمي، إذ يظل عاجزاً ـ وإن بصفة مؤقتة ـ عن إخضاع جميع الأسماء التي تسنى له جمعها للتصنيف والتفسير والتوطين.

كما تجدر الإشارة إلى مجموعة من الأبحاث التي ألقيت في أعمال الندوة الوطنية الأولى حول الأعلام الجغرافية، المنعقدة بالرباط أيام (15 ـ 16 ـ 17 أبريل 1992م)، التي نظمها المعهد الجامعي للبحث العلمي ومديرية المحافظة العقارية والأشغال الطبغرافية، ويهمنا منها على وجه الخصوص: مساهمة د. يزيد حمدوني علمي[3] بعنوان: Onomastique urbaine: une autre facon de redécouvrir la médina de Fès.

وتعزى قلة الدراسات المغربية الحديثة التي اعتمدت القراءة الطوبونيمية ـ في نظرنا ـ إلى عاملين اثنين:

ـ **أولهما**: حداثة الإقبال على دراسة أسماء الأماكن والوعي بأهميتها وفائدتها.

---

(1) يمكن الإشارة على سبيل المثال إلى ثلاث دراسات مهمة؛ هي:
- L. MASSIGNON, **Explication du plan du Kûfa** (Irak), Melanges, Maspero, fasc.3, M.I.F.A.O, Le caire, 1935.
- J. SAUVAGET, **Esquisse d'une histoire de la ville de Damas,** Revue des études islamiques, Paris, 1934.
- M. ASIN PALACIOS, **Contribución a la toponimia arabe de Espa7a,** madrid, 1944.

(2) Emile LAOUST, Op. Cit., pp.156 - 158.

(3) كتاب «**الاسم الجغرافي: تراث وتواصل**»، ص ص121 ـ 130.

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

ـ **ثانيهما**: تداخل حقول معرفية عديدة في الدراسة الطوبونيمية، الذي يقابله جنوح البحث إلى التخصص الدقيق.

وكانت النتيجة المباشرة: غياب تراكم يسمح بالوصول إلى خلاصات واستنتاجات قطعية. وفي هذا الإطار تأتي استجابتنا للدعوة الكريمة التي وجهت إلينا للمشاركة في هذا الملتقى العلمي، احتفاء بصدور طبعة جديدة من كتاب «سلوة الأنفاس»[1]، وذلك انطلاقاً من اهتمام شخصي بالطوبونيميا عامة، وبطوبونيمية مدينة فاس خاصة، وباعتبار أن كتاب «السلوة» يوفر إمكانية الدراسة الطوبونيمية لمدينة فاس بامتياز كبير، سوف تفصح عنه هذه المساهمة المتواضعة.

قمنا ببناء هذه المساهمة على ثلاثة محاور:

I ـ سلوة الأنفاس والطوبونيميا: أية علاقة؟.

II ـ تصنيف بعض الأسماء الجغرافية داخل سور فاس.

III ـ دلالة بعض الأسماء الجغرافية بفاس.

I ـ سلوة الأنفاس والطوبونيميا: أية علاقة؟:

يفصح العنوان الكامل للكتاب وهو «سلوة الأنفاس، ومحادثة الأكياس، بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس»[2]، عن همّ طوبونيمي لازم المؤلف سيدي محمد بن جعفر بن إدريس الكتاني (1274 ـ 1345هـ/ 1857 ـ 1927م) منذ أولى صفحات كتابه إلى خاتمته، عبر عشرة طويلة له مع شخصيات وتراجم بلغت 1881.

وقبل استعراض تجليات الهمّ الأماكني لدى المؤلف في كتابه «السلوة»، نرى ضرورة إبداء ملاحظة مهمة، تتمثل في اعتماد المؤلف على المصنفات

(1) تحقيق: عبد الله الكامل الكتاني وحمزة بن محمد الطيب الكتاني ومحمد حمزة بن علي الكتاني، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1994م، في ثلاثة أجزاء.

(2) نفسه، 1: 11.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

المكتوبة التي توفرت لديه، فأثبت منها نقولاً حرفية، وردت بها أسماء جغرافية، نرى من الضروري الوعي بها والانتباه إلى إطارها الزمني الذي كتبت فيه، واعتمادها في الدراسة الطوبونيمية على سبيل المقارنة والاستئناس، باعتبار أن موضوع هذه المساهمة هو: أماكنية فاس من خلال كتاب «السلوة»، تخصيصاً لا إطلاقاً. وهو ما ينطبق ـ وإن بصورة خافتة ـ على مصدره الثاني؛ وهو: الرواية الشفوية، لما ينتاب عملية السماع من تشويه أو تحريف أو تصحيف.

كما نود أن نشير أيضاً إلى أن موضوع المساهمة اقتصر على فاس العتيقة؛ أي: ما عبر عنه المؤلف نفسه بـ«داخل المدينة والسور»[1]، أما خارج المدينة والسور، بما فيه فاس الجديد؛ فجديران بأن تفرد لهما دراسة مستقلة.

لم يدع المؤلف أية فرصة مواتية لكي يستحضر اهتمامه الطوبونيمي، فقد تعددت المناسبات التي ورد فيها هذا الاستحضار، نذكر منها خمساً: المقدمة/ العناوين الفرعية/ البنية العامة/ الخاتمة/ المصطلح.

1 ـ مقدمة الكتاب:

يمكن اعتبار مقدمة «السلوة» البوصلة التي توجه أية قراءة له، وينطبق هذا بامتياز على القراءة الطوبونيمية.

يكشف المؤلف في المقدمة التي وضعها لكتابه عن المنهج الذي اعتمده فيه، بقوله: «وذكرت أولاً من بداخل المدينة والسور، ثم انتقلت لمن حولهم من أرباب الروضات التي بالمدينة تدور، ورتبتهم في الذكر على حسب الرحاب والبقاع والأمكنة، من غير مراعاة تقدم أو تأخر في الأعصار والأزمنة، وذُكر الأول فالأول في الطريق؛ لأن ذلك أسهل إلى الزائر الطالب للتحقيق. لكني جهلت الكثير من الأضرحة هنالك، فكان ذلك سبباً لترك سلوك هذه المسالك، فذكرتها على حسب التيسير والإمكان، وقاربت بينها

(1) نفسه، 1: 10.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

على مقتضى إشارتهم في المكان، ومن علمت ناحيته إجمالاً ولكني جهلت مكانه منها أخرته، وبَعْدَ المعلوم مكانه ـ ولو علماً ما ـ ذكرته. وختمت الكتاب بتكملة ذكرت فيها بعض من توفي بهذه البلدة المعمورة، ولم أطلع على تعيين محل دفنه منها في شيء من الكتب المشهورة؛ ليكون الكتاب ـ إن شاء الله تعالى ـ جامعاً مانعاً، ولمطالعه بحول الله وقوته موفياً بالمقصود نافعاً»[1].

يقوم منهج المؤلف من خلال هذه الفقرات القيِّمة على أساس طوبونيمي، ينتقل من العام إلى الخاص، ويتجلى ذلك في:

1 ـ تقسيم أماكن إقبار العلماء والصلحاء بفاس إلى قسمين:

- داخل المدينة والسور Intra - Muros
- خارج المدينة والسور Extra - Muros

2 ـ استناد الترتيب إلى الجغرافيا في مرتبة أولى، والتاريخ في مرتبة ثانية: «حسب الرحاب والبقاع والأمكنة، من غير مراعاة تقدم أو تأخر في الأعصار والأزمنة»[2].

3 ـ استناد ترتيب أضرحة العلماء والصلحاء ومدافنهم إلى أساس طوبونيمي، لغاية نفعية مصرح بها: «وذُكر الأول فالأول في الطريق؛ لأن ذلك أسهل إلى الزائر الطالب للتحقيق»[3].

4 ـ حضور الجغرافيا حتى في غياب المعرفة التاريخية الدقيقة: «قاربت بينها [الأضرحة] على مقتضى إشارتهم [أصحاب المصنفات] في المكان»[4].

5 ـ تحديد المعرفة بوحدتين جغرافيتين هما: الناحية والمكان، والأولى أشمل: «ومن علمت ناحيته إجمالاً ولكني جهلت مكانه منها؛ أخرته، وبَعْدَ المعلوم مكانه ـ ولو علماً ما ـ ذكرته»[5].

---

(1) نفسه، 1: 10 ـ 11.
(2) نفسه، 1: 10.
(3) نفس المصدر والجزء والصفحة.
(4) نفس المصدر والجزء والصفحة.
(5) نفس المصدر والجزء والصفحة.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

6 ـ اللجوء إلى المعرفة التاريخية بعد استنفاد المعرفة الجغرافية: «وختمت الكتاب بتكملة ذكرت فيها بعض من توفي بهذه البلدة المعمورة، ولم أطلع على تعيين محل دفنه منها، في شيء من الكتب المشهورة»[1].

2 ـ العناوين الفرعية:

تكاد جميع العناوين التي وضعها المؤلف في كتابه «السلوة» تنص على بُعد طوبونيمي، مثال ذلك: «ذكر من اشتهر أو وقفت على التعريف به من صلحاء وعلماء حومة...»[2]، ثم يحدد اسم الحومة.

3 ـ البنية العامة للكتاب:

رتَّب محمد بن جعفر الكتاني شخصيات كتابه ـ خاصة في الجزء الأول منه ـ حسب حومات مدينة فاس، التي حصرها في 18 حومة، دون احتساب الحرم الإدريسي الذي تحكمت في الافتتاح به نوازع منقبية بدرجة أولى وطوبونيمية بدرجة ثانية.

أما في الجزأين الثاني والثالث؛ فقد استند المؤلف في التعريف بصلحاء فاس وعلمائها إلى الأبواب:

- «التعريف بصلحاء وعلماء داخل باب الفتوح»[3].
- «التعريف بصلحاء وعلماء خارج باب الفتوح»[4].
- «تتمة علماء وصلحاء خارج باب الفتوح»[5].
- «علماء وصلحاء خارج باب المسافرين»[6].
- «علماء وصلحاء خارج باب الجيسة»[7].

---

(1) نفسه، 1: 11.
(2) نفسه، 1: 71، 103، 117، 139، 163، 202، 224، 245، 250، 271، 291، 325، 347، 350، 383، 390، 391، 397، 400.
(3) نفسه، 2: 3.
(4) نفسه، 2: 183.
(5) نفسه، 3: 3.
(6) نفسه، 3: 115.
(7) نفسه، 3: 123.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

- «علماء وصلحاء خارج باب الشريعة وخارج باب السبع من فاس الجديد»[1].
- «صلحاء وعلماء فاس الجديد»[2].

وعندما خفي على المؤلف محل إقبار صلحاء وعلماء ـ شهدت المصادر بدفنهم بفاس ـ عمد إلى ترتيبهم حسب المعجم[3].

واعترضت مؤلف «السلوة» مشكلة اندثار مكان إقبار بعض العلماء والصلحاء بفاس، فعالجها في البداية عن طريق الإعراض عنهم، غير أنه تبيَّن له فيما بعد ذكر بعضهم: «تتميماً للفائدة والغرض، وأداء لبعض حقهم المفترض، بقدر الطاعة والإمكان في مستصعب هذا الزمان، على حسب ما يذكر على ألسنة الناس، متبرئاً من عهدة ما عسى أن يكون طرأ في بعضهم من التغيير والالتباس»[4]. ليثبت 427 ترجمة[5]، يغلب عليها الاقتضاب.

إن قارئ هذه التراجم يقف على ثلاثة أمور:

- يتعلق الأمر بتكملة استدراكية، هدف من ورائها المؤلف الكمال ودفع تهمة التجاهل والإغفال، وإن كانت «الإحاطة إنما تمكن لله وحده»[6]، على حد تعبيره.
- اعتماد الرواية الشفوية، رغم ما اعتورها في نظره من تحريف وتصحيف. غير أنه تدارك ذلك في مناسبة أخرى بكونه تلقى شفاهياً «من أفواه الصدور **والأكابر**»[7].
- ملازمة الهم الطوبونيمي للمؤلف، ويظهر ذلك في كونه في هذه التكملة يترجم لأهل الدور والبساتين والرحاب رغم اندراس محل الإقبار، ورغم ما انتاب المعلومات الطوبونيمية من تغيير والتباس لحقا السكنى ومكان

(1) نفسه، 3: 229.
(2) نفسه، 3: 272.
(3) نفسه، 3: 299.
(4) نفسه، 3: 410.
(5) نفسه، 3: 410 ـ 490.
(6) نفسه، 3: 501.
(7) نفسه، 3: 500.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

التعبد أيضاً. ثم إنه اعتمد ترتيب هذه الشخصيات وفق أساس طوبونيمي استند إليه في الجزء الأول من كتابه، هو الحومات 18.

وهكذا فإنه باستثناء الترتيب المعجمي ـ الذي اعتمده اضطراراً لا اختياراً ـ كان حضور الهم الأماكني واضحاً في بنية كتاب «السلوة».

4 ـ خاتمة للكتاب:

عندما أشار المؤلف إلى إعراضه عن أسماء شخصيات عديدة ترجمت لهم المصادر التي كانت بين يديه، رغم نصها على حلولها بفاس، وترجيحها وفاتها وإقبارها بها، برَّر ذلك بقوله: «مخافة أن يكون الأجل، قد ساقه لغيرها وعجل، فلا يكون من موضوع الكتاب، الذي هو ذكر من مات بها من غير ارتياب»[1].

5 ـ على مستوى المصطلح:

استعمل المؤلف مجموعة هائلة من المصطلحات تغترف من الطوبونيميا وتفيدها، مثل: الرحبة والبقعة، والمكان والطريق، والناحية والروضة، والباب والحانوت، والحومة والزنقة، والقوس والقنطرة، والساباط والمباح، والدرب والزقاق، والمحجة والمحلة، والسوق والجامع، والمسجد والمكتب، والسماط والعرصة والدار... والقائمة طويلة جداً. هذا إلى جانب تفريعات لها اعتمدت التصغير، مثل: دريبة ودويرة، ورحيبة وعقيبة، وعريصة وبويبة... في كل ذلك ما يؤكد ما سميناه بالهمّ الطوبونيمي لدى المؤلف، كما يؤكد ما ردده في عدة مناسبات، دون تبرم أو حرج، أن موضوع الكتاب هو: إقبار صلحاء وعلماء بفاس.

غير أن هذه المصطلحات تبقى دون أهمية إذا لم تخضع لدراسة تعتمد البحث في دلالاتها، من منظور لغوي واصطلاحي، بهدف اكتشاف العلاقة بينهما (اللغة والاصطلاح) وضبطها، مما يساعد دون أدنى شك على معرفة

(1) نفسه، 3: 501.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

تحول مفهوم كل مصطلح، واستقراره في ذهنية المؤلف، التي يجب ألا يغيب عنا أنها تختزل المكتوب والشفاهي والعياني، الركائز أو المستويات الثلاثة التي اعتمدها في مؤلَّفه، وتُمكن بالتالي من معرفة مفهوم هذه المصطلحات في عصره ولدى مجايليه.

وهكذا فإن دراسة المصطلحات الطوبونيمية الواردة في كتاب «السلوة»، لا بد أن تميز بين ثقافة سابقة وبين ثقافة وفكر محمد بن جعفر الكتاني، التي يمكن تلمسها في تعليقاته وتنبيهاته وتدخلاته: مضيفاً أو مكملاً أو مصوباً أو معقباً. مع الأخذ بعين الاعتبار الصعوبات التي تعترض هذا المسعى، والتي تبقى أبرزها: خضوع المؤلف لتأثيرات النصوص التي أثبتها، ثم قصور التفسير اللغوي عن مسايرة الاستعمالات المصطلحية للمؤلف.

وسنرجئ الوقوف على نماذج من هذه المستويات والصعوبات إلى المحور المتعلق بالدلالة.

لا يجد قارئ كتاب «السلوة» عناء في رصد قدرة محمد بن جعفر الكتاني على الالتزام بالمنهج الذي حدَّده في المقدمة، وبالقواعد التي نصَّ عليها. وهذا ما تنبئ به العبارات التي استعملها، والتي تخفي معرفة دقيقة بالدروب والمسالك، من قبيل:

- «قريباً من دار القيطون بإزاء الحائط الشرقي منه»[1].
- «وضريحه بها عليه حوش من خشب، وفوقه دربوز وكسوة»[2].
- «بالتقويسة التي بالحائط الموالي لباب الدرب هناك»[3].
- «ودفن بروضة السيد علال الشامي بباب الحمراء، عن يمينها قريباً منها، بإزاء السور، وبُني على قبره قوس كبير يقابل السور»[4].
- «وهو بداره من الحومة المذكورة، بالدرب الكائن بقنطرة الصباغين، يسار

(1) نفسه، 1: 83.
(2) نفسه، 1: 105.
(3) نفسه، 1: 117.
(4) نفسه، 2: 124.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

الذاهب لسيدي العواد، ثم بالدرب الصغير منه عن يمين الداخل فوق المسجد هناك، يسار الداخل إليه»[1].

- «ودفن بباب الروضة المذكورة، يسار الداخل، خارجها، متصلاً بها»[2].
- «ودفن بجوار الروضة المذكورة، ملاصقاً لجوارها الشرقي، عن يمين الطريق الذاهبة لسيدي يوسف الفاسي»[3].
- «ودفن بالروضة المذكورة، قريباً من وسط الصف الموالي لروضة الدباغين»[4].

والقائمة طويلة جداً، إذ تكاد مثل هذه العبارات ـ مع فوارق طفيفة ـ تكون لازمة لكل ترجمة.

ولا شك أن الهمّ الطوبونيمي الذي لازم المؤلف، لم يكن وحده الذي كان يشغله. وهو أمر بديهي، نظراً لطبيعة موضوع الكتاب؛ غير أننا نسجل، منذ الوهلة الأولى، تداخل المنقبي مع الطوبونيمي في تعريف المؤلف بصلحاء وعلماء أقبروا بفاس، فقد تبنى ـ وهو بصدد تعداد فضائل المدينة ـ فكرة سيدي عبد الرحمٰن المجذوب، القائلة: إن فاس «تعرف عند الأولياء وأهل الله تعالى بالزاوية»[5].

وهكذا نصل إلى خلاصة مفادها: أن العلاقة التي جمعت كتاب «السلوة» بالطوبونيميا علاقة حميمية، وهو أمر يحقق أحد الأهداف الكبرى التي سعى إليها سيدي محمد بن جعفر الكتاني، الذي أراد لقارئ كتابه أن يجد سهولة في زيارة دروب فاس وأزقتها وعرصاتها وروضاتها... لكن الزائر الذي يتحدث عنه المؤلف ليس زائراً عادياً، بل هو «الزائر الطالب للتحقيق»[6].

---

(1) نفسه، 1: 347.
(2) نفسه، 3: 51.
(3) نفس المصدر والجزء والصفحة.
(4) نفسه، 2: 220.
(5) نفسه، 1: 77.
(6) نفسه، 1: 10.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

II ـ تصنيف بعض الأسماء الجغرافية داخل سور فاس:

تعترض عملية تصنيف بعض الأسماء الجغرافية الواردة في كتاب «السلوة» مجموعة من الصعوبات، إلا أنها في الوقت نفسه تفتح أمامنا عدة خيارات، منها:

1 ـ تصنيف مصطلحي، يتتبع جميع المصطلحات ويصنفها وفق طبيعة كل واحد منها، مثل: الدرب والزنقة، والجزاء والزقاق، والجامع والعقبة، والزاوية والروضة والمدرسة...

2 ـ تصنيف موضوعاتي، يلم شتات التصنيف السابق، عبر توزيعه على مستويات معينة؛ مثل الأحياء والمعالم العمرانية. وضمن الأحياء يتم التصنيف إلى:

- الأحياء ذات الطابع السكني.
- الأحياء ذات الطابع الحِرَفي.
- الأحياء ذات الطابع التجاري.

ويندرج ضمن المعالم العمرانية:

- المعالم الدينية، من مساجد وجوامع..
- المعالم العلمية، من زوايا وكتاتيب ومدارس..
- المعالم الاجتماعية، من حمامات وأفران وجسور وعرصات وسقايات وميضآت وروضات..
- المعالم العسكرية، من قصبات وأبراج وقلاع..

لكل تصنيف، مصطلحي أو موضوعاتي، ميزاته وعيوبه، غير أننا في هذه المساهمة سنحاول الاستفادة منهما معاً، في تصنيف قريب منهما. إذ سنستحضر تفريعات تصنيفية دون الالتفات إلى كونها مصطلحية أو موضوعاتية. علماً أن الهدف من الدراسة هو الذي يحدد طبيعة التصنيف، سواء كان هذا الهدف خريطة أو معجماً أو دليلاً. وما دام هذا العرض لا يدعي الوصول إلى أحد الأهداف السابقة الذكر، فإننا نقترح تصنيفاً، يهدف إلى لفت الانتباه إلى

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

أهمية الدراسة الطوبونيمية، وإلى استحقاق كتاب «السلوة» إلى مثل هذه الدراسة، اقتناعاً منا أننا بهذه المساهمة لن نقدم سوى مفاتيح ـ تعتمد أسلوب النماذج ـ لقراءة كتاب «السلوة» طوبونيميا، وهي خطوة أولى وضرورية نحو مشروع علمي طموح يروم توطين هذه الأسماء على خريطة فاس، في المستقبل.

تكشف مجموعة كبيرة من الأسماء الجغرافية الواردة في كتاب «السلوة» عن بعد تاريخي واضح، نتبينه بسهولة في التصنيف التاريخي.

يُظهر التصنيف التاريخي بشقيه الفردي والجماعي، التقاطع الكبير بين الطوبونيمي والتاريخي. وتوفرت لدينا نماذج كثيرة، سوف نختار مجموعة تمثل نوعها.

1 ـ التصنيف التاريخي الفردي: ويندرج ضمنه الذكور والإناث:

الذكور: ضريح سيدي أحمد الشاوي/ عقبة ابن صوال/ زاوية سيدي مساء الخير/ روضة سيدي أبي عياد الورياجلي/ مسجد سيدي سليمان الغماري/ جامع سيدي عبد الله بن حسون/ رحيبة ابن زروق/ باب الفتوح/ كدية سيدي ميمون الفخار/ جزاء ابن عامر/ سقاية الدمناتي...

الإناث:

- جامع البستيونية[1]، نسبة إلى منانة البستيونية، المتوفاة سنة (1164هـ).
- زنقة حجامة[2]، نسبة إلى للا حجامة.
- باب الساگمة[3]، نسبة إلى آمنة المدعوة الساگمة.

والأمثلة عديدة، تحمل إحالات على شخصية تاريخية معينة، ترجم لها صاحب «السلوة»، كما ترجم لها سابقون عليه، ونُسب مكان ما إليها.

والجدير بالملاحظة: أنه ربما ليس هناك مصطلح طوبونيمي غير مركب مع اسم تاريخي، سواء في ذلك الضريح أو الدرب أو الزاوية أو العقبة أو

(1) نفسه، 1: 350.
(2) نفسه، 3: 414.
(3) نفسه، 3: 259.

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

السوق أو الباب أو الكدية أو غيرها. وفي ذلك ما ينبئ بحضور تاريخي مكثف.

2 ـ التصنيف التاريخي الجماعي: يعتبر انتساب اسم جغرافي إلى وحدة جماعية، سواء كانت قبيلة أو أسرة أو بيتاً أو جنساً أو شريحة اجتماعية، ضمن هذا التجلي التاريخي. ولا تعوزنا الأمثلة من كتاب السلوة: حومة اللمطيين/ مصمودة/ هوارة/ الوربية/ درب تريال[1]/ درب الروم/ واد الشرفاء... إلخ.

وإذا كان الأمر كذلك على مستوى التصنيف التاريخي؛ فإن تصنيفات أخرى حظيت بنصيب من أسماء أماكن بفاس.

3 ـ تصنيف طبوغرافي، تعبر عنه مصطلحات وطا/ عدوة/ عقبة/ كدية/ وادي/ رأس/ العليا/ السفلي، مثل: وطا ابن فرقاشة (أو فرقاجة) وعدوة القرويين، وعقبة ابن صوال، وكدية البراطيل، وفاس العليا، ووادي الزيتون، ووادي رشاشة، ووادي الصوافين، وضفة الوادي، وكدية سيدي ميمون الفخار.

كما تعبر عنه أسماء جغرافية مثل الجرف والعدوة والطالعة، ودرب الشيخ السفلي، ودرب الشيخ الفوقي، ورحا الشمس الفوقية، ورحا الشمس السفلى، والمنية الطرفية، والمنية الوسطية.

4 ـ تصنيف هيدرولوجي، نجد آثاره على مستوى المصطلح وكذا الأسماء الجغرافية: سقاية الدمناتي/ حومة الشرشور/ مدرسة الصهريج/ زنقة غدير الجوزة/ حومة العيون/ عين علون/ عين أصليتن/ عين البغل/ فندق الماء/ واد رشاشة/ رحى الشمس/ رحى الحناء/ المعادي/ واد الشرفاء/ واد الصوافين/ واد الحريقي/ مسجد السانية...

---

(1) نسبة إلى أولاد تريال: «**من قدماء فاس، ومن أهل الثروة**»، كما جاء عند عبد الكبير بن هاشم الكتاني، «**زهر الآس في بيوتات أهل فاس**»، تحقيق: علي بن المنتصر الكتاني، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2002م، ج1، ص242.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

Black plate (181,1)

5 ـ تصنيف نباتي، ينضوي تحته: الدوح/ جامع النارنجة/ جامع الشوك/ كرم النصارى/ ضريح سيدي بورمانة/ زنقة النخيل/ زقاق الرمان/ جبل الزعفران/ رحبة الزرع/ فندق الحمص/ رحبة الزبيب/ رحاء الحناء/ جزاء ابن برقوقة/ رحبة التبن/ النخالين. مع تسجيل غياب أسماء طوبونيمية حالية، تنتمي إلى هذا التصنيف، درب النوار/ الخراشفيين/ شق بذنجالة/ درب الرنجة/ درب مشماشة...

6 ـ تصنيف حرفي، تعبر عنه الأسماء التالية: طراز/ دار الدبغ/ رحى. إلى جانب: الصاغة/ الكغادين/ الشرابليين/ الطرافين/ التناكين/ النجارين/ العطارين/ التيالين/ الحفارين/ النواعريين/ القفازين/ الصباغين/ الفخارين/ البلاجين/ القشاشين/ الهيادريين/ الدلائين/ السراجين/ الأبارين/ البرادعيين/ النخالين/ العوادين/ السمارين/ الشماعين/ الحدادين/ الرماحين/ اللباطة/ الدراقين/ القرادين[1]...

7 ـ تصنيف تجاري، ممثلاً بالأسماء التالية: سوق/ سويقة/ رحبة/ فندق/ قيسارية. وربما تداخل التجاري بالحرفي، لذلك تعتمد المصطلحات الدالة على هذا التصنيف صراحة. ولدينا نماذج منها: سوق الخميس/ رحبة التبن/ القيسارية/ سويقة ابن صافي/ الجوطية/ سوق عين علون/ فندق الملح/ رحيبة ابن زروق/ رحبة الزرع/ رحبة الزبيب/ فندق سيدي عبد المجيد/ سوق المركطان...

8 ـ تصنيف حيواني، تندرج ضمنه أسماء مثل: عقبة السبع/ زقاق البغل/ باب البراطليين/ كدية البراطيل/ زاوية بوقطوط/ عقبة الفئران/ باب السبع... وحالياً هناك درب الحنش بزقاق الرمان..

9 ـ تصنيف أماكني؛ أي: نسبة إلى مجال جغرافي. ومن أمثلة ذلك:

---

(1) «**القَرَد: ما تمعط من الوبر والصوف وتلبد، وقيل: نفاية الصوف خاصة، ثم استعمل فيما سواه من الوبر والشعر والكتان**»، ابن منظور، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، 1997م، 5: 226، مادة قرد.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

عدوة الأندلس/ درب جنيارة[1]/ طريانة[2]/ . . .

10 ـ تصنيف حسب أسماء المكاييل والموازين والمقاييس، مثل زنقة الرطل/ درب الطويل. وحالياً هناك درب الميتر. . .

11 ـ تصنيف يعتمد الزقاق: زقاق الرواح/ زقاق الحجر/ زقاق الماء/ زقاق البغل/ زقاق الرمان.

12 ـ تصنيف يعتمد الرحبة: رحبة الزبيب/ رحبة التبن/ رحبة الزرع/ رحيبة ابن زروق. .

13 ـ تصنيف يعتمد الجزاء: جزاء ابن زكون/ جزاء ابن عامر/ جزاء ابن برقوقة.

وإضافة إلى التصنيفات الثلاثة الأخيرة (زقاق ـ رحبة ـ جزاء)، التي تدخل ضمن التصنيف المصطلحي، ثم التصنيفات الموضوعاتية العشرة، هناك تصنيفات أخرى تعتمد وحدات صغرى، مثل: الدرب والعقبة وغيرهما. .

وهكذا فإن مستويات التصنيف التي أشرنا إليها أفضت بنا إلى تصنيف يعتمد الثلاثية التالية:

1 ـ أسماء ذات علاقة بالوسط الطبيعي: طبوغرافيا وهيدرولوجيا ونبات وحيوان.

2 ـ أسماء ذات علاقة بالإنسان: أسماء أشخاص (ذكور ـ إناث) وأسر وقبائل وجماعات.

3 ـ أسماء ذات علاقة بالنشاط البشري: والنشاط الاقتصادي أساساً، من حرف وأسواق ومكاييل.

---

(1) نسبة إلى بلد جنيارة، فيما بين فاس وطنجة: «**وفيه قرى كثيرة؛ عامرة زرعاً وضرعاً**»، مجهول، «**الاستبصار في عجائب الأمصار**»، نشر وتعليق: سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1985م، ص188.

(2) نسبة إلى طريانة TRIANA إحدى كور إشبيلية. راجع عنها: محمد بن عبد المنعم الحميري، «**الروض المعطار في خبر الأقطار**»، تحقيق: إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، 1975م، ص392.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

ويرتبط بعملية التصنيف كمرحلة أساسية في الدراسة الطوبونيمية، وبصورة مباشرة، البعد الإحصائي للأماكنية، بل إن بعض المدارس الطوبونيمية تجعله أحد فروعها الرئيسية: الطوبونيميا الإحصائية La toponymie statistique ورغم هذه الأهمية؛ فقد صرفنا النظر عنه لاعتبارات تقيد حرية تقديم إحصاءات وأرقام ونسب ذات دلالة وعمق، منها:

- اقتصارنا على داخل سور مدينة فاس.
- اقتصارنا على كتاب واحد هو «السلوة».

وفي هذا الإطار؛ وجب التنبيه إلى إعادة النظر في الأرقام التي تحملها تراجم كتاب «السلوة»، باعتبار أن هناك تراجم أعطيت لها أرقام ضمن تسلسل لا يقتضيها[1].

III ـ دلالة بعض الأسماء الجغرافية بفاس:

يكتسي البحث في دلالات الأسماء الجغرافية سواء على المستوى اللغوي أو الاصطلاحي أو التاريخي، أهمية بالغة في الدراسة الأماكنية وأحد أبرز محطاتها.

1 ـ الدلالة اللغوية:

إذا كانت الدلالة التاريخية تنضوي تحت خانة التصنيف باعتبارها امتداداً طبيعياً له، فإن البحث في الدلالة اللغوية يظل ضرورة لا محيد عنها، خاصة بالنسبة إلى مصطلحات أماكنية، تبدو الحاجة ماسة إلى تفسيرها تفسيراً لغوياً، مثل الزقاق والدرب والمحجة والزنقة والعدوة والساباط والجزاء والعرصة... بالإضافة إلى أسماء معالم كالمعادي والكدان وغيرهما..

(1) نماذج: التراجم 20 ـ 30 (1: 107 ـ 111) + ترجمة 73 (1: 155) + ترجمة 258 (1: 297 ـ 298) + ترجمة 259 (1: 298) + ترجمة 426 (2: 28 ـ 30) + ترجمة 479 (2: 72)...

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

* ـ الزقاق والدرب والزنقة والمحجة:

يجتمع الزقاق والزنقة في الضيق، ويفترقان في كون الزقاق نافذ وغير نافذ، وفي كون الزنقة عبارة عن: «مَيْل في جدار أو سكة أو ناحية دار أو عرقوب واد، يكون فيه التواء كالمدخل»[1]. فهل ينطبق هذا على كل من زقاق الحجر وزقاق الماء وزقاق الرواح وزقاق البغل وزقاق الرمان وزنقة الرطل؟.

هناك عناصر جامعة بينها، مثل وقوعها كلها في منحدرات، عدا زقاق الماء، وهو ما تؤكده إشارات صاحب السلوة إلى زقاق مرتبط بعقبة: «زقاق.. يعرف بعقبة ابن صوال»[2]، وفي مناسبة أخرى: «زقاق يقال له قديماً عقبة المكودي»[3]. إلى جانب كونها جميعاً نافذة. وإذا كان الميل من خصوصيات الزنقة، فإنه ينسحب أيضاً على الأزقة السالفة الذكر.

أما إذا أضفنا الدرب، فإننا سنضيف مميزات أخرى، باعتبار أن الدرب: «باب السكة الواسع.. وهو بفتح الراء للنافذ منه وبالسكون لغير النافذ»[4]. فهل خضعت أزقة فاس وزنقاتها ودروبها لهذه الضوابط؟.

أما المحجة التي وردت في السلوة في عدة مناسبات[5]، فإنها لا تخرج عن إطار استعمال يفيد معنى الطريق أو جادة الطريق، باعتبار أن جادة الطريق تعني: «مسلكه وما وضح منه»[6].

* ـ العُدوة: العدوة في اللغة المكان المتباعد والمكان المرتفع وشاطئ الوادي. ورد المصطلح في القرآن الكريم: ﴿إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ﴾ [الأنفال: 42]، بمعنى ما يلي المدينة، وما يلي مكة. وانتقل

(1) ابن منظور، المصدر السابق، 3: 205.
(2) محمد بن جعفر الكتاني، المصدر السابق، 1: 341.
(3) نفسه، 1: 204.
(4) ابن منظور، المصدر السابق، 2: 369.
(5) محمد بن جعفر الكتاني، المصدر السابق، وردت مفردة في 1: 152، 232، 237، 248...، ومركبة مع اسم زقاق (محجة فندق اليهودي)، نفسه، 1: 206.
(6) نفسه، 1: 385.

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

المصطلح إلى المغرب من المشرق، فأطلق على ضفتي كل مجال يفصله مجرى مائي: العدوة المغربية مقابل العدوة الأندلسية/ عدوة الأندلسيين مقابل عدوة القرويين/ عدوة سلا مقابل عدوة الرباط[1]. ويستقيم التفسير اللغوي مع أسماء الأماكن التي تحمل مصطلح العدوة، مع الإشارة إلى حومة العدوة، التي تدخل في سياق إطلاق الجزء على الكل، وربما أخفت تطوراً عمرانياً في مرحلة تاريخية معينة.

* ـ الساباط: ورد في السلوة مفرداً[2]، ومركباً مع كلمة الهيادريين[3] أو القرادين[4]. ويستقيم كل من استعمال المؤلف واسم المكان مع التفسير اللغوي، فـ«الساباط سقيفة بين حائطين [أو] بين دارين.. من تحتها طريق نافذ»[5].

* ـ العرصة: يكشف التفسير اللغوي للعرصة، وهو المصطلح الذي عرفت به عدة جهات بفاس، عن أهميته. فالعرصة هي البقعة الواسعة بين الدور ليس فيها بناء[6]. ويرتبط وجودها بوفرة المياه، مما يؤهلها لوظيفتين، هما: إنتاج الخضر والفواكه، واتخاذها فضاءات للنزهة والاستجمام[7].

* ـ الجزاء: تحمل ثلاثة أماكن بمدينة فاس هذا الاسم مركباً مع اسم شخص، وهي: جزاء ابن زكون وجزاء ابن عامر وجزاء ابن برقوقة. وإذا كان صاحب السلوة قد عرّف بابن زكون، الفقيه والمحدث أبو علي حسن بن إبراهيم بن عبد الله بن أبي سهل المعروف بابن زكون، المتوفى سنة (553هـ)[8]،

(1) عبد الإلـٰه بن مليح، **معلمة المغرب**، مطابع سلا، 2003م، العدد 18، مادة «العدوة»، ص6005.
(2) محمد بن جعفر الكتاني، المصدر السابق، 1: 208.
(3) نفسه، 1: 267.
(4) نفسه، 1: 134.
(5) ابن منظور، المصدر السابق، 3: 236.
(6) نفسه، 4: 301.
(7) حسن جلاب، **معلمة المغرب**، مطابع سلا، 2003م، العدد 18، مادة «عراصي مراكش»، ص6012.
(8) محمد بن جعفر الكتاني، المصدر السابق، 1: 347.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

فإنه أثبت ترجمة مقتضبة لشخص يدعى سيدي عامر بالحومة التي تحمل اسمه (جزاء ابن عامر)، لا نتبين منها أنها تنتسب إليه[1]. في حين أشار إلى ابن برقوقة بصورة عرضية، باعتباره اسم مكان[2]، مما فوت علينا فرصة معرفة حيثيات نسبة الأمكنة الثلاثة إليهم.

أما بالنسبة لمصطلح جزاء؛ فمعناه لغة: «المكافأة على الشيء»[3]، غير أنه في الاصطلاح؛ يعني: حقاً يؤديه المرء جزاءً على بنائه فوق أرض لا يملكها[4]. وهو خلاف المعنى اللغوي. ويؤكد المعنى الاصطلاحي عبارة وردت في «السلوة»، خلال الحديث عن بناء زاوية سيدي رضوان الجنوي (جوار حمام الجياد في حومة البليدة)، حيث تكلف أصحاب سيدي رضوان بذلك: «وزلجوها وأجروا لها الماء جزاءً؛ لأنه لم يكن فيها إلا البئر الذي في وسط صحنها، وصنعوا لها الكنيف..»[5]، مما يفهم منه أداؤهم حقاً مقابل ذلك.

* ـ الكدان: حومة بعدوة الأندلس. وردت في «السلوة» بدال مهملة[6]، أما في مصادر سابقة؛ فقد كتبت بدال معجمة في بعضها[7]، وبدال مهملة في البعض الآخر[8]، بل وقع الاختلاف حتى ضمن المصدر الواحد[9]. ويبدو أن

---

(1) نفسه، 3: 450.
(2) نفسه، 1: 383، 403.
(3) ابن منظور، المصدر السابق، 1: 421.
(4) أحمد ابن القاضي، «**جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس**»، دار المنصور، الرباط، 1973م، ج1، ص32، وانظر أيضاً هامش الصفحة ذاتها، رقم (48)؛ علي الجزنائي، «**جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس**»، تحقيق: عبد الوهاب بن منصور، ط2، المطبعة الملكية، الرباط، 1991م، ص26، وانظر أيضاً هامش الصفحة ذاتها، رقم (65).
(5) محمد بن جعفر الكتاني، المصدر السابق، 1: 201.
(6) نفسه، 1: 400، 407، 408.
(7) ابن عيشون الشراط، «**الروض العطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس**»، تحقيق: زهراء النظام، مطبعة النجاح الجديدة، 1997م، ص351.
(8) إسماعيل ابن الأحمر وآخرون، «**بيوتات فاس الكبرى**»، دار المنصور، الرباط، 1972م، ص40.
(9) ابن أبي زرع، «**الأنيس المطرب**..»، دار المنصور، الرباط، 1973م، الكدان =

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

عبد الوهاب بن منصور مال إلى رسمها بدال معجمة، مستنداً إلى معنى الكذان في اللغة؛ وهو: الحجارة الرخوة النخرة[1]، وانتهى إلى أنه: «سمي كذلك لوجود الكذان به؛ نظراً لقربه من وادي بوخرارب»[2]، وربما فاته أن ينتبه إلى لفظ الكدان، بدال مهملة، في المعاجم اللغوية، التي ورد بأحدها: «الكِدان: شعبة من الحبل يمسك البعير به»[3]، كما أن أحد الشعراء أنشد:

إن بعيريك لمختلان أمكنهما من طرف الكدان[4]

ولعلَّ سندنا في اعتماد الرسم الثاني (الكدان) قرب المكان من حي يحمل اسم الحبيِّل. لنصبح أمام فرضيتين، وليس فرضية واحدة.

* ـ المُعادي: حومة بعدوة القرويين[5]. واللفظ جمع لكلمة معْدة بالعامية، وهي حسب أحد الدارسين: «مجمع للماء مربع أو مستدير يتفرق منه الماء إلى الدور وغيرها بمقادير معلومة، من مشارب بنيت بدقة»[6]. ورغم اختلاف أصل الكلمة بين المعدى؛ أي: المجرى الذي يراد للماء أن ينساب فيه، وبين تشبيه العامة لها بالمعِدة، فالذي لا شك فيه: أن لها علاقة بالماء، فالعِدُّ «موضع يتخذه الناس، يجتمع فيه ماء كثير، والماء المعد الدائم الذي له مادة لا انقطاع لها مثل ماء العين وماء البئر»[7]. كما أن فعل مَعَدَ يفيد ذهب[8].

= بدال مهملة ص47، وبدال معجمة ص111، وينطبق الأمر نفسه على كتاب «**جذوة الاقتباس**..» لابن القاضي، الكذان بدال معجمة في ج1، الصفحات 37، 38، 49، وبدال مهملة في ج2، ص507.

(1) ابن منظور، المصدر السابق، 5: 386.
(2) الجزنائي، المصدر السابق، 97، ص41..
(3) ابن منظور، المصدر السابق، 5: 382.
(4) نفس المصدر والجزء والصفحة.
(5) محمد بن جعفر الكتاني، المصدر السابق، 1: 117.
(6) عبد الوهاب بن منصور، «الأنيس المطرب»، 48، ص64.
(7) ابن منظور، المصدر السابق، 4: 273.
(8) نفسه، 6: 70.

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

لعلها نماذج حبلى بأسرار مدينة فاس، من شأن تعميق البحث فيها ـ وهذا من صميم الدراسة الطوبونيمية ـ أن يكشف عن مكنوناتها.

ولا يفوتنا ونحن بصدد البحث في دلالة عينات من الأسماء الجغرافية بفاس، أن ننبه إلى الدلالة اللغوية الأمازيغية، التي لا شك أنها ستغني معرفتنا بتراث مدينة فاس[1]. وبخصوص كتاب «السلوة»؛ فقد وردت به أسماء عديدة ذات دلالة أمازيغية.

ويعبر ما أقدم عليه محمد بن جعفر الكتاني، وقد صادف مصطلح «المزوار»، عندما عمد إلى ذكر معناه باللغة الأمازيغية؛ وهو: بكر أبيه، وقابله بنص مقتطف من كتاب «الروضة المقصودة»، يعالج دلالته العربية، وبين التفسيرين كتب: «يستعمل كثيراً في رئيس الجماعة المتميزة؛ كنقيب الأشراف، ورئيس المؤذنين وموقتهم، وفي حاجب السلطان»[2]. يعبر ذلك كله عن خطإ حصر البحث في الدلالة على اللغة العربية وحدها.

ووقفنا في مناسبة أخرى على تسجيل المؤلف في الحاشية تعليقاً على العبارة التالية: «ضريح سيدي أحمد وُعلي السوسي»[3]، ورد فيه: «وُ: كلمة بربرية بمعنى: ابن»[4].

ونكتفي في هذا الصدد بذكر أسماء جغرافية أمازيغية وردت في كتاب «السلوة»، وتظل في حاجة إلى تفسير، من قبيل: جَرْواوَة (أجرواو: الحائط أو

---

(1) ومثال ذلك: زلاغ وتغات؛ الجبلان المشرفان على مدينة فاس، فقد تحول أزالاغ إلى زلاغ، ويعني: التيس عند المصامدة وبعض زناتة، كما تحول تاغّاط إلى تغات؛ وهو: الماعزة عند المصامدة وبعض زناتة. كما أصبح أسايس: سايس، الذي يعني: الأرض البطحاء المنبسطة. انظر في هذا الصدد: محمد شفيق، في أن أسماء الأماكن في المغرب جلها أمازيغية، **مجلة البحث العلمي**، السنة 14، العدد 27، 1977م، ص ص332 و337.

(2) محمد بن جعفر الكتاني، المصدر السابق، 1: 95.

(3) نفسه، 2: 95.

(4) نفس المصدر والجزء والصفحة.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

السياج[1])، والبلاجين (أبلاج: الأقفال[2]). بل إن إحدى النساء المترجم لهن في «السلوة»، تسمى: ميمونة، وتدعى: تيمومنت[3].

ويبقى الجانب اللغوي في حاجة إلى المختصين في اللسانيات العربية والأمازيغية، بحكم التغيرات التي طرأت على الأسماء والمصطلحات، من لحن العامة وتصحيف وتحريف وتخفيف... مما يستدعي ضرورة ردها إلى أصولها الأولى، ومن شأن ذلك أن يكشف عن خبايا أخرى ما أحوج الباحثين ـ على اختلاف مشاربهم وتخصصاتهم ـ إليها.

2 ـ الدلالة التاريخية:

يعدُّ محمد بن جعفر الكتاني، من خلال كتابه «السلوة»، مؤرخاً لمدينة فاس وشاهداً على العصر الذي عاش فيه (الربع الأخير من القرن 13 والنصف الأول من القرن 14هـ/ 1274 ـ 1345/الموافق للنصف الثاني من القرن 19 والربع الأول من القرن 20م/ 1857 ـ 1927)، وشاهداً أيضاً على العصور السابقة عليه. ذلك أنه إذا كان همه الأول هو التعريف برجالات الصلاح والعلم الذين أقبروا بمدينة فاس، تعريفاً نَسبياً وعلمياً وكرامياً؛ فإنه دون أدنى شك كان مؤرخاً في مناسبات عديدة، ومحققاً ضابطاً في أحايين كثيرة.

ويهمنا من زاوية طوبونيمية أنه: شاهد على تحولات الزمن الذي عاش فيه، يظهر ذلك في تسجيله، كلما أتيحت له الفرصة، تغيُّر أسماء الأماكن وتبدلها. مما يقدم إفادة جلى في التعرف على التطور العمراني لمدينة فاس.

وتغطي شهادة صاحب «السلوة» على عصره ثلاثة مستويات:

(1) عبد الوهاب بن منصور، تحقيق «جذوة الاقتباس»، 1: 30، 44.
(2) عبد الوهاب بن منصور، تحقيق «الأنيس المطرب»..، ص68، 49.
(3) محمد بن جعفر الكتاني، المصدر السابق، 3: 440.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

1 ـ مستوى اختفاء بعض المعالم واندثارها:

فقد سجل المؤلف ـ مثلاً ـ تدخل السلطة وذوي النفوذ على وجه الخصوص، في توسيع الضريح الإدريسي، حيث تمَّت الزيادة فيه سنة (1132هـ/ 1720م)، بأمر من السلطان العلوي مولاي إسماعيل، فأدخلت حوانيت، كانت قد اتخذت مدافن لأفراد مثل: الشريف مولاي إدريس بن علي الجوطي، المتوفى سنة (1106هـ/ 1694م)[1]. وهو ما ينطبق على حانوت ثان دفن به الشريف عبد الحفيظ العمراني، المتوفى سنة (1130هـ/ 1717م)، الذي ألحق بالضريح الإدريسي، عند بناء القبة، حيث: «صار قبره في جوف حائطها»[2]. وهو ما لحق روضة سيدي علي الدشيش، المتوفى عام (1021هـ/ 1613م)، التي اندثرت وأضيفت إلى إحدى العرصات[3]. أما القبة التي كانت على ضريح الشريف سيدي محمد الهادي العراقي، المتوفى عام (1163هـ/ 1750م)، فقد «سقطت في هذه الأزمان ولم يبق لها أثر!»[4].

وتميزت شهادات محمد بن جعفر الكتاني بالوضوح والدقة، فهذا مسجد الفخارين «الآن متهدم، ولم يبق له أثر يتميز به»[5]. أما ضريح بورمانة؛ فقد عُرف صاحبه بهذا اللقب لأنه: «كانت عند رأسه رمانة نابتة، فاحترقت في هذه السنين. ضريحه قريب من ضريح سيدي علي الهيري بإزائه، عن يسار الطريق الهابطة من باب الفتوح إلى الفخارين، وهو الآن قريب من الاندثار»[6].

2 ـ مستوى تغير أسماء معالم:

يمكن رصد ذلك عبر الجدول التالي:

---

(1) نفسه، 1: 100.
(2) نفسه، 1: 101.
(3) نفسه، 1: 233.
(4) نفسه، 1: 430.
(5) نفسه، 2: 8.
(6) نفسه، 2: 7.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

الترقيم	الاسم القديم	الاسم الجديد	الحومة	السلوة
1	عقبة المكودي	*	الرصيف	1: 204
2	حومة الأصدع	فندق اليهودي	فندق اليهودي	1: 206
3	درب سيدي خلف الله	درب سيدي جلول	عقبة سيدي علي المصالي	1: 230، 406
4	درب الغماري	درب ابن حيون	قرب جامع القرويين	1: 232
5	التناكين	الشرابليين	الشرابليين	1: 250
6	درب رحيبة قنديل	درب أهل تادلا	«الطالعة الصغيرة»	1: 279
7	وطا ابن فرقاشة	السياج	السياج	1: 300، 3: 445
8	زاوية *	زاوية القادريين	رأس الجنان	1: 326
9	مسجد *	جامع الزليج	قرب قنطرة الرصيف	1: 330
10	حومة برزخ	درب سيدي العواد	سيدي العواد	1: 348
11	جامع السمارين	جامع البستيونية	الرصيف	1: 350
12	رحيبة ابن زروق	سيدي عبد الرحمٰن المليلي	سيدي عبد الرحمٰن المليلي	1: 395
13	عرصة *	الدوح	الدوح	1: 306
14	زاوية سيدي محمد بن يوسف الحمدوشي	زاوية حمدادشة	شيبوبة	1: 404
15	جامع الأنوار	مسجد درب سيدي العواد	سيدي العواد	1: 348
16	فندق الماء	فندق اللباطة	النخالين	3: 458
17	درب القبول	درب القبور	القطانين	3: 413
18	زنقة الرحا	درب البياز	الشرابليين	3: 431
19	زنقة سيدي فاتح	دريبة منصورة	الرماحين بالطالعة	3: 440
20	صاريوة	القليعة	سيدي علي أبو غالب	2: 21
21	درب *	درب القاضي	الجزيرة	2: 70
22	روضة الكهف	ظهر الكاف	قرب باب الفتوح	2: 176
23	الدرب الجديد	درب العامر	درب العامر	3: 424

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

* ـ لم يورد المؤلف الاسم القديم أو الجديد.

3 ـ مستوى تدخل المؤلف لتصويب بعض الأسماء أو الاعتقادات المرتبطة بها، وذلك برد الأسماء التي أصابها التحريف إلى أصولها. ووقفنا بهذا الخصوص على عدة أمثلة؛ منها:

- ضريح للا كنزة أم إدريس الثاني، والصواب: ضريح للا زينب بنت إدريس بن علي الجوطي، وكانت حية في رجب من سنة (1120هـ[1]/ شتنبر ـ أكتوبر 1708هـ).
- مدفن سيدي خلف الله، الولي الصالح الشريف الإدريسي، وليس الفقيه سيدي خلف الله المجاصي، المتوفى عام (732هـ)[2].
- نسبة سيدي فرج إلى اسم ولي، والصواب سيدي فرَج: «ليس لذلك أصل يعول عليه ولا يعرف لأحد هناك ذكر ولا قبر. وإنما هو محل بناه أحد الملوك، وسماه باب الفرج، تفاؤلاً بأن يحصل الفرج لمن يحل به»[3].
- جزاء ابن زكون، لكن «العامة اليوم تسميه بسيدي زكون»[4].
- حانوت النبي، وتبنى المؤلف رأي أحد علماء العصر الذي قال: «وكان الأولى أن يقولوا: مظهر النبي أو مرآه، أو نحو ذلك من الألفاظ السالمة من هذا الإيهام»[5]، معقباً بما يلي: «وهذا الذي قاله ظاهر جلي»[6].

درب سيدي أبو يعزى بحومة البليدة، الذي انقسم الناس بشأنه بين قائل باحتضان الزاوية التي بأقصاه رفات أبي يعزى الهزميري، المتوفى عام (572هـ)، دفين قرية تاغيا (ذو قبرين)، وبين قائل بكونه مدفن سيدي أبي يعزى بن ريان، من أهل القرن (11هـ/ 17م)، وعلق المؤلف على ذلك بقوله: «ولا صحة لذلك»[7]، باعتبار أن قبري الرجلين معروفين: تاغيا/ خارج باب الجيسة.

---

(1) نفسه (1: 102).
(2) نفسه (1: 230).
(3) نفسه (1: 238).
(4) نفسه (1: 347).
(5) نفسه (1: 245).
(6) نفس المصدر والجزء والصفحة.
(7) نفسه (1: 189).

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

ولخص محمد بن جعفر الكتاني موقفه من هذه الاعتقادات التي تنعكس على الدراسة الأماكنية، بإقراره بأنه: «لا يبعد من العامة تغيير الألفاظ وقلب المعاني، مع تطاول الأزمان وتبدل الأحوال»[1].

وقبل ختام هذا العرض أود أن ألفت النظر إلى هفوتين ضمهما كتاب «السلوة»، لم تتم مراجعتهما، وتهمان الجانب الطوبونيمي؛ هما:

- الجرف: وهو اسم حومة بفاس تحمل الآن اسم دفينها سيدي أحمد الشاوي، تقع في عدوة القرويين، كما نص على ذلك صراحة صاحب «السلوة»[2]، غير أنه ورد ما يخالف ذلك في أول إشارة إليها في كتابه، جاء فيها: «.. ضريح سيدي أحمد الشاوي بالجرف من عدوة الأندلس»[3].
- الحبيل: حي من عدوة الأندلس، ورد اسمه في «السلوة» في ثلاث مناسبات: الجبيل[4] (بجيم). وتصويبه من إحدى النسخ الحجرية للسلوة، التي ورد بها بحاء[5].

وسيراً على تقليد دأب عليه البحث الطوبونيمي، أثبت في نهاية هذا العرض مجموعة من الأسماء الجغرافية التي استعصت علينا معرفة دلالتها، وأقتصر على خمسة نماذج:

- موضع الدرداس بحومة البليدة.
- حومة القلقليين.
- زنقة آزقور[6] بحومة درب الشيخ بعدوة الأندلس.
- السبيطريين. التي ربما لها علاقة بالسَّبَيْطِر؛ أي: الطويل[7].

---

(1) نفسه (2: 4).
(2) نفسه (1: 313).
(3) نفسه (1: 39).
(4) نفسه، 1: 421، 423.
(5) كتاب «**سلوة الأنفاس**..»، طبعة حجرية، فاس، 1316هـ، ج1، الورقات 369، 370، 371.
(6) تعني كلمة آزقور الأمازيغية: الكبير.
(7) ابن منظور، المصدر السابق، 3: 237.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

- موضع القلة[1]، خارج باب الجيسة بأعلى جبل الزعفران أو جبل العرض، حيث مدافن ملوك بني مرين. ويضعنا لفظ القلة أمام اختيارين: القلة؛ أي: المكيال، ثم القُلى؛ أي: رؤوس الجبال[2].

وأختم بالقول: إن هذه المساهمة ليست سوى محاولة للفت الانتباه إلى أهمية القراءة الطوبونيمية، ومحاولة أيضاً لاقتراح مفاتيح طوبونيمية لقراءة موروثنا الثقافي الكتابي والشفاهي على حد سواء.

(1) محمد بن جعفر الكتاني، المصدر السابق، 2: 215/ 3: 203.
(2) نفسه، 5: 317.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

Black plate (195,1)

«سلوة الأنفاس» بين المخطوط والمطبوع

أ. د. أحمد شوقي بنبين[1]:

تفضل الشرفاء الكتانيون الأماجد بإعادة نشر كتاب «سلوة الأنفاس» لمحمد بن جعفر الكتاني، فكان ذلك مناسبة لقراءة الكتاب من جديد من طرف ثلة من الباحثين.

وقد عرضت أبحاثهم خلال ثلاث جلسات علمية هامة، عقدت الأوليان بالرباط في كل من النادي الجراري، وكلية الآداب، وتعقد الثالثة في رحاب كلية آداب فاس.

وكانت معظم البحوث المقترحة تنويهاً بالعمل وبالجهود التي بذلها الناشرون الذين أحسنوا صنعاً بنشره، وذلك لنفاد الطبعة الحجرية التي أشرف عليها المؤلف نفسه في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي.

وبما أن المسهمين في هذا اللقاء سيتناولون «سلوة الأنفاس» باعتباره كتاب تراجم أو كتاب تاريخ، وهي جوانب هامة عالجها الكتاب، فقد ارتأيت أن تكون مساهمتي حديثاً موجزاً عن نص هذا الكتاب بين المخطوط والمطبوع، وإذ لم يتأت لي أن أقرأ «السلوة» بكاملها؛ فإن قراءتي الجزئية للمخطوط والمطبوع قد مكنتني من إبداء بعض الملاحظات العلمية والتقنية في آن واحد أقدمها تكميلاً لجهود الناشرين الكرام وحتى يستفيد منها الطلبة المهتمون بتحقيق التراث. وليس هذا من باب النقد في شيء، وإنما هو اهتمام بالعمل وبمؤلفه وبناشريه.

(1) أستاذ التعليم العالي، محافظ الخزانة الملكية الحسنية بالرباط.

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

وقديماً قيل: «من ألف فقد استهدف»، ويقول الجاحظ في كتاب «الحيوان»: «من ألف كتاباً أصبح الناس كلهم أعداء له». وليطمئن الناشرون أن الناس أصبحوا كلهم أصدقاء لهم من أجل هذا الجهد الذي بذلوه في إخراج هذا الكتاب.

بعد ظهور هذه الطبعة أصبح لكتاب «سلوة الأنفاس» ثلاثة أشكال:

1 ـ الكتاب المخطوط.

2 ـ والطبعة الحجرية.

3 ـ والطبعة السلكية.

ففيما يخص المخطوطة؛ فإن الباحث في التراث المخطوط قد يصعب عليه أن يحدد شكلها، فهل هي مسودة، أم هي مبيضة، أم هي مبيضة مسودة في نفس الوقت، أم هي كناشة، أم غير ذلك؟.

فقد تبيَّن بعد القراءة فيها أنها كل ذلك، وقد ذكرني وضعها بنعت ابن خلكان لكتابه «وفيات الأعيان» ولا نعرف له كتاباً غيره، حيث قال: «هذه مسودات، وهي عبارة عن ملاحظات واقتباسات لم تصل بعدُ إلى مرحلة المسودة التي يعالجها المؤلف لتصبح مبيضة يرتضيها ويذيعها في الناس».

فمخطوطة محمد بن جعفر الكتاني رَحِمَهُ اللَّهُ هي مجموعة من المقتبسات والأخبار والتراجم وضعها مع ذكر المصادر التي اعتمدها في جمعها واختيارها. وذكر المصادر الذي تميز به الكتاني صفة من صفات الحفاظ على الأمانة العلمية.

والواقع أن المؤلف لم ينقل كل هذه الأخبار في الطبعة الحجرية التي هي في نظري المبيضة، ولكنه تصرف في الأخبار، وانتقى ما ظهر له جديراً بالأخذ، وأهمل كثيراً غيرها.

وبصدد الحديث عن الطبعة الحجرية التي تحظى في الغالب بعناية وتصحيح المؤلف نفسه أفتح القوسين لأتحدث بإيجاز عن ظاهرتين شبيهتين بالطبعة الحجرية ولكنهما سابقتان عليها، أولاهما سميت عند الغربيين: بالنسخ

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

أو التنسيخ الجماعي، الذي عبر عنه منذ بداية الجامعة في أوروبا في القرن الثالث عشر الميلادي بـ(لبسيا) Pecia وهي كلمة لاتينية أصبحت Pièce في الفرنسية وهي من بعض الوجوه الجزء في التراث العربي المخطوط.

ومختصر ذلك: أن ظهور الجامعة وكثرة الطلبة في أوروبا دعا كلّاً من الأساتذة والطلاب إلى كثرة النسخ، ففكروا في خلق نظام للنسخ سريع يمكنه إرضاء رغبات الطلبة المتزايد، وهكذا يكلف وراق (Stationnaire)، وهو الواسطة بين الجامعة والطلبة، فيجزئ المخطوط إلى عدة أجزاء ثم يوزعها على عدة نساخ لتنسخ في أقرب وقت، وعندما يتم النسخ؛ تلحق الأجزاء بعضها ببعض، وتصحح من طرف الأساتذة، ثم يعيرها الوراق بمقابل للطلبة الراغبين في النسخ.

فالنسخة، أو النسخ المصححة المحفوظة لدى الوراق، تعتبر أكثر توثيقاً وأصح من غيرها؛ لكون الأساتذة أشرفوا عليها بأنفسهم ومحوها.

أما الظاهرة الثانية التي تشبه من بعض الوجوه طبعتنا الحجرية من حيث التوثيق والتصحيح؛ هي: مطبعة بولاق المصرية التي أنشأها الوالي العثماني على مصر محمد علي في الربع الأول من القرن التاسع عشر الميلادي. وتعتبر مطبوعات بولاق مثلاً من حيث التصحيح والتوثيق؛ لأن المشرفين على هذه العمليات علماء ذوو تخصصات مختلفة من جامعة الأزهر؛ مثل: رفاعة الطهطاوي، وابن قطة العدوي، ومتخصصون في الهندسة والعلوم والرياضيات، مما جعل بعض هذه المطبوعات أهم وأصح من المخطوط نفسه.

ويمكن اعتبار الطباعة الحجرية من هذا الصنف، بحيث خضعت معظم مطبوعاتها لتوثيق وتصحيح المؤلفين أنفسهم.

وخير مثال على هذا: كتاب «سلوة الأنفاس» الذي سهر محمد بن جعفر الكتاني على تصحيحه وكتب في نهاية كل جزء من أجزائه الثلاثة بعدما طبعت العبارة التالية: «بتصحيح مؤلفه أبقاه الله وأدام فضله».

يوجد بين أيدينا اليوم ثلاث نسخ من كتاب «السلوة» المخطوطة؛ وهي:

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» Printed on [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100]

نسخة أصلية فريدة من محفوظات المكتبة الوطنية المغربية، والحجرية بإشراف المؤلف في عام (1897م)، والسلكية التي تفضل الشرفاء الأخيار بإخراجها في هذه السنة (2005م).

وقبل توجيه بعض الملاحظات التي لا تنقص من هذا العمل أقول: قد أحسن الباحثون صنعاً بطبع «السلوة»؛ لأن قرناً كاملاً من الزمان مضى على طبعتها الحجرية فنفدت وأصبح طبعها من جديد ضربة لازب. وقد زودوها بالفهارس العلمية التي تعتبر اليوم المفاتيح للدخول في الكتب، وقد يسرت العمل وجعلت الاستفادة منه يسيرة سهلة جزاهم الله كل خير.

ومن الملاحظات اليسيرة التي يمكن أن تتلافى في طبعة ثانية: إلغاء الأرقام الرومانية في مقدمة الكتاب، فلا داعي لذلك. ومما يجب تلافيه كذلك في هذه المقدمة: قول الناشرين: «إن الرجوع إلى مصادر المؤلف عمل مضن، شاق وصعب». أقول بهذا الصدد: إن مثل هذا العمل تفرض على الإخوة الكتانيين الثلاثة أن يرجعوا إلى المخطوطة، وكذلك الحجرية، وكل ما له علاقة بالكتاب من أبحاث وتعليقات وإضافات وغير ذلك؛ كتلكم الحواشي التي تفضل بها المرحوم المنتصر الكتاني، فهي مما لا شك فيه حواش وإضافات هامة كان يجب أخذها بالاعتبار كاملة.

ومما يلاحظ كذلك في هذه المقدمة: عدم ذكر لفظ «المخطوطة»، فهل يعني هذا أن الناشرين عدلوا عن الرجوع إليها أثناء قيامهم بهذه العملية العلمية؟. ليس كذلك؛ فإن من يقرأ في المقدمة الثالثة يجد أن الشرفاء رجعوا إلى النص المخطوط عندما وضعوا نصاً في أحد الهوامش أخذوه من المخطوطة ولا أثر له في الطبعة الحجرية. وتوجد نصوص أخرى مهمة لا توجد في الحجرية، وكان أولى بالناشرين أن يضعوها في الطبعة السلكية[1].

(1) حواشي العلامة محمد المنتصر الكتاني ـ رحمه الله تعالى ـ التي اعتمدناها، هي في جلّها تعليقات له، أثبتنا المفيد منها في الحاشية تحت توقيعه، والبعض الآخر هي تصويبات المؤلف نفسه الموجودة في جدول الخطأ والصواب، وكأن صاحب المقال لم ينتبه لذلك. المحققان.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

ونعتقد أن عدم وجودها في الحجرية يرجع إلى طبيعة المخطوطة التي قلنا: إنها ليست مسودة ولا مبيضة، بل يمكن اعتبارها كناشة سجل فيها المؤلف ما وجده من أخبار وترجمات في المصادر، وانتقى منها ما راق له في الطبعة الحجرية.

أما المقابلة التي نجد لها ذكراً في المقدمة فلا أثر لمفهومها العلمي في «السلوة». إن مقارنة ما جاء في حواشي المنتصر الكتاني ببعض نصوص الكتاب لا يمكن اعتباره مقارنة بالمفهوم العلمي في مجال التحقيق. ولا تكون المقابلة إلا في قراءة النسخ المتعددة للكتاب الواحد قصد إيجاد النص الصحيح قريباً من شكل النص الأصلي للمؤلف.

وقد نعت الناشرون «السلوة» بالموسوعة وبالمعلمة، إن الكتاب ليس موسوعة ولا معلمة بمفهومها الحديث، بل هو كتاب موسوعي؛ لأنه يضم كثيراً من المعارف والأخبار والتراجم، أضفت عليه نوعاً من الموسوعية. وكذلك لا يمكن أن نسمي الأعمال العلمية التي انبثقت عن السلوة بالموسوعات الفرعية؛ فهي دراسات أو ذيول أو تعليقات أو حواش أو ما شابه ذلك. عبَّر عنها أحد الباحثين المعاصرين بظاهرة «النص المحوري»، فجعل لها نظاماً سماه: «مخطط علاقات النصوص» (Bibliogram)، أو «المخطط الزمني لعلاقات النصوص». ثم خلف لنا نظرية ببليوغرافية سماها: «الببليوغرافية التكوينية» (Bibliographie) تهتم بالعمليات التكوينية والتوليدية بين النصوص.

ومن المصطلحات التي يجب العدول عنها في هذا العمل: مصطلح تحقيق. فإن الطريقة التي عالج بها الشرفاء الكتانيون هذا العمل لا تجعل القارئ للعمل يؤمن بهذه العملية العلمية الخطيرة التي تفرض مجموعة من القواعد والضوابط دعا إليها البحث العلمي الحديث.

وحتى لو أردنا التحقيق بمفهومه العلمي الحديث؛ فإن طبيعة «السلوة» لا تستجيب لذلك؛ لوجود المخطوطة الأصلية من جهة، ولوجود الطبعة الحجرية بتصحيح وإخراج المؤلف من جهة أخرى. وعملية التحقيق العلمي الصرف

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

تفرض نفسها في حالة عدم وجود النص الأصلي، وهذا ما دفع علماء الغرب إلى وضع هذه القواعد والضوابط لمحاولة الوصول إلى نسخة قريبة من نسخة المؤلف.

بالإضافة إلى هذا؛ فأنا من الذين يفضلون استعمال لفظ «توثيق» أو «ضبط»، عوض تحقيق، الذي لم يصطلح عليه المحدثون، بل فرض علينا فرضاً في بداية القرن الماضي حين وضعه أحمد زكريا باشا على ظهر كتاب «الأصنام» لابن الكلبي.

وفي محاولة لمقارنة بعض الأخبار والأشعار في كل من المخطوطة والحجرية والسلكية؛ تأكد لي ضرورة الرجوع إلى المخطوطة والحجرية من جديد للمزيد من الضبط والتوثيق فيما يخص الطبعة الحديثة. فقد جاء في ترجمة الشيخ الإمام سيدي بوجيدة رَحِمَهُ اللَّهُ، في الطبعة السلكية، أنه: «العالم الأعلم»، وفي الحجرية أنه: «الأعلم»، وفي المخطوطة: «عالم العلماء»، وهو: الصواب. وفي نفس الترجمة يقول الإمام رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقفت عليه بخط الفقيه العلامة سيدي محمد بن عبد الرحمٰن يقول من قصيدة في بحر الوافر:

أفكري؛ إن تُرِد نيل المرام فبادر لامتداحك للكرام

إلى أن قال:

بباب بني المسافرين حل قلبا

إن هذه الرواية التي جاءت في الطبعة السلكية لا تستقيم لا معنىً ولا وزناً، وقد استقام الوزن في الحجرية ولم يستقم المعنى، فقال:

بباب بني المسافر حل قلبا

وفي المخطوطة قال:

بباب بني المسافر حل قبرا

إذن؛ حل قبراً وليس قلباً كما جاء في كل من الحجرية والسلكية. إن هذه الملاحظة تؤكد من جديد ضرورة الرجوع إلى المخطوطة لتصحيح النصوص وتوثيقها.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

مرة أخرى لم يكن من طبيعة هذه المآخذ أو تلكم الملاحظات لتتنقص هذا العمل أو تقلل من جهود الشرفاء الذين لا أحد يستطيع أن ينكر الجهود التي بذلوها في إعادة طبع هذا الكتاب وتيسير قراءته بوضع مختلف الفهارس البيانية، إنهم دخلوا التاريخ وأثاروا وسيثيرون فضول العلماء، فالله وحده يجازيهم ويثيبهم على عملهم إنه سميع مجيب.

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

Black plate (202,1)

«سلوة الأنفاس» بين الماضي والمستقبل

أ. د. عباس الجراري[1]:

شاع عن المغاربة ـ وبينهم كذلك ـ أنهم قليلو الاعتناء بالأخبار والوقائع والمسانيد، وما يتصل بتدوين التاريخ والفكر والتراث عامة. وكان اليوسي (المتوفى سنة اثنتين ومائة وألف للهجرة) قد كتب في «محاضراته» أن الاهتمام بهذا: «ضعيف جداً في المغاربة، فغلب عليهم في باب العلم الاعتناء بالدراية دون الرواية. وفيما سوى ذلك لا همة لهم». وكان قد سأل شيخه أبا عبد الله بن ناصر يوماً عن السند فيما كان يأخذه عنه؛ فقال له: «إنّا لم تكن لنا رواية في هذا، وما كنا نُعنى بذلك!».

وهي قولة ما زالت قائمة ومستمرة إلى الآن، وإن بصيغة أخرى، على الرغم من التطور الثقافي الهائل الذي يعرفه المغرب، وما ينتجه الباحثون في رحاب الجامعات ـ بالدرجة الأولى ـ من دراسات في هذه المجالات ينالون بها شهادات عليا، ثم لا تلبث أن يُلقَى بها في رفوف الإهمال مرقونة، إلا ما كان من بعض الرسائل والأطاريح التي يتسنى نشرها، وهي قليلة بالقياس إلى ما ينجز؛ مع الإشارة إلى أن المرقون اليوم هو أشبه بالمخطوط في السابق؛ وإن كان يتوقع للأقراص المدمجة أن تحدث تطويراً لمفهوم التدوين، قد يتغير معه المنظور لظاهرة الإهمال ككل.

ومع نسبية صدق هذه الظاهرة التي كثيراً ما نكرر التعبير عنها بأسف شديد، فإنا حين ننظر في مكتبتنا المغربية، نجدها تضم كمّاً هائلاً من مصادر

(1) أستاذ التعليم العالي، عضو أكاديمية المملكة المغربية.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

تراث القرون المتأخرة، ولا سيما ما يتعلق بكتب التراجم والطبقات التي لا تخفى أهميتها بالنسبة لمعرفة تاريخنا في جوانبه كافة.

ولعل في طليعة هذه المراجع الأساسية: كتاب «سلوة الأنفاس، ومحادثة الأكياس، بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس» للعلامة المرحوم الشيخ الشريف أبي عبد الله محمد بن جعفر بن إدريس الكتاني (المتوفى عام خمسة وأربعين وثلاثمائة وألف للهجرة). وهو كما ينم عنه عنوانه الواضح، يتناول حياة الذين دفنوا في ثرى مدينة فاس، سواء أكانوا من ذوي العلم أم من أهل الصلاح.

وكان المؤلف قد نشره على الحجر في طبعة أولى أشرف بنفسه على تصحيحها سنة ست عشرة وثلاثمائة وألف للهجرة؛ أي: منذ قرن وعشرة أعوام. وعلى امتداد هذه الفترة كانت الاستفادة من الكتاب تزيد، ونسخ طبعته تقل إلى أن نفدت، وأصبح بذلك من النوادر التي يصعب الوصول إليها. ومعروف أن المطبوع الحجري غدا في الوصول إليه أصعب من المخطوط المحفوظ بالخزائن في نسخة أو أكثر؛ مع العلم فيما يتعلق بهذا الكتاب، بوجود مخطوطة المؤلف التي هي النسخة الأصلية.

وتعتبر «السلوة» ـ بضم السين وفتحها ـ موسوعة ضمَّت إحدى وثمانين وثمانمائة وألف ترجمة، من بينها تراجم خمسين امرأة ممن رأى أنهن داخلات في منهجه بالمواصفات التي اختارها. ومن خلال هذه التراجم، قدم المؤلف فوائد عديدة ومتنوعة، وأثار كثيراً من القضايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية والثقافية واللغوية وغيرها، مع بروز الجانب الاجتماعي واضحاً في الكتاب، مما يجعله مصدراً أساسياً لدراسة المجتمع.

ولأهمية الكتاب وندرته، وتسهيل الرجوع إليه، عمل حفيد المؤلف زميلنا المرحوم الأستاذ محمد الناصر الكتاني (المتوفى سنة أربع وتسعين وثلاثمائة وألف للهجرة، الموافقة عام أربعة وسبعين وتسعمائة وألف للميلاد) على وضع فهرس لأجزائه الثلاثة، أصدرته الخزانة العامة مرقوناً سنة ست وثمانين وثلاثمائة وألف للهجرة، الموافقة عام ستة وستين وتسعمائة وألف للميلاد.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

وزاد هذا الإصدار في تطلع المهتمين، إلى أن قيض الله ثلاثة من علماء الأسرة الكتانية لإعادة طبعه، هم أصدقاؤنا الكرام الأساتذة الأجلاء: عبد الله الكامل الكتاني، وأخوه حمزة بن محمد الطيب الكتاني، ومحمد حمزة بن علي الكتاني؛ فأخرجوه في ثلاثة أجزاء مجلدة، أُلحق بها جزء رابع خاص بالفهارس أنجزه الأساتذة الأفاضل: حمزة بن محمد الطيب الكتاني، وجعفر ابن الحاج السلمي، وأحمد بن محمد السعيدي.

وما كاد ينشر كتاب «السلوة» حتى تلقفه الباحثون، وأعاروه ما هو جدير به من درس وتمحيص بقصد إلقاء أضواء كاشفة تبرز مدى قيمته العلمية. وقد سعدنا في «النادي الجراري» بعقد أولى الجلسات التي خصصت لهذا الغرض، وكانت عفوية دون سابق تهييء. وفيها تناول بعض أعضاء النادي هذا الكتاب بالتحليل، مع الإشارة إلى بعض النقد، على نحو ما ورد في التقرير الذي حرَّره الأستاذ الصديق الدكتور محمد احميدة عضو النادي، وجعل له عنواناً هو: «كتاب سلوة الأنفاس في ضيافة النادي الجراري».

وبعد ذلك عقدت ندوتان:

أولاهما: في كلية آداب جامعة أگدال بالرباط.

والثانية: بكلية آداب ظهر المهراز بفاس.

وفيهما كان المجال المهيأ من قبل أكثر اتساعاً للمناقشة وإبداء الرأي، على النحو الذي جاءت عليه العروض العلمية الدقيقة التي نسَّقها وأعدها للطبع مشكورين الأستاذان الصديقان: الدكتور حمزة بن محمد الطيب الكتاني والدكتور عبد الله بنصر العلوي، والتي يضمها هذا السفر الجليل الذي يسعدني أن أكتب له هذا التقديم، متضمناً ما عُرض في الجلسات الثلاث.

وإذا كان الإجماع قد وقع على إظهار ما يميز «السلوة» موضوعاً ومنهاجاً، وما تشهد به لمؤلفها من قدرة وبراعة، وما تبوئه إلى جانب كتبه الأخرى من مكانة متميزة، فإن الإجماع ـ أو قريباً منه ـ قد وقع كذلك على انتقاد جانبين اثنين:

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

أولهما: تركيز المؤلف على الحديث عن المجاذيب.

ثانيهما: اعتبار الناشرين أن إصدارهم للكتاب هو من باب «التحقيق».

أما عن إكثار المؤلف من الحديث عن المجاذيب، والوقوف على حكاياتهم وكراماتهم وخوارقهم وأحوالهم؛ فكان عنده مقصوداً ومنسجماً مع منظوره لكتابه؛ إذ جعله خاصاً «بمن أقبر من العلماء والصلحاء» بالمفهوم الموسع ـ والوقتي كذلك ـ لمصطلح «الصلحاء». ثم إنه مهّد له بثلاث مقدمات كلها تتناول هذا الملمح الصوفي، بدءاً من الحث على التبرك بذكرهم، إلى حكم زيارة أضرحتهم، ليختم بكيفية هذه الزيارة وما تقتضي من آداب.

يضاف إلى هذا: التوجهُ الصوفي للمؤلف وأسرته الشريفة، وكذا واقعُ الفترة التي أرَّخ لأعلامها وما كان من أثر فيها لهذا التوجه. ومع ذلك؛ أي: مع كامل حقه في مثل هذا التناول، فلو أنه أعار اعتناء مماثلاً للعلماء وما يتصل بهم وما كان لهم من مجالس وغيرها مما يبرز مكانة هذا المجال في المغرب على العموم، وفي فاس على الخصوص؛ لخفَّف من وقع هذا النقد الذي وُجه إليه في مناقشة الكتاب، والذي كان يوجَّه إليه منذ نشر طبعته الحجرية.

وأما مسألة التحقيق؛ فمثار للجدل في هذا العمل الهام. ومعروف أن مصطلح «التحقيق» يفيد التصديق؛ أي: إثبات أمرٍ ما بالدليل؛ وهو غير «التدقيق» الذي هو إثبات الدليل بالدليل؛ إذ «حقَّق» تعني: «صدَّق». وكان القدماء يصفون العلماء بأنهم محقون؛ أي: مُحكمون ومصححون وصادقون يقولون الحق.

وتبدأ هذه العملية بجمع النسخ وترتيبها حسب أهميتها، وأولاها: النسخة الأم التي كتبها المؤلف بخطه، ثم النسخة التي اعتمدها وصححها. ثم هي تتطلب تحقيق عنوان الكتاب واسم المؤلف ونسبة الكتاب إليه، وتحقيق متنه بالضبط والتعليق، ليظهر بقدر الإمكان مقارباً للشكل الذي أراده له؛ دون إغفال كتابة مقدمة عنه وعن صاحبه ووصف مخطوطاته، مع وضع الفهارس اللازمة والاستدراكات والتذييلات وما قد يكون فاته، وكذا إجراء المقابلات

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

بين النسخ، والإشارة إلى النصوص المنقولة أو المدمجة. وهو ما يقتضي الإشارة إليه في الهوامش والحواشي التي ينبغي أن تنصب كذلك على ترقيم الآيات القرآنية وتحديد سورها، وتخريج الأحاديث النبوية والأشعار، وشرح المفردات الصعبة، والتعريف بالأعلام الواردة.

وقد بذل الناشرون جهداً كبيراً في الالتزام ـ ولو إلى حد ـ ببعض هذه المقتضيات، فأضافوا علامات الترقيم للنص، وأبرزوا العناوين الأصلية والفرعية مما لم يُعن به المؤلف، ورقموا تراجم الكتاب مع تحلية كل علَم بما يلائمه وينسجم مع روح ترجمته، مشيرين إلى تاريخ وفاته، وعزوا الآيات القرآنية، وأثبتوا أرقام صفحات الطبعة الحجرية وجعلوها بين قوسين، وختموا بالفهارس.

ومن ثم فقد فاتتهم بعض مستلزمات التحقيق، وأهمها: كتابة بعض الهوامش التعريفية، وأخرى للمقابلة بين النسختين المخطوطة والحجرية، وإن كان الخلاف بينهما ـ على ما يبدو ـ ضئيلاً؛ مع أن الحجرية هي النسخة التي أقرها المؤلف، إذ صححها وأشرف على طبعها بنفسه. وربما كان المعتنون بالكتاب يتطلعون إلى الوقوف على النقول التي تتخلل الكتاب والإحالة على مصادرها، وهي متعددة. وقد أشار المؤلف نفسه إلى معظمها وأغفل بعضها.

وقد كان الناشرون في غنى عن تلقي مثل هذه الملاحظة المتعلقة بالتحقيق، لو أنهم اكتفوا في وصف عملهم بأنه: إعداد للطبع واعتناء به وبإخراجه. وإنها لملاحظة هينة لو لم تتصدر غلاف الكتاب كلمة «تحقيق».

ولا يفوتني، وقد سبق ذكر اهتمام «النادي الجراري» بهذا المؤلَّف القيم، أن أضيف إليه عناية مبكرة لدا علماء العدوتين: (الرباط وسلا) بمؤلفات الشيخ الكتاني، على نحو حديثهم عن «الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السُّنَّة المشرفة» التي عني بنشرها العلامة المرحوم محمد المنتصر بن محمد الزمزمي بن محمد بن جعفر الكتاني في طبعة ثالثة بدار الفكر بدمشق عام ثلاثة وثمانين وثلاثمائة وألف للهجرة، الموافق سنة أربع وستين وتسعمائة وألف للميلاد، بعد أن كانت طبعت مرتين؛ **أولاهما**: في

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

حياة المؤلف عام اثنين وثلاثمائة وألف للهجرة، في بيروت، بعناية تلميذه العلامة محمد بن أحمد خرما، **والثانية**: في باكستان سنة تسع وسبعين وثلاثمائة وألف للهجرة.

وقد نظم العلامة المرحوم محمد المدني ابن الحسني الرباطي (المتوفى عام ثمانية وسبعين وثلاثمائة وألف للهجرة، الموافق سنة تسع وخمسين وتسعمائة وألف للميلاد)، هذه الرسالة في رجز بدأه بقوله بعد أن وضع له مقدمة:

يقول راجي رحمة الممتن ... المدني محمد ابن الحُسْني
حمداً لمن نزل أحسن الحديث ... منه كتاباً هدْيُه لنا حثيث
أنزَلَهُ على الذي قد بَيَّنا ... بقوله وفعله، وأعلنا

وهو نظم من ثمانية وتسعين وخمسمائة بيت بعنوان: «الفوائد اللطيفة، في ذكر كتب السُّنَّة الشريفة».

كما وضع عليها نظماً آخر: العلامة المرحوم الطيب بن عبد الله بن الهاشمي ابن خضراء السلاوي (المتوفى سنة سبعين وثلاثمائة وألف للهجرة، الموافقة عام خمسين وتسعمائة وألف للميلاد)، جاء فيه:

ظهرت تَميل تمايُل الأغصان ... وتجرُّ ذيلَ الفخر والتيهان
سلبتْ عقول العاشقين بحُسنها ... وقِوامها كقَضِيب غُصن البان

وقد تحدث بتفصيل عن هذين النظمين الأستاذ محمد المنتصر في المقدمة التي كتبها للرسالة، كما تحدث عنهما والدنا رَحِمَهُ اللَّهُ في الترجمة الوافية التي خص بها مؤلف «السلوة» في الجزء الأول من كتابه المنشور بعنوان: «التأليف ونهضته بالمغرب في القرن العشرين»، وفيها وصفه بأنه: «العلامة الواعية، صاحب الأبحاث الدقيقة، الذي يجدر أن يقال عنه بحق: الرجل القابض على دينه بيد حديدية، إلى نفس أبية وهمة عالية». وقال عنه كذلك قبل ذكر مؤلفاته، إنه: «عرف بملازمة السُّنَّة في هديه ونطقه وفعله، وشدة التثبت والتحري من علمه وعمله، واشتهر أمره في مشارق الأرض ومغاربها بذلك، وافتخر أعلام بالأخذ عنه».

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

والأسف أنه لم تقع الإشارة إلى هذا المصدر في الهامش الخاص بالمصادر التي وردت فيها ترجمة الشيخ الكتاني، والتي أشير إليها في التمهيد الذي قدم الناشرون به للكتاب.

ومثلما عني العلامة ابن الحسني بـ«الرسالة» فكذلك كانت له عناية فائقة بكتاب سيدي محمد بن جعفر: «نصيحة أهل الإسلام» الذي كانت طبعته الأولى قد صدرت على الحجر عام ستة وعشرين وثلاثمائة وألف للهجرة، الموافق سنة ثمان وتسعمائة وألف للميلاد، ثم أعاد نشره ولد المؤلف الأستاذ الدكتور إدريس الكتاني مع مقدمة دراسية عنه سنة تسع وأربعمائة وألف للهجرة، الموافقة عام تسعة وثمانين وتسعمائة وألف للميلاد.

وقد وضع سيدي المدني على «النصيحة» شرحاً أسماه: «منح المنيحة في شرح النصيحة». وهو ـ للأسف ـ لم ير النور، كبقية إنتاج صاحبه. وقد ذكر والدنا في مؤلفه الخاص بترجمة شيخه المدني: «الحافظ الواعية محمد المدني ابن الحسني» المنشور ضمن سلسلة «شخصيات مغربية»، أنه شرح يقع في «أربعة مجلدات ضخام... أتى فيها بالآيات البينات، باذلاً طاقته العلمية والفنية بحثاً وبياناً ووضعاً وترتيباً، جعل منها معلمة، أو دائرة معارف، يتردد على فصولها من آونة لأخرى، ويستفتيها فيما يعترضه من غوامض تستدعي مزيد البحث والتثبت».

وزاد واضع الشرح فدبجه بنظم من مشطور الرجز قال في خاتمته:

شرح النصيحة بدا ... كأنه بدرٌ هدى
لا تيه في تاريخه ... شرح النصيحة بدا

والإشارة في قوله: «لا تيه» إلى تاريخ النظم وفق حساب الجُمَّل القائم على إعطاء الحروف قيمة عددية حسب ترتيبها في الأبجدية. وقد أشار الدكتور الكتاني إلى هذا الشرح والنظم في مقدمته الدراسية للكتاب، ناقلاً ما أورده الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ في ترجمته لشيخه.

وبعد؛ فلست أخفي سعادتي المتجددة بتحرير تقديم لهذا الكتاب الذي تنشره ـ مشكورة ـ «مجموعة البحث في الإبداع والدراسات المغربية الإماراتية»

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

بكلية آداب ظهر المهراز، بجامعة محمد بن عبد الله بفاس، والذي يضم عروض الجلسات الثلاث التي عقدت لمناقشة «السلوة»، منوِّهاً بالجهود الحميدة التي بذلها الزملاء الكرام في فحصها بقراءة موضوعية متأنية. والتنويه موصول للأصدقاء الأفاضل الذين سهروا على إخراج «السلوة»، وإلحاق هذا السفر بها لعله أن يكون جزءاً خامساً لهذه الموسوعة المعرفية المتفردة، التي لا نملك إلا أن ندعو لمؤلفها العلامة الشيخ أبي عبد الله محمد بن جعفر بن ادريس الكتاني بالجزاء الأوفى، وواسع الرحمة، وجزيل المغفرة والرضوان.

والله من وراء القصد.

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

Black plate (210,1)

النزعة الصوفية في كتاب «سلوة الأنفاس»

أ. د. عبد الوهاب الفيلالي[1]:

المفروض أن يتحكم في دارسي كل نص وقارئيه نشدان مدلوله المتعالي الذي يظل «هدفاً ممكناً ومؤقتاً لكل سيرورة»[2] دراسية تأويلية، كما يوضح «امبرتو ايكو».

من ثم نتصور أن يكون مطلبنا جميعاً في هذه الندوة هو: التعاون مع التكامل لأجل ولادة ممكنة لمدلول متعال ممكن لمتن نص «سلوة الأنفاس، ومحادثة الأكياس، بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس»، «لصاحبه» محمد بن جعفر بن إدريس الكتاني، ذلك أن هذا الكتاب تتحكم في نسجه مجموعة من الأبعاد؛ أهمها: البعد التاريخي، والبعد الديني، والبعد الصوفي، والبعد الاجتماعي، والبعد الوطني.... لم تتعدد إلا لتتحاور، ولم تتحاور إلا لتتآلف، ولم تتآلف إلا لتورق صفحات نص قيِّم هو كتاب «السلوة».

إن من شأن تنوع الدراسات للنص الواحد انطلاقاً من الأبعاد أو النزعات المتحكمة فيه، والتي تتضح من خلال تعدد قراءاته أو تنوعها، أن يقود إلى مدلول متعال أساسه تفاعل القراءات وتعالق تأويلاتها.

بناء على استراتيجية التعاون والتكامل تلك آثرت أن أسهم في إنجاز مدلول كتاب «السلوة» ارتكازاً على البعد الصوفي فيه، مستهدفاً تبيان هذا البعد وكشف بعض من مواطنه وتجلياته من خلال محاورة لنصي الكتاب: الموازي

---

(1) أستاذ التعليم العالي بكلية الآداب بفاس.

(2) امبرتوايكو: «التأويل بين السيميائيات والتفكيكية»، ترجمة وتقديم: سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 2000م، ص136.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

والرئيس (Le Paratexte et le texte principale) كما يبين مفهوم كل منهما الدارسون وعلى رأسهم «جيرار جنيت»[1].

لو حاولنا استقصاء كل مكامن الحضور الصوفي في كتاب «السلوة» بما يلزم من التفصيل؛ لأنجزنا عشرات الصفحات وأزيد، السر في ذلك أن النزعة الصوفية فيه واضحة وضوحاً صلتاً؛ تقطن قصديته والباعث عليه، وتسكن هوية صاحبه وموضوعه أو ذواته المرجعية المترجم لهم، وأيضاً هوية مصادره ومراجعه، وكذلك عنوانه وكل مقدماته، لفظاً ومعنى.

دفعني ذلك إلى إيثار الاقتراب من الحضور الصوفي ذاك: اقتراب الإشارة الرامزة الدالة في انتظار الدراسة الكاشفة كشف تفصيل وإطالة، وهي مطلوبة بامتياز وإلحاح خلال دراسة كتب التراجم المهتمة بأعلام التصوف والمتشبعة بالروح الصوفية في مبناها ومعناها.

نعم؛ إن النص الموازي في كتاب «السلوة» نص ذو هوية صوفية بكل مكوناته: العنوان، والمقدمات، والمؤلف، والمحقق، والناشر... كذلك هو شأن النص الرئيس الذي تشكل متنه نصوص تراجم الأعلام، وتكمن صوفيته في تصوف الكثير من أعلامه، وفي لغته التي لا تخلو من الأثر الصوفي، مصطلحاً وتعبيراً، أو معجماً وعبارة.

إن ممعن النظر في النص الموازي يجده مناسباً جداً للنص الرئيس ومتآلفاً معه، إذ هو بفضل صوفيته وتآلف عناصره بمثابة باب الضريح، والأعلام المترجمون دفينه، والمتلقي زائر يسعى إلى التبرك بالمزور والدعاء إلى الله من خلال زيارته.

---

(1) من كتابات جيرار جنيت التي طرقت ثنائية النص الموازي والنص الرئيس وما يرتبط بهما:

- Palimpsestes. La lecture au second degré, Paris, seuil: 1972.
- Seuils, ed Seuil, Paris: 1987.
- Paratextes, Poétique, 69 (1987).
- Introduction à l'architexte, ed. seuil: 1982..

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

معنى ذلك: أن المؤلف، انطلاقاً من سعة درايته وهويته الصوفية، لا يطمح فقط إلى إنتاج مادة علمية تاريخية وصوفية، وإنما أيضاً يروم تقنين منهج استقبالها والتعامل معها، وتأهيل المتلقي لتقبلها ومحبتها محبة جلال وجمال، مما يستخلص منه أنه: يمارس فعل التربية الدينية والصوفية مع فعل الإغراء والتحفيز لمتلقي النص الرئيس وفحواه من خلال النص الموازي بكل مكوناته، إيماناً منه وإقناعاً لغيره أن المزور ذاك موجود وإن مات.

يفضي كل ذلك إلى اعتبار كتاب «السلوة ـ الضريح الحي» في ارتباط بمحيطه؛ أي: بمكونات نصه الموازي، من صنف التصوف السلوكي أو الطقوسي العملي، عمد صاحبه من خلال النص الموازي إلى إيضاح كيف يتم فعل الزيارة، ثم إقناع الآخر والتأثير فيه كي يفعل بذلك، حيث يتحول الكيف التعليمي التربوي السلوكي إلى إغراء، يتأكد ذلك في بيان المؤلف في عتبات النص لفوائد الزيارة وفضائلها وما يجنيه الزائر، وفي جمعه بين اللغوي والصوري في بناء الخطاب.

استناداً إلى ذلك يغدو خطاب الكيف والتربية المباشر حاملاً لمدلول ثان هو خطاب الإقناع والتأثير، ويضحى الأثر الصوفي جلياً في البعد التربوي للنص وفي قصدية التوجيه والإغراء المباشر كما هو في المقدمة الأولى من مقدمات الكتاب، أو غير المباشر مثلما في تعيين عدد من آداب الزيارة في مقدمته الثالثة. والكل يوضح اشتغال المؤلف وخطابه وفق استراتيجية دينية صوفية تقعد سلوك زيارة الأضرحة وتعمقها في النفوس.

إنا عندما اعتبرنا «السلوة» ضريحاً كان مرادنا أن نؤكد ـ فضلاً عما بيَّناه ـ أن محمد بن جعفر بن إدريس الكتاني لم يكن مجرد عالم وصوفي عادي، إنما هو كذلك وزيادة؛ مؤلف صوفي عالم ومتذوق جمالياً لموضوع علمه وعمله، لم ينجز كتاباً في زيارة الأولياء والعلماء فقط، بل شخصها من خلال وعيه بمكونات الخطاب الفضائية اللغوية والصورية، ونجاحه في توظيفها توظيف تفاعل وإنتاج، وما المراد بالمكونات الصورية إلا ذلك اللعب بالأمكنة: داخل السور، وخارجه، والحومات، والمساجد، والأضرحة، والزوايا، والقبور...

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

ثم أيضاً اللعب الفضائي الصوري العلائقي والتداولي في المقدمات بين: «الحث» و«الحكم» و«الكيف»؛ أعني: الحث على التبرك بأهل العلم والصلاح والولاية في المقدمة الأولى وعنواها[1]، وحكم زيارتهم وفضائلها في المقدمة الثانية وعنوانها[2]. وكيف تتم أو آدابها في المقدمة الثالثة وعنوانها[3].

وإذا علمنا ما يمكن أن يسديه الخطاب المقدمتي للنص؛ علمنا القيمة التربوية والإغرائية لتلك المقدمات الثلاث ومسارها من الحث على التبرك بالأولياء والعلماء إلى ختمها بالدفن إلى جوارهم.

يتأكد هذا البعد الصوفي التصويري الإغرائي أيضاً من خلال عنوان نص «السلوة» وخصائصه البنائية؛ علماً أنه عنوان طويل وذو بناء متزن يخوله قدرة أداء وظائف الإيحاء والإغراء والإشهار، والوصف والتعيين[4]، مما يجعله كفيلاً بأن يساعد على توقع ما يتلوه، وما سيكون تمطيطاً له داخل النص الرئيس.

فمما يثير الانتباه في هذا العنوان: طغيان صوت «السين» ببعده التأثيري والمثير كصوت مهموس سيال، وخاصية التوازي الصوتي بين «الأنفاس» و«الأكياس» و«فاس»، ثم إنهاء المقطع الأول: «سلوة الأنفاس»، بقفل العنوان: «فاس»، مما يمنح العنوان وقعاً موسيقياً، ووقعاً دلالياً كامناً في التركيز على «فاس» جزءاً من المقطع الأول وما يحبل به من عمق وجداني ذوقي لذيذ يستشف من فحواه، وتحول هذا الجزء إلى كيان مستقل هو الفضاء المكاني المنتج لمدلول ذلك المقطع: «سلوة الأنفاس»، من خلال كونه موطن أهل الذوق والوجدان، والعلم، والجلال والجمال الروحيين.

يلاحظ المتتبع لكتاب «السلوة» أن هذه الوحدة المعجمية «فاس»

---

(1) تنظر: مقدمات كتاب «سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس» لمحمد بن جعفر بن إدريس الكتاني، تحقيق: عبد الله الكامل الكتاني ـ حمزة بن محمد بن الطيب الكتاني ـ محمد حمزة بن علي الكتاني، 1/ 12، ص70، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1، 1425هـ/ 2004م.

(2) انظر: التعليق السابق.

(3) انظر: التعليق السابق.

(4) انظر: التعليق السابق.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

المتحكمة صوتياً ودلالياً في العنوان تكشف هويتها منذ الجملة المنطلق من أول ترجمة رسمية في الكتاب؛ أعني: ترجمة المولى إدريس الأنور؛ وهي قول: «بركة فاس والمغرب»[1]. فهوية فاس في الكتاب هي: «فاس البركة»، بعلمائها وعلمهم، وبصلحائها وصلاحهم، وبأوليائها وصوفييها وغناهم الروحي الوجداني، ولا ريب أن ما ضمته ترجمة المولى إدريس الأنور من فضائل هذه المدينة[2] دال على ما قلناه.

إن فاس المدينة من خلال هذه الترجمة المنطلق وجملتها المنطلق، تتحول بفضل هؤلاء الرجال ساكنيها الذين تُعرف بهم «السلوة»، من فضاء صغير إلى فضاء أكبر هو كل المغرب، وفي هذا سمو بخطاب الترجمة من خلال مدلول البركة وعمقها الصوفي إلى خطاب رامز يلوح إلى مكون من المكونات الجوهر للهوية الثقافية المغربية؛ ألا وهو: المكون الصوفي.

إذن؛ صوفياً وعلمياً، كتاب «السلوة» كتاب معرفة وجلال، وذوق وجمال، ركب في تأليفه صاحبه المركبين معاً حتى يحقق التوازن المنشود عند المتلقي بين الاتزان الديني والافتتان بالتعلق بساكني «ضريح السلوة» بعيداً جهد الإمكان عما لا يقبل شرعاً، وقريباً جهد الإمكان من أهل الصلاح والولاية قرب التواق إلى لذة الزيارة والمتشوف إلى بركة المزور، والدعاء في ضريحه إلى الله الدعاء المبرور لساكني الضريح/ الكتاب/ فاس... ولنفسه.

على الرغم من كل ما قلناه عن صوفية كتاب «السلوة» من خلال نصه الموازي وتفاعله معه؛ لا مندوحة من الإشارة اللامعة والعبارة اللامحة إلى بعض مكامن الحضور الصوفي في الكتاب من وجهة أخرى؛ بمنأى عن تلك القراءة المنجزة التي ركزنا فيها على بعض مكونات النص الموازي أساساً. فمن هذه المكامن باختصار شديد:

---

(1) ينظر: جميل حمداوي «السيميوطيقا والعنونة»، مجلة عالم الفكر، مجلد 25/ع 3 يناير ـ مارس: 1997م، ص106.

(2) «السلوة»: (1: 71).

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

أولاً: صوفية الباعث:

ويمكن اختزالها في وعي المؤلف بالمقام العالي للصلحاء والعلماء في حياتهم وبعد مماتهم، وواقع الاندراس والإهمال الذي عاشته العديد من الروضات والمقابر الضامة لجثمانهم، مما يضيع معه تاريخهم وتاريخ المدينة.

ثانياً: صوفية المقصد أو الهدف:

وتكمن في رغبة بعث محاسن الأخلاق وإحيائها من خلال إحياء أخبار أهل الصلاح والولاية والعلم والتبرك بهم، مما يعني أن قصدية التأريخ لهؤلاء تنطوي على قصدية أعمق، تربوية وتحفيزية وتوجيهية، أخلاقية وروحية، أفصح عنها المؤلف في مثل قوله: «وبالجملة؛ فذكر الصالحين وأخبارهم وأحوالهم ومحاسنهم وسيرهم مجمع خصال الخير كلها، وبذلك يتقوى قلب المريد، وتنبعث همته لطلب المزيد، ولذلك ملأ الصوفية كتبهم به، بل لأجله جمعت، وفيه ألفت، وعليه دارت»[1].

ولعل مما يقوي صوفية الهدف تلك: ذلكم التقديم للفظ الصلحاء على لفظ العلماء في العناوين الداخلية للكتاب، والمزاوجة بين لفظي الصلحاء والأولياء أحياناً متعددة، بحيث ينوب ذكر أحدهما على الآخر.

ثالثاً: صوفية المصدر والشاهد:

ولائحة المصادر في آخر الكتاب ـ وإن لم تكن نهائية ـ أهل للإفصاح عن الهوية الصوفية المحض للكثير من المصادر، وأيضاً عن الحضور الصوفي في العديد مما تبقى منها، إضافة إلى حضور الذاكرة الشعبية الصوفية. أما صوفية الشاهد في كتاب «السلوة»؛ فمستمدة من صوفية مصادره تلك، واعتماد أقوال موثقة لفطاحل المؤلفين في التصوف وسالكي طريقه؛ أمثال أبي حامد الغزالي، وأحمد زروق، ومَحمد بن عبد القادر الفاسي، وأبي المحاسن يوسف الفاسي، والحسن بن مسعود اليوسي، وأبي سالم العياشي، وأبي حامد

(1) المصدر نفسه، (1: 75 ـ 81).

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

العربي الدرقاوي. ومن الشعر حضرت نماذج لإبراهيم التازي، وحمدون ابن الحاج السُّلمي، والقاضي عياض، وغيرهم.

وللتمثيل لصوفية الشاهد؛ لا بأس من استحضار بعض مما اعتمده المؤلف في تأكيد قيمة أهل الولاية والصلاح والتحفيز للتعلق بهم، من ذلك قول محمد المهدي الفاسي من كتابه: «تحفة أهل الصديقية، بأسانيد الطائفة الجزولية والزروقية»: «وهم القوم لا يشقى جليسهم، ومن أحبَّ قوماً حشر معهم... وعند ذكرهم تنزل الرحمة... وعسى أن يكون من ذلك ومن بركته أن يجمعك الله بولي في وقتك فيأخذ بيدك ويفتح بصيرتك»[1].

رابعاً: صوفية الموضوع:

تمثلها المقدمات الثلاث، وتراجم الأعلام الصوفيين بكل مكوناتها الصوفية؛ بما في ذلك التعريف بهم وإبراز مناقبهم وكراماتهم وصلاحهم تأريخاً وتمثلاً.

خامساً: صوفية البناء والمنهج:

وتكمن في امتطاء متن المقدمات ذات الحضور الصوفي البارز، قصد إعداد المتلقي لاستقبال نصوص التراجم بالخلق اللازم والانتباه الدائم والمعرفة المطلوبة، وفي اعتماء الشاهد الصوفي داخل المتن المقدمتي وفي نصوص التراجم مع توثيقه بسنده وبما يلزم من صفات صاحبه الدالة على هويته وصدقه وتدخل المؤلف برأيه وموقفه، وفي استهلال متن التراجم بقطب فاس ومحورها الروحي المولى إدريس الأنور، وختمها بواحد من أعلام الزاوية المعينية الشيخ «محمد العتيك بن محمد فاضل» الذي كان آخر علماء وأولياء الحضرة الفاسية الذين قصد المؤلف التعريف بهم كما قال، مما يجعل مصطلح «الولي» قفلاً صوفياً لمصطلح «البركة» باب ومفتاح أول تراجم كتاب «السلوة»، وفي الاستطراد أحياناً بدافع صوفي غالباً ما يكون التعريف بشيخ صاحب الترجمة،

(1) المصدر نفسه، (1: 16).

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

مما يتولد عنه تراجم أخرى لأعلام صوفيين لم تستوطن أجسادهم مدينة فاس؛ مثل الشيخ «محمد مصطفى ماء العينين» الذي ورد التعريف به في سياق الترجمة لمريده وابن أخته: «محمد العتيك بن محمد فاضل الشنگيطي»[1].

وتبنى نصوص تراجم الأعلام الصوفيين غالباً ـ إن توافرت المادة المعرفية ـ من عناصر الافتتاح بمتواليات وصفية صوفية يتوسطها اسم المترجم أو يتأخر عنها أو يتقدم، ثم تتلو ذلك أو تتداخل معه معلومات تاريخية تخص هوية المترجم في ذاته وعلاقته بمحيطه الخارجي، من ذلك شيوخه في العلم والتصوف، ويحضر إلى جانب ذلك مكون الشاهد ذي الأصل الصوفي، والمكون الحكائي الكرامتي وغيرهما، وكذلك تاريخ وفاته ومكان دفنه...

سادساً: صوفية المكان:

صحيح أن المكان متعدد داخل كتاب «السلوة» كمّاً ونوعاً، إذ تجده مرة قبراً وأخرى ضريحاً أو روضة أو مسجداً أو زاوية، أو حومة أو مدينة أو غير ذلك، وتجده مرة ما وراء السور وأخرى داخله، ولكن كل هذا التنوع يتآلف ليشكل غالباً فضاء فاس الموسومة بسمة الصلاح والبركة والعلم والولاية. ويكفي المتلقي لاستجلاء ذلك؛ أن يعود إلى فضائلها ضمن ترجمة قطبها الأكبر المولى إدريس الأنور، حيث تصادفه عبارات صوفية من قبيل أن فاس: «محل الأولياء والصلحاء... أولياؤها هم الأسُد الذين لا يقدر أحد من الأولياء على مقاومتهم...»[2]، وأنها «تُعرف عند الأولياء وأهل الله تعالى بالزاوية»[3]، وهي: «دار الخير والبركات»، و«دار المحبة والتعظيم لآل البيت وللعلماء والمنتسبين»[4]، كما يقال أن الرسول ﷺ دعا لها بالحفظ والحماية، وأن العديد من الأخيار رأوا ذلك، «إلى غير ذلك من فضائلها التي لا تحصى، ومزاياها التي لا تستقصى»[5] كما تلفظ به صاحب «السلوة».

(1) المصدر نفسه، (1: 15).
(2) المصدر نفسه، (3: 489 ـ 490).
(3) المصدر نفسه، (1: 76).
(4) المصدر نفسه، (1: 77).
(5) المصدر نفسه، (1: 81).

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

سابعاً: صوفية المصطلح والعبارة:

لا نخصها بالحديث إلا لنزيدها إفصاحاً وتأكيداً، وإلا فهي مظهر صوفي جوهر في الكتاب، استأنسنا به منذ بداية مصاحبتها لصوفية «السلوة» بنصيَّها الرئيس والموازي.

أما المصطلح الصوفي؛ فقد تحكم في نسيج الكتاب، وتجلى ذلك في مقدماته والعديد من تراجمه ومصادره، ويمكن التمثيل لذلك ـ تمثيل إشارة ـ بتلك الصفات المعتمدة في التعريف بالأعلام، ثم بانبناء المقدمات على أساس مصطلح الولاية وما يتواصل معه من صلاح وبركة ومحبة، وشيخ ومدد... غيرها[1].

وقد لا نبالغ إذا ذهبنا إلى أن مصطلح «علم» أو «علماء» يحمل في الكتاب أحياناً كثيرة بُعداً صوفياً؛ وإلا ما دلالة قول المؤلف معرفاً العلم، أنه: «العلم المصحوب بالخشية والتواضع، والإنابة والتقوى، المهتدى بصاحبه في الدين والدنيا. لا مجرد العلم!»[2]؟. واستشهاده بقول غيره: «إن العارفين بما يجب لله من أوصاف الجلال ونعوت الكمال؛ أفضل من العارفين بالأحكام، بل العارفون بالله أفضل من أهل الأصول والفروع؛ لأن العلم يشرُف بشرف المعلوم»[3].

---

(1) ينظر: حول تعريف المصطلحات الصوفية الواردة في كتاب «السلوة»:
ـ عبد الكريم بن هوازن القشيري: «الرسالة القشيرية»، تحقيق: عبد الحليم محمود، محمود بن الشريف، دار الكتب الحديثة، مصر (د.ت).
ـ علي الجرجاني: كتاب «التعريفات». تحقيق وتقديم: عبد الرحمٰن عميرة، عالم الكتب بيروت، ط1: 1407هـ/ 1987م.
ـ عبد القاهر السهروردي: «عوارف المعارف»، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1966م.
ـ كمال الدين عبد الرزاق القاشاني: «اصطلاحات الصوفية»، تحقيق وتقديم: محمد كمال إبراهيم جعفر، الهيئة العامة المصرية للكتاب: 1981م.
ـ عبد المنعم خفني: «معجم مصطلحات الصوفية»، دار المسيرة، بيروت، ط1، 1400هـ/ 1980م.

(2) المصدر نفسه، (1: 19).
(3) المصدر نفسه، ج1.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

أما العبارة الصوفية؛ فتتراوح بين الطول والقصر، وتتجاوز الجملة أحياناً متعددة ليشكل مجموع منها فقرات صوفية بامتياز؛ حيث يكون السفَر من المصطلح إلى العبارة فالفقرة، نحو ما نجده في ترجمة المولى إدريس الأنور وغيره من أقطاب التصوف المترجم لهم في «السلوة»، ومن أمثلة العبارة الصوفية، قول المؤلف: «أهل محبة الله»، «تعتريه أحوال الجذب في كل حين»، «الصالح البركة الأولى»، «السالك السني المتواجد»... وقوله أيضاً مع شيء من التمادي خلال ترجمته لعلي بن إسماعيل بن حرزهم: «الشيخ الفقيه الصالح، الزاهد الورع الناصح، العالم العلامة الفاضل، الولي العارف الكامل، ذو الأنوار الساطعة، والبراهين القاطعة، الترياق النافع، لمن أتى ضريحه بقلب خاشع»[1].

ثامناً: صوفية الباثّ مؤلفاً وناقداً:

إن مؤلف كتاب «السلوة» عالم متمكن من فقه الظاهر وفقه الباطن، يصبو ـ فضلاً عن التأريخ ـ إلى التربية والتوجيه، وكفاءته العلمية والصوفية جلية في مقدمات كتابه وفي العديد من أقواله وأفكاره الدالَّة على عمق تأمله وعمله بعلمه، وتحريه الدقة، واعتماده التوثيق والتحقيق سبيلاً، حرصاً على الأمانة العلمية وعدم مخالفة الأصول. ولو لم يكن كذلك؛ لما وجدنا ذلك العدد من المصادر معتمداً في كتابه، وذلك الحضور للكثير من الشواهد، مع عدم التردد في ممارسة النقد حين يرى ضرورته؛ مثل نقده للعديد من العادات المرفوضة أثناء زيارة الأولياء؛ من قبيل الانحناء للقبر والمبالغة فيه، وتقبيل الأرض بين يدي الولي والسجود له، والتضرع إليه بدل التضرع إلى الله به...

من أقواله في بعض ذلك: «إن الانحناء للقبر للتسليم بدعة مكروهة ـ إن لم يصل إلى حد أقل الركوع ـ وإلا حرم. وكذا تقبيل الأرض بين يديه ـ إن لم يكن معه وضع للجبهة على الأرض؛ فهو مكروه كراهة شديدة ـ وإلا؛ فهو حرام إجماعاً، ولا يقول بجوازه مسلم...»[2].

(1) المصدر نفسه (3: 90).

(2) المصدر نفسه، (1: 49).

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» Printed on [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100]

وقد أنكر كذلك تلك الأمور الشنيعة التي تمارس خلال مواسم الصالحين والأولياء؛ فقال: «يجب على من له قدرة أن يجرد فيها سوط الآداب وعصا الشريعة؛ فيزجر من يستحق الزجر، ويؤدب من يستحق الأدب، حتى تكون سالمة من كل ما لا يرضي الله ورسوله وسائر المؤمنين، وإلا؛ خيف على الجميع الهلاك والخسران دنيا وأخرى»[1].

أضف إلى ذلك: أن صوفية الباث أو المؤلف كامنة في صوفية الهدف والمصطلح، والعبارة والبناء الهيكلي والمنهجي لكتاب «السلوة».

تتويجاً لمسار الدراسة الكاشفة لعدد من تجليات النزعة الصوفية في «سلوة الأنفاس»؛ خلصت من خلال مصاحبتي لهذا الكتاب إلى استنتاج اتصافه بصفات صوفية يمكن عدها من المظاهر الخفية الممكنة لصوفيته، تنضاف إلى ما تبيناه وبيناه، ولها في كتاب «السلوة» ومقوماته وخصائصه ما يدعمها ويقويها؛ من ذلك: اتصاف الكتاب بالسياحة والسفر زمانياً ومكانياً واجتماعياً. والمعرفة الحقة عند أهل التصوف، وكذلك السلوك الصوفي، يتجاوزان حدود الزمان والمكان.

ومن ذلك أيضاً: اتصافه بالشمول ثم بالسمو والعلو؛ وهي: من صفات التجربة الصوفية وما يطمح إليه أهلها. يدعم ذلك ويسانده: عدم اقتصار الكتاب على فترة محددة من تاريخ المغرب، وعدم انتماء أعلامه إلى فئة أو فئات معينة من المجتمع، ما دمنا نجد منهم الملك والوزير، والسفير والقاضي، والعالم والأمي، والمجذوب والسائح... وغيرهم، مما يفيد معنى الوصل والوصال المجسد في ضم الحي السكني الواحد في المدينة وداخل «السلوة» لمختلف الفئات الاجتماعية.

كذلك يغيب التعقيد اللغوي في التعبير، وتحضر السلاسة والوضوح، مما يمنح الخطاب حظاً أكبر للانتشار والسياحة، والسفر والشمول.

ثم إن أعلام «السلوة» ليسوا مغاربة كلهم، بل منهم الأندلسي في

(1) المصدر نفسه، (1: 63).

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

العهدين المرابطي والموحدي، والتلمساني، والتونسي، وفي هذا تجلٍّ آخر لصفتي الشمول والتبدي على قيد الحدود الذي يتجلى أيضاً في تجاوز داخل سور فاس إلى خارجه.

كل ذلك يمكن عده، إذن، من الآثار الممكنة للثقافة والسلوك الصوفيين عند محمد بن جعفر الكتاني، كما يمكن تلقيه باعتباره من جنس الإسهام في البحث عن ذلك المدلول المتعالي الذي نطمح إليه جميعاً ونحن نتدارس كتاب «السلوة» أو غيره من النصوص المتنوعة النزعات أو الأبعاد والقابلة، من ثمة، لتعدد القراءات.

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

Black plate (222,1)

«سلوة الأنفاس» وقيمتها الأدبية

أ. د. عبد الله بنصر العلوي[1]:

إن «سلوة الأنفاس» موضوع شيِّق باعتبار ما له من مجالات متعددة، من أبرزها أن: «سلوة الأنفاس» ليس كتاباً قرأناه ونعاود قراءته فحسب، ولكنه كتاب يعيش في وجداننا، هذه المعايشة وما يصحبها من المعاناة، وما يرافقها من التوجدن ـ إن صح الاشتقاق ـ يجعلنا نرى في نص «سلوة الأنفاس» تشكيلاً لنص جامع، باعتباره نسيجاً يحفظ للأدبية المغربية قيمها ومقوماتها، كما يحفظ للثقافة المغربية عدداً كبيراً من الدلالات ومن التجليات.

إن «سلوة الأنفاس» نص جامع مفتوح، فيه الفكر وفيه التصوف وفيه الأدب وفيه الاجتماع، وربما فيه مجالات أخرى كل باحث يستطيع أن يجد فيها ضالته. حقاً إن «سلوة الأنفاس» كتاب تراجم يضم تراجم العلماء والصلحاء، ولا يقتضي الأمر هنا أننا نتعامل مع العلماء والصلحاء بالدلالة الحرفية لهذه الكلمات والمصطلحات، ولكن باعتبار أن الدلالة في «سلوة الأنفاس» تجعل من هذه التراجم في بنياتها تحمل دلالة المشاركة التي تجسد الخاصية الكبيرة في الأدبية المغربية؛ لأن العالم المغربي هو مثقف مشارك في عدد من العلوم والفنون، بما فيها العلوم النظرية والتطبيقية، بالإضافة إلى علوم الآلة والأدب، وعلوم الشريعة والتصوف.

هذه الخاصية الموسوعية هي التي تجعل الوجه البارز لهذه التراجم يتسم

(1) أستاذ التعليم العالي بكلية الآداب، جامعة محمد بن عبد الله، بفاس.

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

بخاصيتين؛ هما: الصلاح والعلم. وهما شرطان أساسيان متلازمان لدى كل مثقفي المجتمع.

ومن ثم؛ فكتاب «سلوة الأنفاس» ننظر إليه من وجهات متعددة، فرغم كونه من كتب التراجم هو أيضاً من كتب التاريخ، كما أنه من كتب الأدب. والأدب هنا ـ سواء بمفهومه العام أم بمفهومه الخاص ـ يتجلّى صداه قوياً في «سلوة الأنفاس»، ومن ثم يمكن أن نعتبره مصدراً من مصادر الأدبية المغربية، نظراً لكونه توسل بأجناس أدبية متعددة نجد فيها النثر الفني والشعر والسرد، كما فيه أيضاً الأمثال والحكم؛ لأن أسلوب كتاب «السلوة» في عمومه أسلوب أدبي؛ لكونه توسل بأساليب البلاغة بما فيها من بديع سجعاً وجناساً، وبما فيها من بيان تشبيهاً واستعارة. وبالأمس كان الأستاذ الدكتور سيدي محمد الكتاني قد أشار إلى أن ديباجة تراجم «سلوة الأنفاس» شبيه بأدب الترجمة وفنه عند لسان الدين ابن الخطيب في كتابه «الإحاطة».

وإذا كان الوقت لا يسمح باستعراض كثير من النماذج والمقومات الأدبية، فحسبنا أن نشير إلى بعضها..

فبدءاً من العنوان ومقاصد الكتاب؛ نجد الأسلوب الأدبي حاضراً، وهذا أمر فيه الكثير من أنماط التداخل بين الدلالات والأساليب، كما أن الشعر في «سلوة الأنفاس» يصل إلى تسعمائة وثمانية وثمانين بيتاً، من ثم يصح لنا أن نقول: إن «سلوة الأنفاس» تشكل ديواناً مغربياً لا يتعلق بعصر من العصور، بل يتعلق بفترات ممتدة من المولى إدريس إلى عصر المؤلف. وقد استطاع المؤلف الشريف سيدي محمد بن جعفر الكتاني في هذه الفترة الممتدة أن ينتقي من النصوص ـ وهو دقيق في الانتقاء ـ ما يجسد كل المعالم الشعرية للأدبية المغربية؛ لأن ما أورده من أشعار يمثل الأغراض الشعرية التي عرفتها الأدبية المغربية: نجد قصائد التوسل، وقصائد المديح النبوي، والمديح الولوي، ونجد القصيدة المادحة، والمنظومات.

ومن جهة ثالثة؛ يمكن أن نتحدث عن المؤلف باعتباره ناقداً أدبياً، فمختاراته ذات منظور نقدي عربي، واستشهاداته بأشعار أبي تمام وأبي الطيب

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

ذات دلالة نقدية هامة تتعلق بالتواصل الشعري بين شعراء المشرق وشعراء المغرب. لذلك كان اختيار هذه الأشعار مكوناً نقدياً تجلى فيه النسيب بكل أبعاده والتصوف بكل مرجعياته، مما يشكل أبرز مقاصد النزعة الأدبية الأصيلة لدى كاتب «السلوة».

ومن مظاهر النقد عند المؤلف: اعتماده على جملة من الآليات؛ فكان غالباً ما يوثق النص وينسبه إلى صاحبه، ويجعل من النص الشعري في الترجمة مكوناً خاصاً، إذ إن بناء النص عنده يقوم على بنيات حضور التحليات النقدية، وتقديم الشاهد، ثم الإشارة إلى الناحية الأدبية.

إن التجليات الأدبية التي نجدها في «سلوة الأنفاس» تعبر بدقة عن الوضع الأدبي للشخصية المترجَم لها. فعندما يترجم لسعيد بن الحنين يلقبه بالفقيه الشاعر، وفي هذا دلالة نقدية، وإذا تحدث عن جعفر بن الطالب ابن سودة يسميه: الأديب الشاعر، وفي هذا دلالة نقدية أيضاً، وعندما يتحدث عن عبد الواحد بن محمد البوعناني يلقبه بالفقيه الخطيب الفصيح الأديب... والمؤلف في كل ذلك لا يلقي المصطلحات على عواهنها، ولكنه يربطها ربطاً وطيداً بالشخصية التي يترجم لها.

وكذلك نجد في الترجمة ـ أيضاً ـ ما نسميه بالتحليات النقدية، هذه التحليات ترتبط بالمستوى الشعري للمترجم له، فشعر ابن علي الزموري يقول عنه: «كان حلو العبارة، فصيح اللسان». إلى أن يقول: «وشعره لا يقصر عن طراوة الحسن». كذلك عندما تحدث عن أحمد بن عبد الحي الحلبي قال في حقه: «إنه مداح النبي ﷺ»، وفي هذا خاصية تتعلق بالشاعر المترجم له.

كذلك كان يحلل المستوى الفني في الشعر الذي يستشهد به إذا كان مترجمه شاعراً؛ فمثلاً: عبد الله الغزواني قال في حقه: «كان يسلك الغموض في شعره ونثره»، وفي الوقوف على الغموض سمة من السمات التي اتسمت بها بالفعل أشعار وكتابات عبد الله الغزواني الصوفي.

كذلك نجد الإشارة إلى المعارضات؛ ومنها: معارضات حمدون ابن الحاج للشاعر الوشاح عبد السلام القادري.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

وذكر الشعراء بالأوصاف التي وصفهم بها النقاد؛ مثلاً: وصف محمد بن عبد الله الدلائي بالشاعر المفلق.

ومن جهة أخرى؛ لا نجد الفصيح وحده في ديوان «سلوة الأنفاس» فحسب، ولكن نجد الملحون أيضاً، باعتبار أن الشعرية المغربية في شقيها: الفصيح والملحون تثري الحضور الأدبي لسلوة الأنفاس؛ لما فيها من التكامل والتداخل.

إن «سلوة الأنفاس» تبقى حية في وجداننا، وتبقى نصاً مفتوحاً ترومه كل التخصصات؛ لما فيها من غنى وثراء.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

Black plate (226,1)

الجانب الأسطوري في «سلوة الأنفاس»
محاولة لفهم المرجعية الفكرية لشيخ الإسلام محمد بن جعفر الكتاني، في تاريخه الكبير

أ. د. جعفر ابن الحاج السلمي[1]:

1 ـ مقدمة: انبناء إشكال القول بالإهمال والإخمال، على أسطورة المدينة الفاسية المقدسة[2]:

يتأسس كتاب «سلوة الأنفاس»، لشيخ الإسلام، سيدي محمد بن جعفر الكتاني، (1345هـ) على أسطورة كبيرة؛ لولاها لما شرع المؤلف في تأليف كتابه، ولما بذل من الجهد والوقت. هذه الأسطورة كان يعيش فيها شيخ الإسلام، بل كان يبحث عنها باستمرار ويتطلبها. هذه الأسطورة الكبيرة هي: أسطورة فاس، المدينة المقدسة أعظم تقديس في بلاد المغرب الأقصى، المدينة الفاضلة في أرض المغرب.

ليست فاس هي المدينة المغربية المقدسة وحدها في الفكر الأسطوري المغربي. بل توجد مدن أخرى. بيد أن فاس تستأثر بامتياز القداسة الزائدة على سائر مدن المغرب وقراه. وتواجهنا أسطورة فاس، المدينة المقدسة، التي تأسس عليها كتاب «سلوة الأنفاس»، في طالعة الكتاب، بل في مقدمة

(1) أستاذ التعاليم العالي، كلية الآداب، جامعة عبد الملك السعدي، تطوان.

(2) الأسطورة جنس أدبي وفكري، ولا تعني إطلاقاً الأكذوبة والأبطولة، كما يتوهم العوام وعن مفهوم الأسطورة، انظر كتابنا: «الأسطورة المغربية القديمة: دراسة في المفهوم والجنس».

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

مقدماته، يقول شيخ الإسلام: «ولتعلم أيها الواقف عليه، والناظر بعين الرضى والقبول لديه، أنه: قد مر في **هذه البلدة العظيمة** المقدار، من العلماء والأولياء، ما لا ينحصر كثرة ولا تستوعبه الأسفار، كما قال الشيخ الإمام، الثقة الثبت الماهر الحجة، عمدة أهل المغرب في التاريخ، صالح بن عبد الحليم، في كتابه: «الأنيس والقرطاس»، ما نصه: ومدينة فاس، لم تزل من يوم أسست مأوى الغرباء؛ من دخلها أو سكنها صلح حاله بها».

قال: «وقد نزلها كثير من العلماء والفقهاء، والصلحاء والأدباء، والشعراء والأطباء... وغيرهم، فهي في القديم والحديث، دار علم وفقه وحديث وعربية، وفقهاؤها الفقهاء الذين يقتدي بهم جميع فقهاء المغرب. ولم يزل ذلك على مر الزمان. وذلك ببركة دعاء إدريس بن إدريس، رضي الله عنه، فإنه لما أراد الشروع في بنائها، رفع يده وقال: اللَّهُمَّ اجعلها دار علم وفقه؛ يتلى بها كتابك، وتقام بها حدودك، واجعل أهلها متمسكين بالسُّنَّة ما أبقيتها. ثم أخذ المعول بيده، وبدأ بحفر الأساس».

«وقال الشيخ الإمام، الولي الصالح، العالم المتفنن؛ أبو عبد الله، سيدي محمد بن أحمد الشطيبي الأندلسي، في كتابه: «الجمان، في مختصر أخبار الزمان»، ما نصه: وأخبار مدينة فاس، وعجائبها وغرائبها، وأولياؤها وصلحاؤها؛ لا تحصيهم العبارة!»[1].

بيد أن هذه الأسطورة الكبيرة؛ لم يتصد لتدوينها رجل عامي أو شبه عامي، بل تصدى لها عالم كبير، هو شيخ الإسلام، فأسس «سلوة الأنفاس»، على إشكال علمي كبير، لا على إشكال أسطوري. هذا الإشكال العلمي؛ هو: إشكال الإهمال والإخمال، كما عبر عنه سيدي محمد العربي الفاسي في «مرآة المحاسن»[2]، أو قلة اعتناء أهل هذا المغرب بالتاريخ، كما عبر شيخ الإسلام[3]،

(1) «السلوة»: 1/ 3 ـ 4.
(2) «مرآة المحاسن»: 69. وانظر: «سلوة الأنفاس»: 1/ 4.
(3) «السلوة»: 1/ 4.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

الناتج بالضرورة من ملاحظة علمية رصينة، تسجل المفارقة الكبرى، بين عمق التاريخ الفاسي وطوله وغناه المفترض في منطق النظرية، وبين قلة وثائقه التاريخية في منطق الواقع.

لم يكن هذا الإشكال العلمي مما ابتدعه شيخ الإسلام، بل قد ابتدعه سابقون عليه، وعبروا عنه أوضح تعبير، وأجابوا عنه، لكن تفاوتت إجاباتهم، وفي كل خير، فجعلوا لكتبهم «فائدة زائدة»، يستحق عليها التأليف أن يؤلف، كما اشترط ذلك ابن عرفة الورغمي في قوله: «إنما تدخل التواليف في ذلك، إذا اشتملت على فائدة زائدة؛ وإلا فإن ذلك تخسير للكاغيد»[1]. وقام شيخ الإسلام باستعراض تعبيرات كل من محمد العربي الفاسي في «مرآة المحاسن»، والحسن اليوسي في «المحاضرات»، وابن عيشون الشراط الفاسي في «التنبيه، على من لم يقع به من فضلاء فاس تنويه»، وأبي العباس أحمد بن إبراهيم الدكالي المشنزائي الفاسي، في «سلسلة الذهب المنقود، في ذكر الأعلام من الأسلاف والجدود»، والبناء عليها.

لكن شيخ الإسلام كان أفضل وأعظم من أجاب عن هذا الإشكال بلسان حال كتابه.

انبنى إشكال الإهمال والإخمال على أسطورة المدينة الفاسية المقدسة، عند شيخ الإسلام، فتداخل التدوين الأسطوري، والاسترجاع الأسطوري، بقواعد المنهج العلمي التاريخي القديم، فكان من هذا التداخل بين العلم والتاريخ، وبين التأسيس الأسطوري: هذه الموسوعة الفذة، التي اسمها: «سلوة الأنفاس، ومحادثة الأكياس، بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس».

2 ـ مشروعية التدوين الأسطوري: أو «آداب القوم»:

لم يعمل شيخ الإسلام، على تخليل تراجمه بأساطير الكرامات، إلا بعد أن مهد للأمر، شأن من سبقه من المؤرخين المنقبيين، بمقدمة كانت هي أولى

(1) «الأزهار الطيبة النشر»: 22. (قيد التحقيق والنشر).

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

مقدماته الثلاث. وقد جعلها «في الحث على التبرك بذكر الصالحين، والعلماء العاملين، والاستماع لخبرهم، والتلذذ بجميل سيرهم»[1].

أسس شيخ الإسلام مشروعية السرد الأسطوري على الدليلين الأعظمين عند الأصوليين المسلمين؛ وهما: القرآن والسُّنَّة. وقاس عليهما لأجل التأصيل. فالقرآن الكريم أساس لهذه المشروعية، وقد جعل حكايات الرسل مدعاة إلى تثبيت الإيمان في نفس الرسول ﷺ، قال بعض المشايخ: «الحكايات ـ أي: عن الصالحين ـ جند من جنود الله تعالى، يثبت بها قلوب أوليائه». وشاهده قوله تعالى: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ [هود: 120]. وقياساً على «أنباء» الرسل: «حكايات» الصالحين من العلماء، علماء الشريعة والحقيقة، الظاهر والباطن، الذين هم ورثة هؤلاء الرسل بالضرورة، وحكاياتهم امتداد وراثي لقصص الأنبياء في الزمان.

قال: «اعلم، هداك الله تعالى، أن أحسن ما يطرق الأسماع، ويحسن الإلمام به والإلماع، ويطلب خبره وحديثه، ويقص منه قديمه وحديثه: محاسن أهل الله وشمائلهم، وفواضلهم السنية وفضائلهم، ومزاياهم العظيمة الفاخرة، ومواهبهم الجسيمة الوافرة؛ إذ بذكرهم تتنزل الرحمات، وتنزل سوابغ النعمات، وتستمطر سحائب البركات، وتستصحب السعادة في السكنات والحركات، وببركاتهم تنعقد العزمات، وتنحل عرى الشدائد والأزمات، وبنفحاتهم تحيا القلوب، وتنبعث همتها إلى المطلوب، وتستيقظ من منامها، وترتوي بعد أوامها»[2].

وقد استدل شيخ الإسلام على ربطه بين السعادة والسرد الأسطوري، وجعله السعادة المنبنية على الرحمة، غاية للسرد الأسطوري، بجملة ما وقف عليه، وهو المحدث المسند، من أحاديث مرفوعة وموقوفة على السلف الصالح، عرض لتوثيقها وإبطالها في هدوء، ولا سيما حديث الديلمي، في مسند الفردوس؛ فـ«ذكر الصالحين، كفارة للذنوب»، و«عند ذكر الصالحين؛

(1) «السلوة»: 1/ 12.

(2) «السلوة»: 1/ 12.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

تنزل الرحمة»[1]؛ لأن ذكر الصالحين، فرع من ذكر الله الذي اختص من عباده من أهلهم للصلاح، ولولاه ولولا ما سبق لهم من العناية الإلٰهية في الأزل؛ لما كانوا، ولا كانوا صالحين، «لأنهم عبيد الله القائمون بأمره ونهيه، الدالّون عليه، فالمقصود من تعظيمهم؛ تعظيم الله، ومن الثناء عليهم؛ الثناء على الله، ومن ذكر أقوالهم؛ التعرف إلى الله، فالمراد من ذكرهم؛ ذكر الله، فألحقوا به، فكم لهم بحكمه من نزول الرحمة والسكينة عنده». هكذا رأى الأمر ابن زكري الفاسي في شرح همزيته، وتابعه شيخ الإسلام[2].

لم يبق بعد محكم القرآن، ومرفوعة السُّنَّة، وموقف كلام السلف الصالح وعمله، دليل لمستدل على مشروعية التدوين والسرد الأسطوري عند شيخ الإسلام.

بيد أنه تخلى في مقدمته هذه، عن عنصر بنيوي مهم مكون لأدبيات مشروعية السرد الأسطوري الكرامي المعهود في التراث المنقبي المغربي القديم؛ وهو: الاستدلال المألوف بكلام المتكلمين الأشاعرة في تجويز الكرامات، والذي نجده في العادة في مقدمات كتب المناقب[3].

وإذا كان الصوفية قد خاضوا، على قلة، فيما سموه: الممتنع وقوعه كرامة؛ كمولد إنسان من **غير ذكر وأنثى**، وانقلاب الإنسان حماراً، والحمار إنساناً وما أشبه ذلك[4]؛ حفظاً لناموس الشريعة؛ فإن شيخ الإسلام لم يخض في مقدماته الثلاث في «سلوة الأنفاس» في الأمر. فكل شيء ربما كان في نظره قابلاً لأن يكون كرامة، حتى لو لم يحفظ ظاهر الشريعة؛ أي: كان خراباً في الظاهر، وصواباً في الباطن[5].

---

(1) «السلوة»: 1/ 12، 13.
(2) «السلوة»: 1/ 13.
(3) انظر مثلاً كتاب «التشوف»: 54 ـ 55، حيث يستدل المؤلف، فضلاً عن القرآن والحديث، بكلام الأشاعرة، ولا سيما أبي بكر ابن الطيب الباقلاني، وإمام الحرمين الجويني، وأبي حامد الغزالي، ومحمد بن عبد الكريم الشهرستاني، وفضل إثبات الكرامات، من كتاب «المقصد الشريف»: 39.
(4) أنظر المقصد الشريف: 41.
(5) «السلوة»: 2/ 34.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

3 ـ شروط التدوين الأسطوري:

ثبَّت شيخ الإسلام إيمانه وإيمان المسلمين، بما ساقه من أحاديث الصالحين الفاسيين، المعززة أحاديثهم لأنباء الرسل وقصصهم، لا الناسخة لها؛ «فذِكْرُ الصالحين وأخبارهم وأحوالهم ومحاسنهم وسيرهم، مجمع خصال الخير كلها، وبذلك يتقوى قلب المريد، وتنبعث همته لطلب المزيد، ولذلك ملأ الصوفية كتبهم به، بل لأجله جمعت، وفيه ألفت، وعليه دارت».

بيد أن شيخ الإسلام، وإن كان حريصاً على طلب السعادة، وتثبيت الإيمان في الفؤاد، بذكر الصالحين، ومئات من كراماتهم؛ لم يخل من حرص على إعمال المنهج التاريخي، ومن التشكك في بعض السرد الأسطوري. فمولاي أبو سلهام، «توجد بيد بعض الناس أوراق في بعض ما له من المناقب والكرامات؛ الغالب عليها أنها مصنوعة»[1].

والخلوة «المنسوبة» لمولاي عبد القادر الجيلاني، «من الكذب المحض، بحسب ظاهر اللفظ؛ لأن مدلول الخلوة عُرفاً: محل التعبد، والشيخ مولانا عبد القادر، رضي الله عنه، لم يدخل المغرب أصلاً، بل ولا خرج من مكة حين دخلها للحج لناحية، وإنما محل استقراره بغداد وما والاها. ولما خرج منها للحج؛ رجع من عامه، وهذا مما لا شك فيه. وهو منصوص عليه لغير واحد. فكيف يمكن أن يقال: إنه بلغ مدينة فاس، وتعبَّد في بعض أماكنها؟. بل ذلك كذب صراح، ولكنهم يزعمون أن بعضهم رأى الشيخ، رضي الله عنه، في هذا المحل. وبعضهم يرى أنه قدمه حال حياته بالخطوة. وآخرون يرون أنه يقدم إليه بعد موته غيباً. فصاروا يتبركون به»[2].

وسيدي عبد الله بن أحمد، «كثير من الناس يزعم أنه هو دفين مكناسة الزيتون، خارج سورها... أنه ذو قبرين. وليس لذلك أصل، بل غير صحيح»[3].

---

(1) «السلوة»: 1/ 7.
(2) «السلوة»: 1/ 152.
(3) «السلوة»: 1/ 254.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

وربما حاول أن يفسر ما أنكره من الأساطير، وأن يقيم الدليل التاريخي والديني، الظاهري والباطني، على ما ذهب إليه، فالنعال الشريفة في دار الشرفاء الصقليين، «كثير من الناس اليوم يتطيَّرون من رؤية هذه النعل التي بيد هؤلاء الشرفاء، ويزعمون أن من رآها مات بعد أيام يسيرة، ويذكرون لذلك قضايا اتفاقية. ولا صحة لهذا، وإنما هو من تخيلات الأوهام التي لا معول عليها، وقد عاش أبو زيد الفاسي بعد رؤيتها قريباً من ثلاثين سنة، والشيخ التاودي أزيد من عشرة أعوام».

«نعم؛ هذا أمر جعله الله في نفوس العامة؛ ليصون به هذه النعل الكريمة من الابتذال والوقوع في يد من لا يُرضى حاله»[1].

فإن لم يقطع شيخ الإسلام بشيء؛ لأن القرائن التاريخية الصريحة لم تسعفه؛ أبدى تشككه أحياناً قليلة فيما عنده من السرد الأسطوري. فهذا سيدي علي أبو الذياب، «يذكرون أنه: كان معاصراً للشيخ سيدي عبد القادر الجيلاني، وأن الشيخ عبد القادر، بينما هو يوماً مع بعض تلامذته ببغداد، إذا بحفنة من التراب وقعت بينهم، ولم يدروا من أين أتت؟. فسألوا الشيخ عن ذلك، فقال لهم: رجل بفاس يقال له: سيدي علي أبو الذياب. له عرصة بها، وهو يحوض أحواضها، فتباسطنا معه، وأزلنا ما يحوضه بأرجلنا. فاغتاظ ورمانا بهذه الحفنة من التراب. فقال له جماعة منهم: ياسيدي؛ نريد أن تأذن لنا في الذهاب لزيارته. فأذن لهم، فقدموا فاساً، وكانوا أربعين رجلاً، فزاروه وبقوا في خدمته إلى أن مات. وماتوا هم أيضاً، فدُفنوا بحومة العيون وما قاربها. والله أعلم بصحة ذلك. والناس إلى الآن يشاهدون له كرامات، ويرون لضريحه بركات»[2].

ويظهر أن شيخ الإسلام كان قد وضع لنفسه قاعدة منهجية كان يتمشى عليها، في الغالب، في قبول السرد الأسطوري أو رفضه، هذه القاعدة، هي: النقل الصحيح الشاهد، والكشف الصريح العاضد. فهذا ضريح أبي غالب

(1) «السلوة»: 1/ 395.

(2) «السلوة»: 1/ 321.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

الصاريوي، «كلام الناس فيه اليوم مضطرب. فمن قائل: إنه قبر شوهدت بركته ولا يُدرى صاحبه. ومن قائل: إنه من الحواريين أصحاب سيدنا عيسى، عليه الصلاة والسلام. ومن قائل: إنه نبيٌّ من الأنبياء. وهذان الأخيران لا يخفى بطلانهما؛ لأنهما لم يوجد نقل يشهد لهما، ولا كشف ممن يعتبر يعضدهما»[1].

بيد أنه جعل النقل التاريخي ذا أولوية على غيره. أما الكشف الصوفي الولوي؛ فإنما هو عاضد؛ أي: مساند معين للنقل التاريخي، فإن افتقر السرد الأسطوري إليهما؛ وجب عند شيخ الإسلام بالضرورة إبطاله. فهذا أبو غالب الصاريوي، كثير من الناس يظنونه دفين القصر الكبير، «وأن له قبرين. وهذا الظن باطل ولا أصل له»[2].

4 ـ التفسير الأسطوري الصوفي والملامتي، والتفسير الإشاري الرمزي المنامي:

لم يكتف شيخ الإسلام بالسرد الأسطوري، بل حاول أحياناً أن يتدخل في تفسيره، عندما كان يثبت عنده أن النقل الصحيح الشاهد، والكشف الصريح العاضد، لا يمانعان. فكان ينتج حينئذ تفسيراً أسطورياً للتراث السردي الأسطوري. فهذا سيدي عنتر الخلطي، الولي الصالح البهلول، وسيف الله القائم المسلول... من المحكي عنه أنه: رئي يطأ أتاناً. فقال له بعض الحاضرين: «ما هذا يا سيدي؟»، فقال له: «إني أصلح السفينة»، «فلبث قليلاً فجاء قوم كانوا ركبوا سفينة في البحر، فعرض لهم فيه فساد أيقنوا معه بالغرق، فجعلوا يستغيثون به؛ لأنهم كانوا يعرفونه، فسهَّل الله لهم إصلاحها. وربما ذكر البعض منهم أنه شاهده يصلحها معهم، فنجاهم الله تعالى ببركته، فكأن ظاهر فعله خراب، وباطنه صواب. فسبحان العليم بالأسرار»[3].

وهذا الشريف سيدي المنتصر بن الطائع الكتاني، «حُفر قبره بعد أشهر يسيرة من موته، لأمر اقتضاه، فلم يوجد فيه شيء من جسده أصلاً. ولعله

(1) «السلوة»: 2/ 22.
(2) «السلوة»: 1/ 28.
(3) «السلوة»: 2/ 34.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

رُفع، أو نقلته الملائكة إلى البقيع. والله أعلم»[1].

وهذا التفسير الأسطوري للأشياء؛ إنما هو ثمرة تمثل شيخ الإسلام الطويل الدائم للأساطير الكرامية، ويأتي عنده في العادة تعليقاً عليها، سواء أوجد نقل صحيح شاهد، أو كشف صريح عاضد، أم لم يوجد.

وربما اقترن أحياناً عنده بالتفسير الأسطوري الصوفي، الإشاري الرمزي، الذي يراه لائقاً للحكايات الأسطورية، بالتفسير الأسطوري الملامتي؛ فهذا سيدي سليمان بن عبد الحفيظ الكتاني، «رأى مرة في منامه؛ كأنه إزاء الحانوت المعروفة بحانوت النبي، من حومة زقاق الحجر، القريبة من النجارين، وكأن الحانوت المذكورة مرتفعة عن الأرض، وصاحب الترجمة واقف على عتبتها، وهو يأخذ بيد أقوام ويرفعهم إليها، ويريد آخرون الصعود فيردهم، ولا يقدر أحد على رقيها، إلا إذا أخذ بيده ورقاه».

«قلت: وهذه الرؤيا تدل على أنه بواب بعض حضرات المصطفى، ﷺ، وأنه لا وصول لأحد من أهل وقته لتلك الحضرة إلا على يديه وبواسطته»...

«ولكنه رَحِمَهُ اللَّهُ، كان ينحو في بعض أحواله نحو الملامتية، فتصدر منه أفعال وأقوال يتستر بها من أهل وقته. ولكل ولي حجاب»[2].

5 ـ تخليص أسطورة مدينة فاس، المدينة المقدسة، للأسطورة الكرامية:

عمل شيخ الإسلام على إعادة كتابة أسطورة مدينة فاس، المدينة المقدسة، بعدما صاغها ابن أبي زرع، أو صالح بن عبد الحليم، في «الأنيس المطرب»، في القرن الثامن الهجري، وغيره من المؤرخين. وبالرغم من الطابع الأسطوري لكتاب «سلوة الأنفاس»؛ فإننا لا نجد فيه إلا نوعين من الأساطير: الأساطير الكرامية الخالصة، والأساطير التكوينية الكرامية. أما أساطير العجائب والغرائب؛ كأساطير الطلسمات والجن وسوى هذا، وأساطير الفأل والشؤم، مما كنا نجده في كتب المتقدمين؛ فلا أثر له عند شيخ

(1) «السلوة»: 2/ 222.

(2) «السلوة»: 1/ 141.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

الإسلام. ونحسب أن إقصاء هذا الضرب من الأساطير، مما لا يتفسر ببركة الصلحاء وأهل البيت، ليس عبثاً ولا جرى اتفاقاً. وإنما هو راجع إلى رغبة داخلية قوية في نفس شيخ الإسلام، لتخليص المدينة الفاسية المقدسة، من كل قداسة غير دينية إسلامية، وغير شرعية صوفية، وتوحيد أسطورة المدينة الفاسية المقدسة، بالقداسة الشرعية، البيتية (نسبة إلى أهل البيت) الصوفية الخالصة، التي تؤسس دعامة فكره وعقيدته في مجملها.

المصادر والمراجع

1 ـ «**الأزهار الطيبة النشر، فيما يتعلق ببعض العلوم من المبادئ العشر**»، لأبي عبد الله، محمد الطالب ابن الحاج السلمي المرداسي الفاسي (ـ 1274هـ) المطبعة الحجرية، فاس (1317هـ).

2 ـ «**الأسطورة المغربية القديمة: دراسة في المفهوم والجنس**»، لجعفر ابن الحاج السلمي، منشورات الجمعية المغربية للدراسات الأندلسية، تطوان (1423هـ ـ 2003م).

3 ـ «**سلوة الأنفاس، ومحادثة الأكياس، بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس**»، لشيخ الإسلام، أبي عبد الله، محمد بن جعفر الكتاني، (ـ 1345هـ)، تحقيق: عبد الله الكامل الكتاني، حمزة بن محمد الطيب الكتاني، محمد حمزة بن علي الكتاني، دار الثقافة، البيضاء (1425هـ ـ 2004م)، 3 أجزاء.

4 ـ «**مرآة المحاسن، من أخبار الشيخ أبي المحاسن**»، لأبي حامد، محمد العربي بن يوسف الفاسي الفهري (1025هـ)، دراسة وتحقيق: الشريف محمد حمزة بن علي الكتاني، منشورات رابطة أبي المحاسن ابن الجد، 3، الدار البيضاء (1424هـ ـ 2003م).

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

الحياة الاجتماعية في فاس من خلال كتاب «سلوة الأنفاس»

أ. إبراهيم بوطالب[1]:

لعلَّ أحسن ما يمكن أن أقول عن هذا الكتاب هو: أن أحكي قصتي معه، ذلك بأنه من الكتب التي يكون للمرء وللباحث معها قصة؛ لأنه يقرأها على مدى سنوات وعقود، فقد قرأته ثلاث مرات قراءة تامة، ووجدته كل مرة من الكتب السميكة المنجمية، إن صح التعبير، التي يجد فيها الباحث مزيداً من الفوائد والمكتشفات كلما زاد فيها بحثاً ونبشاً.

لقد قرأت «سلوة الأنفاس» في الطبعة الحجرية، النسخة الموجودة منها بهذه الكلية التي نحن في رحابها، بعد رجوعي من الدراسة في فرنسا، والتحاقي بهذه المؤسسة للمشاركة في تدريس التاريخ، فوجدت نفسي وأنا أقرأه في نشوة ومرح الدابة التي طال ما بينها وبين تربتها، حتى إذا عادت إليها؛ بركت بأربعها وتمطت وتمرغت ذات اليمين وذات الشمال، ولا يزال هذا الارتسام حياً في ذاكرتي، فقد تمرغت في هذا الكتاب من حيث اللغة ومن حيث العقيدة، ومن حيث المعلومات التاريخية، تمرُّغ من كان مسكوناً بثقافته وانقطع عنها عدة سنوات، تمرغت فيه تمرغ من نشأ على حب الوطن مشغوفاً بكل ما يعنيه، وأول ما شدني إليه: أنني وجدت فيه ما أحيا العهد مع موطني الصغير ومسقط الرأس، مدينة فاس، التي هجرتها منذ سنة (1953م)،

(1) أستاذ التعليم العالي، مؤرخ، كلية الآداب، جامعة محمد الخامس، الرباط، المدير المسؤول عن «معلمة المغرب».

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

فانقطعت عنها ولم أعد إليها في الواقع سوى من خلال «سلوة الأنفاس».

إذ ما إن شرعت أتصفح الصفحات وأجوب الأزقة والدروب، حتى وجدت لذة ومتعة ما زلت أستحضرها والمؤلف يذكر رأس الشراطين وباب السلسلة، وگرنيز وسيدي موسى، والمخفية وبورجوع، ومصمودة والصفاح، والبليدة ورحبة القيس، أحياء كنت أعرفها وأخرى كنت لا أعرفها؛ إذ لم يكن يسكنها أحد من أسرتي، فقد غادرت المدينة وسني أربع عشرة سنة، ولم تكتمل معرفتي بفاس إلا بفضل الحملة الانتخابية لسنة (1977م)، حيث انتُخبت في دائرة اللمطيين، فتعلمت كيف أجد سبيلي في درب اليهودي، وزقاق الرمان، وجزاء بن عامر... وما إليها من المنعرجات والدروب.

ومن يريد التعرف على فاس؛ فما عليه إلا أن ينكب على كتاب «سلوة الأنفاس»، ويتملى بما ينطوي عليه من الفوائد ومغريات الذاكرة التي تُدوي في الذاكرة دوياً يثير العواطف وحب الوطن الصغير الذي هو كناية عن حب الوطن الكبير.

ثم إني قرأت الكتاب مرة ثانية عندما صرنا نشتغل مع المرحوم الأستاذ محمد حجي بنشر «معلمة المغرب»، وكنا بحاجة إلى استحضار تراجم بعض الأعلام، فعندئذ قرأته قراءة مجددة، وكان من حسن الحظ أن بعض الأصدقاء أتاني بنسخة مصورة عن الطبعة الحجرية، فأضحى الكتاب تحت تصرفي في كل لحظة وحين، فكنت أطالع فيه جالساً وممدداً، ووقت الظهيرة أو قبل الإخلاد إلى النوم. وهكذا استخرجت منه ما يفيد عن بعض كبار العائلات الفاسية؛ كالعائلة السودية، أو الشخصيات الكبرى؛ كوليِّ الله سيدي أحمد الشاوي الذي كتبت ترجمته في «المعلمة».

ومما زادني شغفاً بالكتاب: ما أدركت من قيمة أسلوبه، وكونه مدرسة في اللغة العربية، ونموذجاً في ما ينبغي أن تكون عليه من السلاسة والحيوية، والنفور عن التعقيد. كما أنني اكتشفت من خلال القراءة الثانية ساكنة فاس في التاريخ والمجتمع الفاسي، ومِن ورائه المجتمع المغربي.

ويسترعي الانتباه في كل ذلك ـ أولاً ـ وسائل عيش أهل فاس الذين

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

كانوا يسترزقون من الفلاحة قبل كل شيء، برغم من كونهم سكان حاضرة المغرب، فمن ليس له رياض؛ فله جنان، ومن ليس له جنان؛ له فدان، ومن ليس له فدان؛ فله حقل في لمطة أو قنصارة أو الحياينة.

فسيدي أحمد الشاوي ـ مثلاً ـ كان يشتغل مع القطب الذي أخذ عنه الورد والبركة، واشتهت زوجة صاحبه ذات يوم توت الزرب، فخرج سيدي أحمد الشاوي إلى لمطة وجاء امرأة سيده بالفاكهة المشتهاة، مما عزز مكانته وزاده حظوة لدى الشيخ، وجعله يرث بركته وما كان مرتبطاً بها من الرباع والحقول.

وبعد الفلاحة؛ نرى أن الحِرَف كانت هي مصدر العيش الثاني عند أهل فاس، فنقف على ذكر جميع من كانوا يمتهنون من الصنائع؛ من نجارة وحدادة ودباغة، وطرز وخياطة، وخزف وغزل، ونسج، مما يمكن المهتم بالأبحاث الاقتصادية أن يستلخص منه كل العبر.

بيد أن صناعة الصناعات، إن صح التعبير، التي كانت مصدر عيش العديد من الأولياء والصالحين المترجم لهم في الكتاب؛ هي: صناعة التعليم وتلقين الصبيان القرآن الكريم، ويمارس ذلك في الغالب مدرسون يأتون من البادية القريبة أو البعيدة، وليس في ملكهم سوى كتاب الله العزيز، فيشتغلون بتلقينه في تمام الزهد ونكران الذات، فيتحولون أولياء يتبرك بهم في حياتهم وبعد الممات!.

وأما الوسيلة الثالثة في المجتمع الفاسي؛ فهي: التجارة على اختلاف أنواعها وفروعها ودرجاتها، التي توجد مرسومة داخل القيسارية أو خارجها في الأسواق المخصصة؛ مثل العطارين والقطانين، والمركطان، ورحبة التبن، والعشابين... وغيرها.

ولكن الذي يسترعي الانتباه من الوقوف على كل ذلك؛ هو: أن هذه الحركة الإنتاجية على اختلافها وتكاملها لم تكن حركة محمومة، ولا شيئاً يذكر بما نقرأ عن ذلك مثلاً في تاريخ العواصم الأوربية قبل الثورة الصناعية مثلاً؛ إذ يبدو الرواج الاقتصادي في فاس محدوداً منحصراً عند تلبية الحاجة

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

الضرورية والاستغناء عن الكماليات؛ لأن الإسلام يوصي بذلك، ولأن المجال الذي تعيش منه المدينة لا يبخل عليها بما هو حيوي من الماء والخضرة.

وأهل فاس حريصون على أن لا يعوزهم شيء لا في السراء وفي الضراء، فلا يطالبون بالكثير، ويكتفون بشتى أشكال الإكتفاء الذاتي، وبالاعتماد على النفس من وراء أسوارهم، «ما عِنْدْهُمْشْ مَا خِصّهُمْشْ» كما تقول العامة، في جو من العفاف والكفاف، والحرص التام على العمل المنتظم الدؤوب مهما كان ضيق الأفق.

على أن ذلك لا كان يغني المدينة عن الانقسام والتراتبية الطبقية، فمما نستفيده من الكتاب: أن السكان كانوا منقسمين إلى طبقات وطوائف؛ ففيهم طبقة الشرفاء، وفيهم طبقة التجار الذين لا يستوي فيهم أصحاب الأهرية الكبرى مع بقالة الأحياء السكنية، وفيهم أصحاب الحرف التي يتميز فيها ـ بطبيعة الحال ـ صاغة الحلي والمجوهرات عن صناع دار الدبغ، دون أن يترتب على ذلك أي صراع طبقي.

فالجميع على اتصال بالجميع، والسكان يعرف بعضهم بعضاً، فهم في تعايش متواصل، وتعامل يومي، ونجد وجوه القوم يسكنون الدرب الواحد والحارة الواحدة، ويتجاورون ويتزاورون.

ولا أدل على انعدام التشنج الطبقي في فاس القديم من الحركية الاجتماعية التي كانت تتميز بها؛ إذ يأتي إليها إنسان مغمور مثل سيدي أحمد الشاوي، وما أدراك ما سيدي أحمد الشاوي عند أهل فاس إلى يومنا، فهو في مطلع أمره مجهول الأصل، يقال: إنه جاء من الشاوية؛ فعرف بالشاوي، ثم التزم بولي من أولياء الله الصالحين، واشتغل بخدمته في تمام الطاعة، مسخراً لجميع أغراضه كما أومأنا سابقاً، حتى إذا التحق الولي بالباري ﷻ؛ خلفه في الولاية؛ ففاضت عليه الخيرات، وارتفع مقامه الديني والدنيوي، وكان ما وُعد به من بلوغ الأماني؛ لحسن سلوكه مع العباد، وخالص طاعته لشيخه.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

وما هذا إلا حالة نموذجية تثبت أن المجتمع الفاسي، بصفة كونه جزءاً لا يتجزأ من المجتمع المغربي، كان مرناً منفتحاً، لا يحول فيه بين المرء وبين أن يرقى أرقى الدرجات أدنى حاجز من تلك الحواجز التي كانت مثلاً تعوق ذلك في المجتمع الفيودالي الذي كان مبنياً على التراتب المطلق ووقوف كل طبقة عند ما حُد لها. أما في المغرب؛ فلا شيء من ذلك، ولنا أمثلة كثيرة من كبار المسؤولين في تاريخنا انطلقوا من لا شيء، ثم صاروا مِن عِلية القوم، ثم قضوا نحبهم فاندثرت آثارهم وكأن شيئاً لم يكن بعد عودتهم إلى التراب الذي نشأوا منه أول مرة. فهذا عن القراءة الثانية حتى لا أطيل.

أما عن القراءة الثالثة من خلال الحلة الجديدة للكتاب؛ فالذي لا بد من المبادرة إليه هو: شكر السادة الأفاضل الشرفاء الذين تفضلوا بإخراجها بعد طول انتظار من الصورة الحجرية، فجاءت في منتهى الأناقة والوضوح، وليس عليها سوى ملاحظة واحدة بسيطة جداً تتعلق بورود حي الحبيل، وهو تصغير الحبل؛ يعني: المرس، بنقطة تحت الحاء، فيقرأ من لايعرف المدينة «الجبيل» (تصغير الجبل)، وهذا حي من أدنى أحياء فاس ارتفاعاً، فهو واقع على ضفة وادي فاس الشرقية، يصعد منه إلى أحياء مصمودة وسيدي بوجيدة، والمرجو أن يصحح ذلك في الطبعات اللاحقة[1].

وفيما عدا هذا؛ فربما كان من المستحب إلحاق خريطة بهذه الطبعة العصرية، وإن كنت أتصور بسهولة صعوبة رسم دروب فاس وأزقتها الضيقة على الخريطة؛ لأن فاس لا يلم بها ولا يستطيع شق طريقه فيها إلا من يمارس ذلك ممارسة يومية متواصلة، فيعلم أن هذا الدرب يفضي إلى درب آخر، وأن الدرب الفلاني درب مسدود.

وعن قراءتي للكتاب للمرة الثالثة بهذه المناسبة الطيبة؛ فلا مناص من أن نتذكر أننا نجدد الوقوف على محتوياته في سنتنا المباركة هذه (1426هـ/ 2005م من القرن الخامس عشر.هـ./ الواحد والعشرين.م). وقد انتقلنا من بيئة

(1) قد قمنا باستدراك ذلك التصحيف في هذه الطبعة بحمده تعالى. المحققان.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

تاريخية إلى أخرى، فيتبادر إلى الذهن السؤال عن قيمة الكتاب ومعناه ومكانته في تاريخنا العام، وبخاصة منه: التاريخ الثقافي وتاريخ البنيات العقلية. ولم تكن فاس سوى مصهر تتبلور فيه صورة مقتضبة عن باقي المغرب، فانظر إلى الطوبونيميا وأسماء سكان المدينة تجد مذكوراً فيها جميع مناطق المغرب، العربي منها والأمازيغي، والسوداني والأندلسي، فالتركيبة البشرية المغربية مذكورة كلها، ويمكن الوقوف على تفاصيلها في الفهرس.

ولكن الذي يسترعي الانتباه في هذه اللحظة من مسارنا التاريخي من كتاب «سلوة الأنفاس»؛ هو: أنه يصور بتمام الصدق واليقين لما كان عليه المجتمع المغربي قبل الحماية من الانحباس بين تيارين أو جانبين، انحباس من لا يريد بديلاً عنهما، ولا يتوق بأي وجه من الوجوه إلى الحيد عنهما، فلا يرى المستقبل إلا من خلالهما. فهو مجتمع يبدو وكأن ضرورات العبادة كادت أن تنسيه واجباته الدنيوية، فكان شبه سجين بين التعلق بالجلال وبين حب الجمال. وما الجلال؟. الجلال هو: عبادة الله بالتمسك بأسباب الثقافة الإسلامية، والرجوع إلى الأصول عن طريق العلم، وعن طريق الضبط الحرفي، وعن طريق النصوص.

وهو ما نجد نماذج منه متعددة على طول الكتاب من بين علماء أحبار وأساتذة أجلاء، ومشبعين بالتراث الإسلامي العربي أفاضل، الذين كانوا يتعبدون الجلال عبادة من قال الله ﷻ عنهم: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: 28]. في مقابل هؤلاء المتعبدين من حيث الجلال، نجد المتعبدين من حيث الجمال، وهم في معظمهم من الأميين، لكنهم يصلون إلى الذروة من العبادة عن طريق المحبة الخالصة والتفاني في الطاعة، في القليل النادر عن شيء من العلم، وفي غالب الأحوال عن إيمان فطري ويقين من جاء في الذكر الحكيم عنهم قوله عز من قائل بذكر: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: 46].

وقد تسلى المؤلف بذكر الكثير منهم، من بينهم بعض النساء، وإذ نذكر النساء؛ فقد فاتني لدى الحديث عن الجوانب الاجتماعية أن أشير إلى أن

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

المجتمع الذي وضع فيه هذا الكتاب مجتمع ذكوري تنحصر فيه أدوار المرأة في طاعة بعلها وفي الإنجاب مع تمام الاحتجاب. ولذلك فعدد ما ذكر في «السلوة» من الصالحات قليل، يرتبط ـ في الغالب ـ بذكر بعض العائلات المتميزة؛ مثل آل معن الأندلسيين الذين ذاع فيهم الصلاح رجالاً ونساء. وتلك أسرة فريدة من نوعها امتزج فيها التعلق بالجلال بحب الجمال!.

ومثل بعض الأسر العالمة؛ كالسوديين الذين ذاع فيهم صيت السيدة زينب بنت القاضي الكبير السيد المهدي ابن سودة، وفي ما عدا ذلك؛ فلا يذكر إلا بعض نساء الشعب ـ كما قد نقول اليوم ـ ممن ذهب بهن الإيمان الموله إلى حد الخروج عن كل الأعراف والعادات.

وهذا المجتمع الحبيس بين الجلال والجمال لم يكن يعتمل في بنياته الداخلية أدنى قوة قادرة على إخراجه عن الطور الذي اختاره لنفسه منذ قرون وظل متشبثاً به، إلى أن كانت الصدمة الإستعمارية، ونزلت بنا نازلة الحماية، فاهتز كل شيء في البلاد، وسقط ما كان أو لم يكن آيلاً للسقوط، وصار من الضروري التيقظ ومقاومة الإستعمار، ومراجعة النفس ومحاسبتها على ما فرطت فيه من الواجبات. ومن أخطر الواجبات شأناً التي تغافلنا عنها، ليس في فاس أو المغرب فحسب، بل في العالم الإسلامي قاطبة: واجب القيام بشؤون الدنيا بنفس ما نعمل لدار البقاء من الصدق والإخلاص!.

فقد حصل في عصر من العصور وفي يوم من الأيام، أن تناسى المسلمون ما يأمرنا به ديننا الحنيف من أن لا ننسى نصيبنا من الدنيا، فإننا جميعاً مستخلَفون في الأرض، ملزَمون بالقيام بواجباتنا فيها والنهوض بما خلق الله ﷻ لنا من الخيرات، وذلك مصداقاً لقوله تعالى عندما قال: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: 2]، فالعمل فرض عين على المؤمن، وهو اختبار لا مفر منه، وغرس في الدنيا ليوم السؤال، تغافلنا عنه، واستعضنا عنه بالتوكل المطلق، منغلقين على أنفسنا، منحصرين بين العبادة العلمية والعبادة الروحية، يذكر المؤلف من مظاهرها وكراماتها ما لا سبيل إلى استعراضه حتى لو كان المقام يتسع لذلك، يجدها القارئ على طول صفحات الكتاب مصنَّفة بكل التفاصيل.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» Printed on [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100]

ويستفيد منها القارئ اليوم مدى روح النقد التي كان يتحلى بها الشريف سيدي محمد بن جعفر الكتاني رَحِمَهُ اللَّهُ، فإنه بخصوص الوقائع التاريخية الصرفة يقف مواقف نقدية سابقة لأوانها، فيفند ويدحض، ويقول مثبتا: إن القضية الفلانية وقف عليها بنفسه، وعن القبرالفلاني نافياً ما جاء بصدده في تصنيف فلان، ولا يتردد قط في الإدلاء برأيه، مختتماً قوله على كل حال بـ«والله أعلم».

لكنه لا يترك النقد يتسرب إلى ركائز العبادة والعقيدة واللغة، وروح الثقافة الإسلامية، والأمثلة على ذلك مرة أخرى أكثر من أن تذكر في هذا الحيز العارض، ونكتفي بقضية النعل النبوية التي كانت في بيت الشرفاء الطاهريين يتبركون بها ويعتزون؛ فإن المؤلف لا يتوقف عن التساؤل عن صحة تلك المعجزة، وكيف يعقل أن تظل النعل سليمة من البلى والتآكل منذ العصر النبوي؟، لكنه يعود فيستدل على احتمال صحة الكرامة بصحة كرامة مماثلة، أو هي أكبر، وهي: قضية قبر المولى إدريس الثاني الذي عُثر عليه صدفة في أواخر الدولة المرينية، فظهرت جثته خالصة من كل أذى، سالمة من التآكل على الإطلاق، ويؤكد المؤلف جازماً أن ما يقال من غير هذا فلا معول عليه، ذلك بأن للنقد حدوداً كلما تعلق الأمر بالركائز التي إن سقطت سقط البيان برمته، ليس في فاس وحدها ولكن في كل مكان من أرض الله الواسعة. وهو ما يسمى في العلم الحديث بقصة التأسسيس (le Mythe fondateur).

وهو شيء يقع الاتفاق بشأنه، ويصطلح عليه بالمعنى الحرفي لمفهوم الاصطلاح، صحيحاً كان أم غير صحيح، فيكون بمثابة اللحام الذي يلتحم حوله الجميع على شكل أسطورة، بيد أنها أسطورة تؤسس وتجمع وتقيم، وتحفظ الناس في كيانهم، فلا مناص من التعامل معها بتمام الحذر والاحترام، وما كان محمد بن جعفر الكتاني إلا ليكون على بال من ذلك مع منتهى اليقظة وروح التفتح.

وإلى جانب ذلك؛ نقف على كرامات خالية من كل قدسية، لكنها ناطقة بهموم المجتمع ومصرحة بهواجسه، فهذا الشريف سيدي حمادي الكتاني

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» Printed on [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100]

Black plate (244,1)

ساقط التكليف، يجلس في باب السلسلة يوم دخول الفرنسيين الجزائر العاصمة في يوليوز (1830م)، مرتدياً كَبُّوطاً وشَمْرِيراً وما إلى ذلك من لباس النصارى، وذلك قبل وصول خبر الواقعة بأسبوع، واعتبرها الناس إخباراً وإنذاراً بقرب دخول الفرنسيين إلى فاس أيضاً. فهذا شيء مما ارتسم في الذهن من هذه القراءة الثالثة نوقفه عند ما قلَّ ودلّ، وإذا أطال الله العمر؛ فستكون لنا قراءة رابعة، وربما تتاح الفرصة للكلام عن هذه المعلمة التاريخية بعون الله وقوته.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

Black plate (245,1)

أقوال العوام في «سلوة الأنفاس»

أ. محمد بن عبد الجليل[1]:

لعلَّ ما تزخر به «السلوة» من معالم أثرية اصطلح على تسميتها بمعمار الموت، أو معمار «الدار الدَّيْمَة»، سواء كانت قباباً أو مزارات، أو قبوراً أو أضرحة، أو أقواساً كبيرة أو صغيرة، أو كتابات منقوشة على الزليج أو الرخام، وأحياناً على الخشب، فوق مقبرة أو شاهد، ما بقي منها أو ما اندثر، ما أدركه صاحب الكتاب فوصفه بعد أن رآه رأي العين، أو نقله عن مصادر أخرى، كتابية كانت أو شفوية، أرخت لهاته الحقبة أو لهذا المعمار، وما تزخر به «السلوة» من مصطلح، سواء تعلق بالتعمير/ البناء؛ كالزقاق والدرب والدريب، والعقبة والعقيبة، والحارة والرحبة والرحيبة، أو تعلق بأسماء أطلقت على أماكن عرفت نوعاً من التجارة كـ«دريب أجي نقولك»، أو تعلق الأمر بتحلية المترجَم لهم على اختلاف انتماءاتهم لحقول المعرفة، سواء كانت إدراكية أونقلية، أو لدُنِّيَّة ربانية، وسواء تعلق الأمر بتعريف شريحة من شرائح المجتمع فأطلقت كلمات كالعامة والخاصة وخاصة الخاصة، وأصحاب الأحوال والكرامات، والفتوح والصلاح، والأولياء والضمان... غير هذا كثير تزخر به «السلوة».

وقد ينفد العمر والصبر قبل أن تنفد هاته المواضع المتآزرة المتداخلة، التي قد يصعب فك بعضها عن بعض، أو الاهتمام بحقل من حقولها دون الآخر، وإن بالإشارة المقتضبة.

(1) أستاذ بكلية الآداب، جامعة محمد بن عبد الله، فاس.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

كل ما أشرت إليه أعلاه كان حاضراً ساعة اختياري للموضوع، فهل كان العلامة محمد بن جعفر الكتاني يستحضر هاته الأشياء كذلك وهو يُحبر كتابه؟، لا شك في ذلك، خاصة وأن كثيراً من مفاهيمه ومدركاته كانت أخبارُها متواترة مشاعة، متعارفاً عليها من لدن شرائح مجتمع مدينة فاس يوم ذاك.

وتظل هاته المعارف التي يزخر بها كتاب «السلوة» حاملة لسمات المجتمع الذي كان ينتمي إليه المؤلف العلامة.

وكانت أول ملاحظة عنَّت لي: عدم إيراده لشروح بعض الكلمات أو بعض الأسماء، أصبح بعضها اليوم غامضاً أو حمال أوجه.

نعم؛ نجد المؤلف يحدد المكان المتحدث عنه بشخصية أو أشخاصه بتخصيص دقيق وعناية فائقة، وهذا لا شك يعود لثقافته الأصولية التي ندرك من خلالها ومن حدودها فرق التخصيص عند الأصوليين، وقد كان المؤلف أحدهم، لهذا لا يستعصي علينا استحضار هاته الحدود على اختلاف مسمياتها وتعاريفها، فالتخصيص عند ابن الحاجب مثلاً: «نشر العام على بعض مسمياته»، وعند العبّادي: «إنه بيان المراد بالعام». لذا كان لازماً أن أقف عند مصطلح العامة والعوام وأنا أستخرج مادة العرض.

فهل العوام هم الذين لا ينتمون لعِترته ﷺ؟، ذاك ما يوحي به اللفظ المتعارف عليه اليوم في مدينة فاس. وعلى هذا الأساس؛ لا بد من استعمال لفظ «العامة» للتمييز بينهم وبين الخاصة، فهل العامة هم: الطبقة العظمى من الشعب؛ أي: الأميون الذين يجهلون الكتابة والقراءة، وقد لا يجهلون غيرها من حقول المعرفة.

فما العلاقة بين العوام والعامة في «سلوة الأنفاس»؟.

وهل ما يصدر عن العوام من كلام قد يرقى إلى درجة أدبيات كبار العلماء، خصوصاً إذا أخذنا بأن أقوالهم «أقوال العوام» تؤخذ على أنها تحمل في طيها حكمة أو علماً، أو موعظة أو إخباراً، أو كشفاً؟.

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

ولما كان المعنيان يتداخلان بصورة قوية؛ تخيرت منهجاً تلفيقياً ذا صبغة سوسيو ـ اجتماعية، علَّني أستطيع سبر أغوار بعض الألفاظ والتعابير، ومع ذلك ظلت صعوبة تصنيف هذه الأقوال. لذا آثرت حتى ندرك بجلاء بعضها أن أنسبها لأصحابها في سياق النص العام؛ أي: في سياق الترجمة، كما آثرت أن أحاول الشرح وربط الحدث/ المقولة بالتاريخ إن أمكن، أو بالذاكرة الشعبية كلما استطعت إلى ذلك سبيلاً.

ولما كان التأريخ للعوام والاهتمام بأقوالهم قد تبدو غريبة على مؤلف مثل محمد بن جعفر إذا اعتدنا على أن يكون هؤلاء مهمشين لا يؤرَّخ لهم ولا تُجمع أقوالهم في الغالب؛ عملت على جمع ما أمكن وإن كانت الدراسة المتأنية لهذا الحقل المعرفي صعبة، إذ نجد أن المرحوم محمد بن جعفر الكتاني يوتر أن ينقل أحياناً ما هو دارج إلى لغة عربية تظل سماتها توحي بالأصل الدارجي، لهذا فإن الموضوع الذي أثيره يبقى مجالاً مفتوحاً لاجتهاد الدارسين، وكل قراءة فيه تبقى قابلة للقراءة والدراسة.

لكن الغاية الملحة على اختيار مثل هذا الحقل من حقول «سلوة الأنفاس» تتجلى في:

ـ محاولة تأريخ «القولة» أقوال العوام، فإن لم تكن قد قيلت في عصر المؤلف أو عصر من وردت في ترجمتهم؛ فهي ـ على الأقل ـ أنها كانت شائعة في عصره متداولة بين العوام وغيرهم، لذا أصبحتْ جزءاً من الذاكرة الشعبية.

معرفة القاموس الدارج المستعمل في تلك الحقبة مما يساعد على معرفة حال المجتمع ومشاغله.

ولما كان الأمر كذلك؛ تتبعت الكتاب، وسجلت مجموعة من الأقوال سأدرجها في هذا البحث؛ من ذلك:

ما ورد في ترجمة سيدي علي بن محمد الگراري: «كان يطوف

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

بالأسواق ويقول: من يشتر مني الغرب بخبزة، شكون بِشْرِ؟»[1].

وفي ترجمة سيدي علي بن محمد اليصلوتي: «كان يدور الطر نو[1] وكان يخدم بالفاس في الجنان قرب سيدي أحمد البرنوسي»[2].

وفي ترجمة المهدي بن سعيد العلوي الذي كان رغم أميته ينظم كلاماً على طريقة الملحون، من ذلك قوله:

- الله في كل موجود.
- والكل بالله واجد.
- الله في كل مشهود.
- واعم من لا يشاهد.
- أنا الحبيب أنا المحبوب.
- أنا الكاس وأنا الخمرة.
- أنا الساقي وأنا المشروب.
- سكران غايب في الحضرة.
- كاس المحب اشربت.
- الحبيب بيديه اسقاني[3].

وفي ترجمة سيدي أحمد بن يحيى البادسي؛ المعروف بـ«بوكموسة»[4] هنا يتدخل محمد بن جعفر ويشرح: «لُقب بذلك لكونه كانت له كموسة من الدراهم فيها مائة مثقال رشيدية»[4].

وفي ترجمة سيدي أحمد الشاوي الذي طلب من الشيخ سيدي أحمد بن يحيى ما يلي:

«ياسيدي اعطني الدنيا والأخرة»!.

«واعطني أربع نسوة»

---

(1) «سلوة الأنفاس» (1: 240).
(2) المصدر السابق (1: 247).
(3) المصدر السابق (1: 274).
(4) المصدر السابق (1: 306).

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

«واعطني من يخدمني»

«واعطني رْبِيْعَة مملوءة بمثاقل الذهب»

فكان له ما أراد، ولهذا أصبح الضريح الثاني المزار من لدن نساء فاس وهن يرددن في زيارته:

«مولاي أحمد جارْنا يحضينا يا لالا. مْعَمَّرْ العدُوّ ما يْدُورْ بِنَا يَلّالا»[1].

وفي ترجمة سيدي محمد بن عيسى: «المَحَبَّة عيساوية، والسُّنَّة مسناوية»[2].

وفي ترجمة السماق الأندلسي الغرناطي:

«الدق بالتربة، والشنعة الجواد، لا خياط إلا خياط الواد»[3].

وفي ترجمة الشريف مولاي سنانو، شهر بذلك ـ يقول ابن جعفر ـ لأنه نَزَع سْنَانُو في يوم واحد، وقال:

«قلعتُ عني لذة الدنيا وريَّحْتُ نفسي منها»[4].

وفي ترجمة سيدي موسى بن سعيد الدراوي؛ أن رجلاً اشتد به صداع الرأس، فنادى وكان الوقت يوم الجمعة:

«يا سيدي موسى

يا سيدي خَيّي

كسالك مرخي تجر مراك

وصباطك في رجليك طبعي»

فلم يجبه سيدي موسى، ونادى الرجل ثانية، فقال له آنذاك: «أنت قلت يا سيدي موسى فقط، لو قلت: يا سيدي موسى بن سعيد الدراوي ولد الشيخ؛ لعجل لجيتك تنجري وكساي مولاي على يدي»[5].

---

(1) المصدر السابق (1: 309).
(2) المصدر السابق (1: 203).
(3) المصدر السابق ج1.
(4) المصدر السابق (1: 240).
(5) المصدر السابق ج1.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

وفي ترجمة سيدي محمد بن زمام الرياحي:

«أنا مُرَاك أنا قِدَّامك»[1].

وفي ترجمة أحمد الصبيحي البعاج، كان يصيح ويقول:

«حتى لَهْنَا وأنا تنعتِر

حتى أعطاني دينار إنكاراً»[2].

وفي ترجمة سيدي محمد التواتي، لما وصل مولاي العربي للصبة ديال لهيادريين الذي به محمد التواتي، قام يُبندق ويقول: «الله يْبارك في عمر سيدي، حتى بَنْدَقْلُ ثلاثة تْبِنْدِقَات، فقال الحاج العربي: أَمْحَمَّد التواتي؛ واش عْمَر المشْوَر؟. فقال: نعم سيدي. فقال: هل اسأل علينا أحد؟. فقال: لا».

ويعلق ابن جعفر الكتاني على هذه القضية فيقول: «هاته القضية تدل على أن التواتي كان من أهل مِشْوَر مولاي ادريس!»[3].

وفي ترجمة المشاط، وهو من علماء القرويين، وجد أحدهم يأكل الخيار والناس في الصلاة، فأغلظ له القول، ودخل لتأدية الصلاة، واشتغل فكره أثناءه بشراء حمار، ولما خرج؛ مرَّ على ذاك الذي كان جالساً، فناداه: «آشْكُن لي حْسِن؛ مَاكِلْتْ لِخْيَار أو لا صْلاة الحمار؟!»[4].

وفي ترجمة سيدي عبد الواحد الغندور؛ الملقب بالزنبور، فحاول بعضهم صده عن بعض الأعمال، وكان يحمل دائماً أحناك الجيف ولا يطرحها حتى أثناء الصلاة، فلما أغلظوا عليه القول؛ قال: «هذا السوق غير سوقك؛ خلي عليك الزنبور قبل تلدغك الزنابير!»[5].

وفي ترجمة سيدي علي الجمال المعروف عند الناس: «زطاط القوافل بالهمة»، وكان سيدي عبد العزيز الدباغ يقول عنه: «ما يعرف سيدي علي إلا لكان هو سيدي علي»[6].

---

(1) المصدر السابق (1: 315).
(2) المصدر السابق (1: 216).
(3) المصدر السابق (1: 267).
(4) المصدر السابق (1: 229).
(5) المصدر السابق (1: 223).
(6) المصدر السابق (1: 410).

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

وفي ترجمة سيدي علي النحام المعروف بالحجام؛ أجاب عندما سأله أحدهم: «ما هذا الحشومة لي اعلمتنا؟». فقال: «لا حْشُومَ عليك، لي فيك يِكْفيك»[1].

وفي ترجمة المجذوب سي عبد الله بن محمد يَزْرُور الذي كان يقف بباب فندق الحمّوص، وكلما مر سيدي الزيادي ناداه وقال: «أسمعت ما تقول هذه المطرقة؟». فقال: «لا»، قال: إنها تقول: «الطن، الطن، في رأس مالاً يسفطن»[2].

وفي ترجمة المجذوب الشريف سيدي محمد بن عبد السلام العلمي، وكان «صاحب زرواط ومكحلة صغيرة، يخليها للسما ساعة بعد ساعة، ويقول: هاكْ آبوه، هاكْ آبوه»، (لعلها الأصل في قوله: هاك أبو رجليه جابوه)[3].

وفي ترجمة سيدي أحمد الخبيزي السفياني، وقد عرف عند الناس بـ«مِن يِدُّو لْجِنْبُو»، وقد مر على طالب بالقرويين يقرأ: ﴿وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ﴾، فوقف وقال: «ياأخي؛ فرّكيعات والسجيدات لا في الدريهمات المُوزُونات»[4].

وفي ترجمة سيدي جلول بالحاج العساوي، وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ مجذوباً هائماً، تصدر منه صيحات، ويقول في بعض الأوقات: «واحد واحد. ثم يغيب ويقول: وح وح، ثم يقول: انصروا جلول، انصروا مولاي جلول، الله ينصر السلطان جلول!!». ويغني:

بنجلول يا جوهرة فوق راسي بنجلول ياعمامة فوق راسي[5]

وفي ترجمة مولاي علي بن أحمد الصقلي: «كان الشريف العربي التكناوتي يقول إذا رآه:

---

(1) المصدر السابق (1: 426).
(2) المصدر السابق (1: 237).
(3) المصدر السابق (1: 190).
(4) المصدر السابق (1: 225).
(5) المصدر السابق (1: 227 ـ 228).

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

«مرحباً بمولاي السلطان، مَصَّاب لو كنت عْبيد مِن عبيدك بباب دارك، لكن يا سيدي حتى نحمل السلسلة في عنقك سبع سنين»[1].

وقال الشيخ التاودي ابن سودة عن القطب مولاي أحمد الصقلي: «وفي خصام مع بنت عم له وزوجها، فجاءهما إلى الدار ليصلح، فقيل للمرأة: ابن عمك مولاي أحمد. فقالت وهو يسمع: جا سيدي أحمد البرنوسي أو سيدي أحمد الشاوي، فقال: مولاي أحمد: قولوا لها جاء القطب مولاي أحمد الصقلي!»[2].

وفي ترجمة سيدي احساين بن محمد القواس، أبصر ذات يوم سيدي أحمد ابن عبد الله معن بسوق الرصيف، فرجع إلى طريق أخرى على رحبة الزبيب وعقبة العيون إلى داره، وهو يقول: «طريق السلامة ولو دارت»[3].

وفي ترجمة أبي القاسم بن محمد بن أحمد التادلي الشگدالي، كان يقول على لسان الشرفاء: «يا سادتي ما يغلبنا ويتصرف فينا غير من زارنا لله»[4].

وفي ترجمة الصالح بن الطيب بناني، كان يقول: «درهم سيدي بلعباس بعشرة، ودرهمي بألف، من جرب أصاب، ومن كذب خاب، مفتاح الرجال التجارب». وكان يقول: «الدرهم درهمهم، والبندقي كِعبرهم، والريال تَيَّهُّوم، وعلى البَسِّيطة يْقِلْبُوا البُرْنِيطا»[5].

وفي ترجمة المجذوب سيدي حرازم بن محمد الزنبور، كان يقول: «إذا قواو صالحين آرا، وتجار الكارا، ومْعلمين الشكّارى؛ يغرق الغرْب بالأمر والنصارى والخسارة»[6].

وكان يقول أيضاً: «هذا يهودي دُوز، هذا النصراني دُوز، هذا مسلم؛ ذْبَح!»[7].

---

(1) المصدر السابق (1: 227).
(2) المصدر السابق (2: 143).
(3) المصدر السابق (1: 370).
(4) المصدر السابق (3: 260).
(5) المصدر السابق (3: 72).
(6) المصدر السابق (3: 42).
(7) المصدر السابق (3: 42).

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» Printed on [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100]

وفي ترجمة سيدي إدريس الزعري، كان يقول:

«جيت ندوي.

قالوا لي: اسكت.

جيت نهبز.

قالو لي: ارصَ.

قلتلهم: كيف يكون؟.

قالوا: هذا الناس؛ ما هم غير ذالطويِّس والكويِّس»[1].

هذا؛ ولا أزعم أنني أحطت بكل ما أثبته العلامة المرحوم محمد بن جعفر الكتاني في سلوته من أقوال العوام؛ إذ لا شك لا زال بها مجموعة من الأقوال لم أهتد إليها، إذ حاول ابن جعفر أن ينقلها من اللسان الدارج إلى اللسان الفصيح، لكن الدارس القارئ المتمعن يدرك هذا بسهولة، فعسى أن تتيح الأيام المقبلة فرصة للعودة إلى هذا الموضوع.

(1) المصدر السابق (3: 16).

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

Black plate (254,1)

ذاكرة تتوهج
تراجم سعدية في كتاب «سلوة الأنفاس»

أ. د. نجاة المريني[1]:

لعلَّ الحديث عن علم شامخ من أعلام الفكر الإسلامي في المغرب يأخذ أكثر من مسار، ويدعو إلى الروية وإعمال الفكر في دراسة أفكاره ومؤلفاته للتعلم والاستفادة والتصحيح.

إحياء الذاكرة يزيدها توهجاً وتوقداً، فكيف إذا كانت ذاكرة مستوعبة شاملة، اخترقت الزمان والمكان، واستوعبت علوماً كثيرة ومعارف متنوعة، ورصدت حياة أعلام كبار، علماء ومتصوفة وصلحاء وشرفاء ومجاذيب، وتتبَّعتْ أنشطتهم وعطاءهم ومراحل حياتهم بعد أن صنَّفَتهم تبعاً لمدافنهم، وسجلَتْ بذلك سبقاً حضارياً بلغة العصر في الكتابة والتدوين، عن فترات طويلة وبعيدة في تاريخ المغرب الحضاري والفكري والعلمي.

إحياءُ ذاكرة العالم الجليل والمؤرخ المتعمق في تاريخ الرجال والأعلام؛ الشيخ محمد بن جعفر الكتاني إحياءٌ لعطاء متميز، ولفكر متوهج، رسم لنا صورةَ العالِم كما عرفناه في دراساتنا وأعجبنا بجولاته في بطون الكتب المتنوعة، صورةَ العالِم المتعدد التخصصات، العالِم الملمِّ بالجزئيات، العالم الفقيه، المؤرخ، الأديب، اللغوي، الأركيولوجي، تجمّعتْ في صاحب «سلوة الأنفاس» صفاتٌ كثيرة ونعوتٌ عديدة يتعذّرُ اليومَ جمعُهَا في عالم واحد ونحن في عصر التقنيات والتخصصات.

(1) أستاذة التعليم العالي، كلية الآداب، جامعة محمد الخامس، الرباط.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

صَعُبَ عليَّ تناولُ الكتاب جملةً؛ إذ سيكون الإبحارُ فيه من قبيل المغامرة، لتعدّدِ موضوعاته، وتنوّعِ اهتماماته، وشساعةِ مجال البحث فيه، بلغة راقية رصينة مشرقة، تُغريك بالمتابعة، وتأخذك في فسحة ـ بل فسح ـ علمية ترقى بها درجات، وتُفيد منها في تكوينك علماً وخلقاً.

تهيّبتُ الكتابةَ في الموضوع عن الكتاب، فهو سِجِلٌّ ثقافي وتاريخي واجتماعي لفئات عريضة من العلماء والصلحاء، والفقهاء والأدباء، فكيف يا تُرى يمكن تناوُله؟.

وكيف ستتمُّ مساءَلَتُه وسؤاله عمّا اختزنته ذاكرتُه من المقروءات والمرويات والمرئيات للاستفادة أولاً وللحديث ثانياً؟.

ومع ذلك؛ فالسؤالُ نصف العلم، وسؤالُ الكتاب يدعو إلى التعلم، لكن سرعان ما طفتْ على سطح الذاكرة علاقةُ أسرتي بأسرة الكتاني منذ وفادتهم إلى مدينة سلا، باعتبارهم حفدةَ وذريةَ هذا العالم الجليل، أو أبناءَ عمومةٍ بصفة عامة، وأذكر بالمناسبة أن احتفاءَ عمي الحاج عبد الحق المريني رَحِمَهُ اللَّهُ بهذه الأسرة الشريفة دعاه إلى تسمية أحد أولاده بالكتاني، فهو الكتاني المريني متَّعه الله بالصحة والعافية، وهو شقيقُ الأديب الكاتب أبي بكر المريني رَحِمَهُ اللَّهُ، إضافةً إلى مصاهرات لا مجال لذكرها الآن، وهذا يدل على احتفاء أسرتي بالشرفاء الكتانيين بمدينة سلا، وهم يعرفون ذلك جيداً.

ليس غريباً أن تُعْنَى أسرتي بالشرفاء وأن تُكِنَّ لهم الاحترامَ والتقدير، فهم كما ذكر المؤلف معتزاً بالنسب الشريف: «الأشرافُ هم زينةُ الكون وشرفُه ونجومه، بهم تأمنُ البلادُ والعباد من عموم البلايا وعظيم المصائب والمحن»[1].

وكما عُنِيَ المؤلف بنسبه عُنِيَ بمسقط رأسه مدينة فاس، يفتخر بها وبأبنائها عامة، فهو يقول: «ينبعُ العلمُ من صدور أهلها كما ينبعُ الماء من حيطانها، وقيلَ: وُلد العلم بالمدينة، ورُبِّيَ بمكة، وطُحِنَ بمصر، وغُرْبِلَ

(1) «سلوة الأنفاس» (1: 75).

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

بفاس، وليس في المغرب مدينةٌ يوجد فيها من أنواع العلوم وأصناف العلماء مثلُ ما يوجد فيها»[1].

لذا يبدو التأليفُ في المدينة وعلمائها ممن أقبر فيها تأليفاً مشروعاً، نابعاً من حب فطري للوطن وأبنائه، أليس حبُّ الوطن من الإيمان؟!.

استغرق التأليفُ زمناً وإن كان طويلاً، فهو يدعو إلى الانبهار بقدرة العالم محمد بن جعفر الكتاني، في التتبع والتصنيف والترتيب وحسن الاستشهاد، استقى مادته من مصادر كثيرة متنوعة، أغلبُها ـ فيما يظهر ـ مفقود، وبعضُها غير معروف، وبعضُها يعرفه الباحثُ العامل في الميدان التراثي فكراً وأدباً وتصوفاً، والباحثُ المشتغل بتاريخ الإسلام وحضارته، وبتاريخ المغرب، وبالعلوم القرآنية والشرعية والفقهية، وقد تجاوزتْ مائة وتسعين مصدراً، (بعد أن أحصيْتُهَا، بناءً على تنبيه المؤلف الذي قال في ثبتِ مراجع الكتاب في آخر الجزء الثالث) ص491: «وقد عنَّ لي أن أذكر ههنا جملةً من الكتب التي نقلتُ غير ما مرة عنها؛ ليكون ذلك أهدى لمن أراد أن يرجع إلى شيء منها».

وكلُّها من عيون المؤلفات في الفقه والتفسير والقراءات والتاريخ والأدب والتصوف، كانت ذاكرتُه الوعاءَ الحافظ، وقلمُه اليدَ اللاقطة، ونقولاتُه من مصادر عديدة تَوَفَّرَ عليها واستفاد منها في كتابة تراجمه، شاهداً على علوِّ كعبه في القراءة والتتَّبُّع، فلم يُغْفِلْ مصدراً استعمله ولا مؤلفاً استفاد منه بدقة تثير الإعجاب، وتبعث على الافتخار بعلماءَ من طينته والاعتزازِ بما كتبوه، صفحاتٍ مشرقةً من تاريخ التأليف والمؤلفات في المغرب.

يهتم كتاب «سلوة الأنفاس» بالتراجم، وهو كما وصفه ليفي بروفنسال في كتابه «مؤرخو الشرفا»[2]: «نموذجٌ للمؤلفات المغربية في هذا النوع».

وكما ذكرتُ سابقاً؛ يصعبُ عليَّ تناولُ الكتاب والإلمامُ بموضوعاته وخباياه، خاصةً ما يتعلق بالكرامة والوَلَاية والصلاح والجذب، من خلال

(1) المصدر السابق (1: 76).

(2) ص272.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

المترجم لهم، لذا سأحاول الاستمتاعَ والاستفادةَ من تراجمِ عَيِّنَةٍ منهم، في فترة زمنية محدّدةٍ، هي: فترة الأشراف السعديين، من سنة (950هـ إلى سنة 1040هـ)، هذه التراجمُ نالتْ حظوةً عند المؤلف، فتحدث عنهم وعن عطائهم، وذَكَرَ مدافنهم، بما عُهِدَ في كتابته من دقة وحسن تمثيل، ومن ثمّ وقفتُ على مائة وخمسين ترجمة (150) موزعةً كالآتي:

- تراجم الصلحاء وأصحاب الكرامات وأهل الجذب. وعددهم ستون.
- تراجم الفقهاء والعلماء، ويدخل في إطارهم: الأدباءُ والمؤرخون. وعددهم ستة وخمسون.
- تراجم القضاة. وعددهم تسعة.
- تراجم النحاة. وعددهم ستة عشر.
- تراجم الأعيان والتجار. وعددهم ثمانية، بالإضافة إلى ترجمة الخليفة أبي العباس أحمد المنصور السعدي.

تتميز كتابة المؤلف عن المترجَم له بالتعريف به وذكر مناقبه وبركاته، وانتمائه إلى أهل الجذب إن كان منهم، أو أهل العلوم والفرائض، أو أهل التاريخ أو الأدب، أو القضاء أو النحو. أو من كان ينتمي إلى الأعيان والتجار، مع الاستشهاد بما كُتب عنه في المصادر المختلفة، والتنصيص عليها، مما يثير الانبهار بالذاكرة المتوهجة، ويختمُ الترجمة بذكر تاريخ الوفاة ومكانها مع التقيّد بالمدافن في التصنيف والترتيب.

ومما تجب الإشارة إليه أن هذه التراجم تتأرجح بين الطول والقصر، بين التفصيل والإيجاز، ولعل السبب يعود إلى تعدّد مصادر الترجمة وتوفّرها، أو إلى شحّها وندرتها بالنسبة لكل ترجمة، ومن ثمّ كانت رغبته التعريف بكل من استطاع التوصل إلى ترجمته وإن كانت المعلومات قليلة أو مختصرة، وكما نوّه بها ليفي بروفنسال في كتابه «مؤرخو الشرفا»[1]: «السلوة» من أحسن كتب

(1) ص275.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» Printed on [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100]

التراجم المغربية، وستظل وثيقة أساسية لكل من يقوم بكتابة تاريخ مآثر مدينة فاس»، وقد أضيف بأنها وثيقة هامة عن تاريخ الفكر المغربي منذ الفتح الإسلامي إلى عصر المؤلف.

ورغبةً من المؤلف في استمالة القارئ من جهة وتأكيدِ موسوعيته وتبحُّرِه في علوم كثيرة، وحفظه للأشعار باعتبارها سِجِلّاً لأحداث، ومدحاً لعلماء وصلحاء، وسلاطين وأمراء؛ فقد ضمّن مؤلَّفه أزيدَ من ألف واثنين وعشرين بيتاً شعرياً (1022)، وهي موزعة كالآتي:

الجزء الأول: ويبلغ عدد الأبيات الشعرية الواردة فيه مائتين وخمسةً وثمانين بيتاً، منها: ستة وسبعون بيتاً في المقدمة، ومائتان وتسعةُ أبيات **في فصول الكتاب** (285).

الجزء الثاني: ويبلغ عدد الأبيات الشعرية فيه أربعَمائةٍ وبيتين (402).

أما الجزء الثالث: فتبلغ الأبيات الشعرية ثلاثمائةً وخمسةً وثلاثين بيتاً شعرياً (335).

واللافت للانتباه: أن المؤلف كان يتقصَّى اختيارَ الأشعار تبعاً للمناسبات التي يقتضيها الاستشهادُ بها في كل ترجمة، وهي إما أبياتٌ يتيمة، أو نتفٌ أو مقطوعات، أو قصائد طوال، تفيد الحكمة والاتعاظ، والوعظ والمدح، أو الرثاء... إلى غيرها من المواقف التي كانت تدعوه إلى إيرادها.

من ذلك: قول أبي عنان المريني[1]:

وإذا تصدّر للرئاسة خاملٌ جرت الأمورُ على الطريق الأعوج

وكان قد وصفه بقوله: «كان حافظاً للقرآن، عارفاً بناسخه ومنسوخه، حافظاً للحديث، عارفاً برجاله، فصيح القلم، كاتباً بليغاً، حسن التوقيع، شاعراً مجيداً».

أما المترجم لهم (من السعديين طبعاً) في الجزء الأول من «سلوة

(1) «سلوة الأنفاس» (3: 278).

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

الأنفاس»؛ فقد بلغ عددُهم: اثنين وعشرين ترجمة (22)، منهم خمسةَ عشر من الصلحاء وأهل الكرامات والجذب؛ منهم: سيدي أبو الشتاء الخمار المتوفى سنة (997هـ)، سبع وتسعين وتسعمائة هجرية، (1/ 155)، وسيدي موسى بن علي السوسي المتوفى سنة (1042هـ): «وكان من أصحاب الأحوال، وأهل الكشف الصحيح، بهلولاً متجرداً»[1]، ومن أصحاب الكرامات: الشيخُ الكامل سيدي محمد بن عيسى، شيخ الطريقة العيساوية بمكناس، المتوفى سنة (1041هـ)، ولعله أورد ترجمته للتبرك على الرغم من أنه لم يكن دفين فاس؛ إذ كما يقول المؤلف: «وقبره مَزارة مشهورة خارج مكناسة»[2].

وهنا لا بد من الإشارة إلى أنه: أورد بعض التراجم التي لم يُقْبَرْ أصحابها بمدينة فاس؛ ومنهم: القصار دفين مراكش (2/ 72)، وسيدي أحمد حجي (1/ 196)، وابن عاشر السلاوي (2/ 313) دفيني سلا، وعبد الله الأمغاري دفين تامصلوحت (2/ 284)، ويظهر أنه أورد تراجمهم للتبرك كما سبقت الإشارة إلى ذلك.

أما الفقهاء والعلماء والأدباء؛ فعددهم في الجزء الأول ستةٌ؛ منهم: عبد الرحمٰن السجلماسي؛ المتوفى سنة (1029هـ)، (1/ 238)، وأحمد بن محمد بن عطية؛ المتوفى سنة (1015هـ) (1/ 421)، والإمام سيدي الحسين الزرويلي؛ المتوفى سنة (1031هـ)، «وكان فقيهاً كبيراً، وعالماً شهيراً» (1/ 231)، وسيدي أحمد الشاوي؛ المتوفى سنة (1014هـ)، المربي النفاع، الكثير التلامذة والأتباع، المبرِّزِ لتربية المريدين، وهداية المقتدين، إضافة إلى «أنه العارفُ المجذوب، العظيم البركة والنوال»، (1/ 309).

ومنهم: أبو العباس أحمد ابن القاضي؛ المتوفى سنة (1025هـ)، وهو كما نعته: «الشيخ الإمام النحرير، العالم العلامة الشهير، الفقيه المحدث الأديب، الإخباري المؤرخ الأريب، الحاج الرحالة»[3].

---

(1) المصدر السابق (1: 114).
(2) المصدر السابق (1: 203).
(3) المصدر السابق (3: 163).

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

ومن النحاة: أحمد الزموري؛ المتوفى سنة (1001هـ)، (1/ 305): «العلامة النحوي النزيه، الناظم الناثر الأديب، الحافظ المفسر الأريب».

وعندما يترجم الكتاني للعلماء الشيوخ، أو الأساتذة بلغة عصرنا؛ فإنه يشير إشارة متتبع إلى شيوخه ومحفوظاته، والموادِ التي كان يدرسها، ومكانِها؛ فهو يقول عن الزموري: «أخذ عن ابن مجبر واليسِّيتني، كما أخذ عنه جماعة؛ كأبي العباس أحمد ابن القاضي، وكان يدرس التفسير بالقرويين، ويحفظ نظم ابن الحاجب الفرعي ويقوم عليه، ويحفظ ـ غالباً ـ تسهيل ابن مالك عن ظهر قلب»، أما صفاته؛ فقال عنها نقلاً عن «نزهة الحادي» لليفرني: «كان حُلو العبارة، فصيح اللسان، جيد الحفظ، دقيق الفهم».

ومن الأعيان والتجار: محمد بن عبد الله معن الأندلسي؛ المتوفى سنة (1010هـ) (1/ 222)، وقال عنه: «السيد الأصيل، النزيه النبيل، ذو المروءة والصيانة، والحسب والمكانة، والديانة والأمانة... كان من أماثل الأعيان، وأفاضل الزمان، يواصل الرحم والأقارب، ويواسي الجيران والأجانب، كثير السخاء، له فيه أفاعيل، وكان من التجار أهل الأموال، الذين يكتسبون الحلال، له حانوت بسوق القيسارية يتجر فيها»....

أما الجزء الثاني؛ فقد بلغت تراجم العصر السعدي أربعاً وستين ترجمة (64)؛ منهم: ستة وعشرون من أهل الكرامات والجذب، ومنهم: سيدي محمد الخلطي المتوفى سنة (1016هـ)، «وكان بهلولاً مجذوباً، متجرداً ملامتياً، وظهرت له كرامات، وبركات ومكاشفات»[1].

ومنهم: أبو يحيى الخلطي الدخيسي؛ المتوفى سنة (1010هـ)، وكان: «من أهل الأحوال والاستغراق في الحقيقة والشهود، بهلولاً غائباً في التوحيد، مغلوباً عليه، ساقطَ التكليف»[2]، من كراماته: «أنه ضرب بحجر خابية لبائع اللبن بحانوته، فتكسرتْ وأُريقَ اللبنُ، فإذا بالخابية حيةٌ عظيمة سقطت في اللبن، ولم يشعر بها صاحبها، ووقى اللهُ الناسَ شرَّ ذلك ببركته».

(1) المصدر السابق (2: 269).

(2) المصدر السابق (2: 296).

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

ومن الأولياء الكرام: سيدي يوسف بن محمد الفاسي الفهري، المتوفى سنة (1013هـ)، وكما نعته المؤلف فهو: «صاحب الإشارات العلية، والعبارات السنية، والحقائق القدسية، والأنوار المحمدية، إمام الطريقة الشاذلية، ومحيي رسومها بالبلاد المغربية»[1].

وبلغ عدد العلماء والأدباء والفقهاء أربعاً وعشرين؛ منهم: يحيى السراج المتوفى سنة (1007هـ)، (2/ 65)، حلّاه المؤلف بقوله: «أحد الأئمة المعتبرين، والفقهاء المبرِّزين، مشاركاً في كثير من الفنون، من أصول وتفسير، وغير ذلك، ماهراً في علم الفقه، حافظاً مدرساً» إلخ. ومنهم: عبد الواحد ابن عاشر؛ المتوفى سنة (1040هـ) (2/ 310)، «ممن له التبحُّرُ في العلوم، والمشاركة في الفنون، عالماً عاملاً، عابداً ورعاً زاهداً». ومنهم: سُقَّيْن المتوفى سنة (956هـ) (2/ 179)، «إمامُ أئمة عصره، ووحيدُ وقته ودهره، فقيه علامة، محدث ضابط، محقق مشارك».

أما النحاة؛ فعددهم أربعة؛ منهم: أحمد القدّومي المتوفى سنة (992هـ) (2/ 318): «شيخ النحاة والمقرئين، والأساتيذ المعتبرين».

والقضاة: ستة؛ منهم: أبو القاسم ابن سودة المتوفى سنة (1004هـ) (2/ 70): «وليَ قضاء مراكش، وقضاء تازة حاضرة بلاد مكناسة، وقضاء بلاد زمور، وحُمِدتُ سيرتُه في القضاء، مع التعفف والنسك، وحسن الأحوال». ومنهم: ابن عرضون المتوفى سنة (1012هـ) (2/ 301): «وليَ قضاء بلده شفشاون، فحسُنتْ سيرتُه، ومدح الناس حالتَه».

والأعيان أربعة؛ منهم: محمد بن يحيى بن بكار المتوفى سنة (975هـ) (2/ 299): «الشيخ الفاضل، الفقيه النزيه الكامل، ذو الأخلاق السنية، والسياسة الدينية والدنيوية». وشقرون الفخار المتوفى سنة (1028هـ) (2/ 371).

وتبلغ تراجم الفترة السعدية في الجزء الثالث: ثلاثة وستين ترجمة؛ منها: عشرون ترجمة للصلحاء وأصحاب الكرامات، منهم من المجاذيب:

(1) المصدر السابق (2: 345).

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

«الوليُّ المجذوب الكبير، صاحب الأحوال السنية، والأسرار البهية؛ سيدي مسعود بن محمد الشراط، ذو الكرامات والمكاشفات». المتوفى سنة (1031هـ) (3/ 147). والمجذوب علي ورزگ السوسي؛ المتوفى سنة (1015هـ). قال عنه المؤلف: «الشيخ الشهير، الجليل الخطير، المجذوب الفاني، الفقير الرباني» (3/ 263).

ويبلغ عدد الفقهاء والعلماء الذين ترجم لهم المؤلف في هذا الجزء ستةً وعشرين ترجمة؛ منهم: عبد الحق المصمودي؛ المتوفى سنة (955هـ) (3/ 373): «أحدُ علماء مدينة فاس، وشيخُ الجماعة في الفرائض والحساب». وعليّ الشامي؛ المتوفى سنة (1030هـ) (3/ 399)، وقال عنه: «الفقيه الأديب البليغ، الكاتب الناظم الناثر».

ويبلغ عدد القضاة ثلاثة؛ منهم: أحمد الطرُّون؛ المتوفى سنة (961هـ) (3/ 312): «الفقيه القاضي بمدينة فاس».

وعدد النحاة: أحد عشر نحوياً؛ منهم: ابن الزبير السجلماسي المتوفى سنة (1035هـ) (3/ 400) وقال عنه: «الفقيه العلامة، النحوي اللغوي المشارك، إمام النحاة في عصره، ومحقق علماء دهره». ومنهم: ابن خَرُّوف التونسي؛ المتوفى سنة (966هـ) (3/ 354): «الإمام الفقيه، النحوي البياني، الأديب المشارك».

أما الأعيان والتجار؛ فعددهم: ثلاثة؛ منهم: أحمد القادري؛ كان حياً سنة (1010هـ)، «وكان تاجراً». وعبد العزيز القادري؛ المتوفى سنة (1029هـ) (3/ 210)، «كان في صغره يحترف صناعة الحرير، ثم اشتغل بالتجارة».

وإذا كان عدد المترجم لهم في أجزاء «سلوة الأنفاس» الثلاثة ألفاً وثمانمائة وإحدى وثمانين ترجمة كما جاء في الفهرس العام للتراجم ونبه إليه المحققون، بحيث عُنُوا بترقيمها؛ فقد حظيتْ التراجم السعدية بنصيب لا بأس به، ومن ثم تجب الإشارة إلى الدقة التي تناول بها المؤلف هذه التراجم مع التنصيص على المصادر التي استأنس بها، والأشعار التي أدرجها تبعاً للمناسبة، وتأكيداً لما للشعر من تأثير في تكوينه العلمي والأدبي.

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

وقراءة هذه التراجم تقدم إفاداتٍ كثيرةً عن الحياة الدينية والسياسية، والاجتماعية والاقتصادية والفكرية في المغرب، وليس فقط في مدينة فاس، في عهد السعديين في فترات الازدهار والاندحار، إنها فُسَحٌ علمية في فضاءات متنوعة، شغلتْ فكرَ المؤلف، فجمَّعَ موادَهَا، وصنَّف أبوابها، ورتَّبَ مصادرها، وكان حضورُ شخصيته العلمية والدينية والفكرية واضحاً كلما أبدى رأياً أو قدم تعليقاً، أو أحسَّ بشك أو ارتياب في المعلومة، فيقول: «والله أعلم» (3/ 381، 371، 377)... إلخ، مع التنصيص على نقولاته من المصادر الكثيرة التي اطلع عليها، فكان يذكر المصدر وصاحبه، أو يكتفي بذكر المصدر، أو المصادر إن تعددت في الترجمة الواحدة.

أما الأشعار التي استأنس بها؛ فهي تحتاج إلى دراسة وافية ومتعمّقة، وهي في مجملها تكشف عن حسّ المؤلف المرهف، وعن ذوقه في الاستمتاع بقراءة الشعر وروايته والاستشهاد به، والتمعنّ في اختياراته يُفيد حفظه للأشعار واستمتاعه بذلك، فهو ليس راوية فقط، ولكنه متهمِّمٌ بالشعر، موفَّقُ الاختيار، أليس الاختيار دليلاً على ذوقه؟.

ومع ذلك؛ فالأشعار المنتقاة تتأرجح بين الشعر الجيد المحكم، وبين المنظومات وبين الشعر الملحون؛ إذ كان الهدف هو: الاستشهاد بالبيت الشعري المناسب في بعض التراجم.

من ذلك: روايته للأبيات الآتية في ترجمة السلطان أحمد بن إبراهيم المريني، «وكان أديباً شاعراً، مجيداً مدركاً، بديع التشبيه؛ من نظمه»... وهي من أجمل الأبيات وأرقها (3/ 202) كامل:

أما الهوى يا صاحبي؛ فأَلِفْتُهُ ... وعهِدْتُه من عهد أيام الصِّبا
ورأيْتُه قُوتَ النفوس وحِلْيَها ... فتَخِذْتُه ديناً إليَّ ومذهبا
ولبستُ دون الناس منه حلّةً ... كان الوفاءُ لها الطرازَ المُذْهَبا
لكنْ رأيتُ له الفراقَ منغِّصا ... لا مرحباً؛ بتفرُّق لا مرحبا[1]

(1) وردت الأبيات في «جذوة الاقتباس» لأحمد ابن القاضي، نشرة دار المنصور، 1/ 113، =

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

ومن اختياراته الشعرية في ترجمة شيخ الجماعة سيدي العربي بردلة المتوفى سنة (1133هـ) (3/ 170) خاتمة قضاة المغرب: أنه أورد بيتين شعريين قال في التقديم لهما: «وكان كثيراً ما ينشد»: متقارب:

وقائلةٍ: لِمْ عرتْكَ الهمو ... م، وأمرُكَ ممتَثِلٌ في الأممْ

فقلتُ: ذرِيني على حالتي ... فإنَّ الهمومَ بقدر الهمَمْ!

من خلال هذين البيتين تتضح صورةُ تكريم المرأة في شعر الفقيه «شيخ الجماعة في عصره»؛ إذ على الرغم من أن الحديثَ ـ دون شك ـ جرى بينه وبين زوجه أو امرأة لم يَنُصَّ على اسمها، بلهجة دارجة، فقد تعمَّدَ نقلَ الحديث إلينا وترجمتَه شعراً في شكل حوار بينه وبين هذه المرأة، فيما يعرف بشعر «المقاولة»؛ أي: قال وقلت. لتأكيد الحكمة أو خلاصة التجربة في الحياة للعموم بشكل مُغْرٍ ومؤَثِّرٍ في أفراد المجتمع، للرضى بما هُمْ فيه وعليه من ظروف قد تكون داعيةً إلى الحسرة والحزن. هذا الحوارُ يؤكد تفَتُّحَ العلماءِ وحواراتهم مع زوجاتهم والإنصاتَ إليهن، كما يشير الحوارُ إلى أن المرأة في عصر هذا الشيخ لم تكن بعيدةً عن تتَبُّعِ حياة زوجها ومعرفتِها لكلِّ ما ينغِّصُ عليه حياتَه وقد بلغ شأواً رفيعاً في مجتمعه.

إيجابيات العمل المنجز في تحقيق «سلوة الأنفاس»:

كتاب «سلوة الأنفاس، ومحادثة الأكياس، بمن أقبر من العلماء والصلحاء بمدينة فاس»، للمؤلف العالم «الكوكب الوقاد، والجهبذ النقاد، العالم العامل» كما وصفه الشريف أحمد بن عبد المولى العلمي» (في خاتمة الكتاب 3/ 502) كتاب نفيس، لذا لا يسعني إلا أن أنوّه بالعمل الذي أنجزه الأساتذة المحققون: عبد الله الكامل الكتاني، وحمزة بن محمد الطيب الكتاني، ومحمد حمزة بن علي الكتاني.

إذ إن إخراج هذا السفر الثمين في حلة جديدة وبتنسيق متميز للتراجم

= كما وردت في «الاستقصا» 4/ 78، ولم يستخرجها المحققون من مظانها ومصادرها.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

«بتحليتها بألقاب تنسجم وترجمة المؤلف» (1/ 8)، اعتماداً على عناوين وأرقام تساعد على القراءة والتتبع، إضافة إلى أن العناية بوضع هذه العناوين يساعد على التعرف إلى الشخصية المترجم لها في سهولة ويسر، كما أن إعادة كتابة المتن كتابة تعتمد الترقيم باعتباره عاملاً مهما في الاستيعاب والفهم، يفيد حرص المحققين على تقريب الكتاب من القارئ وإغرائه بالقراءة.

كما أن من مميزات العمل: العنايةَ بعَزْوِ الآيات القرآنية إلى سورها وأرقامها، مما يفيد القارئ كلما أراد العودة إليها.

وتوّجَ المحققون كلُّ هذا الجهد المبذول بوضع الفهارس بإحكام ودقة، سواء تعلق الأمر بالفهارس العامة أو بفهارس النساء أو بالفهرس الألفبائي، كما أن تصحيح التصويبات في المتن يؤكد تتبع المحققين لكل الإشارات والإفادات والتوقيفات التي صدرت ـ فيما يبدو ـ عن المؤلف، بعد طبع الكتاب ومراجعته، ومثل هذه الجهودِ تدعو إلى التنويه بها، وإلى انتهاجها بالنسبة لآلاف المخطوطات التي تزخر بها الخزائن المغربية الخاصة والعامة.

وقد أشار التصدير الذي عُنْوِنَ بـ«بين يدي الكتاب» إلى المراحل التي قطعها السادة المحققون في عملهم في تحقيق «السلوة»، وأشاروا إلى تعمُّدِهِم: «إغفالَ التحشية والتعليق في الهوامش إلا لماماً»[1]، وهم على صواب في هذا التنبيه؛ لصعوبة ذلك لأسباب كثيرة. ولا أنكر أنني استفدت من هذا العمل في طبعته الجديدة، وإن كنتُ قد استفدتُ سابقاً من طبعته الحجرية في مراحل حياتي الجامعية، سواء تعلق الأمر بمنهجه ودقة معلوماته ورائق أسلوبه، أو صفاء لغته وبهائها، أو تنوع الأشعار التي حلى بها المؤلف تراجمه من حين لآخر.

أما المؤلِّف؛ فقد بهرني بما صنعه في خاتمة كل جزء من أجزاء كتابه عندما وضع لائحة الخطإ والصواب، وعندما كان يصحح الهفوات والأخطاء في بعض الأحيان في طرر الصفحات بدقة متناهية، مما يؤكدُ شرفَ العلم وأمانةَ العالم.

(1) «سلوة الأنفاس» (1/ 7).

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

وأخيراً؛ فإنَّ الكتابَ ـ وإنْ كان يُعنى بتراجم العلماء والصلحاء ـ فهو كتابُ تصوف وأدب، وتاريخ وتربية وسلوك، كتابٌ يُعنى بالشرائح الاجتماعية على اختلافها، ولعله يلخص الوضع الاجتماعي في المغرب من خلال مدينة فاس، وقراءةُ الكتاب تدعو إلى وقفات تأملية للاستفادة منه والاستمتاع بأسلوبه، والتعرف إلى فكر صاحبه وموسوعيته.

إنَّ دراسةً موضوعيةً ومنهجيةً لهذا الكتاب الثمين قد تستغرق السنوات الطوال من طرف متخصصين، كما أن الإلمامَ بمصادره ومعلوماته تنقيباً وتتبعاً تحتاج إلى أكثرَ من مكتبة علمية متنقلة، وإلى نَفَسٍ طويل، وإلى حبٍّ وشغفٍ بالعمل، كل ذلك يقتضي صبراً وجهداً، لذا كانت محاولتي المتواضعة تصبُّ في الحديث عن تراجمَ بعينها؛ هي: تراجمُ الفترة السعدية تصنيفاً وإحصاء.

بعض المآخذ على تحقيق «سلوة الأنفاس»:

نَبَّهْتُ سابقاً إلى صعوبة العمل وشساعة مساحته وتعدد مشاربه، وذكرتُ بأن الكتاب يحتاج إلى وقفات علمية لتحقيقه، وأعتقد أن ذلك لن يتم خلال سنة أو سنتين، بل يتطلب سنوات طويلة، ويتطلب فريقاً من الباحثين العاملين بصبر وأناة، وكما أشار المحققون في تصديرهم «بين يدي الكتاب»[1]: «أردنا أن نتحدث فيما «بين يدي الكتاب» على كثير من خصائص تراجم الكِتَاب ومميزاتها، والتدقيقِ في بعض ملابساتها، عن طريق مراجعة الوثائق الأصلية التي رجع إليها المؤلف حين كتب الكتاب، فوجدنا ذلك بعد كتابته مفضياً إلى الطول والإسهاب».

«من أجل ذلك؛ آثرنا أن نُوصي أصحاب الموسوعات الفرعية الصغرى التي يمكن أن تنبثق وتكتب على ضوء «السلوة» بالقيام بهذا الجهد العلمي المفيد في بابه، إن وجدوا إلى ذلك سبيلاً».

هذه الإشارة تخلِّصُ وخلَّصَتِ المحققين من تبعات ما أغفلوه في باب

(1) (1/ 7).

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

التحقيق؛ إذ إن عذرَهم واعتذارَهم عن القيام بالتدقيق في أقوال بعينها، أو تخريج الأشعار من بطون الدواوين أو المجاميع الشعرية، أو نسبةِ المؤلفات إلى أصحابها، إلى غيرها من المآخذ التي قد يطرحها الباحث المحقق؛ لم تَعُدْ ذاتَ بالٍ، وإن كانت ذات بال أو أكثر، لما لكلمة «التحقيق» من دلالات يتعذَّر استبعادها في مثل هذا العمل المنجز.

إن تحقيق الكتاب ليس أمراً ميسَّراً ولا سهلاً، وكما قال المحققون (1/ 7): «إنَّ نصَّ «السلوة» في طبعته هذه يُعَدُّ من أوضحِ النصوص المطبوعة حديثاً، وأيسَرِها من حيث المطالعةُ والفهم، وأدقِّها من حيث المقابلةُ والضبط»، وهذا صحيح لا يناقشه أحد، لذا كان من المفروض أن يستغنى عن كلمة «التحقيق» بكلمة أو عبارة تفيد الإعداد للنشر، أو الضبط والتنسيق... إلى غير ذلك مما يفيد النشر الجيد.

ومع ذلك؛ فليسمحْ لي السادةُ المحققون، وأستأذنهم بكل لطف أن أشير إلى بعض المآخذ التي سجَّلْتُها، وأَعُدُّها من باب الأمانة العلمية، ومن باب التقدير لهذا العالم الكبير الذي قضى فترة طويلة من حياته وهو يؤلف كتابه، ومنها:

1 ـ وَضَعَ المحققون عنواناً في آخر الجزء الثالث (ص491) هو: «بعض مراجع الكتاب»، وقال المؤلف في آخر الفقرة: «وقد عنَّ لي أن أذكر ها هنا جملة من الكتب التي نقلتُ غير ما مرة عنها، ليكون ذلك أهدى لمن أراد أن يرجع إلى شيء منها»، مثل هذه الإشارة في تلك الفترة التي كان المؤلفون لا يُعْنَوْنَ بثبت مصادرهم أو الكتب التي نقلوا عنها تدعو في رأيي المتواضع إلى العناية بها أكثر، وإلى البحث عن أصحابها، والإشارة إلى المخطوط منها والمطبوع، وإلى المحقَّق منها وغيره، ومن ثم كنت أودُّ أن يُعنى بها من حيث:

أ ـ ترتيبُها ترتيباً ألفبائياً، وهو ما افْتَقَدْتهُ في لائحة المصادر (3/ 491)؛ إذْ وَرَدَتْ كما وضعها صاحبُها، مما يدعو إلى التساؤل عن الجديد في هذا العمل؟.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

ب ـ الإلماع إلى أسماء مؤلفي هذه المصادر، وإن غابتْ في بعض الأحيان عن ذهن المؤلف وقت تأليفه، فإن التنصيص على أصحابها أصبح وارداً في التحقيق، كما أن الإشارة إلى محققي بعضها مما يجب التركيز عليه، وأذكر تمثيلاً لهذا كتابَ: «التشوف إلى رجال التصوف» لابن الزيات الذي نُشِر في ثلاث طبعات؛ الأولى: سنة (1958م)، اعتنى بنشرها وتصحيحها أول مرة أدولف فور، وصدرت ضمن مطبوعات معهد الأبحاث العليا المغربية. ثم قام بتحقيق الكتاب الأستاذ أحمد التوفيق، وصدر ضمن منشورات كلية آداب الرباط سنة (1984م). ثم أعيد طبعه سنة (1997م)، ضمن منشورات نفس الكلية.

وكذا «نفح الطيب» لأحمد المقري الذي تعددت تحقيقاته، وأشهرُها وأدقُّها: تحقيقُ الدكتور إحسان عباس، دار صادر بيروت (1968م) في ثمانية أجزاء.

وكتاب «الروض العطر الأنفاس، بأخبار الصالحين من أهل فاس»؛ المنسوب لأبي عبد الله محمد بن عيشون الشّراط المتوفى سنة (1109هـ)، وقد قامت بتحقيقه الأستاذة زهراء النظام، وصدر ضمن منشورات كلية الآداب بالرباط، سنة (1997م)، إلى غيرها من المصادر التي لم تحظ بعناية المحققين بتوثيقها والتنبيه إلى من اعتنى بتحقيقها ودراستها ثم نشرها في طبعات أنيقة.

2 ـ وضع فهارس للأشعار الواردة في الكتاب حسب قوافيها أو موضوعاتها، والإشارة إلى أصحابها.

3 ـ التعريف بالأعلام، والإشارة إلى بعض مصادر ترجماتهم، مع أن المؤلف كان يذكر أسماء بعض الأعلام أو الشعراء وإن قليلاً، مع الإشادة بهم؛ كسليمان الحوات[1]، وحمدون ابن الحاج السلمي[2]، والعمراوي[3]، واليوسي[4]، وابن زاكور[5]... وغيرهم.

---

(1) (3/ 142).
(2) (2: 188)، (3: 5).
(3) (1/ 212).
(4) (2/ 103).
(5) (3/ 220).

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

4 ـ مصادر الأشعار، سواء كانت دواوين شعرية حظيت بتحقيق علمي جاد، أو مجاميع شعرية، أو مؤلفات تاريخية أو غيرها، فالاهتمام بها من صميم عملية التحقيق العلمي.

5 ـ شرح بعض الكلمات الصعبة، ويظهر أنها دارجة لم أوفق في فهم بعضها، دعاني إلى طرح هذه الملاحظة عناية المحققين بشرح بعض الكلمات الدارجة في الهوامش منها: (1/ 307) الهامش (1) السَّفالي: باللهجة المغربية، حاد اللسان، كثير الصراخ، (1/ 315) الهامش (1): العطاطير: ج عطارة: مجرى الصرف الصحي باللهجة الفاسية.

أما الكلمات المشار إليها ولم تُشرح؛ فمنها: مُزْدَجٌّ أو مُزَدَّجٌ، وقد تردَّدَتْ كثيراً (3/ 53، 3/ 72، 3/ 73، 1/ 248)، في الصيغة الآتية (3/ 53): «وقبره عار لا بناء عليه، إلّا أنه مزدج». وهي: بضم الميم كما جاء في الطبعة الحجرية. بحثت عنها في المعاجم اللغوية، وسألت عنها بعض المهتمين بالدراسات الإسلامية، لكني لم أوفق في شرحها، وفي (3/ 174)، وكذا كلمة «كوش» في ترجمة ابن عبابو: «كان رَحِمَهُ اللَّهُ كوشاً مسناً جداً، منفرداً متجرداً»، لكن دلالتها اللغوية لا تفي بالمعنى المقصود فيما يظهر، فهل هي من: كاش يكوش كوْشاً عنه؛ أي: فزَعَ فزعاً شديداً، أو اشتدَّ ولعُهُ بالدنيا، أو هناك معنى دارج لم أفهمه؟[1]. وغيرها.

6 ـ التعريف بالأماكن التي أقبر فيها هؤلاء الصلحاء والعلماء، مع بعض البيانات المفيدة فيما يتعلق بمسمّياتها، وما كانت تحظى به من تقدير من طرف العامة والخاصة.

7 ـ وضع خريطة عامة لهذه الأماكن، وتحديد مواقعها في قلب المدينة العتيقة؛ لتسهل على الباحث ـ إن أسعفته الظروف ـ زيارتها، كما أن هذه الخريطة ستعطي فكرة عامة عن ترتيب الأحياء القديمة في مدينة فاس لكل من

(1) القبر المزدج: المزلج بالفسيفساء المعروفة في المغرب. والكوش: الشديد السواد، وهو من العبري المعرب، وقد شرحها المؤلف في متن الكتاب. المحققان.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

أراد التجول بها في نطاق دائري كما تتبعها الكتاني، وقد أشار ليفي بروفنسال إلى هذا الترتيب قائلا: «إن الكتاني تابع عرضه للصالحين والعلماء بحسب المكان الذي دفنوا فيه، سالكاً خلال المدينة مسلكاً لا يخلو من غرابة؛ فهو يدور حول الضريح الإدريسي في اتجاه عقربي الساعة»[1].

هذه بعض الملاحظات التي عنَّ لي ذكرُها، وقد قرأت هذا الكتاب بشغف وحب، واستفدت منه استفادةً كبيرة، وعلى العموم، فقد ظفرنا ـ معشر الباحثين ـ بتحقيق أمنية طالما أمّلناها بصدور هذا الكتاب بعد مرور قرن على صدور طبعته الأولى في طبعة أنيقة وحلة قشيبة باعتباره عملاً ممتعاً، وتحفة علمية نَدِيَّة.

ترجمة المؤلف: من علماء مدينة فاس، ومحدثيها الأعلام، ورجالها الأخيار، رحل إلى المشرق مرتين، استوطن في الثانية المدينة المنورة، ثم قصد دمشق واستوطنها، وتصدر للتدريس بها خاصة علوم الحديث والفقه، ولقي من أهلها ترحيباً وتقديراً، ثم رجع إلى مسقط رأسه فاس، وبها توفي سنة (1345هـ/ 1927م).

مؤلفاته كثيرة؛ أشهرها: «سلوة الأنفاس»، ومنها: «الأزهار العاطرة الأنفاس، بذكر بعض محاسن قطب المغرب وتاج مدينة فاس»؛ طبع مرتين بفاس، «نصيحة أهل الإسلام»، طبع بفاس، «اليمن والإسعاد، بمولد خير العباد»، طبع بالرباط... وغيرها من المؤلفات.

ترجم له ابن سودة في «إتحاف المطالع»، و«سل النصال» (ضمن موسوعة أعلام المغرب 2/ 244)، و«فهرس الفهارس والأثبات» للشيخ عبد الحي الكتاني، تحقيق د. إحسان عباس، مقدمة التحقيق المنجز، للأساتذة حمزة بن محمد الطيب الكتاني، وعبد الله الكامل الكتاني، ومحمد حمزة بن علي الكتاني، ج1 هامش ص8 وغيرها.

وقد صدر كتاب «سلوة الأنفاس» لمحمد بن جعفر الكتاني في طبعة أنيقة ضمن منشورات دار الثقافة بالدار البيضاء (2004م)، في ثلاثة أجزاء.

(1) «مؤرخو الشرفاء» ص237.

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

Black plate (271,1)

تاريخ النساء من خلال المصادر المغربية «سلوة الأنفاس» نموذجاً

أ. جوهرة الفيلالي[1]:

يعتبر «كتاب سلوة الأنفاس، ومحادثة الأكياس، بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس» لأبي عبد الله محمد بن جعفر بن إدريس الكتاني، مرجعاً هاماً للباحثين في مختلف التخصصات، وعلاقتي به ترجع لاهتمامي بتاريخ النساء؛ لأني أؤمن أن قراءة التاريخ العربي أمرٌ أساسي لتناول قضايا المرأة المعاصرة والنهوض بوضعها في المجتمع، وذلك لرصد مساهمة النساء في مختلف حقب التاريخ، والوقوف على إيديولوجيات المجتمع الإسلامي في التعامل مع قضاياهن، وبالتالي لاستحضار الماضي وتحليله ونقده، والاستفادة منه لفهم الحاضر والتخطيط للمستقبل.

ويعتبر تاريخ النساء ضمن الاهتمامات الجديدة للتاريخ المعاصر، وهو يندرج ضمن ما يعرف بالتاريخ المصغر Micro Histoire، ذلك أنه حتى أواخر الستينات من القرن الماضي تم التركيز على الأحداث الكبرى، إلى أن اكتسب التاريخ المفهوم الجديد، حيث أصبح يعتبر مجموعة من التواريخ الممكنة، وأصبح المؤرخ مدعواً إلى الاهتمام بكل المجالات التي كانت مهمشة، موظفاً المفهوم الجديد للوثيقة والذي لم يعد مقتصراً على الوثيقة المكتوبة، بل أصبح يشمل الرواية الشفهية وكل أشكال التعبير الإنسانية.

ومع تنامي الحركة النسائية في أوروبا؛ تخصصت مجموعة من الباحثات

(1) أستاذة بكلية الآداب، جامعة محمد بن عبد الله، بفاس.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

في تاريخ النساء مثل ميشيل بيرو التي أشرفت على سلسلة بحوث تهم المرأة في الغرب من سنة (1987 إلى سنة 1992م) تحت عنوان: L'histoire des femmes en occident وقد عاينت الصعوبة التي يواجهها هذا التخصص والتي ترجع إلى «المسح الذي تعرضت له آثار الفعل النسائي سواء في المجال العام أو الخاص» و«الصمت الذي وضعهن فيه المجتمع منذ قرون والمرتبط بالتوزيع الغير العادل لآثار الذاكرة والتاريخ، هذا الحكي الذي نسي لزمن طويل النساء وكأنهن كن في ظلام خارج الزمن والأحداث»[1].

واعتماداً على التواصل الفكري بين الثقافات المختلفة؛ يمكن تطبيق الإجراءات المتوصل إليها في الغرب مع مراعاة الخصوصيات لرصد الحضور النسائي في تاريخ الدول العربية. وفي محاولة مني لتقصي موضوع تاريخ النساء في المغرب، استنتجتُ ملاحظات؛ منها: ما يتعلق بتاريخ المغرب عامة، وأثر بطريقة غير مباشرة في موضوع الدراسة، ومنها: ما ذو صلة مباشرة بالموضوع.

فيما يرجع لما هو عام؛ مما يلاحظ ما يلي:

ـ إهمال المغاربة للتاريخ وقلة عنايتهم به، «وهذا الإهمال ـ سواء قبل المرابطين أو بعدهم ـ له مظهران: أحدهما عدم كتابة التاريخ، وترك تدوينه بالمرة، لا فرق بين ما يرجع منه إلى الدول أو الجماعات أو الأفراد. وثانيهما: قلة العناية والاهتمام بالقليل الذي دُوِّن منه... ولا يُستثنى من هذا التعميم إلا التاريخ الذي له صبغة مقدسة؛ كقصص الأنبياء، وسيرة الرسول والصحابة ومغازيهم، ومناقب الأولياء والصُلاح، فذلك لم يقع إهماله، ولم يضعف الاهتمام به، فبسبب قدسيته راجت سوقه، وتعبدت الخاصة بكتابته مثلما تعبدت العامة بقراءته»[2].

---

(1) نقلاً عن أسماء بنعدادة ـ «المقاومة النسائية بالمغرب: أي خصوصية؟» ص47. ندوة المقاومة النسائية بالمغرب ـ، نشر المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، 2003م، المرجع Michelle Perrot - Les femmes ou les silences de l'histoire champs Flammarion 1998.

(2) أحمد بن محمد المقري «روضة الآس العاطرة الأنفاس، في ذكر من لقيته من أعلام =

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

ـ الاكتفاء بما ألفه الأقدمون، لا سيما وأن المتأخرين منهم كانوا «مع جلالة علوهم، ووفور ديانتهم وعقولهم، كثيراً ما يتهمون أنفسهم بالعجز والتقصير، ويرون أنهم ليسوا أهلاً للتأليف والتصدير، ركوناً منهم لزوايا الخمول، وإيثاراً للنجاة خوف أنه يكون العمل معلولاً، وسلوكاً لطريق السلامة، الذي هو دليل على متانة الدين وعلامة»[1].

ـ المؤرخون المغاربة ركزوا على أخبار الدول والملوك وما له علاقة بالحروب والمعاهدات، بينما عنيت كتب التراجم التي ألَّفوها ـ وهي قليلة مقارنة بما كتبه المشارقة والأندلسيون ـ بأفراد الأمة من علماء وصالحين، ومجاهدين وكُتاب، وشعراء ومؤلفين، وحتى الموظفين والفنانين من قضاة ومحتسبين، ونظار وقواد، وموسيقيين وورَّاقين... وغيرهم.

أما ما يتعلق بتاريخ النساء؛ فنسجل الملاحظات التالية:

ـ محدودية الاهتمام به، وهذا راجع للتركيز على الأحداث الكبرى كما سبق الذكر، وبإمكان الباحث أن يستنتج من بعض كتب التراجم ما له علاقة بالموضوع؛ إذ إن أصحابها كانوا يتعرضون في استطراداتهم وفي إيرادهم للحوادث لما يمكن من التعرف على الحالة الاجتماعية، والنساء من مكونات المجتمع.

من ذلك: حديث محمد بن الطيب القادري (1124 ـ 1187هـ) في كتابه «نشر المثاني» عن اختطاف الحياينة وشراقة نساء وبنات فاس في هجومهم على المدينة، وذلك في معرض كلامه عن السيبة وخلو الدنيا من الأحكام، وذلك سنة (1046هـ). وأيضاً؛ ما ذكره في حديثه عن الحاج صالح الذي كان ولياً

= الحضرتين مراكش وفاس»، تحقيق: عبد الوهاب بن منصور، ط الثانية، 1983م، المقدمة.

(1) أبو عبد الله محمد بن جعفر بن إدريس الكتاني «سلوة الأنفاس، ومحادثة الأكياس، بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس»، تحقيق: عبد الله الكامل الكتاني ـ حمزة بن محمد الطيب الكتاني ـ محمد حمزة بن علي الكتاني، ط دار الثقافة، ط الأولى، سنة 2004م، (1: 5).

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

للحسبة، والذي قال عنه: «قطع شراب الدخان وبيعه، وقطع اللهو وآلة الطرب من النساء، وألزم الناس الصلوات في الوقت، والستر في الحمام، وغيَّر مناكرَ شتى!»[1].

ـ المؤرخون الذين كتبوا التاريخ والتراجم؛ جزء منه دوَّنوه من منظور ذكوري، وقد بلوروا ثقافة عصرهم. وهذا ما أدى إلى عدم إنصاف النساء.

وتتفاوت درجة اهتمامهم بهن حسب ما يلي:

ـ الانتساب إلى الأسرة الحاكمة؛ فأمهات الملوك وزوجاتهم وبناتهم وأخواتهم أوفر حظاً من غيرهن، من ذلك: ما ورد في كتاب «جذوة الاقتباس، في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس» لأحمد ابن القاضي المكناسي.

ـ المتصوفات والفقيهات هن أيضاً حظين بالاهتمام؛ لأسباب من بينها: هيمنة الفكر الفقهي، فالمغرب بلد نظر له الفقهاء في مختلف الدول التي تعاقبت على الحكم فيه، كما أن المجتمع كان ينظر بعين الرضا لمن تشتغلن بعلوم الدين ولمن زهدن في الدنيا، مثاله: كتاب «الروض العطر الأنفاس، بأخبار الصالحين من أهل فاس». المنسوب لأبي عبد الله محمد بن عيشون الشراط. وكتاب «سلوة الأنفاس» لأبي عبد الله محمد بن جعفر بن إدريس الكتاني. في حين يلاحظ غياب لذكر الجواري في مختلف كتب التراجم ـ إلا في حالات جد قليلة ـ عكس ما كان عليه الأمر في المشرق والأندلس؛ لما ذكر آنفاً.

بل لقد اعتُبر التأريخ للمرأة أمراً مشيناً. ونذكر على سبيل المثال: مؤاخذة ابن عبد الملك المراكشي في مقدمة كتابه «الذيل والتكملة» لابن الأبار عندما أورد أخبار بعض النساء، وهو الذي تحدث عن أهل العلم الذين هم

(1) محمد ابن الطيب القادري: «نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني»: تحقيق: محمد حجي ـ أحمد التوفيق، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1977م، (1: 363 ـ 376).

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

خواص عباد الله، كما اعتبر ذكره للقيان منهن خطيئة حين قال: «إنها لعثرة لا تُقال، وزلة لا تُغتفر، وسيئة لا تكفير لها، وكبيرةٌ يجب المتاب منها والإقلاع بتوفيق الله عنها. والله حسبنا ونعم الوكيل!».

ـ ضمَّت كتب التراجم المغربية أسماء نساء شهيرات وفدن على المغرب من القيروان؛ كفاطمة ومريم الفهريتين، أو من الأندلس؛ كورقاء بنت ينتان الطليطلية، وذلك للصلة الدائمة التي كانت تجمع بين المغرب والأندلس وتونس، فقد كانت الهجرة مستمرة بين المناطق الثلاث، بل كانت في بعض الفترات تخضع لسلطة سياسية واحدة.

ـ أغلب المترجم لهن لا يحظين مِن كتب التراجم إلا بأسطر قليلة، أو بمجرد الذكر ضمن الأعلام المدرجة أسماؤها. كما أن هذه الكتب تشترك في سمة واحدة؛ وهي: الحضور الضعيف للنساء مقارنة بالرجال. مثاله:

- «الإعلام بمن حلَّ مراكش وأغمات من الأعلام» للعباس بن إبراهيم، في عشرة أجزاء، عدد التراجم الواردة فيه: 1650 ترجمة، من بينها: 11 ترجمة للنساء.
- «نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني»؛ لمحمد بن الطيب القادري، في أربعة أجزاء، عدد تراجم النساء الواردة فيه 11 ترجمة.
- «جذوة الاقتباس، في ذكر من حلَّ من الأعلام مدينة فاس»؛ لأحمد ابن القاضي المكناسي، في جزأين، عدد تراجم النساء الواردة فيه: 30 ترجمة.
- «سلوة الأنفاس، ومحادثة الأكياس، بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس»؛ لأبي عبد الله محمد بن جعفر بن إدريس الكتاني، في ثلاثة أجزاء، عدد التراجم الواردة فيه: 1881 ترجمة، من بينها 50 ترجمة للنساء.

ـ بروز أسماء نسائية اتصفت بمقدرات حربية متميزة، وقد تحدث ابن

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

رشد عن استعداد النساء الشديد للحرب في بعض دول إفريقيا[1]؛ مثاله: السيدة الحرة حاكمة تطوان...

ـ طال التهميش النساء في ما دُوِّن عن مقاومة المغاربة للاستعمارين الفرنسي والإسباني، فقد كانت المرأة حاضرة منذ الثورة إلى الإعلان عن الاستقلال، ولكنها لم تحظ بأن تأخذ مكانها اللائق في كتابات الحركة الوطنية. فمنها: من أهمل الحديث عن مشاركة النساء، ومنها: من تعرض لها في بضع جمل أو بضعة أسطر[2]، ويجد الباحث في الموضوع ضالته في مرجعين:

ـ المصادر والمراجع، والمستندات والوثائق الأجنبية؛ من تقارير عسكرية، ومراسلات صحافية، سواء منها الفرنسية أو الإسبانية، في معرض الحديث عما لاقاه المستعمر من مقاومة شرسة من طرف الرجال والنساء[3].

ـ الرواية الشفهية: ويدخل ضمن المحكي الشفوي: الفن الشعبي؛ فقد كانت المرأة تنظم أزجالاً بالعربية والأمازيغية تصف بواسطتها الحدث، وتعبر عن مشاعرها نحوه تعبيراً صادقاً[4].

تلك بعض الملاحظات التي يقف عليها الباحث في تاريخ النساء بالمغرب، فكيف تعامل صاحب «السلوة» مع الموضوع في كتابه الذي راعى في تسميته السجع تمشياً مع عادة القدماء في انتقاء السجع لأسماء كتبهم؟.

ـ عدد التراجم الواردة في الكتاب ـ كما سبق الذكر 1881 ترجمة، وهي

---

(1) هادي العلوي «فصول عن المرأة»، دار الكنوز الأدبية، 1996م، ص70.

(2) عبد الكريم غلاب «تاريخ الحركة الوطنية بالمغرب» جزءان، مطبعة الرسالة، الرباط 1983م.
أبو بكر القادري «مذكراتي في الحركة الوطنية» جزءان، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، 1993م.

(3) GL. Guillaume, Les berbères marocains et la pacification de l'Atlas Central - (1912 - 1933).
- Médecin Capitaine Jean Vial - le Maroc héro]que (1938).

(4) للا صفية العمراني: «الشعر الأمازيغي، ومسألة التأريخ للمقاومة المسلحة»، ندوة المقاومة النسائية بالمغرب، ص103، مرجع سابق.

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

كما ذكر المؤلف في المقدمة لـ«بعض الصلحاء والمشاهير، والعلماء الكبار النحاريـر، الذيـن قضـوا بهـذه الحضـرة الفاسية، ذات الأنـوار السـاطعـة، والمحاسن الفاشية»[1]. نصيب النساء منها: خمسون ترجمة، وهي لنساء ينتمين لما بين القرنين العاشر والثالث عشر الهجريين، وهي حقبة عانى فيها المغرب من الاضطرابات والفتن نتيجة توزع السلطة المركزية منذ أواخر الدولة المرينية. وأفرز الواقع المضطرب فساداً اجتماعياً، ومكَّن الإسبان والبرتغال من الاستيلاء على بعض المواقع في السواحل المغربية، وخير من يصف ما آلت إليه الأوضاع: المتصوف عبد الرحمٰن المجذوب في أقواله المأثورة، (ت سنة 976هـ)، وأبو محمد عبد الله بن محمد الهبطي في ألفيته التي سماها: «الألفية السنية، في تنبيه العامة والخاصة على ما أوقعوه من التغيير في الملة الإسلامية» (ت سنة 962هـ)[2].

وقد تصدت الزوايا ـ باعتبارها مراكز دينية وتعليمية ـ لإصلاح المجتمع بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد في سبيل حماية العقيدة، والذود عن الوطن، وخلد التاريخ أسماء رجال ونساء كان لهم دور فاعل في المرحلة، وحين بلغت الأوضاع في عصر صاحب «السلوة» حداً مزرياً، ولاحت في الأفق بوادر الاستعمار الزاحف؛ جاهد بالكلمة المكتوبة مستحضراً الزمن الغائب لخدمة حاضر تحدق به الأخطار، فكأنه كان يستمد من روحانية المترجَم لهم طاقةً ينفُثُها في الأكياس من معاصريه؛ إذ التاريخ دُروس وعبر!.

المصادر التي اعتمدها الكاتب فيمن ترجم لهن:

أ ـ كتب من سبقوه مثل: «الروض العطر الأنفاس، بأخبار الصالحين من أهل فاس»؛ المنسوب لأبي عبد الله محمد بن عيشون الشراط (1109هـ)، «نشر المثاني، لأهل القرن الحادي عشر والثاني»؛ لمحمد بن الطيب

(1) «السلوة» (1: 3).

(2) «القول المأثور من كلام سيدي عبد الرحمٰن المجذوب»، مكتبة الوحدة العربية، الدار البيضاء.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

القادري (1124 ـ 1187هـ) ويلاحظ أنها لا تنتمي للزمن البعيد، باستثناء ما اعتمده بالنسبة للسيدة كنزة زوجة المولى إدريس الأول التي أوردها في معرض حديثه عن ابنها المولى إدريس الأزهر، وذكر أنها دفينة الزاوية الإدريسية بزرهون، وليست دفينة الحرم الإدريسي بفاس كما هو شائع.

ب ـ ما سمعه من شيوخه أو ممن يثق بهم، وقد أشار إلى ذلك في خاتمة الجزء الثالث من «السلوة»، حين أورد أسماء بعض المراجع التي اعتمدها في كتابه، والتي تجاوزت مائة واثنين وأربعين مرجعاً، حين قال: «إلى غير هذه المؤلفات الجليلة، والتصانيف الكثيرة الحفيلة، التي قد يقع مني تصريح بالنقل عنها عند الحاجة إلى تسطير ما يسطر منها، دون ما تلقيته من أفواه الصدور والأكابر، أو التقطته من بطون المجاميع والدفاتر»[1].

ج ـ أضرحة المترجم لهن؛ كأضرحة الرجال توجد داخل أسوار فاس وخارجها، وهنا نشير إلى النسيان الذي تعرضت له أضرحة النساء، ومن حسنات صاحب «السلوة» توثيق ما كان معروفاً في عصره. أما الأسماء المعروفة الآن؛ فثلاثة؛ وهي: السيدة مَنّانة البستونية التي أطلق اسمها على جامع السمارين الذي يوجد قبالة دارها التي دفنت بها، وهو المعروف بجامع البستيونية. والسيدة آمنة الساگمة؛ التي تحمل الباب التي دفنت على يسار الخارج منها اسمها؛ وهي: المعروفة بباب الساگمة. والسيدة للاحَجّامة؛ التي أطلق اسمها على الزنقة التي دفنت بها والمعروفة بزنقة حجامة.

ـ ذكر المؤلف تاريخ وفاة المترجم لهن حسب ما توفر لديه من معلومات: القرن، أو السنة، أو اليوم والشهر والسنة، مثاله: السيدة رقية السبعية، «من أهل القرن الحادي عشر»[2]، والسيدة منانة البستونية، سنة وفاتها هي: «أربع وستون ومائة وألف»[3]، والسيدة فاطمة بنت سيدي حمدون

(1) «السلوة» (2: 299).
(2) «السلوة» (1: 350).
(3) «السلوة» (1: 350).

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

الشقوري، تاريخ وفاتها: «عشية يوم الخميس رابع عشر المحرم فاتح عام واحد ومائة وألف»[1].

ـ النساء اللائي أوردهن ينتمين لمختلف الطبقات الاجتماعية.

ـ إذا كان الاسم الكامل للسيدة غير معروف؛ حرصاً منه على الضبط كان يضيف إليه ما يعرفها به مثل: «السيدة فاطمة التي كانت تسكن بزنقة حجامة من عدوة فاس القرويين»[2].

المجموعة الأولى: وليات صالحات، متصوفات تصوفاً يعتمد على الكتاب والسُّنَّة، ويقوم على التعبد والصلاح، ويبتعد عن الزهد في الحياة الزوجية. فمنهن من كن متزوجات، بل من الصفات التي نالت بها السيدة الحظوة: كونها «كثيرة البرور بالزوج والقيام بشؤونه». مثل: السيدة عائشة بنت علي بونافع؛ حفيدة سيدي عبد الرحمٰن الفاسي[3].

ومن الصفات أيضاً: خيِّرة، مرضية، ذات عقل ودين وهيبة، الصائمة، الناصحة، كثيرة الذكر، مواظبة على قراءة الأحزاب، تحضر مجلس البخاري. ومنهن من وُلعت بالصلاة مع الجماعة، وبحضور مجالس العلم عند الفجر بالضريح الإدريسي وبالقرويين عند العصر؛ مثل: آمنة (منانة) بنت الطيب الشرقي الصميلي[4].

ومنهن من اتبعت طريقة من الطرق الصوفية؛ مثل: لال الجيلانية؛ سميت بذلك لسلوكها طريقة عبد القادر الجيلاني، «وكان النسوة قبل هذا يجتمعن عندها بالتسابيح، ويذكرن أحزاباً وأوراداً»[5].

ومنهن من كان لها من النساء أتباع؛ كالسيدة آمنة بنت سيدي عبد الرحمٰن الفاسي الفهري[6].

ويلاحظ ضمن هذه المجموعة: متصوفات تنتسبن إلى أسر علم

---

(1) «السلوة» (2: 169).
(2) «السلوة» (1: 153).
(3) «السلوة» (2: 211).
(4) «السلوة» (3: 66).
(5) «السلوة» (1: 282).
(6) «السلوة» (1: 363).

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

وتصوف، تأثرن بمحيطهن؛ فشيخهن في التصوف: الأب، أو الأخ، أو الزوج. كالسيدة عائشة بنت محمد بن عبد الله معن الأندلسي؛ فشيخها في التصوف: أخوها أحمد بن عبد الله[1]. وللإشارة؛ فكما أخذت النساء عن شيخ متصوف؛ فقد أخذ الرجال عن شيخات متصوفات؛ مثل: عبد الله ابن سلمون الكناني الذي أجازته وألبسته خرقة التصوف في فاس الأستاذة والشاعرة سارة بنت أحمد بن عثمان بن الصلاح الحلبية»[2].

المجموعة الثانية: ورد نعتهن بالمجذوبات. من صفاتهن: الولية الصالحة، «كل ما تشير إليه يقع كذلك لا محالة»؛ مثل: رقية السبيعة[3]: «المجذوبة البهلولة، المولهة في الجلال، الهائمة في الجمال». مثل: منانة البستيونية[4] «من أهل الخطوة والطيران في الهواء». مثل: السيدة فاطمة[5]. هذه الصفات وشبهها هي عند مؤلف «السلوة» كرامات، بينما توسم عند البعض بالخرافة، وبكونها تعكس التخلف الذي عرفه عصر المؤلف وعصر من نقل عنهم.

وأرى أنها تدخل في إطار تصور عام كرد فعل ناتج عن الوعي بالخطر المحدق والمتمثل في التهديد الأجنبي، وأن الخلاص لا يتم إلا بالتمسك بالدين، فبه تتحقق المعجزات وتتم الغلبة، والزهد والصلاح تطبيق عملي للدين، والذي يعرف في فترات الانحطاط، وخوفاً عليه من التحديات: اعتماد الفقه المتشدد؛ خصوصاً في ما له علاقة بالنساء. وكمثال على ذلك: كتاب «القول الحق وفصل الخطاب، في الخلوة والاختلاط والصوت والحجاب» لمحمد الجواد بن عبد السلام الصقلي الحسيني[6] والذي كان مغالياً في ما أوجبه على المرأة مغالاة لا تفهم إلا في إطار ما ذكر!.

---

(1) «السلوة» (1: 331).
(2) «جذوة الاقتباس» مرجع سابق.
(3) «السلوة» (2: 299).
(4) «السلوة» (1: 350).
(5) «السلوة» (1: 153).
(6) محمد الجواد بن عبد السلام الصقلي الحسيني، «القول الحق وفصل الخطاب، في الخلوة والاختلاط والصوت والحجاب». مخطوط.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» Printed on [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100]

ـ كتاب «السلوة» قد يكون من الحوافز التي دفعت من جاء بعده للعناية بتراجم النساء؛ مثل: عبد السلام بن عبد القادر ابن سودة في كتابيه: «إتحاف المطالع، بأعلام القرن الثالث عشر والرابع»، و«سل النصال للنضال بالأشياخ وأهل الكمال»، وأبي عبد الله محمد بن أحمد الكانوني في مؤلفه: «شهيرات المغرب».

ـ تعتبر «السلوة» من المصادر التي تنفع الباحث في تاريخ نساء المغرب، إضافة إلى مصادر أخرى؛ منها ما هو شفهي حبيس ذاكرة جيل أوشك أن يغادر، وما هو مدون ينتظر من يمنحه حق الحياة والتداول، ليتأتى ملء جزء من مساحات الصمت في تاريخ النساء، والمعول على الجامعات وبالخصوص على مراكز الدراسات والأبحاث حول المرأة الموجودة في بعض الكليات.

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

Black plate (282,1)

العالمات والصالحات المترجم لهن في «سلوة الأنفاس»

أ. د. فاطمة الحراق[1]:

تأتي إعادة طبع «سلوة الأنفاس، ومحادثة الأكياس، بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس»، لمؤلفها العالم الجليل محمد بن جعفر بن إدريس الكتاني، بعد تحقيقها من طرف الأساتذة: سيدي عبد الله الكامل الكتاني، وسيدي حمزة بن الطيب الكتاني، وسيدي محمد حمزة بن علي الكتاني، في حلتها الجميلة السهلة التناول، في وقت كثر فيه تساؤل المسلمين ـ والمغاربة ـ حول مكانة حضارتهم وأهمية القيم الروحية والفكرية والاجتماعية التي حملتها هذه الحضارة وجسدتها رجالاتها ونساؤها عبر العصور. كما تأتي في وقت خابت فيه آمال المؤرخين من التاريخ الذي يقفز عن الإنسان، وتوجهت اهتماماتهم تدريجياً نحو التاريخ الاجتماعي والبيوغرافيا، هذه الفنون التي تثمن فعل الفرد في التاريخ.

ومن ثم؛ أهمية هذه الإطلالة على «سلوة الأنفاس» والتساؤل حول أهمية التراجم كمادة هامة من بين المواد التي يتعامل معها المؤرخ الشمولي.

إن علم التراجم ـ والذي منه تطور علم التاريخ ـ من الأنواع الأدبية العربية الإسلامية التي دأبت دائماً، من خلال التعريف بأعلام الأمة، إلى إبراز القيم المجتمعية وتوفير القدوة والسيرة المثالية. «إنه تأليف في سياق الحض على إعادة إنتاج نموذج أسمى» (أ. التوفيق). فالاهتمام بحياة الصالحين

(1) أستاذة التعليم العالي، مديرة معهد الدراسات الإفريقية.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

والأولياء والعلماء؛ الهدف منه عند المترجم التقليدي هو: الوعظ، وتقديم هؤلاء الفضلاء كمثال يحتذى. فالترجمة التقليدية، كما يعلم الجميع، ليست ترجمة لأشخاص أو أفراد، بل هي بناء لشخصيات تجسد قيماً مجتمعية محددة.

وقد اخترت لهذا العرض إطلالة سريعة على النساء العالمات الصالحات، المترجم لهن في «سلوة الأنفاس»، في محاولة لإبراز بعض القيم التي تأسست عليها هذه التراجم.

1 ـ السؤال الأول الذي طرحت: من هن العالمات والصالحات المترجم لهن في «السلوة»؟:

الملاحظة الأولى:

عدد النساء اللائي خُصّصن بترجمة مستقلة في «السلوة»: خمسون، ممن وقف المؤلف على قبورهن، أو ممن عرّفت بهن بعض كتب التراجم والمناقب، أو ممن احتفظت بهن الذاكرة الشعبية في فاس إلى حدود نهاية القرن التاسع عشر.

الملاحظة الثانية:

تنتسب أغلبية النساء المترجم لهن، ممن وقف المؤلف على تاريخ وفاتهن (وهن 28) إلى القرنين (11 و12هـ/الموافق 17 ـ 18م)، بينما تتكون البقية من المجذوبات المسلوبات الإرادة والمجهولات الهوية.

الملاحظة الثالثة:

إذا استثنينا المرأتين اللتين حليتا «بالعالمة» ـ وهن في الواقع «طالبات علم» فقط ـ فبقية المترجم لهن يدخلن في صنف الصالحات أو المجذوبات.

الملاحظة الرابعة والأخيرة:

نصف النساء المترجم لهن ـ على الأقل ـ ينحدرن من بيوتات شريفة أو عالمة أو صوفية، سواء من فاس نفسها، أو من مراكز حضارية مغربية أخرى. أما النصف الثاني؛ فيمكن أن نستنتج من خلال أسمائهن أنهن ينحدرن إما من

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

أوساط شعبية، أو من أصول قبلية، ولعلهن كن أيضاً حديثات العهد بالاستقرار في فاس.

2 ـ السؤال الثاني: كيف يقدم لنا صاحب «السلوة» هؤلاء العالمات والصالحات؟:

يمكن أن نقسم الترجمة إلى قسمين:

القسم الأول: يعرف فيه المؤلف بالصالحة أو العالمة (أو طالبة العلم).

القسم الثاني: يعرض لسيرة المترجمة من أقوال وأفعال وكرامات.

فالتعريف يتناول الاسم الشخصي، والنسب العائلي والجهوي والقبلي (آمنة بنت سيدي عبد الرحمٰن الفاسي، أو عائشة الگرينية اليازغية، ومعزوزة الهلالية، وآمنة بنت سعيد الغماري، وجميلة السغروشنية...)، إلا فيما يخص المجذوبات؛ فهن يُعرفن فقط باسمهن الشخصي، أو بالكنية التي التصقت بهن (صفية لبادة وآمنة الساگمة...).

ثم يلي ذلك: التعريف بحيثياتهن (عالمة، أو صالحة، أو عارفة، أو ولية). وفي حالة الصوفيات ـ ويشكلن الأغلبية الساحقة للمترجمات ـ يعمل المؤلف على تقرير المركز الذي تحتله المترجمة في «السلم الصوفي»؛ أي: مكانتها على طريق المجاهدة والسلوك أو الجذب، ويلجأ في ذلك إلى المعجم الصوفي لأحوال ومقامات ونعوتات الصوفية المختلفة: (فهذه «شريفة صالحة متبرك بها» وهذه «مجذوبة صالحة، ذات غيبة، ساقطة التكليف، تنطق بإشارات». وهذه «مسنة مقعدة، صالحة بركة، تدير الزاوية النسائية الفاسية». وهذه «من الخاشعات القانتات، الصائمات الصابرات». وهذه «من كبار الأولياء، وخاصة الأصفياء». وهذه «ولية صالحة، ذات أنوار لائحة، وكرامات واضحة، وأسرار وهبية، وفتوحات غيبية». وهذه «من أهل الكشف والأسرار». وهذه «شريفة وزانية، سالكة لطريقة الشيخ عبد القادر»، وهذه «مجذوبة غائبة...»).

وإذا كانت الترجمة النموذجية للصالح والعالم الذَّكَر لا تلتفت للوضعية العائلية أو الأسرية للمترجم، فإن الأمر يختلف بالنسبة لتراجم النساء العالمات

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

الصالحات؛ فهن يقدمن قبل كل شيء كأمهات أو أخوات أو زوجات، أو حتى حفيدات، متزوجات أو أرملات (القاعدة هو الزواج).

فيمكن الاستنتاج هنا بأنه، إلى حدود نهاية القرن 19، لم يكن هناك أي وجود في ثقافة الحاضرة المغربية للمرأة العالمة والصالحة، والولية والعارفة كفرد مستقل. فوجودها **كشخص** كان مشترطاً بانتمائها إلى الأسرة وإلى الجماعة، والوسيلة الوحيدة للانفلات من هذه التبعية كانت هي الجذب أو الجنون!.

أما القسم الثاني من الترجمة؛ فيتعلق بسيرة العالمة أو الصالحة أو الولية، فأما الأقوال المنسوبة إليها؛ فتقدم في شكل حكم أو مقولات مأثورة أو مواعظ، وأما الأفعال؛ فتأتي في قالب حكايات غريبة أو كرامات. وتجسد هذه الأقوال والتصرفات القيم المجتمعية السائدة، كما يراها المؤلف الذي ينتمي إلى النخبة الحضرية.

وتأتي على رأس هذه القيم والمُثل التي جسدتها تراجم هؤلاء العالمات والصالحات:

1 ـ البر بالوالدين، والأشياخ والزوج، وخدمتهم وطاعتهم في كل شيء.

فعائشة بنت علي بونافع كانت «حسنة العشرة، خصوصاً مع بعلها، لا تغاضبه ولا تقابله، ولا تراجعه في شيء قط». وعائشة بنت شقرون الفخار كانت «شديدة البرور والإحسان بوالدها، شديدة البرور بزوجها أيضاً، تعامله معاملة المريد مع الشيخ مدة حياتها كلها، وتحبه جداً، وتجلّه وتعظمه، وتحترمه ولا تخالفه في شيء، وتسارع إلى امتثال أمره، إذا ناداها؛ جاءته كأنما الأرض تطوى لها سرعة، وتقوم معه الليل؛ تشعل له المصباح، وتعمل له ما يحتاج، وتصلي معه».

وأما فاطمة (حجامة) فعندما سئلت عما به درجة الصلاح؛ أجابت: «بالقيام بحق الله تعالى فيما أمر به من حق الزوج». وأما آمنة بنت ابن القاضي، خديمة سيدي علي الصنهاجي وشريكة سيدي عبد الرحمٰن المجذوب

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

في الولاية؛ فكانت تخدم شيخها وتتبعه أينما حل وارتحل، حتى نقم عليها أهلها فزوجوها، فلم ينفع ذلك في ابتعادها عن شيخها، فعمدوا إلى سجنها وتكبيلها، لكن حبها لشيخها كان هو الأقوى.

2 ـ من بين هذه المثل كذلك: «الخروج ليلاً» أو «في آخر العمر» للزيارة وحضور مجالس العلم والوعظ.

فباستثناء المجذوبات الغائبات؛ فإن صالحات وعالمات فاس كن يلازمن بيوتاتهن خلال النهار، ولا يغادرنها إلا تحت جنح الظلام أو في آخر العمر. فآمنة بنت الطيب الشرقي الصميلي، التي يحليها المؤلف «بالعالمة»؛ فلم تغادر بيتها لحضور مجالس العلم والحديث والوعظ، ولصلاة الجماعة؛ إلا في آخر عمرها. ورغم ذلك؛ فقد «فُتح عليها في الحفظ والفهم من كثرة الملازمة». وزينب بنت مولاي إدريس الجوطي؛ «كانت تخرج ليلاً مع بنات عمها إلى الحرم الإدريسي للزيارة».

و«العالمة» الثانية: عائشة بنت علي بونافع «كانت تنتقل بالليل كثيراً لتحضر مجالس البخاري ومجالس الوعظ، ولتصلي مع الجماعة». لكن ذلك كان في آخر عمرها، وبعد وفاة زوجها وأولادها وإخوتها.

أما المجذوبة فاطمة بنت خاوة؛ فقد فضلت «الطيران» يومياً إلى مصر للاجتماع بالصلحاء هنالك.

3 ـ من بين هذه القيم كذلك: الإنفاق في سبيل الله بإطعام الطعام ومواساة الفقراء، والقيام بحاجيات المرضى، والصدقة من المال الخاص المحصل عليه من «الغزل والخياطة»... حتى المجذوبات اللائي كن يعشن من الصدقات؛ كن يؤثرن الآخرين على أنفسهن. بل يحكى عن آمنة بنت ابن القاضي أنها آثرت كلب سيدها على نفسها، كما كانت صفية لبادة تقتسم طعامها مع الكلاب الضالة التي كانت تتبعها أينما حلَّت.

هذا بالإضافة إلى القيم الأخلاقية والروحية الأخرى التي يدعو إليها الصوفية؛ مثل:

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

- الصبر على الأذى، وأمام الموت، والصبر على الألم.
- الانقباض عن الخلق بالسكوت أو التقليل من الكلام، أو الانعزال، أو جلب الملامة.
- التعبد بالصلاة والصوم والذكر.
- والبكاء خوفاً وتضرعاً وطلباً للتوبة.

أما الكرامات، أو «معجزات الأولياء»؛ فهي ما نعبر عنها كذلك بالبركة!.

وبالطبع فإن هذه الكرامات لا تُنال إلا بالمجاهدة؛ مجاهدة الجسم قبل مجاهدة النفس. فالجسم يلعب هنا دوراً رئيسياً؛ إذ النور الإلـٰهي، أو النور المحمدي، يؤثر أول ما يؤثر في جسم السالك أو السالكة، كما أن المجاهدة النفسية والروحية تبدأ بالتحكم في الجسم وتربيته بعدم تلبية حاجياته وعدم الاكتراث به وجلب الملامة عليه (التجرد من اللباس، الصوم، قيام الليل، السكوت، الصبر على الألم، البكاء حتى العمى، الحزن، الانقباض عن الخلق، والخلوة...) وهذه التمرينات وغيرها مارستها مترجمات «**السلوة**».

3 ـ السؤال الثالث: ما هي الأشكال التي اتخذتها هذه الكرامات؟:

إنها كرامات «متداولة» لكنها تتكيف مع النساء ومع البيئة الحضرية التي تنتجها.

ففاطمة (حجامة) تطير في الهواء وتطوي المسافات، لتخدم الصلحاء والأشياخ بتوفيرها لمأكلهم، وتنظيف ملبسهم، ومداواة جروحهم.

وآمنة بنت أحمد ابن القاضي تخرج من السلاسل التي تكبلها ومن الغرفة التي سجنت بها استجابة لنداء شيخها الذي كانت تخدمه وتلازمه في حله وترحاله.

وعائشة بنت شقرون الفخار (والدة أحمد معن وزوجة سيدي محمد معن) «كانت لها برمة صغيرة تطبخ فيها ويأكل منها أهل الدار والأضياف إن أتوا، لا تزيد على مقدارها، ولا تبدلها بغيرها، وتتناول ذلك بيدها، ولا تدع من يناوله معها، فيكفيهم ذلك كائنين من كانوا».

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» Printed on [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100]

وصفية بنت محمد معن؛ دعت على رجل تجرأ فنظر إليها وهي في صحن دارها؛ فأصيب بالعمى في الحال!.

وكثيرات هن الصالحات اللائي كنّ «السبب في صلاح أزواجهن» أو أبنائهن أو إخوانهن، حسب صاحب «**السلوة**».

هذا بالإضافة إلى الكرامات والمناقب الأخرى التي يجتمع فيها الأولياء والصلحاء، الذكور والإناث، مثل: الإخبار بالمغيبات، والنطق بالإشارات.

فالكرامات هي بدورها تلونت بلون المجتمع المغربي، وبوضعية المرأة ودورها فيه حسب تصور الطبقة العالمة والنخبة الحضرية.

لكن تُصرّ المجذوبات على خلق المفاجأة، والانفلات من «القالب». فكثيرات هن الصالحات المجذوبات اللائي يتآلف فيهن الجنون والعقل تحت فعل الحب الإلـٰهي، فيكون ظاهر تصرفاتهن وأقوالهن أقرب إلى الجنون. وعلى كل حال؛ مخالف ومناقض للمتعارف عليه. لكن المجتمع المغربي الحضري استطاع أن يحتويهن، ويؤطر استقلالهن ضمن النسق الصوفي كأشخاص ذوي قدرات خارقة للاتصال بعالم الروحانيات. ولنا في آمنة السَّاگمة وصفية لبّادة ومنّانة البستيونية خير مثال على هؤلاء «المجنونات ـ العاقلات»، اللائي وجدن مكانهن اللائق في فهارس كبار العلماء «كأشياخ بركة».

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

Black plate (289,1)

«سلوة الأنفاس» كمصدر لكتابة تاريخ المغرب

أ. د. أحمد الأزمي[1]:

تمهيد

إن المطلع بإمعان على مضامين كتاب «سلوة الأنفاس» في أجزائه الثلاثة الصادرة أخيراً عن دار الثقافة ـ الدار البيضاء[2] يكتشف مدى أهمية هذا المصدر في المساهمة في كتابة تاريخ المغرب الاجتماعي والاقتصادي والديني، الروحي منه على وجه الخصوص، لما يتضمنه من معطيات تهم المجتمع في تفاعله مع واقعه الديني والاجتماعي والسياسي عبر عدة قرون، ناهيك عن أهمية هذه المعطيات في الفترة التي عاشها وعاصرها المؤلف؛ وهي: النصف الثاني من القرن 19، والربع الأول من القرن العشرين.

ورغم أن سيدي محمد بن جعفر الكتاني، ينتمي إلى جيل من العلماء انصب اهتمامهم في دراستهم بالأساس على التعمق في الشريعة الإسلامية وما يرتبط بها من أصول الفقه والدين، وباقي العلوم الإسلامية، معتمدين في ذلك على الحفظ والذاكرة، ومراعاة الكم دون الكيف، دون منهج محدد كما يرى البعض، فإن المطلع على «السلوة»، يدرك دون صعوبة أن المؤلف، وظف في تأليفه منهجاً علمياً لا يقل أهمية عن المناهج التي وظفت في مختلف الدراسات والمؤلفات خلال القرن العشرين، تعلق الأمر في ذلك بالمناهج المادية أو المثالية!.

---

(1) أستاذ التعاليم العالي، كلية الآداب، جامعة محمد بن عبد الله، فاس.

(2) صدر سنة 2004م.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

ومما يؤكد هذا القول، بخصوص الجانب التاريخي الذي اخترت البحث فيه: أن فقيهنا محمد بن جعفر الكتاني وظف في التأريخ لتراجمه وما يتصل بها من أحداث اجتماعية وسياسية وكوارث طبيعية، منهجاً موفقاً جمع بين عدة معطيات من حيث التوثيق، يمكن إجمالها في:

- المصادر المكتوبة.
- الوثائق الخاصة.
- البحث الميداني.
- الرواية الشفوية.

وقبل التطرق للجانب التاريخي في كتاب «السلوة»؛ أرى من المفيد التعريف بمؤلفها ولو باقتضاب.

I ـ التعريف بمؤلف السلوة: محمد بن جعفر الكتاني (ت1927م):

1 ـ النشأة والدراسة:

ولد الفقيه العلامة محمد بن جعفر الكتاني عام (1275هـ/ 1858 ـ 1859م)[1] بدار جده بعقبة ابن صوال من مدينة فاس[2]. ورباه أبوه تربية حسنة في جو مفعم بالعلم والعمل، ومحبة الله والرسول وآل البيت الأكرمين، باعتبار أن والده جعفر بن إدريس الكتاني المولود بفاس عام (1246هـ/ 1830م)، كان عالماً وفقيهاً **مالكياً، درس مجموعة من العلوم الإسلامية بجامعة القرويين على عدة علماء؛ من بينهم**[3]:

(1) ليفي بروفنسال، «مؤرخو الشرفاء»، تعريب عبد القادر الخلادي، الرباط 1977م، ص270.

(2) محمد بن جعفر الكتاني، «النبذة اليسيرة النافعة، التي هي لأستار جملة من أحوال الشعبة الكتانية رافعة»، مخطوط الخزانة العامة، الرباط رقم 1846 د، ص212.

(3) لمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع يمكن الرجوع إلى:
ـ «النبذة اليسيرة»، م. س، ص212 وما بعدها.
ـ محمد بن مخلوف، «شجرة النور الزكية في طبقات المالكية»، دار الفكر للطباعة والنشر (د. ت)، ص436. =

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» Printed on [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100]

- محمد بن حمدون ابن الحاج (ت1274هـ/ 1858م).
- محمد الطالب ابن سودة وأخوه المهدي (ت1294هـ/ 1877م).
- أبو بكر بن الطيب بن كيران (ت1267هـ/ 1850م).
- أحمد المرنيسي (ت1277هـ/ 1861م).

وغيرهم من العلماء.

ومما يدل على علو كعب جعفر بن إدريس الكتاني في شتى العلوم التي كانت تُلقى برحاب جامعة القرويين؛ أخذ كثير من العلماء عنه، في مقدمتهم: ولده محمد مؤلف «السلوة»، وعبد الحي الكتاني، صاحب «فهرس الفهارس»، ومحمد بن الحسن الحجوي[1]، بالإضافة إلى تآليفه المتعددة مثل:

- «الرياض الريانية في الشعبة الكتانية».
- «الشرب المحتضر، والسر المنتظر، من معين بعض أهل القرن الثالث عشر».
- «الدواهي المدهية للفرق المحمية»[2].

ومما لا شك فيه أن هذا المؤلف الأخير «الدواهي...»، يدل على حس وطني مرهف، وغيرة على مقدسات البلاد وقيمها، وخوف من أن يؤدي التعامل مع الأوروبيين والاختلاط بهم، إلى التفريط في حضارتنا وهويتنا، مما يمكن أن يؤدي إلى الكارثة، وهي وقوع البلاد تحت النفوذ الأجنبي المسيحي، باعتبار أن كتاب: «الدواهي المدهية للفرق المحمية» أُلف لإبراز مساوئ الحمايات وأضرارها، وهي الحمايات التي ساهمت بقدر كبير في تجريد المغرب من كل هيبة وسيادة تمهيداً لاحتلاله، وهو الخطر نفسه الذي سيدعو لصده ابنه محمد من خلال كتابه «نصيحة أهل الإسلام» كما سيأتي.

= ـ عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، «فهرس الفهارس والأثبات»، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1982م، ج1، ص515 وما بعدها.

(1) علي علام، «النسق الفكري والاجتماعي لنخبة سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس ممن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس»، بحث لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ، نوقش بكلية آداب ظهر المهراز، فاس خلال سنة 2002م، ص45 وما بعدها.

(2) نفسه.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

ومن العلماء والفقهاء والشيوخ الذين أخذ عنهم محمد بن جعفر الكتاني، علاوة على والده، يمكن ذكر[1]:

- الشيخ الصوفي مولاي عبد الملك بن محمد العلوي السجلماسي؛ درس عليه مختصر خليل، وأجازه في مجموعة من العلوم، وفي الطريقة التجانية.
- الشيخ الصوفي أبو عبد الله محمد الشاهد بن الحسن اليوبي الحسني؛ أخذ عليه القرآن في البداية.
- الشيخ إدريس بن قاسم الحجوي؛ وهو آخر من حفظ وجمع على يده القرآن.
- الفقيه أحمد بن الطالب ابن سودة المري؛ أخذ عليه فرائض مختصر خليل، وحصل منه على إجازة عامة.
- الشريف مولاي عبد الله بن إدريس البكراوي؛ قرأ عليه مختصر خليل بشرحي الخرشي والزرقاني وحاشية البناني.
- المحدث أبو الحسن علي بن ظاهر الوتري المدني؛ لما حلَّ بفاس عام (1297هـ/ 1880م). وهو عمدته في الرواية والحديث، كما أجازه إجازة عامة، لفظاً وكتابة.
- الفقيه محمد المدني بن علي بن جلون الگومي؛ درس عليه مختصر خليل بشروحه وحواشيه.

وبعدما حفظ الفقيه محمد بن جعفر الكتاني أهم متون العلم؛ شرع في حضور مجالسه، فأخذ أولاً عن أبيه جعفر، واستفاد منه في دروس النحو واللغة، والفقه والحديث، والأصول... وغيرها، ثم عن الشيخ أحمد بن أحمد بناني؛ الذي قرأ عليه الحديث والمصطلح والأصول، وعلم المعاني، وسرد عليه أول «الموطأ» وشمائل الترمذي، وأجازه بها وبغيرها.

(1) نفسه.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

كما أخذ النحو عن الفقيه النحوي عبد الهادي الصقلي، وحضر مجلس الفقيه محمد گنون في صحيح البخاري بزاوية سيدي قاسم بن رحمون. وعن أحمد الزگاري الحسني؛ تلقى شرح ابن عباد على الحكم العطائية بجامع الأبارين من فاس، وحصل فيها على إجازة.

وخلال سنة (1321هـ/ 1903م)، انتهز محمد بن جعفر الكتاني فرصة رحلته إلى الحجاز، لاستكمال معرفته وخبرته، فلقي جماعة من العلماء، أخذ عنهم بعض العلوم؛ مثل الشيخ حبيب الرحمٰن الهندي المدني، وأحمد بن إسماعيل البرزنجي، والشيخ حسين بن محمد بن حسين الحبشي الباعلوي، والشيخ عبد الله القدومي النابلسي... وغيرهم.

كما أخذ بالشام ومصر عن مجموعة من العلماء[1].

2 ـ أهم الوظائف والمناصب التي شغلها:

أبرز وظيفة شغلها محمد بن جعفر الكتاني هي: الأستاذية. فقد ولج مهنة التدريس منذ نعومة أظفاره، بجامع القرويين وفي غيره من المدارس والمنابر العلمية، بتوجيه ودعم من والده الذي كان يحضر دروسه لهذه الغاية. وواصل هذه المهمة لما يربو عن ثلاثين سنة، إلى أن شدَّ الرحال إلى المشرق في رحلته الأولى. أما المتون والمواضيع التي كان يدرّسها؛ فهي متعددة، ويمكن ذكر بعض منها[2]:

- التوحيد.
- علم الأصول.
- علم المعاني والبيان.
- علم المنطق.
- التصوف.

(1) عبد الحي الكتاني، «فهرس الفهارس والأثبات»، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1982م، ج2، ص556.

(2) علي علام، م، س، ص49 ـ 50.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

3 ـ مؤلفاته:

أ ـ في الحديث:

1 ـ «الرسالة المختصرة فيما لا يسع المحدث جهله من كتب السُّنَّة المطهرة».

2 ـ «الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السُّنَّة المشرفة»، طبعت ست مرات بدمشق وبيروت. وكان تأليفها باقتراح من السلطان مولاي عبد الحفيظ.

ب ـ في التفسير:

1 ـ تفسير قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾ الآية.

2 ـ جواب عن آية: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾.

ج ـ في الفقه:

1 ـ «سلوك السبيل الواضح، لبيان أن القبض في الصلوات كلها مشهور وراجح».

2 ـ «نصرة ذوي العرفان، فيما أحدثوه لذكر الهيللة جماعة من الطبوع والألحان».

3 ـ «رفع الالتباس، ببيان ما للعلماء الأكياس، في مسألة الحرير التي وقع الخوض فيها بين الناس».

د ـ في التصوف:

1 ـ «جلاء القلوب من الأصداء الغينية، ببيان إحاطته ﷺ بالعلوم الكونية»، في مجلدين كبيرين.

2 ـ رسالة في الختم المحمدي.

3 ـ شرح على أبيات للشيخ العارف بالله الحاج المفضل البقالي في طريقة خاصة الخاصة.

هـ ـ في موضوعات مختلفة:

1 ـ «نصيحة أهل الإسلام»، طبع بفاس طبعة حجرية عام (1326هـ/ 1908م)،

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

ثم صدر عن مطبعة النجاح الجديدة بالدار البيضاء سنة (1489هـ/ 1989م).

2 ـ «شفاء الأسقام والآلام، بما يكفر ما تقدم وما تأخر من الذنوب والآثام»، القاهرة (1917م).

4 ـ موقفه من الضغوط الأجنبية على المغرب:

رغم اهتمامات محمد بن جعفر الكتاني العلمية؛ فإن حالة المغرب التي كانت تسير من سيء إلى أسوأ لم تكن لتغيب عنه، بسبب تنافس الدول الأوروبية على المغرب، وشروع فرنسا في احتلال أجزاء منه، في عدة جهات من البلاد، وذلك بعد أن اتضح ضعف المغرب، واستحالة أية نهضة له في الأفق، على إثر هزائم إسلي (1844م)، وتطوان (1859 ـ 1860م)، والاتفاقيات المهينة في بنودها مع كل من بريطانيا وإسبانيا وفرنسا، وما رافق ذلك من إذلال جراء الحمايات القنصلية والقروض المفروضة، ونتائج مقررات مؤتمر الجزيرة الخضراء التي قصمت ظهر المغرب بشكل نهائي.

لعلَّ هذا الوضع الداخلي الميؤوس منه؛ هو الذي حمل مؤلف «السلوة» على الهجرة إلى بلاد الحجاز فراراً بدينه، من جهة، وتأليف كتاب: «نصيحة أهل الإسلام» من جهة ثانية.

وبخصوص موضوع الهجرة؛ يذكر الدكتور إدريس الكتاني، في تقديمه لكتاب «نصيحة أهل الإسلام»، أنه: لما هاجت عواصف فاجعة الاحتلال؛ نادى محمد بن جعفر الكتاني في القادرين، حاثّاً إياهم على الهجرة ومغادرة البلاد فراراً بدينهم وحريتهم؛ فهاجر الناس أفواجاً، حتى أصبحت المدينة المنورة صورة من مدينة فاس؛ من كثرة من هاجر إليها من أصحاب الصنائع[1].

وكانت هجرة مؤلف «السلوة» إلى الديار المقدسة خلال سنة (1325هـ/ 1907م)، خوفاً من استيلاء العدو على فاس. ولما علم ببيعة

(1) محمد بن جعفر الكتاني، «نصيحة أهل الإسلام»، م. س، ص10.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

سلطان جديد (مولاي عبد الحفيظ)، ينتظر منه العمل على صد العدو، وخلع السلطان مولاي عبد العزيز؛ عاد لمدينة فاس سنة (1326هـ/ 1908م). ويبدو أن نسخة من كتاب «نصيحة أهل الإسلام»[1] وصلت إلى فاس قبل عودة مؤلفها إليها، على يد بعض الفضلاء المغاربة ممن لهم غيرة على البلاد؛ لما يتضمنه هذا الكتاب من أفكار تهدف إلى استنهاض الهمم، وإثارة الانتباه للخطر الداهم الذي يهدد المسلمين عامة، والمغاربة منهم خاصة، على يد المسيحيين، باعتبار أن كتاب «نصيحة أهل الإسلام» يقدم دراسة إسلامية علمية اجتماعية، لشرح أسباب وعوامل سقوط «جسم الدولة الإسلامية»، من خلال الأوضاع التي أدت إلى احتلال المغرب، بعد اثني عشر قرناً من السيادة المطلقة، والاستقلال الكامل.

كما يتعرض نفس الكتاب لتقديم التفسير الإسلامي لتخلف المجتمع الإسلامي، ويشرح الشروط التي يجب توفرها لترميم الخلل والعطب الذي أصابه، وإعادة بناء قوته المعنوية والمادية، وإحياء شخصيته الإسلامية الثقافية والأخلاقية[2].

ونظراً لأهمية هذا الكتاب؛ فإن محمد بن جعفر الكتاني كان قد سلم منه نسخة خاصة للسلطان مولاي عبد العزيز[3] آملاً أن يعمل بما جاء فيه لإنقاذ البلاد مما يتهددها، غير أن تزاحم الأحداث واشتداد التكالب الأوروبي على المغرب عصف بكل شيء، مما فرض على مؤلف «السلوة» الهجرة إلى الحجاز سنة (1325هـ)، كما سبقت الإشارة إلى ذلك.

وصلت «نصيحة أهل الإسلام» إذن من بلاد الحجاز إلى فاس، حيث تم طبعها يوم (20 شعبان 1326هـ/ 17 شتنبر 1908م)؛ أي: بعد شهور من بيعة

(1) تجدر الإشارة إلى أن المؤلف حرر كتاب «نصيحة أهل الإسلام» قبل هجرته إلى بلاد الحجاز عام (1325هـ). انظر: «نصيحة أهل الإسلام»، م. س، ص28.
(2) محمد بن جعفر الكتاني، «نصيحة أهل الإسلام»...، م. س، ص53 وما بعدها.
(3) نفسه، ص28.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

Black plate (297,1)

المولى عبد الحفيظ[1]. وكان الغرض من طبع هذا الكتاب؛ هو: استفادة السلطان الجديد وحكومته وشعبه منها!.

عاد محمد بن جعفر الكتاني إلى المغرب خلال سنة (1326هـ/ 1908م)، معلقاً آمالاً كبيرة على وصول السلطان المولى عبد الحفيظ إلى الحكم من أجل الوقوف في وجه الزحف الأوروبي، لكن لما خاب أمله؛ قفل راجعاً إلى بلاد الحجاز بصفة نهائية، صحبة عائلته، قاصداً المدينة المنورة في سنة (1328هـ/ 1910م). ومكث هناك يلقي الدروس والمحاضرات، التي وجدت إقبالاً منقطع النظير؛ لعلوِّ كعبه في مختلف العلوم الإسلامية.

ومما لا شك فيه أن سمعة محمد بن جعفر الكتاني كعلامة في التفسير والفقه، واللغة والتصوف؛ اخترقت الآفاق الإسلامية. ومما يؤكد هذا القول: العناية الكبيرة التي أحيط بها من قبل الحكام العثمانيين لما شدَّ الرحيل إلى الشام سنة (1918م) رفقة عائلته، بعد أن ساءت الأحوال بالمدينة المنورة أثناء الحرب العالمية الأولى[2].

وعاد المؤلف إلى مدينة فاس خلال سنة (1345هـ/ 1926م) حيث خصص له استقبال كبير[3]. واستأنف نشاطه العلمي بالقرويين. وكانت وفاته بنفس المدينة يوم (16 رمضان عام 1345هـ/ 19 مارس 1927م)[4].

II ـ منهج مؤلف «السلوة» في جمع وتدوين الأخبار:

بعد قراءتي لكتاب «السلوة» في أجزائها الثلاثة؛ تبيَّن لي أنها تشتمل على مادة تاريخية بالغة الأهمية، وذلك بالمفهوم الشامل للتاريخ، وأقصد

(1) نفسه، ص11.
(2) «فهرس سلوة الأنفاس»، الخزانة العامة، الرباط 1966م، مقدمة الفهرسة لمحمد الناصر الكتاني، ص9.
(3) محمد بن جعفر الكتاني، «نصيحة أهل الإسلام»، م. س، ص17.
(4) محمد حجي، «موسوعة أعلام المغرب»، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1996م، ج8، ص2964.

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

بذلك: التاريخ السياسي، والتاريخ الاقتصادي والاجتماعي، والتاريخ الديني والروحي، وتاريخ الذهنيات. وهذا ما يؤكد ما صار معروفاً منذ وقت غير قصير أن: كتب التراجم تعتبر مصدراً لا يستهان به في كتابة التاريخ الاجتماعي على الخصوص، الذي يشكو من نقص كبير في كتب التاريخ والأدب العامة التي تهتم أساساً بقيام الدول وسقوطها وما رافق ذلك من حروب وثورات وتمردات.

إن الموجود من المادة التاريخية في كتب التراجم له قدر من المصداقية يبعث على الاطمئنان، ذلك أن مؤلفيها، كما يقول ليفي بروفنسال: «أقرب إلى الصدق والاعتدال من الإخباريين؛ لأنهم لم يكونوا مدفوعين بحافز الحصول على هبات من الأسر الحاكمة، أو صلات من الشخصيات البارزة التي يؤرخون لها، اللَّهُمَّ إلا إذا كانوا من نفس الأسرة التي يصفون أحوالها، أو من أقرباء المترجم له أو من أصحابه»[1].

أما المنهج الذي سلكه مؤلف «السلوة» في جمع الأخبار التي ضمنها كتابه؛ فهو: منهج سليم في تصوري، ينم عن إدراك جيد لأهمية التاريخ وخطورته، كما تتضح وجاهة هذا المنهج في توظيفه لمصادر متنوعة، تعامل معها بصرامة المؤرخ في الأخذ والاقتباس، والمناقشة والنقد والاستنتاج.

ومما يزيد من أهمية المعطيات التاريخية في كتاب «السلوة»: أن المؤلف أرَّخ لوقائع جديدة عاصرها وكان شاهد عيان عليها، علاوة على الأحداث والقضايا التي استقاها من مصادر أخرى، والتي يفصح عن عناوينها وأسمائها في ثنايا كتابه. فما هو إذن مفهوم التاريخ عند محمد بن جعفر الكتاني؟، وما هي المصادر التي اعتمد عليها والطريقة التي اقتبس بها؟.

1 ـ مفهوم التاريخ عند مؤلف «السلوة»:

تطرَّق محمد بن جعفر الكتاني في الجزء الأول من كتابه لأهمية التاريخ

(1) ليفي بروفنسال، مؤرخو الشرفاء، تعريب عبد القادر الخلادي، الرباط 1977م، ص54.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

وخطورته، وضرورة أخذ الحيطة والحذر عندما يكون المؤرخ بصدد التأريخ لظاهرة من الظواهر، أو لحدث من الأحداث، كما نبَّه إلى أهمية تدوين المعلومات التاريخية قبل ضياعها. ويظهر حذر المؤلف من قوله بأن المؤرخين «ينقلون الصحيح والسقيم، وربما ينسبون الولد إلى العقيم، ويأتون من الأخبار بما لا رأس له ولا ذنب، وما هو إلا موقع في الزلل والعطب. وما زال العلماء النقاد والجهابذة الأمجاد يتحرون من أنقالهم الفظيعة، وينبهون عليها في كتبهم الرفيعة، بياناً لخطئهم في ذلك، ونصحاً للأمة لئلا يقعوا في شيء من تلك المهاوي والمهالك...»[1].

فلماذا إذن هذه الحيطة والحذر؟؛ لأنه إذا شاعت وذاعت مثل هذه الأكاذيب؛ «يظن السامع صحتها؛ لتكررها على ذهنه الغافل، فيتسارع عند ذلك أهل الأخبار لتسطيرها في كتبهم، ونقلها في تواريخهم، ثم بعد ذلك يقلد فيها بعضهم بعضاً، ويجدها غيرهم مسطورة...»[2].

ولتعزيز رأيه؛ أورد فقيهنا شهادات غيره ممن سبقوه في الموضوع، مثل التاج السبكي في كتابه «معيد النعم ومبيد النقم»، الذي تضمَّن نقداً لاذعاً للمؤرخين، ومضمون هذا النقد هو: «المؤرخون على شفا جرف هار؛ لأنهم يتسلطون على أعراض الناس، وربما نالوا من أناس تعصباً أو جهلاً، أو اعتماداً على نقل من لا يوثق به (...) أو غيرها من الأسباب، فعلى المؤرخ أن يتقي الله...»[3].

كما نقل مؤلف «السلوة» عن الحافظ ابن حجر قوله: «الذي يتصدى لكتابة التاريخ ويقصد ضبط الوقائع؛ يلزمه التحري في النقل، فلا يخرج إلا بما يتحققه، ولا يكتفي بالنقل الشائع، ولا سيما إذا ترتب على ذلك مفسدة من الطعن في حق أحد من أهل العلم والصلاح...»[4].

---

(1) محمد بن جعفر الكتاني، «سلوة الأنفاس، ومحادثة الأكياس، بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس»، دار الثقافة، الدار البيضاء 2004م، ص93.

(2) نفسه.

(3) نفسه، ص94.

(4) نفسه.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

ومساهمة منه في تدوين تاريخ يقترب من الحقيقة ما أمكن، ويلتزم الموضوعية، عملاً بالتوجهات السابق ذكرها؛ نجد المؤرخ يصرح بصدد تأليف «السلوة» وما تضمنته من أخبار: «... وتركت كثيراً ممن اشتملت عليه الدور والبساتين والرحاب، لما عرض لي في بعضهم من الخلاف المفضي إلى الوهم والشك والارتياب...»[1]. إلى أن يقول: «... وتحريت في الصواب جهدي وغايتي، واستعملت من التثبت ما يمكن بحسب وسعي وطاقتي، وما وقفت عليه من حسن ذكرته، ومن سوء طويته وسترته؛ لأن لحوم العلماء ـ كما قال الإمام الحافظ أبو القاسم ابن عساكر وغيره ـ مسمومة (...)، على أن العصمة لغير الأنبياء محال، ومن غلب كمالُه على نقصه؛ فهو من الرجال...»[2].

هذه إذن هي بعض الشهادات من شهادات أخرى مسطورة في كتاب «السلوة»، تشهد على وعي المؤلف الكبير بأهمية التاريخ وضرورة التحري في تدوين أخباره وأحداثه.

لكن؛ لماذا ألَّف علامتُنا «السلوة»؟.

الجواب هو: الخوف من ضياع أخبار نخبة من العلماء والصلحاء ممن أقبروا بمدينة فاس، كما ضاعت أخبار غيرهم، ولما لاحظه من إهمال لمقابرهم وأضرحتهم، وحمل المسؤولية في ذلك للحكام والمحكومين، كما هو واضح من هذا النص: «... ثم إنك إذا تأملت اليوم؛ وجدت كثيراً ممن عرف به[3] من أهل المقابر والروضات اندرست أضرحتهم وضاعت، من قلة الدين وعدم المبالاة، مع أنه كان يتعين على جميع الناس، لا سيما الملوك والحكام، حفظها ورصدها، ودفع أهل الفساد والزيغ عنها، وإصلاح ما انهدم منها من بناء ونحوه؛ لأن ذلك من تعظيم الحرمات: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾»[4].

---

(1) نفسه، ص10. (2) نفسه، ص11.

(3) الكلام عن مدشر الجائزة من قبيلة سريف، انظر: 76 من الجزء الأول من «السلوة».

(4) محمد بن جعفر الكتاني، «سلوة الأنفاس»، م. س، ص7.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

Black plate (301,1)

ومن العوامل الأخرى التي حثَّت المؤلف على التأريخ للعلماء والأولياء، والفوائد المترتبة عن ذلك[1]:

- معرفة مناقبهم وأحوالهم للتأدب بآدابهم.
- أنهم هداتنا وأئمتنا.
- بيان بعض مصنفاتهم.
- أن بذكرهم ـ فأحرى بنشر مزاياهم ـ تتنزل الرحمات الإلٰهية، وتنتشر على القلوب مواهب الفضل الإحسانية.

غير أن السبب الرئيسي وراء تأليف هذا الكتاب ـ حسبما يبدو ـ هو: قلة من كتب في الموضوع؛ مثل:

1 ـ أحمد ابن القاضي (ت1025هـ) في «جذوة الاقتباس».

2 ـ محمد بن عيشون (ت1109هـ) في «الروض العطر الأنفاس، بأخبار الصالحين من أهل فاس».

3 ـ سيدي محمد المدرَّع الأندلسي الفاسي (ت1147هـ)، له نظم في صالحي مدينة فاس.

4 ـ إسماعيل ابن الأحمر؛ نزيل فاس (ت807هـ)، له تأليف في أعيان مدينة فاس وأهلها، ذكره في «الجذوة»، ولم يقف عليه مؤلف «السلوة».

5 ـ الشيخ أبو زيد: له قصيدة تائية في صلحاء فاس عارض بها سينية ابن بادس في أهل بغداد، ذكرت في جمله تآليفه، لكن مؤلف «السلوة» لم يقف عليها.

6 ـ الإمام أبو العباس المقري؛ مؤلف «نفح الطيب»؛ له كتاب سماه: «روضة الآس، العاطرة الأنفاس، في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس»، أشار له في «نفح الطيب». لكن محمد بن جعفر الكتاني لم يقف عليه.

(1) محمد بن جعفر الكتاني، «سلوة الأنفاس»، م. س، ص9.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

وسلك مؤلف «السلوة» في التأريخ لتراجمه ترتيباً ينم عن ذكاء ومقاربة لا تخلو من ابتكار، إذا ما قورن هذا العمل «السلوة» بكتب الحوليات، مع ما صاحب ذلك من صرامة في اقتباس النصوص، بعد تمحيصها ومقابلتها ونقدها، وترجيح الأقرب إلى الحقيقة منها.

أما الترتيب الذي سلكه المؤلف في التأريخ لعلماء وصلحاء فاس؛ فيقول عنه: «... وذكرت أولاً من بداخل المدينة والسور، ثم انتقلت لمن حولهم من أرباب الروضات التي بالمدينة تدور، ورتبتهم في الذكر على حسب الرحاب والبقاع والأمكنة، من غير مراعاة تقدم أو تأخر في الأعصار والأزمنة».

2 ـ مصادر مؤلف «السلوة» والطريقة التي اقتبس بها:

مصادر «السلوة» متنوعة، لكن أهمها ينحصر في المصادر المكتوبة والآثار الشاهدة للعيان، والرواية الشفوية والزيارات الميدانية.

أ ـ المصادر المكتوبة: يتعدى عددها مائة وأربعين كتاباً كما نقرأ ذلك في نهاية الجزء الثالث من هذا التأليف. وتتضمن بشكل عام:

* كتب الطبقات: مثل «الطبقات الكبرى» لعبد الوهاب الشعراني، و«بغية الرواة في طبقات اللغويين والنحاة» لجلال الدين السيوطي.

* كتب التراجم والمناقب؛ مثل:

- ابن عيشون الشراط (1109هـ/ 1698م) في كتابه: «التنبيه، على من لم يقع به من أهل فاس تنويه»، وفي الكتاب المنسوب إليه تحت عنوان: «الروض العطر الأنفاس، بأخبار الصالحين من أهل فاس».
- أحمد ابن القاضي (ت1025هـ/ 1616م)، في كتابه: «جذوة الاقتباس، فيمن حلَّ من الأعلام مدينة فاس».
- محمد بن الطيب القادري (ت1187هـ/ 1773م)؛ في كتابه: «نشر المثاني، لأهل القرن الحادي عشر والثاني».

* الفهارس؛ وهي كثيرة، نذكر منها:

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

- فهرسة يحيى السراج (ت805هـ/ 1402م).
- فهرسة محمد الفاسي (ت1134هـ/ 1792م).
- فهرسة الشيخ المنجور (ت995هـ/ 1587م).
- فهرسة محمد التاودي ابن سودة (ت1209هـ/ 1795م).

* كتب الحوليات والتاريخ العامة؛ ومن بينها:

- علي بن أبي زرع الفاسي (ت726هـ/ 1326م)، في «الأنيس المطرب بروض القرطاس».
- عبد الرحمٰن بن خلدون (ت808هـ/ 1405م) في: «العبر وديوان المبتدأ والخبر».
- أحمد المقري (ت1041هـ/ 1631م) في كتابه: «نفح الطيب».
- أحمد بن خالد الناصري (ت1315هـ/ 1897م).

واعتمد المؤلف على كتب الفقه والحديث، وكتب الرحلات، لكن بعدد أقل مقارنة مع الأنواع الأخرى من المصادر المكتوبة. كما استغل ضمن هذا النوع من المصادر مجموعة من التقاييد والظهائر والرسوم العدلية. وفيما يلي بعض الأمثلة على ذلك:

- وفي بعض تقاييد الشيخ المسناوي بخطه ما نصه[1].
- ورأيت في بعض الرسوم تحليته بالشريف الحسني بالتكبير[2].
- ورأيت في بعض المقيدات المقيدة في صلحاء فاس[3].
- وفي بعض التقاييد بخط بعض الفضلاء ما نصه...[4].
- وجدته محلى في ظهير سلطاني مؤرخ بالسادس من شعبان عام (1002هـ)[5].
- وقد رأيت برسم بيد شرفائنا[6].

(1) محمد بن جعفر الكتاني، «سلوة الأنفاس...»، م. س، ص، ج1، ص82.
(2) نفسه، ص104.
(3) نفسه، ص239.
(4) نفسه، ص347.
(5) نفسه، ج2، ص8.
(6) نفسه، ص186.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

- ورأيت بخط بعض الثقاة من الأعلام الأثبات ما نصه...[1].

ب ـ الرواية الشفوية والزيارات الميدانية:

1 ـ الرواية الشفوية: وظف المؤلف الرواية الشفوية كمصدر في جمع معلوماته، ويدل على ذلك العبارات الآتية:

- وأخبرني بعض الثقات[2].
- بلغني عن بعض علماء العصر أنه[3].
- وأخبرني سيدنا الوالد[4].
- ويروى عن بعض شرفاء أهل سجلماسة...[5].

2 ـ الزيارات الميدانية: طاف المؤلف في كل جهات المدينة، داخل السور وخارجه، للوقوف على بعض الأضرحة والمقابر التي يؤرخ لرجالاتها. ويتضمن كتاب «السلوة» من العبارات والأخبار ما يفيد ذلك؛ مثل:

- وقد رأيت مكتوباً بخزانة كانت قبل هذه الأزمان عند رأس ضريحه[6].
- وقد رأيت عند رأسه بضريحه كتابة في خشبة نصها...[7].
- قلت: وهو الذي عن يسار الطريق المارة لباب الفتوح[8]، الطالعة من ناحية سيدي إسحاق الذي بحومة مصمودة.
- حسبما نقش بجدار مدفنه بالكغادين[9].
- أدركتُه، ورأيته، وزرته[10].
- وقد رأيتُ مكتوباً في خزانة من خشب في روضته، في الحائط الموالي لرجليه ما نصه...[11].

---

(1) نفسه، ج3، ص166.
(2) نفسه، ج1، ص190.
(3) نفسه، ص245.
(4) نفسه، ج3، ص28.
(5) نفسه، ص238.
(6) نفسه، ج1، ص115.
(7) نفسه، ص164.
(8) نفسه، ج2، ص51.
(9) نفسه، ص88.
(10) نفسه، ج3، ص167.
(11) نفسه، ص117.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

3 ـ الطريقة التي وظف بها مصادره:

إنَّ المُطَّلع على كتاب «السلوة»، خصوصاً من ذوي الاهتمام بالحقل التاريخي، يدرك بسهولة الجهد الذي بذله المؤلف في تحري الصرامة والموضوعية والأمانة العلمية بخصوص التعامل مع مصادره والأخذ عنها، ودليلنا في ذلك: رجوعه إلى أكثر من مصدر بالنسبة للخبر الواحد، أو ترجمة من التراجم، تعلق الأمر في ذلك بالعصور السابقة أو اللاحقة التي يعاصرها ويشاهد أحداثها، مناقشاً، ومستنتجاً ومصححاً. وبما أنه يصعب القيام بجرد كل الأمثلة التي تشهد على حسن استغلالها لمصادره، لضخامة العمل؛ فإننا سنقتصر على تقديم بعض الأمثلة فقط؛ مثل:

- والتي لغيره من غير ما واحد من المعتمدين المؤرخين أنه...[1].
- وقال الشيخ العلامة الصوفي، الولي الصالح العارف؛ أبو الحسن علي بن ميمون الحسني المغربي المالكي، في تأليف له استطرد فيه الكلام عن فاس[2].
- ذكر صاحب «دوحة الناشر»...[3].
- وفي تأليف بعضهم في مناقب الشيخ[4].
- ومن خط بعضهم ما نصه...[5].
- وممن ترجم له (الشيخ مَعْن)، أبو العباس الوَلالي في «مباحث الأنوار»، وصاحب «الصفوة والنشر»، و«التقاط الدرر»، و«الزهر الباسم»، ولم يترجمه في «الروض»؛ لأنه كان حياً في وقته[6].
- ورأيت في «النشر»[7].
- قال القاضي عياض[8].

---

(1) نفسه، ج1، ص72.
(2) نفسه، ص76.
(3) نفسه، ص76.
(4) نفسه، ص84.
(5) نفسه، ج2، ص129.
(6) نفسه، ص329.
(7) نفسه، ج3، ص243.
(8) نفسه، ص248.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

- ذكر في «تحفة أهل الصديقية»[1].

لم يكن سيدي محمد بن جعفر الكتاني، وهو يقابل المصادر، وينتقد بعض ما ورد فيها، يتردد في التحفظ حول بعض القضايا أو تصحيح بعض الأخطاء في كثير من المناسبات. وهذه بعض الأمثلة على ذلك:

1 ـ السيدة زينب بنت مولاي إدريس بن علي الجوطي: يذكر المؤلف أن ضريح هذه السيدة يوجد بحانوت بالحرم الإدريسي، وهي المقابلة لدار القيطون، والناس يتبركون بها إلى الآن، إلا أنهم يسمونها بللا كنزة، حتى توهم بسبب ذلك بعض من لا خبرة له بالتاريخ والأنساب من جهلة العوام والنساء، أنها هي السيدة كنزة أم مولانا إدريس باني فاس[2].

2 ـ سيدي فرَج: المحل الذي يكون به مرضى العقول، وهو مشهور بجوار سوق العطارين وسوق الحناء، ويسمى بالمارستان، والعامة تُعبر عنه بسيدي فرج، وتظن أن هناك ضريحاً لأحد من الأولياء يسمى بهذا الاسم، وليس لذلك أصل يُعول عليه، ولا يُعرف لأحد هناك ذكر ولا قبر[3].

3 ـ باب الشريعة: وبه تعلم أن ما يزعمه كثير من الناس من أنه (باب الشريعة)، إنما سمي باب المحروق من أجل حرق لسان الدين ابن الخطيب التلمساني، حين أخرج من قبره ليلة الغد من يوم دفنه، باطل![4].

وغير هذه الأمثلة كثير في ثنايا الأجزاء الثلاثة. ومما يدل على موضوعية المؤلف وأمانته العلمية، قوله:

- **لإسماعيل ابن الأحمر نزيل فاس تأليف في «أعيان مدينة فاس وأهلها»... لم أقف عليه[5].**
- وللإمام أبي العباس المقري مؤلف «نفح الطيب» كتاب سماه: «روضة الآس، العاطرة الأنفاس، في ذكر من لقيتُ من أعلام الحضرتين مراكش

(1) نفسه، ص260.
(2) نفسه، ج1، ص102.
(3) نفسه، ص238.
(4) نفسه، ج2، ص229.
(5) نفسه، ج1، ص9.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

وفاس»، أشار له في «نفح الطيب» ولم أقف عليه[1].

- لم أقف على تاريخ وفاته[2].
- لم أعثر له على ذكر ولا على ترجمة، وبعض الناس يتوهم فيه أنه...[3].

غير أن ما يثير الانتباه عند تتبع النصوص الواردة في «السلوة»؛ أن الشيخ محمد بن جعفر الكتاني، لا يتحفظ أحياناً حول بعض القضايا ولا ينتقدها، بل يسكت إزاءها ويسلم بها تسليماً، خصوصاً تلك التي لها علاقة بالقداسة والتصوف عموماً، أو الأمور التي لا دراية له بها من الناحية العلمية، وهذه بعض الأمثلة على ذلك:

1 ـ حديث: «ستكون بالمغرب مدينة يقال لها: فاس».

يذكر مؤلف «السلوة» نقلاً عن صاحب «دوحة البستان»، أنه: ورد في فضلها (فاس) حديث وُجد ـ على ما قيل ـ في كتاب دراس بن إسماعيل بخطه، عن أبي هريرة مرفوعاً: «**ستكون بالمغرب مدينة يقال لها: فاس؛ أقوم أهل المغرب قبلة، وأكثرهم صلاة، أهلها قائمون على الحق، لا يضرهم من خالفهم...**»[4].

2 ـ الزلازل وأسبابها:

يذكر مؤلف «السلوة»، عن كتاب «الأسرار» للعارف سيدي عبد الرحمٰن بن محمد الشامي[5]، بعض الأوجه لوقوع الزلازل؛ منها:

- إذا مات أحد من أوتاد الأرض الأربعة، فإنه يتزلزل ربع الدنيا[6] الذي له فيه التصرف فقط، وذلك عند خروج روحه، لكن زلزلته لطيفة.
- إذا خزنت الأرض الريح ثم دفعته دفعة واحدة؛ فإن البقعة الرافعة له تتزلزل زلزلة شديدة[7].

---

(1) نفسه، ص9.
(2) نفسه، ج3، ص240.
(3) نفسه، ج3، ص260.
(4) نفسه، ج1، ص77.
(5) المتوفى في النصف الثاني من القرن الثاني عشر الهجري، حسب ما ورد في كتاب «السلوة»، م. س، ج3، ص24.
(6) نفسه، ج3، ص25.
(7) نفسه.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

أن عروق الجبل مائتان إلا واحداً، مجموعة في جبل قاف من ناحية الجوف، وملك الجبال موكل بتلك العروق، فإذا أراد الله ﷻ أن يزلزل أرضاً؛ أمر بهز عرق الجبل الذي هو متصل بتلك الأرض، فيهزه، فيتزلزل هو وتلك الأرض، وهي أيضاً شديدة ولكنها مختصة بذلك الجبل وأرضه[1].

ومما يزكي مسألة تسليم المؤلف ببعض الأمور تبعاً لقناعاته: قضية وجود نعلي الرسول ﷺ بدار الشرفاء الطاهريين بحومة الجزيرة، كما هو وارد في الجزء الأول من «السلوة»[2]. فرغم أن فقيهنا أورد كثيراً من النصوص التي تتحدث عن ذلك بالتصديق أو بالتشكيك؛ فإنه خلص في النهاية إلى القول: إن صمود نعلي الرسول قروناً طويلة، دون فناء، ممكن؛ «لأن الله تعالى، حرَّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء، ولا يبعد أن ينسحب ذلك أيضاً على بعض ما حلَّ بأجسادهم الكريمة من النعال وشبهها، معجزة لهم...»[3].

موضوع آخر لم يناقشه المؤلف، وسلم به كحقيقة، ويتعلق بما أورده من كون «جمجمة رأس المؤرخ أبي القاسم الزياني من القرع؛ لأنه ـ كما يقول ـ ضرب عليها بسيف، فطارت، فجعلوا له مكانها طرفاً من القرع، فطلع عليه اللحم وعاش، ولذلك كان لا يكشف رأسه[4]».

III ـ أهم القضايا التاريخية الواردة في «السلوة»:

إن المطلع بإمعان على مضامين «السلوة» المعرفية، يدرك بدون عناء أنها تشتمل على قدر غير قليل من المعطيات التاريخية، في شتى المجالات؛ منها: الديني الروحي، والسياسي، والاقتصادي، والاجتماعي. ورغم أن عنوان الكتاب ينص على فاس، كموضوع أساسي لاهتمامات المؤلف، فإن بعض الاستطرادات، وتقاطع بعض القضايا والمواضيع وتشعبها، جعلت من «السلوة» مصدراً لا يستهان به لكتاب بعض جوانب تاريخ المغرب في علاقته مع بلدان المشرق العربي، علاوة على التأريخ لمدينة فاس.

---

(1) نفسه.
(2) نفسه، ج7، ص391.
(3) نفسه، ص394.
(4) نفسه، ج1، ص296.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

وإذا كان من الصعب الإحاطة بكل الجوانب التاريخية الواردة في «السلوة»، في صفحات معدودة، نظراً لضخامة محتويات هذا العمل؛ فإننا سنقتصر على تقديم بعض الأمثلة فقط، مع لفت الانتباه إلى أنه يمكن التمييز في هذا الكتاب بين معلومات تاريخية اقتبسها المؤلف من مصادر بعينها، ويمكن لأي باحث الحصول عليها، وبين أخرى تعب شيخنا في الحصول عليها؛ لندرة مصادرها وصعوبة الوصول إلى مظانها، أو رصدها، وأرَّخ لها لأول مرة بصفته معاصراً لها، أو شاهد عيان عليها.

1 ـ أحداث سياسية في الوسيط والحديث والمعاصر:

أ ـ في الوسيط: بما أن المؤلف يؤرخ لرجالات كان لهم تأثير في الزمان والمكان، فمن الطبيعي أن تكون لبعضهم علاقات بالحكام والمحكومين، مع ما يرافق ذلك من معاصرتهم لأحداث ووقائع سياسية واقتصادية واجتماعية. ويمكن إجمال هذه الأحداث والوقائع في النقط الآتية:

- تاريخ نشأة دولة الأدارسة إلى وفاة إدريس الثاني، والروايات المختلفة حول سبب وفاته[1].
- إشارات حول قدوم القاضي عياض إلى مدينة فاس، وفرار لسان الدين ابن الخطيب من الأندلس إلى فاس ومقتله بها[2].
- اختلاف الروايات حول فرار يعقوب المنصور إلى المشرق[3].
- إشارات حول أواخر الدولتين المرينية والوطاسية[4]، ومتاعبهم في صد العدو المسيحي.
- إشارات حول بناء باب المحروق وفاس الجديد[5].

(1) نفسه، ج1، ص71 وما بعدها.
(2) نفسه، ج1، ص161 ـ 162. ثم ج3، ص230 إلى 235.
(3) نفسه، ج3، ص267 إلى 271.
(4) نفسه، ج3، ص203 إلى 207.
(5) نفسه، ج3، ص203 وما بعدها، ثم ص229 وما بعدها.

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

ب ـ في الحديث والمعاصر: ويمكن إجمال أهم أحداث هذه الفترة كالآتي:

- معركة وادي المخازن واستيلاء النصارى على العرائش[1].
- إشارات حول عناية المولى رشيد بالعلماء، وبنائه لعدة منشآت بفاس على الخصوص[2]، كما ركز المؤلف على أعمال عدة سلاطين علويين آخرين؛ أهمهم: المولى إسماعيل والمولى سليمان[3]، ومولاي عبد الرحمٰن، ومولاي الحسن، والمولى عبد العزيز[4].

2 ـ التأريخ لرجالات الشرف والعلم والصلاح:

إن المعلومات التاريخية الأكثر حضوراً في «السلوة»؛ هي المرتبطة بالرجالات الذين لهم ارتباط بالنسب الشريف، أو عرفوا بعلمهم وصلاحهم، أو جمعوا بين الشرف والعلم والولاية. ومما يؤكد هذا القول: أن حوالي 60 صفحة من الجزء الأول من هذا العمل، أفردها المؤلف لإبراز أهمية التبرك بذكر الصالحين والعلماء العاملين[5]، وذكر بعض فوائد الزيارة وفضائلها[6]، وآداب زيارة القبور والأضرحة[7].

وبما أن المولى إدريس الأول، والمولى إدريس الثاني، يعتبران من ذرية الرسول ﷺ، وبناء مدينة فاس من إنجاز المولى إدريس الأنور؛ فإن أول شخصية استهل كتابه بها من الناحية التاريخية؛ هي: شخصية مؤسس هذه المدينة. وسواء تعلق الأمر بالمدينة أو بمؤسسها؛ فإن المؤلف وظف ترسانة من المصادر، لتوثيق الظروف التي وصل فيها إدريس الأول إلى المغرب، والسياق التاريخي الذي ولد فيه إدريس الثاني وشب واشتد عوده، إلى أن أخذ له مولاي راشد البيعة على جميع قبائل المغرب[8]، وصولاً إلى تأسيسه لمدينة

(1) نفسه، ج3، ص279 إلى 281.
(2) نفسه، ج3، ص98 ـ 99.
(3) نفسه، ج3، ص283 إلى 285.
(4) نفسه، ج3، ص286 ـ 287.
(5) نفسه، ج1، ص12.
(6) نفسه، ص16.
(7) نفسه، ص32.
(8) نفسه، ص73.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

فاس التي وقف المؤلف كثيراً عندها لإبراز فضائلها، التي ورد في شأنها حديث شريف كما يقول[1].

ولما كان الشيخ أبو الحسن الشاذلي يجمع بين الشرف والعلم والولاية؛ فإن فقيهنا أقحمه ضمن تراجم حفدة إدريس الثاني باعتبار الشاذلي ينتهي نسبه إلى هذا الأخير[2]، حسب نفس المصدر.

وبشكل عام، وتبعاً لقراءة أولية قمت بها لكل أجزاء «السلوة»، حاولت من خلالها استخراج الأسر الأكثر حضوراً في تراجم المؤلف، وكذا المشاهير من رجالات العلم والسياسة والولاية والصلاح، وهي محاولة أولية، تقريبية لا أدعي الضبط والقول الفصل فيها، وجاءت المعطيات كالآتي:

أ ـ الأسر حسب ترتيبها في «السلوة» من حيث عدد الرجالات والصفحات المخصصة لهم:

لا بد من لفت الانتباه هنا إلى أن المؤلف يسهب القول ويختصر في ترجمة من التراجم حسب أهمية الشخصية التي يعرف بها. كما يلاحظ أن بعض الأسر والبيوتات ورد ذكرها في جزء واحد، وأخرى في جزأين، وثالثة توزعت على الأجزاء الثلاثة، وهذا أمر عادي؛ لتعدد المشاهير والرجالات في أسرة من الأسر، أو لقلتها في أخرى[3]، وقد جاء هذا الترتيب على الشكل الآتي:

1 ـ أسرة الفاسي الفهري: احتلت هذه الرتبة لكثرة المشاهير والرجالات المنتمية لهذه الأسرة، علما وولاية وصلاحاً. وتراجمها واردة في الجزأين الأول والثاني على وجه الخصوص. ومن الشخصيات التي توسع المؤلف في

(1) نفسه، ص77. لم يشر الباحث أن المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ صرح بعدم صحة هذا الحديث. المحققان.

(2) نفسه، ص86.

(3) مما لا يخفى أن المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ رتب كتابه على الأماكن وذكر من دُفن بها، فتوزيع التراجم على الأجزاء إنما هو متعلق بدفن أولئك الأعلام في أماكن مختلفة، ولا علاقة له بأهمية البيت العلمي أو عدم أهميته. المحققان.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

الحديث عنها: شيخ الإسلام سيدي عبد القادر الفاسي الفهري[1] (ت1091هـ)، وسيدي عبد الرحمٰن الفاسي الفهري (ت1036هـ)[2]، وسيدي يوسف بن محمد الفاسي الفهري (ت1013هـ)[3].

2 ـ أسرة الكتاني: وهي الأسرة التي ينتمي إليها مؤلف «السلوة» نفسه. وهي أسرة شرف وعلم وولاية وصلاح. وجاءت تراجمها موزعة بين الجزأين الأول والثاني من الكتاب، ومن رجالات الأسرة الذين أسهب القول في شأنهم: الإمام العارف الشريف مولاي الطيب الكتاني (ت1253هـ)[4].

3 ـ أسرة العراقي: وهي ـ أيضاً ـ من الأسر ذات النسب الشريف، التي برز من بينها مشاهير في العلم والولاية والصلاح. وقد توزعت تراجمهم بين الأجزاء الثلاثة. ومن الذين نالوا اهتمام المؤلف: الإمام الحافظ الشريف أبو العلاء إدريس بن محمد العراقي (ت1183هـ).

4 ـ أسرة القادريين: ترجم لهم المؤلف في الجزأين الثاني والثالث على الخصوص، وهي ـ أيضاً ـ تنتمي للنسب الشريف، ولها حضور في مجالات العلم والولاية والصلاح، وممن توسع المؤلف في الترجمة لهم: المؤرخ النسابة الشريف سيدي العربي بن الطيب القادري[5] (ت1106هـ).

5 ـ أسرة آل معن: ترجم لهم المؤلف في الجزء الثاني من «السلوة»، وهم مشهورون في مدينة فاس منذ القرن 17م على الخصوص، في مجال العلم والولاية والصلاح. وقد أسهب المؤلف القول في الترجمة للشيخ المربي الإمام سيدي محمد بن محمد بن عبد الله مَعْن[6] (ت1062هـ)، وللعارف المربي سيدي أحمد بن محمد بن عبد الله معن[7] (ت1120هـ).

6 ـ آل الدباغ: بيت شرف وعلم وولاية، وقد ترجم لهم صاحب

---

(1) محمد بن جعفر الكتاني، «سلوة الأنفاس»، م. س، ج1، ص351 إلى 355.
(2) نفسه، ج2، ص341 إلى 345.
(3) نفسه، ص345 إلى 348.
(4) نفسه، ج2، ص274 إلى 283.
(5) نفسه، ج2، ص389 إلى 393.
(6) نفسه، ج2، ص322 إلى 325.
(7) نفسه، ص25 إلى 329.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

«السلوة» في الأجزاء الثلاثة من الكتاب. وبما أن الإمام العارف الشريف سيدي عبد العزيز بن مسعود الدباغ (ت1131هـ)، سارت بذكره الركبان في الولاية والصلاح؛ فإن المؤلف اعتنى بترجمته عناية خاصة، امتدت على عدة صفحات[1].

7 ـ أسرة الدلائيين: وردت تراجم هذه الأسرة في الجزأين الثاني والثالث على وجه الخصوص، ونظراً لحضورهم المشهور في العلم والولاية والصلاح، في فترة من أسوأ فترات تاريخ المغرب؛ فإن المؤلف أرَّخ لعدد من رجالاتهم، من بينهم: الإمام سيدي محمد بن محمد بن عبد الرحمٰن الدلائي[2] (ت1088هـ)، ثم الإمام النحوي سيدي محمد المرابط بن محمد الدلائي[3] (ت1089هـ).

8 ـ أسرة البنانيين: وردت تراجمهم في الجزء الأول بشكل خاص، ويذكر عنهم المؤلف بروزهم في العلم والتصوف، وممن فصل القول في التعريف بهم: الإمام سيدي محمد بن عبد السلام بناني[4] (ت1163هـ)، والإمام الفقيه سيدي محمد بن الحسن البناني[5] (ت1194هـ).

ويلي هذه الأسر من حيث الحضور في «السلوة» أسر أخرى مثل:

- آل المشنزائي؛ في الجزء الثاني على الخصوص.
- آل المنالي الزبادي؛ في الجزء الثاني.
- آل الأنفاسي؛ في الجزء الثالث.
- آل ابن الحاج السُّلمي؛ في الجزء الأول.

ب ـ تراجم خاصة:

1 ـ رجالات العلم والولاية والصلاح:

يلاحظ القارئ لكتاب «السلوة» أن المؤلف تعامل مع التراجم بحسب

(1) نفسه، ج2، ص222 إلى 228.
(2) نفسه، ص10 إلى ص13.
(3) نفسه، ص101 إلى ص103.
(4) نفسه، ج1، ص156 ـ 157.
(5) نفسه، ص174 إلى 177.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

أهمية كل عالم أو شيخ، فبسط القول في البعض، واختصر في البعض الآخر، ولذلك عمدت إلى ترتيب هذه الثلة من الرجالات حسب الأهمية المذكورة، وإن كانوا كلهم من ذوي الفضل والشرف والعلم والصلاح.

- الإمام العارف سيدي محمد بن عباد الرندي (ت792هـ)[1].
- الإمام سيدي أبو بكر بن العربي المعافري (ت543هـ)[2].
- العارف الشريف سيدي علي أبي غالب الصاريوي (ت801هـ)[3].
- الإمام المربي سيدي أحمد الشاوي (ت1014هـ)[4].
- الإمام العارف الشريف سيدي عبد العزيز بن مسعود الدباغ (ت1131هـ)[5].
- ذو الوزارتين سيدي محمد ابن الخطيب السلماني (لسان الدين) (ت776هـ)[6].
- شيخ الإسلام سيدي عبد القادر الفاسي الفهري (ت1091هـ)[7].
- الإمام العارف سيدي عبد الرحمٰن بن محمد الفاسي الفهري (ت1036هـ)[8].
- الإمام العارف أحمد اليمني (ت1113هـ)[9].
- الإمام القطب الشريف مولاي أحمد الصقلي (ت1232هـ)[10].
- العارف المربي الإمام سيدي أحمد بن محمد بن عبد الله معن (ت1120هـ)[11].

---

(1) نفسه، ج2، ص149 إلى 159.
(2) نفسه، ج3، ص244 إلى 251.
(3) نفسه، ج2، ص21 إلى 28.
(4) نفسه، ج1، ص309 إلى 315.
(5) نفسه، ج2، ص222 إلى 228.
(6) نفسه، ج3، ص230 إلى 235.
(7) نفسه، ج1، ص351 إلى 355.
(8) نفسه، ج2، ص341 إلى 345.
(9) نفسه، ج2، ص377 إلى 381.
(10) نفسه، ج1، ص141 إلى 145.
(11) نفسه، ج2، ص325 إلى 329.

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

- **الشيخ المربي الإمام سيدي مَحمد بن مَحمد بن عبد الله بن معن** (ت1062هـ)[1].
- الإمام العارف الشريف مولاي أحمد بن محمد التجاني (ت1230هـ)[2].
- شيخ الشيوخ سيدي يوسف بن محمد الفاسي الفهري (ت1013هـ)[3].
- الإمام الحافظ سيدي دراس بن إسماعيل (ت357هـ)[4].
- الإمام العارف المربي سيدي علي بن إسماعيل بن حرزهم (ت560هـ)[5].
- الإمام أبو يعزى الهزميري (ت572هـ)[6].
- شيخ الجماعة سيدي عبد الواحد ابن عاشر الأنصاري (ت1040هـ)[7].
- الشيخ المربي سيدي أحمد ابن عاشر السلوي (ت765هـ)[8].

2 ـ أخبار بعض السلاطين:

لم يفرد مؤلف «السلوة» للسلاطين المغاربة تراجم مفصلة كما فعل مع العلماء والصلحاء، إنما أتى ذكرهم بشكل عرضي، وهذا أمر طبيعي، مع ملاحظة أن السلاطين العلويين فصّل في شأنهم القول إلى حد ما. ومما يلفت الانتباه في هذا الموضوع، أن جل السلاطين ورد ذكرهم في الجزء الثالث من «السلوة»؛ ومن بينهم:

- السلطان أبو فارس عبد العزيز المريني، وسلاطين مرينيون آخرون[9].
- السلطان أحمد المنصور السعدي، وقد بسط القول في شأنه إلى حد ما[10].

وبما أن المؤلف عاصر بعض ملوك الدولة العلوية؛ فإنه أولى عناية ملحوظة للترجمة لبعضهم مثل:

- السلطان المولى إسماعيل (ت1139هـ)[11].

---

(1) نفسه، ج2، ص322 إلى 325.
(2) نفسه، ج1، ص196 إلى 199.
(3) نفسه، ج2، ص345 إلى 348.
(4) نفسه، ج2، ص197 إلى 200.
(5) نفسه، ج3، ص90 إلى 94.
(6) نفسه، ج1، ص186 إلى 188.
(7) نفسه، ج2، ص310 ـ 312.
(8) نفسه، ص313 ـ 314.
(9) نفسه، ج3، ص204.
(10) نفسه، ج3، ص279 إلى 281.
(11) نفسه، ج3، ص283 ـ 284.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

- السلطان سيدي محمد بن عبد الله العلوي (ت1204هـ)[1].
- السلطان مولاي سليمان (ت1238هـ)[2].
- السلطان مولاي عبد الرحمٰن بن هشام (ت1276هـ)[3].
- السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمٰن (ت1290هـ)[4].
- السلطان مولاي الحسن (ت1311هـ)[5].
- السلطان مولاي عبد العزيز[6].

وبما أن المؤلف كان معاصراً للسلطان مولاي عبد العزيز؛ فإنه لم يذكر تاريخ وفاته.

3 ـ جوانب من التاريخ الاجتماعي:

إن الإشارات ذات الصلة بالمجتمع في عمله وهمومه ومشاكله ومعاناته كثيرة ومفيدة وقيِّمة، لكنها تنقصها التفاصيل. ويمكن حصر الجوانب الاجتماعية المثارة في «السلوة» بشكل عام، في النقط الآتية:

أ ـ المجاعات والأوبئة: لا يخامر المطَّلع على مضامين «السلوة» أن المجتمع المغربي كان عرضة للبؤس والمرض والموت بشكل فظيع في العديد من فتراته التاريخية، ومما يؤكد هذا القول: كثرة المجاعات والأوبئة والطواعين التي كانت تفتك بالبلاد والعباد. فبعد أن قمنا بجرد سريع لعدد المجاعات والأوبئة، من خلال قراءتنا للكتاب، حصلنا على المعطيات الآتية[7]:

---

(1) نفسه، ج3، ص284 ـ 285.
(2) نفسه، ج3، ص285 ـ 288.
(3) نفسه، ج3، ص286.
(4) نفسه، ج3، ص286 ـ 287.
(5) نفسه، ج3، ص287.
(6) نفسه، ج3، ص288.
(7) نحيل على بعضها لأنها كثيرة جداً:
ج1، ص106 ـ 112 ـ 125 ـ 175 ـ 202 ـ 244.
ج2، ص3 ـ 45 ـ 124 ـ 208 ـ 239 ـ 257 ـ 363.
ج3، ص44 ـ 110 ـ 178 ـ 179 ـ 275.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» Printed on [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100]

خلال القرن 11هـ: 12 مجاعة ووباء.

خلال القرن 12هـ: 12 مجاعة ووباء.

خلال القرن 13هـ: 11 مجاعة ووباء.

خلال القرن 10هـ: 3 مجاعات وأوبئة.

خلال القرن 9هـ: مجاعة واحدة.

خلال القرن 8هـ: مجاعة واحدة ووباء.

خلال القرن 7هـ: مجاعة واحدة ووباء.

ولعلَّ سبب قلة الجوائح والمجاعات ما بين القرن السابع والقرن العاشر الهجريين مرَدَّه إلى قلة تراجم «السلوة» خلال هاته القرون.

ب ـ الحرف والمهن: إذا استثنينا البهاليل والمجاذيب؛ فإن جل أسماء الأعلام الواردة في «السلوة»، من علماء وصلحاء، كانت لهم مهن وحرف، مع استثناء موظفي الدولة في مختلف أسلاكها الذين كانت لهم وظائف. وأهم المهن التي ورد ذكرها **في هذا الكتاب**[1]:

- التجارة، من بيع الدقيق والأثواب، والعطور وغير ذلك.
- الدباغة، وقد تردد ذكرها كحرفة بكثرة.
- الحياكة.
- العمل في الأجنة والحقول المحيطة بالمدينة.
- صناعة الدلاء وخياطتها بالدلائيين.
- بيع الجواهر والمرجان.
- نسخ وبيع الكتب.
- الخياطة.

(1) وهذه بعض الإحالات فقط:
ج1، ص104 ـ 111 ـ 135 ـ 158 ـ 171 ـ 222 ـ 247 ـ 308 ـ 346.
ج2، ص25 ـ 119 ـ 170 ـ 309 ـ 326.
ج3، ص29 ـ 34 ـ 35 ـ 52 ـ 139 ـ 166.

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

- نسج الكتان.
- بيع الخضر.
- بيع الحطب.
- صناعة الحرير والتجارة فيه.
- الخرازة.
- العمل في الفران.
- بيع القلنسوات.
- معالجة الجراح.
- بيع الكرازي.
- غراسة دوالي العنب.
- تربية النحل وبيع العسل.

4 ـ قضايا تاريخية أخرى واردة في «السلوة»:

من القضايا التاريخية المهمة الواردة في «السلوة» والتي تحتاج إلى المزيد من الدراسة وتسليط الأضواء:

- رجالات مغاربة دفنوا بالبقيع، مما يؤكد أهمية العلاقات والروابط بين المغرب والمشرق الإسلاميين.
- كثرة المغاربة من علماء وصلحاء وشرفاء، ممن ترجم لهم صاحب «السلوة»، الذين شدُّوا الرحال إلى بلاد الحجاز لأداء الفريضة والالتقاء بعلماء تلك البلدان وشيوخها، خصوصاً في الشام ومصر، قبل عودتهم إلى المغرب، مما يجعل من هذا الكتاب مصدراً للتأريخ لبعض جوانب هذه العلاقات.
- كثرة الوفيات بدون عقب.
- موضوع النساء الصالحات الذي يستحق دراسة خاصة، والذي خصص له المؤلف حيزاً مهماً من كتابه.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

- كثرة العلوم التي كانت تدرس بالقرويين، والتي تستحق أن تفرد لها دراسة خاصة.
- كثرة المصادر التي اعتمد عليها المؤلف والتي لم يعد لها أي وجود، مما يستدعي البحث عن سبب اختفائها، وبذل المساعي للكشف أو الإفراج عن بعضها.
- الجانب الطوبونيمي في «السلوة» له أهميته كذلك، وقد حان الوقت للاهتمام به[1].

كانت هذه بعض القضايا التاريخية الواردة في كتاب «سلوة الأنفاس»، والتي تبرز بشكل واضح ما يمكن أن تزخر به كتب التراجم من مادة مصدرية تهم الباحثين والدارسين في تاريخ المغرب وعلم الاجتماع والأنتروبولوجيا... وغيرها من العلوم.

(1) وقد أفرد الأستاذ الدكتور عبد الإله بن مليح بحثاً في الموضوع بعنوان: أماكنية مدينة فاس من خلال كتاب «سلوة الأنفاس..»، منشور ضمن هذا المجلد. المحققان.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

الشيخ محمد بن جعفر الكتاني في كتابات علماء طنجة وتطوان

د. بدر العمراني الطنجي[1]:

من المعلوم سلفاً أن شخصية الشيخ محمد بن جعفر الكتاني رحمه الله تعالى قد حظيت باحترام وتقدير في الأوساط الثقافية بسبب دروسه العلمية والتربوية التي خرجت تلامذة أوفياء، يعرفون حقوق الشيخ في دنيا العلم والمعرفة، وفق الآداب المتعارف عليها.

ومن ذلك: ما حظي به الشيخ من طرف علماء شمال المغرب المتمثلين في مدينتي طنجة وتطوان، ولأجل إبراز هذا الأمر بجلاء، وبنوع من التقريب والوفاء، حاولت تتبعه في كتابات أبرز علماء المدينتين المذكورتين، مع ذكر الأمثلة والشواهد.

مدينة طنجة:

وأذكر على الخصوص علماء آل ابن الصديق؛ للوشائج التي كانت تربط بين الأسرتين:

1 ـ عميد الأسرة: الشيخ محمد بن الصديق الغماري (ت1354هـ)، وهو تلميذ للشيخ محمد بن جعفر، يقول ولده الشيخ أحمد في كتابه «التصور والتصديق بأخبار الشيخ محمد بن الصديق»: حضر عليه مختصر خليل قراءة بحث وتحقيق بشرحي الخرشي والزرقاني معاً، وسمع عليه موطأ مالك،

(1) أستاذ باحث في الدراسات الإسلامية، رئيس مركز الدراسات بطنجة، التابع للرابطة المحمدية للعلماء.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

وبعض صحيح مسلم، وقرأ عليه ـ أيضاً ـ جل «الخلاصة» بشرح المكودي، ومقدمة «جمع الجوامع» لابن السبكي...[1].

وكان يجلّه ويقدّره، ولأجل ذلك زاره في بيروت سنة (1345هـ). وكانت بينهما مكاتبات مستمرة.

2 ـ الشيخ أحمد ابن الصديق (ت1380هـ): وهو ـ أيضاً ـ تلميذ مجل للشيخ محمد بن جعفر، ولإجلاله ذكره في فهرسته بالمرتبة الثانية بعد والده، وحلاه بقوله: «الإمام المحدث، الفقيه الصوفي، العارف بالله». وترجم له ترجمة طويلة استغرقت ثمان ورقات، مما قال فيها: «وكان رضي الله عنه إماماً، عالماً، عارفاً، زاهداً، ورعاً، ناسكاً، خاشعاً، متواضعاً، محباً في العلم وأهله؛ سيما علم السُّنَّة، عظيم العناية به، صارفاً جل أوقاته في خدمته مطالعة وكتابة، ومذاكرة وتدريساً وتصنيفاً، عاملاً بالسُّنَّة في نفسه وأهله وعياله، مقدماً لها في الكثير على أقوال أهل مذهبه».

«إلا أنه لم تكن عنده الجرأة الكافية والشجاعة اللازمة لنبذ التقليد بالكلية؛ بل كان هيَّاباً للعلماء، وقّافاً عند ما وجدوه وأسَّسوه، لا يجترئ على مخالفتهم في شيء إلا ما وجد فيه مستنداً وسلفاً منهم يعتمد عليه؛ بل كان عنده ميل شديد إلى مذهب مالك، واعتقاد لأفضليته، مع إعظامه واحترامه سائر المذاهب، واشتغاله بها، وجمعه لكتبها، واعتنائه بمطالعتها».

«بحراً في التصوف وأخبار العلماء والأولياء والصلحاء، يحفظ من كراماتهم وأحوالهم ما يملأ به المجالس، ويعمر به الأوقات الطويلة، شديد التواضع، حسن الأخلاق، لين الجانب مع الكبير والصغير، معظماً للزائرين له، مكرماً لهم، كثير البر بهم، وربما خدمهم بنفسه، سمح الكف، عظيم الجود، مطعماً للطعام، لا يخلو بيته من الضيوف، حسن الظن، كثير الاعتقاد، لا يتهم أحداً في دعوى على أي حالة كان، ويقول: إن العبد يُسأل يوم القيامة عن سوء ظنه بالعباد لا حسن ظنه بهم!».

---

(1) «التصور والتصديق» 26.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

«ولوعاً بزيارة الأولياء، دائم الطواف على الأحياء منهم والأموات، يشد الرِّحَل البعيدة لزيارتهم، تقياً نقياً، ورعاً شديد الشكيمة في الدين، لا يعرف لهواً ولا مزاحاً ولا تساهلاً في أمر الله، تعتريه حدة وغضب إذا رأى ما يخل بالمروءة والدين، منور الوجه، ذا سمت حسن، ولين في الكلام، يكثر الأنين والتأوه والتفكر، له أذكار كثيرة، يذكرها حضراً وسفراً».

«طريقته الأصلية شاذلية درقاوية؛ أخذها عن جماعة... وهي عمدته، وطريق أسلافه[1] كما شافهني به، ولكنه كان يتبرك بالجميع؛ فأخذ الطريقة العلوية، والخلوتية، والنقشبندية، والناصرية، والسعدية، والريسونية، والوزانية، والصادقية، والكرزازية... والتجانية، ثم تاب إلى الله من هذه الأخيرة؛ لأنه لا أصل لها[2]، وأخذ طرقاً خاصة عن رجال أخذوها عن النبي ﷺ من أهل المشرق والمغرب، وذكر أذكارهم، وأخذ علم الأسماء والأوفاق عن جماعة...»[3].

واعتنى أيضاً بكتبه؛ فاختصر كتاب «سلوة الأنفاس»، وذيل عليه وسماه: «الاستئناس بتراجم فضلاء فاس»، وسار فيه بنهج رصين، لكنه لم يتم.

وخرج أحاديث «نظم المتناثر» بإشارة من شيخه عمر حمدان المحرسي، في كتاب سماه «الإلمام، بالمتواتر من حديثه عليه الصلاة والسلام»، ولم يتم كذلك.

---

(1) كان والد المؤلف الشيخ جعفر الكتاني كتاني الطريقة، وجده مولاي إدريس بن الطائع حراقي الطريقة، وكان جد والده مولاي الطائع المدعو المسلطن متتلمذاً لأعيان العارفين من شيوخ الكتانيين، وتوفي وهو يقرأ صلاة الفاتح. والله أعلم، فما ذكره الشيخ ابن صديق غير محرر، ونسبته للمترجم تخالف ما دوَّنه نفسه في «سلوة الأنفاس» وكتابه الواسع عن الأسرة الكتانية المسمى «النبذة اليسيرة النافعة». المحققان.

(2) هذا الكلام لا أصل له، وهو من وضع الشيخ ابن الصديق، بل عاش الإمام المؤلف ومات محترماً ومعظماً للطريقة التجانية ـ كما سائر الطرق ـ وأهلها، وإمامها سيدي أحمد التجاني قدس سره. المحققان.

(3) «البحر العميق» 1/ 88 ـ 90.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

وكتب تعليقات على الكتاب الذائع الصيت «الرسالة المستطرفة، لبيان مشهور كتب السُّنَّة المشرفة»، سماها: «الأمالي المستظرفة، على الرسالة المستطرفة»، طبعت بتحقيقي.

3 ـ الشيخ عبد الله ابن الصديق (ت1413هـ): وهو تلميذ كذلك للشيخ محمد بن جعفر الكتاني، تحدث عنه في كتابه «سبيل التوفيق» فقال: «ورجع إلى فاس بعد غيبة طويلة العلامة المحدث الولي الصالح سيدي محمد بن جعفر الكتاني، فاستقبله أهل فاس استقبالاً شعبياً حافلاً، وأقبلوا على زيارته وتهنئته بسلامة الوصول، وكان يوماً مشهوداً. فزرته، وكنت أزوره في بيته فيجلسني معه على سريره، وإذا حضرت في وقت أكل؛ يجلسني إلى جنبه، ويؤاكلني، وقد يناولني لقمة بيده الكريمة، وكان بينه وبين الإمام الوالد مودة كبيرة، حتى إنه لما توفي في رمضان (1345هـ)، وكنت في طنجة، رأيت مولانا الإمام رضي الله عنه بكى عليه بكاء شديداً، وحزن لفقده حزناً كبيراً، بقي عليه أثره مدة طويلة. وأنا أعتبر من أعظم حسناتي: تشرفي بهذين الإمامين العظيمين، اللذين لم يكن في عصرنا ولا قبله نظير لهما في علمهما وورعهما، وولايتهما وهديهما، رضي الله عنهما ونفعني برضاهما»[1].

4 ـ الشيخ محمد بن العياشي سكيرج (ت1385هـ): وهو ـ أيضاً ـ تلميذ للشيخ محمد بن جعفر الكتاني؛ درس عليه ألفية ابن مالك بشرحي المكودي وابن هشام. وكان يعظمه ويوقره ويبجّله، لدرجة أنه أفرده بالترجمة في كتاب سماه: «نبذة من ترجمة شيخنا العارف الرباني، أبي عبد الله بن جعفر الكتاني»، ذكره ضمن مؤلفاته في ترجمته الذاتية[2]، وذكره ـ أيضاً ـ الشيخ محمد بن الفاطمي ابن الحاج السلمي في كتاب «إسعاف الإخوان الراغبين، بتراجم ثلة من علماء المغرب المعاصرين»[3].

(1) «سبيل التوفيق» 20 ـ 21.
(2) ترجمة الشيخ محمد بن العياشي سكيرج (مصورة عن الأصل الذي بخطه) 26.
(3) «إسعاف الراغبين» 274.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

مدينة تطوان:

ذات الازدهار الثقافي والعلمي الشهير، بلا مبالغة؛ فكل علمائها المعاصرين للشيخ محمد بن جعفر الكتاني، رحلوا إلى فاس وتتلمذوا عليه؛ منهم: شيخ الجماعة محمد الزواق، والشيخ المؤرخ أحمد الرهوني، والفقيه محمد الفرطاخ، والفقيه محمد المرير. سأذكر منهم وفق القيد الذي قيدت به عنوان بحثي، شخصيتين بارزتين في مشهد تطوان الثقافي والعلمي؛ ألا وهما: الفقيهان القاضيان أحمد الرهوني، ومحمد المرير، باعتبار ما خلفاه من كتابات حول هذه الشخصية.

1 ـ الفقيه القاضي أحمد الرهوني (ت1373هـ): تلميذ مخلص للشيخ محمد بن جعفر الكتاني، ولحبه وإجلاله له؛ أفرده بترجمة طويلة[1] في فهرسته التي ختم بها كتابه الفذ «عمدة الراوين، في تاريخ تطاوين»، ومما حلاه به عند فاتحة الترجمة: «ومن أشياخنا وأجلهم: شمس الدين وبدره، وقطب الإسلام وقمره، عالم الشرفاء وشريف العلماء، أحد أفراد الأئمة المجددين، وخاتمة الأعلام المجتهدين، محيي رسوم الزهد والورع بعد اندثارها، وجامع أشتات الفضائل والفواضل بعد انتثارها...»[2].

إلى أن قال مبرزاً خصاله وشمائله: «هذا السيد من الرجال العظام، الذين لا تفي الدفاتر العديدة بترجمتهم؛ لما اجتمع فيه من شرف النسب، وكرم الحسب، والعلم والأدب، والزهد والورع، والمشاركة في جميع العلوم، وتحرير المنطوق منها والمفهوم؛ خصوصاً الحديث، والتصوف، والتوحيد العام والخاص، والفناء في محبة الله ورسوله، وآل بيته الكرام، وأولياء الله العظام».

---

(1) استغرقت 103 صفحة، من 1/ 133 إلى 1/ 237.

(2) كتاب «عمدة الراوين في تاريخ تطاوين»، خاتمة الكتاب في التعريف بالمؤلف، [1/ 133]. تقديم وتحقيق: عائشة حيون، إشراف الدكتور عبد الله المرابط الترغي، أطروحة دكتوراه بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بتطوان، سنة 1424هـ/ 2002م. مرقونة.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

«فهو أويس زمانه، وابن مبارك أوانه، والحسن البصري في عصره، وابن سيرين في دهره، ومالك أقرانه، وشافعي أخدانه، وابن حنبل في أترابه، وأبو حنيفة في أحزابه، والشاذلي في وقته، والجيلاني في قطبانيته. قد جمع الله له بين الإمامة في علمي الباطن والظاهر، وخصَّه من الولاية الكبرى بالسر الباهر، ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾»[1].

وكيف لا يثني عليه هذا الثناء العطر؛ وهو الذي كان مغموراً في بحار إحسانه وفضله لما كان طالباً بفاس، وفي هذا الشأن يقول: «وكان ينوّه بنا في الدرس على رؤوس الطلبة، حتى نغرق في الحياء، وما كنا والله أهلاً لشيء من ذلك، ولكنه فضل الله يوتيه من يشاء ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾... وقد بلغ من تنويه شيخنا المذكور بنا؛ أن قال يوماً على رؤوس الطلبة: يكفيني في مجلسي أن يكون عندي واحد يرضيني ـ وأشار لناحيتي ـ فاستحييت من الله ﷻ»[2].

ولم يكتف بهذا فقط؛ أي: ذكر فضائله، وإشهار خصائله، بل تعدى ذلك إلى الاهتبال بمعارفه وعلومه، تقييداً ومطالعة وتلخيصاً، من ذلك:

- اختصار كتاب «الكشف والبيان، لما يرجع لأحوال المكلفين من عقائد الإيمان»[3].
- اختصار كتاب «نظم المتناثر من الحديث المتواتر»[4].
- اختصار كتاب «شفاء الأسقام والآلام، بما يكفِّر ما تقدم وما تأخر من الذنوب والآثام»[5].
- اختصار كتاب «بلوغ القصد والمرام، ببعض ما تنفر منه الملائكة الكرام»[6].
- تقييد تحريرات وتقريرات دروسه العلمية[7].

---

(1) المرجع السابق 1/ 134.
(2) المرجع السابق 1/ 137.
(3) انظر: المرجع السابق 1/ 165.
(4) انظر: المرجع السابق 1/ 172.
(5) انظر: المرجع السابق 1/ 217.
(6) انظر: المرجع السابق 1/ 220.
(7) انظر: المرجع السابق 1/ 221.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

وكلها مثبتة بآخر ترجمة الشيخ محمد بن جعفر الكتاني من كتاب «عمدة الراوين».

2 ـ الفقيه القاضي محمد المرير (ت1398هـ): تحدث عنه في فهرسته الحافلة المسماة بـ«النعيم المقيم، في ذكرى مدارس العلم، ومجالس التعليم»، فقال: «قرأت على شيخنا، إمام العلماء العارفين، وأوحد أفراد الزهاد الراكعين الساجدين؛ سيدي محمد ابن العلامة سيدي جعفر الكتاني: صدر شفاء القاضي عياض؛ لأن الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ لما تبلبلت البلابل، وتتابعت بالمغرب البلايا وعظمت القلاقل، واشتبكت فيه الآراء واختلط الحابل بالنابل، وأصبح الأجنبي إليه يوطد المنازل، ويضرب المراحل، وأهله ما بين لاه عن ما يراد بهم وغافل. ورأى رَحِمَهُ اللَّهُ تغيُّر الحالة، وأن العدو الصائل سيحتل هذا القطر لا محالة؛ سوّى للارتحال جناحه، وسمح بكل ما يحب من وطن وأهل ومال ومنزل وآثر المشقة على الراحة، وهاجر واستوطن المدينة المنورة».

«وكان شَرّق في سنة 21 ورجع إلى المغرب، ونفسه متشوفة للرجوع إلى الحجاز بقصد هذا الاستيطان، وأثناء هذه المدة؛ كان ترك الدراسة في العلوم الفقهية والنحوية وأتباعها، ووجه وجهته إلى الحديث والسير من كتاب البخاري و«الموطأ»، وأبي داود والترمذي، ومسند الإمام أحمد، و«الشفاء»، وما أشبه ذلك».

«وكنت أحضر درسه في «الشفاء»، قصد التبرك به، والاقتباس من أنواره، وأوثر درسه هذا على الدروس الأصلية لهذا المقصد المحمود، والاستقاء من حوضه العذب المورود، والغالب أن ملحظ الشيخ في هذا هو التعلق بهذا الجناب المحمدي العظيم، واستنزال الألطاف والرحمات، لتفريج هذه الكربات، واستفتاح أبواب الفرج بعد الشدة، واتخاذ ذكره ﷺ في هذه الأحاديث للدفاع عن هذه الأمة عُدة؛ إذ بذكر الصالحين تتنزل الرحمات، فما بالك بسيدهم وإمامهم، وأصل أنوار صلاحهم؟!»[1].

(1) «النعيم المقيم» 4/ 172.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

ثم قال: «وهو... من العلماء العاملين، الذين هم أولياء الله، وهو العالم العامل الذي إن أخذ غيرُه بالأوصاف؛ فهو آخذ بالإنصاف. رحمه الله ورضي الله عنه»[1].

بل صرَّح بأنه هو الذي حبب له علم الحديث، وألهمه إلى تقسيم مراحل أطواره.

وفي الختام؛ أقول بأن ما ذُكر في هذه الأمثلة والشواهد يؤكد ما افتتحتُ به عرضي بداية، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل، والحمد لله ربِّ العالمين، وصلَّى وسلَّم على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

(1) «النعيم المقيم» 4/ 47.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» Printed on [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100]

Black plate (328,1)

سوس وأعلامها في «سلوة الأنفاس»

د. أحمد السعيدي[1]:

توطئة

يبحث هذا المقال عن آثار منطقة سوس العلمية والولوية (نسبة إلى الولاية) في تضاعيف كتاب تراجم فاسي، لعالم معاصر كتاني فاسي؛ هو: الإمام أبو عبد الله محمد بن جعفر الكتاني الحسني. ذلك أن كتاب «سلوة الأنفاس» مهتبل بموضع الإقبار أكثر مما له علاقة بالمحتِد أو الطريقة الصوفية أو غيرهما. فما التصور الجغرافي لسوس في «السلوة»؟، وما صورة المترجمين السوسيين فيه؟، وكيف قوّم صاحب «سلوة الأنفاس» بوصفه عالماً، مبلغَ السوسيين من العلم؟.

مؤرخو فاس وسوس[2]:

يذكر الكتاني في مطلع «السلوة» مصادر تاريخ فاس، مثل «جذوة الاقتباس» لابن القاضي، و«الروض العطر الأنفاس» و«ذيله» لابن عيشون، و«منظومة» المدرّع، و«بيوتات فاس الكبرى» لابن الأحمر، و«روضة الآس» للمقري.. فهل يرد فيها ذكر لسوس؟.

---

(1) أستاذ باحث ـ تارودانت.

(2) انظر قصة تملك السوسيين لتطوان عند الرهوني في «عمدة الراوين في تاريخ تطاوين»: (1: 172 ـ 173)، يقول: «ومن أغرب ما يذكر: أن السوسيين تملكوا هذه البلدة وحكموا فيها وطردوا البرتغاليين...»، للتوسع ينظر: «عود على بدء إلى أسطورة تطوان وتطوان الأسطورة: من أهل سوس إلى أهل الأندلس»، جعفر ابن الحاج السلمي، ص135 ـ 145، ضمن كتابه «فصول في نظرية الأدب المغربي والأسطورة»، منشورات جمعية تطاون أسمير، تطوان، 2009م.

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

في بيوتات فاس المهتم ببسط التراجم الجماعية والفردية، ذكرُ بعضِ البيوتات المصمودية السوسية، كبيت بني خنوسة[1] المذكور في «السلوة». كما يحدد ابن الأحمر جغرافية سوس في قوله: «وأما جبل درن المذكور؛ فابتداؤه من البحر الأعظم من ساحل سوس الأقصى، وامتد إلى قريب من تلمسان نحو خمسين يوماً..»[2].

وفي «روضة الآس» ترد ترجمة ضافية لأحد شعراء سوس بالحضرة الفاسية؛ وهو: «الكاتب البارع الفقيه أبو الحسن علي الهوزالي؛ أحد كتّاب الإنشاء بباب ولي العهد بالحضرة الفاسية من أهل سوس، وبيتهم بيت صلاح ودين»[3].

أما صاحب «جذوة الاقتباس»؛ فقد كان تصوره لسوس أقرب إلى تصور العصر الوسيط في قوله: «فسار حتى جاوز وادي ملوية ودخل بلاد سوس الأدنى، وحَدُّه: من وادي ملوية إلى وادي أم الربيع، وهو أخصب بلاد المغرب وأعظمها بركة، وفاس منه. وأما السوس الأقصى: فمن جبل درن إلى وادي نون.»[4] بمعنى أن فاساً ـ حسب ابن القاضي ـ من سوس الأدنى وما والاها من بلاد الهبَط وغمارة.. ومن ثم فتطوان داخلة في عِداد سوس.

«سلوة الأنفاس»: المنهج والقيمة:

انبنى كتاب «السلوة» على الترجمة للمقبورين بفاس، حيث كان مبناه

(1) «بيوتات فاس الكبرى»، شارك في تأليفه إسماعيل ابن الأحمر، ص40، دار المنصور، الرباط، 1972م. ذكر بيت ابن خنوسة أيضاً في «زهر الآس في بيوتات أهل فاس» لمؤلفه عبد الكبير بن هاشم الكتاني. ينظر: «من مصادر الأنساب الحضرية في المغرب، نموذج «زهر الآس في بيوتات أهل فاس» وذيله «تحفة الأكياس»، أحمد السعيدي، مجلة دعوة الحق، ص145، س55، ع 402، يوليوز 2012م.

(2) «بيوتات فاس الكبرى»: 33.

(3) «روضة الآس»: 99.

(4) «جذوة الاقتباس في ذكر من حلَّ من الأعلام مدينة فاس»، أحمد ابن القاضي المكناسي (1025هـ)، ص18 ـ 19، نشر: عبد الوهاب بن منصور، دار المنصور، الرباط، 1973م.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

جغرافياً أساساً، رغم اهتباله بصنع تراجم الأعلام الفردية من رجال ونساء. يقول الكتاني موضحاً منهجه: «وذكرت ـ أولاً ـ من بداخل المدينة والسور. ثم انتقلت لمن حولهم من أرباب الروضات التي بالمدينة تدور. ورتبتهم في الذكر على حسب الرحاب والبقاع والأمكنة، من غير مراعاة تقدم أو تأخر في الأعصار والأزمنة، وذكرت الأول فالأول في الطريق؛ لأن ذلك أسهل إلى الزائر الطالب للتحقيق..»[1].

هذا المعطى الجغرافي جعل الباحثين يهتمون بمنهج «السلوة»؛ ومنهم: بروفنسال الذي يقول: «وقد بدأت تراجم «السلوة» بالمولى إدريس الأنور، وبما أن ضريحه يوجد في قلب المدينة، فإن الكتاني تابع عرضه للصالحين والعلماء بحسب المكان الذي دفنوا فيه سالكاً خلال المدينة مسلكاً لا يخلو من غرابة..»[2].

ويرى أحد الباحثين أنه: تم «تقديم التراجم على أساس المواقع الجغرافية للمدينة، وهذا منهاج جديد لم يؤلف في كتب التراجم السابقة المعتمدة إما على التسلسل الزمني وإما على الترتيب الأبجدي»[3].

أما قيمة كتاب «السلوة»؛ فلا تنكر من جوانب عدة، مثلاً:

- علمياً: توثيق الحياة العلمية في فاس والمغرب والغرب الإسلامي، بعلمائها ومؤلفاتها ومراكزها ومدارسها..
- وتاريخياً: تواريخ الدول والمدن وتراجم الأعلام والأنساب والبيوتات..

---

(1) «سلوة الأنفاس»: (1: 10).

(2) «مؤرخو الشرفاء» ليفي بروفنسال، تعريب: عبد القادر الخلادي، ص273، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1977م.

(3) نفسه: 273، ويرى أحمد العراقي أن الكتاني سبقه إلى هذا المنهج ابن عيشون في كتابه «الروض العطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس» الذي انتهى من تأليفه سنة (1099هـ). ينظر عرضه: «البنية في السلوة»، ص84، ضمن أعمال ندوة «سلوة الأنفاس، الذاكرة والحضور»، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2007م.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

- وجغرافياً: أسماء المواقع (الطوبونوميا) والجماعات البشرية (طبيعة المكون الديموغرافي) والمكونات الطبيعية..
- واجتماعياً: العادات ونمط العيش والذهنيات، ووصف الجوائح والأوبئة والهجرات..
- وصوفياً: أعلام التصوف، الزوايا والطرق، التصوف الشعبي (الملامتية)..
- وحضارياً: مختلف خصيصات الحضارة في فاس (دار العلم) و(قاعدة المغرب الأقصى) باصطلاح المؤرخين.

صاحب «السلوة» وسوس:

لا جرم أن «السلوة» كتاب مهتم في كليته بفاس فيما يذكره مؤلفه محمد بن جعفر الكتاني (1345هـ/ 1927م) في قوله: «هذا بحول الله تقييد شريف، ومنزع لطيف، أذكر إن شاء الله تعالى بعض الصلحاء المشاهير، والعلماء الكبراء النحارير، الذين قُبضوا بهذه الحضرة الفاسية، ذات الأنوار الساطعة والمحاسن الفاشية، أشير لبيان شرائحهم، وشيء من تراجمهم، على سبيل الاختصار، من غير تطويل ممل ولا إكثار..»[1]. فالكتاب إذن، مؤرخ لخاصة فاس وعامتها، وعلمائها وصلحائها، من الفاسيين وغير الفاسيين، والشنشنة[2] هنا مكانية (نسبة إلى مكان الإقبار)، وعِرْقية (الشِّنْشِنَة الفاسية). لذا فحضور أي مترجَم في «السلوة» لا بد أن يكون على شرطها من حيث ما ذكرنا.

ومن ثم، يعدُّ حضور سوس في كتاب فاسي أمراً مسوَّغاً، لذلك كان مؤلفه واعياً بتعدد شنشنات مترجَميه ولغاتهم وأصولهم وعوائدهم.. فنجد في «السلوة» نُبذاً ذات بال في تصور الكتاني لسوس من حيث هو مجال جغرافي واجتماع بشري وملكة لغوية مختلفة.

(1) «سلوة الأنفاس»: (1: 3).
(2) الشنشنة: الطبيعة والخليقة والسجية. لسان العرب: شنن.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

تصور سوس لدى الكتاني[1]:

مرّ التصور الجغرافي لسوس بثلاث مراحل كبرى:

1 ـ **الفترة الوسيطة**: يشمل مصطلح «السوس» المغرب تقريباً من وراء طنجة الى درعة، ومن غرب سجلماسة إلى البحر، ومن تلمسان إلى سجلماسة..[2].

2 ـ **الفترة الحديثة**: ما وراء جبل درن إلى الصحراء.

3 ـ **الفترة المعاصرة**: سوس الحالية = سوس الأدنى: من وراء وادي سوس إلى وادي ماسة. سوس الأقصى: من وادي ماسة إلى وادي نون والصحراء.

ويظهر أن الكتاني متبنٍّ في تصوّره لسوس للاصطلاح المعاصر حين قال مثلاً: «.. أخذ عن الشيخ الشهير أبي العباس سيدي أحمد بن موسى السملالي الشريف الحسني الجزولي السوسي، دفين يِلِيغ [إيليغ] من **سوس الأقصى**»[3].

كما تمثل سوس البلاد القاصية في قوله: «.. بل لا ترى من سوس الأقصى إلى طرابلس ونواحيها إلا من قرأ عليه أو على أحد من تلامذته، حتى إن من لم يقرأ عليه وبطريقته لا يعدّ قارئاً..»[4].

هذا عن التصور الجغرافي، ويُتحفنا الكتاني بتصور آخر يجلّي سوساً من حيث طبائعها وتلقي ثقافتها، وبمعنى أدق: صورتها في المنظور الفاسي القاصي من خلال المثالين:

---

(1) اعتمدنا في استقصاء «سوس» في «السلوة» على الجزء الرابع الخاص بالفهارس، إنجاز: أحمد السعيدي، مراجعة: جعفر ابن الحاج السلمي ومحمد حمزة الكتاني، دار الثقافة، الدار البيضاء، 2006م.

(2) «معلمة المغرب» (مادة: سوس)، محمد حنداين، (15: 5169).

(3) «سلوة الأنفاس»: (1: 419).

(4) نفسه: (2: 308). وقد نقل عنه ابن عيشون في «التنبيه» المنشور بذيل «الروض العطر الأنفاس»: 345.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

- «كان يَحْسَبْنِي مَجي من **سوس**، سَاعَ هو بين السواري مَدْسُوس»[1].
- «كان رَحِمَهُ اللَّهُ في أول أمره يخدم حراراً، ثم إنه ذهب لسوق عام **بسوس**، وبقي هناك مدة وهو يأتي بالحطب ويسخن به الماء للمتوضئين في المسجد، ثم رجع إلى فاس وقد لاحت عليه لوائح الخير والبركة، والزهد في الدنيا..»[2].

فسوس ـ حسب ما مرّ ـ بلاد الخير والبركة والزهد في الدنيا، والنية الحسنة والثقة والصدق..

وتكتنف الإحاطة بسوس إلى جانب التصور الجغرافي الثقافي مشكلة اللغة؛ إذ كيف يمكن لمؤرخ فاسي جلُّ تعلُّمه باللغة العربية، مقاربة مثل هذه البيئة؟.

المَلحَظُ أن الكتاني كان واعياً بهذا الإشكال لذلك تحرّى حين ترجمته لبعض السوسيين مراعاة خصوصيات البيئة الأمازيغية، من مثل قوله: «.. ومنهم: السيد العلامة.. أبو العباس سيدي أحمد وُعلي وُمحمد السوسي (بإقامة الواو مقام ابن؛ لغة سوسية).»[3] وفي موضع آخر: «.. أبو الحسن سيدي علي ورزگ (بالقاف المعقودة بعد الزاي، وبالواو مكان ابن، كما يقوله البربر)»[4]. وكذا توقُّفَهُ في نسبة بعضهم إلى محتدهم مثلاً: المِرْغْتي نسبة إلى مِرْغْتْ، وليس المَرْغيتي كما عند غيره.

كما يورد عبارات أمازيغية سوسية بلفظها ثم مترجمة إلى العربية، كقوله مثلاً في قصة رجال رجراجة المشهورة: «.. ونقل عن بعض شيوخه أنهم لما وفدوا على المصطفى ﷺ قالوا: مَتَّ أيكَنْ أرْقَّصْ نْرَبِّ؟، بمعنى: من فيكم الذي هو رسول الله؟. فقال لهم النبي ﷺ: نِكِّنْ أشْكَدْ. بمعنى: أنا، تعالوا»[5].

---

(1) «سلوة الأنفاس»: (2: 13).
(2) نفسه: (3: 28).
(3) نفسه: (2: 95).
(4) نفسه: (3: 263).
(5) نفسه: (3: 295).

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

هذا، وقد اعتنى الكتاني بأسماء الأعلام الجغرافية السوسية الأمازيغية في الغالب، وكتبها بلا مدّ كما تُنطق في أصلها؛ مثلاً:

- تَمْدُلْتْ = تامدولت: 3/ 298.
- تِزْغْتْ = تيزغت.
- وادي أسافن= وادي إسافن.
- تَكْمُتْ = تاكَموت: 3/ 297.

وقد لاحظ أحد الباحثين هذا الحضور الأمازيغي في «السلوة» في قوله: «ونكتفي في هذا الصدد بذكر أسماء جغرافية أمازيغية وردت في كتاب «السلوة»، وتظل في حاجة إلى تفسير؛ من قبيل: جرواوة (أجرواو: الحائط أو السياج) والبلاجين (أبلاج: الأقفال). بل إن إحدى النساء تسمى ميمونة، وتدعى تميمونت»[1].

من أين أتى صاحب «السلوة» بهذا الضبط للأعلام والألفاظ الأمازيغية؟.

سيكون الجواب واقعاً ضمن إحدى هذه الاحتمالات:

- إما أنه مُلمّ بالأمازيغية، بعضها أو كلها.
- وإما أنه استعان بمن أتقنها سليقة من الناطقين بها؛ كالفقهاء والطلبة الآفاقيين الواردين على القرويين، أو بمن تعلمها اكتساباً عبر المخالطة من العدول والموثقين والعلماء في فاس.
- وإما أنه نقل عن مصادر سوسية موثوقة في الترجمة للسوسيين الأمازيغ، حيث نلفي في الببليوغرافيا[2] المثبتة في ذيل «السلوة»، مصادر سوسية مثل: «فهرسة» محمد بن عمر الهشتوكي السوسي، و«نزهة الحادي» و«صفوة ما انتشر» لمحمد الصغير الإفراني، ومصادر ترجمة السوسيين؛

(1) أماكنية مدينة فاس من خلال كتاب «سلوة الأنفاس»، عبد الإلـه بن مليح، ضمن أعمال ندوة «سلوة الأنفاس، الذاكرة والحضور»، ص255 ـ 256.

(2) «سلوة الأنفاس»: (3: 491 ـ 500).

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

مثل: «الدرر المرصعة في أخبار صلحاء درعة»، لمحمد المكي بن موسى الناصري، و«إثمد العينين في مناقب الأخوين»، لابن تجلات..

وليس ورود الأعلام الأمازيغية حديثاً، بل نجده عند ابن خلدون[1]، حيث يقول: «لما كان كتابنا [«العبر»] مشتملاً على أخبار البربر وبعض العجم، وكانت تعرض لنا في أسمائهم أو بعض كلماتهم حروف ليست من لغة كتابنا، ولا اصطلاح أوضاعنا، اضطُررنا إلى بيانه..»[2]. وقد خلص في تعامله مع الأمازيغية إلى الخطة[3] الآتية: «فكذلك رسمت أنا الكاف حرفاً يتوسط بين حرفين من حروفنا، كالكاف المتوسطة عند البربر بين الكاف الصريحة عندنا والجيم أو القاف مثل اسم بلكين، فأضعها كافاً وأنقطها بنقطة الجيم واحدة من أسفل، أو بنقطة القاف واحدة من فوق أو اثنتين، فيدل ذلك على أنه متوسط بين الكاف والجيم أو القاف..»[4].

مهما يكن، فقد بذل الكتاني جهداً ذا بال في التقصي عن أصول مترجميه، بمراعاة خصوصياتهم اللغوية والاثنية والثقافية.. لتلافي الزلل حين الترجمة لهم. وخلف ذلك وعي واضح بالتعدد والتنوع في البيئة المغربية.

سوس في «السلوة»: علماء وصلحاء:

يبدو أن إحصاءً دقيقاً للسوسيين المترجَمين في «السلوة» والواردين عرَضاً أمر صعب من وجهين:

الأول: أن نسبة «السوسي» لا تعني بالضرورة الانتماء إلى سوس الأدنى أو الأقصى بالاصطلاح المعاصر.

---

(1) ينظر مقال: «ابن خلدون في سوس: التلقي والتأثير»، أحمد السعيدي، مجلة المناهل، ص63 ـ 83، ع 85، نونبر 2008م.

(2) مقدمة ابن خلدون: 1: 48، تحقيق: عبد السلام شدادي، بيت العلوم والفنون والآداب، تمارة، 2005م.

(3) ينظر نقد امحمد العثماني لخطة ابن خلدون في كتابه «ألواح جزولة والتشريع الإسلامي»: 23، منشورات وزارة الأوقاف بالرباط، 2004م.

(4) المقدمة: 1: 48.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

الثاني: أن بعض الأعلام يمكن أن يردوا مترجمين نسبة إلى محتد غير محتدهم الأول، كأن يكون الفاسي سوسياً في أصله، أو السوسي فاسياً في أصله. لذلك لم نورد إلا السوسيين الذين اطمأننا إلى نسبتهم السوسية، وعرفوا بها وترجموا كذلك، أو الذين نسبهم المؤلف إليها؛ لأن «الأسر التي أتت من مختلف بقاع المغرب إلى فاس فلا تحصى، كأسرة السوسي والزموري والدلائي والتادلي والوزاني والعلمي والسلاوي..»[1].

ومن المعلوم أن الأعلام المترجمين في «السلوة» صنفان:

- العلماء: فقهاء وأدباء وموثقون وفرضيون وحيسوبيون..
- الصلحاء: متصوفة ومجاذيب وبهاليل ومتجردون..

يقول المؤلف: «وقد كان الغرض أولاً ذكر من اطلعت من أولياء هذه البلدة وعلمائها..»[2]، والشيء نفسه منطبق على مترجَمي سوس في «السلوة» مثل غيرهم. وقد وقفنا على ثمانية عشرة ترجمة عدا المذكورين عرَضاً. ومما ينوّه به: أن هذه النسبة موزعة بالتساوي بين العلماء والصلحاء:

أولاً: العلماء:

المترجَم	وفاته (هـ)	الجزء والصفحة
1 ـ أحمد وْعلي البوسعيدي[3]	1046	2/ 95 ـ 97
2 ـ محمد أكرام[4] (أكْرّامُو)	1045	2/ 373

(1) «العالم محمد بن جعفر الكتاني وكتابه: سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بمدينة فاس»، عبد الإلٰه الفاسي، مجلة المناهل، ص152، ع 54، مارس 1997م.

(2) «سلوة الأنفاس»: (1: 10).

(3) في نشرة «السلوة» الجديدة (2004م) وقع خطأ في اسم هذا العلم، حيث نجد في عنوان الترجمة «الإمام العارف سيدي أحمد بن موسى السوسي (ت1046هـ)»، والصحيح أحمد وُ علي وُ محمد السوسي. «سلوة الأنفاس»: (1: 95).

(4) نسبة إلى إكْروما الذين يعرفون نسبهم إلى أبي بكر المعافري، وذلك معهود من عصر الأسرة الشهير سيدي سعيد الكرامي من أهل القرن التاسع. «سوس العالمة»: 127. وما ورد في «السلوة» من كون كاف أكرام معقودة، غير صحيح.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

Black plate (337,1)

المترجَم	وفاته (هـ)	الجزء والصفحة
3 ـ ابن عرفة الجزولي	ـ	2/ 117 ـ 118
4 ـ امحمد بن علي المنالي	1209	2/ 213
5 ـ إبراهيم السوسي	1264	3/ 27 ـ 28
6 ـ أحمد بن عبد القادر بن يحيى	1124	3/ 315
7 ـ محمد بن عبد الله السوسي	1149	3/ 367
8 ـ عبد الحق بن أحمد السُّكَتاني	955	3/ 373 ـ 374
9 ـ مَحمد بن سعيد الميرْغْتِي[1]	1089	3/ 295

سار مؤلف «السلوة» على منهج واضح في ترجمة أعلامها، «إذ يبتدئ بتحرير اسم المترجَم، ونسبه، وضبط ذلك، ثم ولادته ونشأته، وأخذه العلم، ومن أخذ عنه، ورحلته، وحاله، ومؤلفاته، ثم وفاته ومحل دفنه. وربما توسع أحياناً في ذكر أهم أحواله وأخباره، أو الاستطراد بترجمة بعض شيوخه وأبنائه. ويدبج اسم المترجم له صدر الترجمة بألقاب تلخص مقداره العلمي..»[2].

وفي الترجمة لعلماء سوس يتبنى المنهج نفسه، ويترجم لمشاهيرهم بين القرنين الهجريين العاشر والثالث عشر؛ مثل الميرغتي والبوسعيدي الذي أتاه ميارة بشرحه على «المرشد المعين» ليكتب عليه فاستحسنه[3]. ويحلِّيهم بألقاب تدل على علمهم، حيث يقول عن البوسعيدي الذي خصّه بأطول ترجمة بين بلديّيه: «السيد العلّامة، الدرّاكة الفهّامة، عالم عصره، وسيّد أهل دهره، الورع الزاهد، العارف العابد، الشيخ الكبير، المحقّق الشهير، المتفق على

(1) يرد في بعض المصادر باسم «المرغيثي» أو المرغيتي»، نسبة إلى مرغيتة، وهو تعريب لبلدة «مِيرْغْتْ»، التي تنتمي إدارياً اليوم الى بلدية الأخصاص (إقليم سيدي إفني)، وتبعد عن مدينة تيزنيت بحوالي 15 كلم.

(2) «سلوة الأنفاس، القيمة والمنهج»، محمد حمزة الكتاني، ضمن أعمال ندوة «سلوة الأنفاس، الذاكرة والحضور»، ص175.

(3) ترجمته في «المعسول»: (11: 129). وينظر ما جرى بينه وبين ميارة في «السلوة»: (2: 96).

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

ديانته وفضله وكماله..»[1]. ويفصّل في ذكر مناقبه وإلمامه بتطبيب الناس.. حيث قال: «إن الحلال ترياق الأمراض الصعبة، وما أكل مريض من حلال إلا كأنما نشط من عقال»[2].

ويظهر للمُطالع في هذه الترجمة، تقدير الكتاني للمترجَم من حيث إنه عالم ورع مؤلف.. وأنه يحقق منظور المؤلف في منهجه، إذ لم تتحقق فيه الشنشنة الفاسية فهو من الطارئين على فاس، لكنه أُقبر بها وهذا من الأهمية بمكان. وإن كان المترجَم مع المرغتي معروفيْن ومشتهريْن في سوس، فإن بلدييهم مثل المنالي وعبد الحق السُّگتاني، وإبراهيم السوسي ومحمد بن عبد الله السوسي، وأحمد بن يحيى غير معروفين كالسگتاني المذكور (شيخ المنجور وابن القاضي والد صاحب «جذوة الاقتباس»)، الذي يحلّيه بقوله: «ومنهم: سيدي عبد الحق بن أحمد المصمودي السگتاني؛ أبو محمد. الشيخ الصالح الزاهد، الفقيه العددي، الفرضي الحيسوبي. أحد علماء مدينة فاس، وشيخ الجماعة في الفرائض والحساب بها»[3].

ثم أورد المؤلف ترجمة محمد بن علي المنالي الذي ينسبه إلى بلدة منالة[4] بالسوس الأقصى، وما عهدنا ولا ألفنا بلدة بهذا الاسم في سوس، وإن كانت موجودة فقد عمل فيها التعريب (أو الترجمة) عمله، ومن الصعب تعرُّف أصلها، وذلك كثير في سوس[5]. يقول عن المترجم: «الشريف البركة الأنور، الصوفي الباهر الأذكر، الفقيه العالِم الصالح، الواعظ المذكر الناصح؛ أبو عبد الله سيدي مَحمد (فتحا) بن علي بن محمد بن علي بن أحمد

(1) «سلوة الأنفاس»: (2: 95). (2) نفسه: (2: 96).
(3) نفسه: (3: 373).
(4) سألنا عنها بعض الفقهاء والباحثين في سوس، ولم نقف على جواب شاف، فمنهم من خمن أن المقصود «تنالت» قرية بدائرة أيت باها، إقليم شتوكة أيت باها حالياً.
(5) من الصيغ المترجمة في سوس أسماء أماكن مثل: أَفْلّا أُوزُورْ = أعلى السطح. أَفْلّا وِكَنْسْ = أعلى الداخل. أَفْلّا إزْدّارْ = أعلى الأسفل. تَكَانْتْ أُكْضِيضْ = غابة الطير. أَضارْ وْمَانْ = رِجْل الماء.. ومن المعرب: إسكَتان = سكتانة. إغْشّان: غشّانة أو غسّانة. أشتوكْنْ = هشتوكة. إيلالن = هلالة..

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» Printed on [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100]

المنالي؛ منسوب إلى: مَنالة؛ بلدة بالسوس الأقصى..»[1].

ثانياً: الصلحاء:

المترجَم	وفاته (هـ)	الجزء والصفحة
1 ـ موسى السوسي	1042	1/ 114 ـ 115
2 ـ يدير الجراري	1042	1/ 293 ـ 240
3 ـ خلوف ابن خنوسة	467	1/ 408. 3/ 329
4 ـ محمد بن عبد الله	1079	2/ 201 ـ 202
5 ـ محمد السوسي	1260	3/ 427 ـ 428
6 ـ عبد الرحمٰن السوسي	ـ	3/ 460
7 ـ علي ورزگ	1015	3/ 263 ـ 264
8 ـ عبد الله السوسي	ـ	3/ 466
9 ـ سوسي من أصحاب عبد الرحمٰن الشامي	ـ	3/ 26

أما بالنسبة لصلحاء سوس؛ فيورد الكتاني ترجمة تعود إلى القرن الهجري الخامس، وبقية التراجم تستغرق القرن الحادي عشر. ويعدُّ خلوف ابن خنوسة المصمودي أقدم مترجَم سوسي في «السلوة»، إضافة إلى أنه ترجم مرتين، يقول الكتاني: «سيدي خلوف بن طاهر ابن خنوسة المصمودي، من مصامدة سوس، بيتهم بيت علم قديم من عهد مغراوة»[2]. فيما يورد الكتاني تراجم مجاذيب وبهاليل ومتصوفة آخرين؛ مثل قوله:

- ورزگ: «الشيخ الشهير، الجليل الخطير، المجذوب الفاني، الفقيه الرباني..».
- موسى بن علي: «الولي الكبير، الشيخ الصالح الكبير..».
- يدير: «الولي الصالح، المجذوب الغائب السائح، صاحب الأحوال والكرامات، والمناقب والآيات..».

(1) «سلوة الأنفاس»: (2: 213).

(2) «سلوة الأنفاس»: (3: 329)، و«بيوتات فاس الكبرى»: 40.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» Printed on [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100]

- محمد بن عبد الله: «الشيخ الولي الكبير، القطب العارف الشهير..»، وقد خصّه الولالي وأتباعه بكتابه: «مباحث الأنوار في أخبار بعض الأخيار»[1].

ويظهر من خلال هذه التحليات، التحفّي الكبير لمؤلف «السلوة» بصلحاء سوس، حيث يمد الباحث بمصادر تراجمهم في غير «السلوة» ونقولٍ عن منظومة المدرّع وبعض من كراماتهم.. ومن ذلك: ما يحكيه عن وزرگ: «قال: مررنا معه يوماً إلى رأس الماء، وبتنا معه هناك، فلما جنّ الليل؛ اشتغل الجرائن والضفادع يقرقرون، فقال لرجل من الفقراء: نادِ يا فلان بأعلى صوتك: يا أيها الضفادع والجرائن ادخلوا مساكنكم واصمتوا، ولا يتكلم منكم أحد حتى يرتحل عنكم سيدي علي!. ففعل الرجل ما أمره به الشيخ، فخرسوا..»[2].

بمعنى أن الصلاح والولاية لا يختصان بناحية ناحية، وأن مترجمي «السلوة» من الصلحاء إن لم تجمعهم الشنشنة الواحدة؛ فقد جمعهم المكوث في فاس، والانضمام إلى الطائفة الصوفية بها.

خلاصات:

هاته نُبَذٌ من تصور الكتاني لسوس وحضوره بجغرافيته وأعلامه ولغته..في تضاعيف كتاب فاسي معاصر مخصص لتراجم المقبورين في فاس ومن إليهم ممن لهم تعلّق بذلك. ويمكن أن نقول غِبَّ هذا:

- أن مؤلف «السلوة» كان واعياً بتعدد شنشنات مترجميه، لذلك سعى إلى تعرُّفهم قبل.
- أن السوسيين كانوا مترجمين في «السلوة» وحاضرين فيها علماء وصلحاء.
- أن الكتاني كان مراعياً لخصوصيات البيئة السوسية من حيث لغتها

(1) حققه عبد العزيز بوعصاب، منشورات كلية الآداب بالرباط، 1999م.
(2) «سلوة الأنفاس»: (3: 263).

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

الأمازيغية، فكان متحفظاً في الترجمة حيناً ومعتمداً إياها في أحيان أخرى، ولا ندري من يترجم هل هو نفسه أو غيره، وإن كان الأرجح استعانته بمترجم.

- أن الكتاني جلّى سوسيين غير مشتهرين في سوس بوصفهم شيوخاً لعلماء جهابذة كالمنجور.
- أن صورة سوس والسوسيين في «السلوة» لا تبعد المنظور العلمي الولوي السائد عنها منذ العصر الوسيط.
- أن الشنشنات المؤتلفة أو المختلفة للمترجمين في «السلوة» لا تبعدهم عن التوحد في المشرب الواحد الذي هو الحاضرة الفاسية وخصيصاتها التي هي: العقيدة والعربية والتصوف.

المصادر والمراجع

- «**ابن خلدون في سوس: التلقي والتأثير**»، أحمد السعيدي، مجلة المناهل، س 30، ع 85، نونبر 2008م.
- «**ألواح جزولة والتشريع الإسلامي**»، امحمد العثماني، منشورات وزارة الأوقاف بالرباط، 2004م.
- «**أماكنية مدينة فاس من خلال كتاب «سلوة الأنفاس»**»، عبد الإلٰه بن مليح، ضمن أعمال ندوة «سلوة الأنفاس الذاكرة والحضور»، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2007م.
- «**البنية في السلوة**»، ضمن أعمال ندوة «**سلوة الأنفاس الذاكرة والحضور**»، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2007م.
- «**بيوتات فاس الكبرى**»، شارك في تأليفه إسماعيل ابن الأحمر، دار المنصور، الرباط، 1972م.
- «**جذوة الاقتباس في ذكر من حلَّ من الأعلام مدينة فاس**»، أحمد ابن القاضي المكناسي (1025هـ)، نشر: عبد الوهاب بن منصور، دار المنصور، الرباط، 1973م.
- «**روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس**»، أحمد بن محمد المقري (1041هـ)، المطبعة الملكية، الرباط، 1964م.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

- «**سلوة الأنفاس: القيمة والمنهج**»، محمد حمزة الكتاني، ضمن أعمال ندوة «**سلوة الأنفاس الذاكرة والحضور**»، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2007م.
- «**سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس**»، محمد بن جعفر الكتاني (1345هـ)، تحقيق: عبد الله الكامل الكتاني وحمزة بن محمد الطيب الكتاني ومحمد حمزة بن علي الكتاني، ج1، 2، 3، دار الثقافة، الدار البيضاء، 2004م.
- «**سلوة الأنفاس**»، ج4، خاص بالفهارس، إنجاز: أحمد السعيدي، مراجعة: جعفر ابن الحاج السلمي ومحمد حمزة الكتاني، دار الثقافة، الدار البيضاء، 2006م.
- «**سوس العالمة**»، محمد المختار السوسي (1383هـ)، مطبعة فضالة، المحمدية، 1960م.
- «**العالم محمد بن جعفر الكتاني وكتابه: سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بمدينة فاس**»، عبد الإلـه الفاسي، مجلة المناهل (تصدرها وزارة الثقافة)، س 22، ع 54، مارس 1997م.
- «**عمدة الراوين في تاريخ تطاوين**»، أحمد بن محمد الرهوني (1373هـ)، تحقيق: جعفر ابن الحاج السلمي، ج1، منشورات جمعية تطاون أسمير، تطوان، 1998م.
- «**عود على بدء إلى أسطورة تطوان وتطوان الأسطورة: من أهل سوس إلى أهل الأندلس**»، جعفر ابن الحاج السلمي، ضمن كتابه «**فصول في نظرية الأدب المغربي والأسطورة**»، منشورات جمعية تطاون أسمير، تطوان، 2009م.
- «**مؤرخو الشرفاء**»، ليفي بروفنسال، تعريب: عبد القادر الخلادي، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1977م.
- «**المعسول**»، محمد المختار السوسي (1383هـ)، ج11، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، 1963م.
- «**معلمة المغرب**» (مادة: سوس)، محمد حنداين، ج15، من إنتاج الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، نشر مطابع سلا، 2005م.
- «**المقدمة**»، عبد الرحمٰن بن خلدون (808هـ)، تحقيق: عبد السلام شدادي، ج1، بيت العلوم والفنون والآداب، تمارة، 2005م.

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

Black plate (343,1)

حديث عن «سلوة الأنفاس»[1]

الأستاذ عبد القادر الإدريسي[2]:

فَهْمُ الحاضر يتوقف على معرفة الماضي، واستشراف المستقبل ووضع لبناته لا يتمّان على وجه المطلوب إلا بالربط بين الماضي والحاضر، واستخلاص الدروس منهما، والوقوف على المعاني والرموز والدلالات التي تنطوي عليها الحوادث والظواهر والتحولات التي يعيشها البشر في منطقة ما، وفي عصر من العصور.

ولذلك فإن رجوعنا إلى الماضي بين الحين والآخر، واستغراقنا في سبر أغواره، وفهم ظواهره، واستكناه أسراره، ليس من قبيل الهروب إلى الخلف، وتجاوز الحاضر بكل ما يحفل به من تطورات ومتغيرات، ولكنه محاولة للاستعانة بهذا الماضي، لإدراك عمق اللحظة التاريخية، ولاكتشاف معالم الظروف المعاصرة.

والأمة التي تهمل تاريخها وتقطع ماضيها؛ تتيه بها السبل، وتضيع في دهاليز الحاضر والمستقبل.

أما الأمة التي لا تاريخ لها؛ فإنها تسعى من خلال القوة والهيمنة لفرض وجودها، وللدفع بالشعوب والأمم إلى بتر الصلة بتاريخها.

ومن حقنا أن نعتز بتاريخنا، فهذا الاعتزاز محمود، وهو ليس تعصباً بأي حال من الأحوال، ولكنه تصرف طبيعي جداً، تقدم عليه الأمم ذات

---

(1) جريدة العلم، العدد 19968، بتاريخ (15 ذو الحجة 1425هـ/الموافق 26 يناير 2005م).

(2) كاتب ناقد، وباحث ومفكر مغربي.

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

العمق الحضاري. ولذلك فإن من يدعو إلى القطيعة مع تاريخنا، بدعوى من الدعاوى، يكون شأنه شأن من يفقدنا رصيدنا الثقافي والحضاري، حتى نصبح أمة بلا رصيد، في عالم تتصارع فيه الإرادات، وتتنافس فيه الأمم في مضمار القوة والنفوذ والسيطرة. وإذا كانت المعرفة مصدراً من مصادر القوة، فإن هذه المعرفة لا تكتمل إلا إذا قامت على قاعدة من استلهام التاريخ، واستغنت من رصيد الحضارة والتراث.

بهذه الروح أقبلتُ على قراءة كتاب «سلوة الأنفاس» لمحمد بن جعفر بن إدريس الكتاني، الذي صدر في طبعته الحجرية، في أواخر القرن التاسع عشر، ونَفدت هذه الطبعة، حتى صارت في حكم المخطوط. لقد كنت أسمع من أستاذي عبد الله گنون ثناء عاطراً على «سلوة الأنفاس»، وأذكر أني رأيت نسخة من الطبعة الحجرية في مكتبة بيته بقصبة طنجة، قبل أن تنتقل إلى بناية مستقلة.

كذلك سمعت من أستاذي محمد بوخبزة، في ميعة الشباب، قبل الانتقال إلى الرباط، حديثاً طويلاً عن القيمة التاريخية لهذا الكتاب مع نقد لبعض محتوياته. وكنت أعلم أن الدارسين والباحثين من البلاد العربية، ومن بعض البلدان الأوروبية، كانوا يطلبون الطبعة الحجرية لهذا الكتاب، ويحققون طلبهم. ولذلك استقبلت ظهور الطبعة الجديدة من «سلوة الأنفاس» بكثير من الحبور والسرور. وقد وقعت عيناي على هذه الطبعة، للمرة الأولى، في مكتبة الأستاذ المجاهد أبي بكر القادري، قبل أن أقتني نسختي. وأستاذي الجليل أبو بكر، كثيراً ما يبادر إلى الحصول على مثل هذه الكتب النفيسة، ويكون بذلك سباقاً إلى المعرفة. وكثير من هذه الكتب علمت بصدورها منه شخصياً حين أصادفها في مكتبته الخاصة.

كتاب «سلوة الانفاس، ومحادثة الأكياس، بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس»، موسوعة في ثلاثة مجلدات، من تأليف الشريف أبي عبد الله محمد بن جعفر بن إدريس الكتاني (1274 ـ 1345هـ)، وتحقيق ثلاثة من الباحثين من آل الكتاني؛ هم: عبد الله الكامل الكتاني، وحمزة بن محمد

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

الطيب الكتاني، ومحمد حمزة بن علي الكتاني. وقدم للكتاب الدكتور إدريس الكتاني، وهو نجل المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ.

وقد أرَّخ كتاب «سلوة الأنفاس» لأعلام فاس، ومعالمها، ورجالاتها، وألَّفه محمد بن جعفر الكتاني على طريقة التحليل العلمي الحديث، والتحقيق الفقهي الراقي، بحيث لم يؤلف في تاريخ المغرب ولا المشرق كتاب بأسلوبه الفقهي التاريخي الدقيق، وكل من أرَّخ بعده لمدينة من مدن المغرب عالة عليه، إما تلميذ له أو لبعض تلامذته.

وأنا أنقل هذا الوصف المختصر للكتاب عن أحد المحققين الثلاثة؛ وهو: محمد حمزة بن علي الكتاني، من كتاب صدر له أخيراً بعنوان: «منطق الأواني، بفيض تراجم عيون أعيان آل الكتاني» نشره ضمن كتاب يحمل عنوان: «الشرب المحتضر، والسر المنتظر، من معين أهل القرن الثالث عشر» لجعفر بن إدريس الكتاني، وهو والد مؤلف «سلوة الانفاس». وهذه مصادفة عجيبة، أن يصدر الكتابان في وقت متقارب بعد تطاول العهد على تأليفهما، وشدة الشوق إليهما. ويبدو أن الابن العلامة محمد بن جعفر بن إدريس الكتاني فاق بهذا الكتاب الموسوعة والده العلامة جعفر بن إدريس الكتاني. ولا غرو في ذلك، ولكل فَضلُه وسبقه.

ولقد قرأت تراجم عديدة في هذا الكتاب، من مختلف العصور، فوجدته كتاب تاريخ في المقام الأول؛ لأن المؤلف يترجم لهذه الكوكبة من الرجالات الأعلام، بأسلوب يجمع فيه بين التعريف بالشخصية والإحاطة بجوانب متعددة من حياتها، وبين الحديث عن ظروف العصر وأحوال المجتمع، ليس في فاس فحسب، بل في المغرب والمشرق على حد سواء. وتلك ميزة فريدة تجعل من هذا الكتاب موسوعة جامعة شاملة، لا يستغني عنها الباحثون والدارسون والمشغوفون بالبحث في التاريخ المغربي على وجه الإجمال.

لقد أمضى المؤلف أزيد من خمسة عشر عاماً في تصنيف هذا الكتاب ـ كما يقول نجله الدكتور إدريس ـ قضاها في البحث والدراسة والمقارنة والتصنيف، ونقد الوثائق والمراجع، وجمع الشهادات.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

ويقول المحققون بين يدي الكتاب: إن «السلوة» حملت «مسؤولية تثبيت الهوية، وتحصين الاستقلال؛ دفاعاً عن القيم، وذبّاً عن الأنفس والأعراض، حفاظاً للأرزاق مما يتهددها من أخطار». والكتاب كما يقول المحققون: «تنبيه إلى الخطر المباشر الذي يوشك أن يداهم الوطن، وهو من قبيل التنفيس عما يتوقع أن تواجهه أنفاس عامة الناس، من أخطار وشيكة محدقة بالزمن المغربي، ينبغي التنبيه إليها بكل ما تملكه الأفكار والعقول من وسائل وأدوات فاعلة». وهذا ما يشير إلى الظروف التي صنف فيها العلامة محمد بن جعفر الكتاني هذه الموسوعة، في أوائل القرن الرابع عشر الهجري، وأواخر القرن التاسع عشر الميلادي.

يقول المحققون أيضاً: «يتجه هذا الكتاب في شقه الثاني، إلى إجراء حوار ضمني، وفتح محادثة مباشرة، مع فريق من الأكياس، الذين لا تزال فيهم بقية من وطنية وحمية من الحماسة، وقليل اهتمام بالشأن العام المغربي، تنبيهاً لما الأمة المغربية كلها مقبلة عليه من حوادث وأحداث في أوائل القرن الرابع عشر الهجري، أواخر القرن التاسع عشر الميلادي». واضح أن الأكياس هنا هم: النبهاء من النخبة المثقفة الواعية بالظروف التي كان المغرب يعيشها في تلك المرحلة التي صدرت فيها الطبعة الحجرية من «سلوة الانفاس».

قبل أزيد من عقدين كان يزور المغرب بين الحين والآخر باحث أمريكي من أصل عربي، يعمل في مكتبة جامعة هارفرد الأمريكية، وكان يهتم بجمع ما ينقص مجموعة مكتبة هذه الجامعة الراقية من المطبوعات الحجرية الفاسية. وقد أصدر هذا الباحث ـ وهو: الدكتور فوزي عبد الرزاق ـ كتاباً توثيقياً باللغة العربية عن المطبوعات الحجرية الفاسية، عن إحدى مطابع الدار البيضاء في أواخر الثمانينيات من القرن الماضي (1989م) بمقدمة جميلة كتبها الأستاذ محمد العربي الخطابي محافظ الخزانة الحسنية عندئذ، وقد قرأت الكتاب في حينه، وأملك نسخة منه في مكتبتي.

وتصادف يوماً أن التقيت بهذا الباحث الأمريكي عند مكتبة دار التراث

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

في الرباط، وسمعته يتحدث إلى صاحب المكتبة المرحوم مصطفى، عن «سلوة الأنفاس» حديث المشتاق، ويعرض على الكتبي أي ثمن يريد للنسخة الحجرية. فعرفت يومها قيمة «السلوة»، وظل الكتاب عالقاً بذاكرتي إلى أن ظفرت بنسخة منه من إحدى مكتبات الرباط.

أردت أن أقول: إن «السلوة» ليس كتاب مناقب وطبقات وتراجم فحسب، ولكنه كتاب تاريخ بالغ القيمة والأهمية، ما أحرانا اليوم إلى قراءته، والتمعن فيه. ولا يعقل أن يحتفي الأجانب من الأوروبيين والأمريكيين بسلوة الأنفاس، وتكون نسخة موجودة في أعرق المكتبات العالمية، ولا نقرأ نحن هنا في المغرب هذا الكتاب!.

لقد كنت أقدر دائماً مؤلف «السلوة»، فهو شخصية مثيرة للاهتمام، علم من أعلام اليقظة والتجديد في العالم الإسلامي، هاجر مع أسرته إلى المشرق العربي في عام (1325هـ)، إثر تردي الأوضاع في المغرب، فأقام في المدينة المنورة، ثم انتقل إلى الشام حيث أقام في دمشق. وكانت مشاركته في الحياة العلمية والثقافية والسياسية في المشرق العربي بالغة التميُّز. ولا أزال أبحث عن معلومات كثيرة عن الدور الذي قام به العلامة محمد بن جعفر الكتاني في (الثورة العربية الكبرى) التي قادها الشريف حسين بن علي، جد الأسرة الهاشمية الحاكمة في الأردن، فقد كان على صلة وثيقة بالشريف حسين، وبأبنائه: الملك علي بن حسين، ثم الملك عبد الله بن حسين، ثم الملك فيصل بن حسين.

وفي دمشق التي اتخذها وطناً له؛ كانت له مشاركات في الحياة العامة. ومن المصادفات: أن العلامة محمد بن جعفر الكتاني، أقام في دمشق في البيت الذي كان يقيم فيه الأمير عبد القادر الجزائري القريب من المسجد الأموي. وأذكر أنني زرت نجل المؤلف الشيخ محمد المكي بن محمد بن جعفر الكتاني، في بيت الوالد في دمشق في عام (1969م)، ثم ترددت كثيراً على بيت حفيد المؤلف الشيخ سيدي الفاتح بن محمد المكي بن محمد بن جعفر الكتاني في البيت القديم، ثم في شقته بحي الميدان من دمشق. وأتنسم

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

في هذا البيت الكريم نفحات من التقوى والورع، والعلم والشرف.

ولقد كنت أتطلع إلى أن يفرد المحققون ترجمة واسعة للمؤلف، ولكنهم اختصروا في التعريف به، فهذه الشخصية الفذة تحتاج إلى تعريف أكثر تفصيلاً.

إن الأمانة تقتضي مني أن أقول: ليس في «السلوة» ما لا ينتقد ويُرد على المؤلف؛ فثمة مرويات وحكايات وأخبار تَتَنَافى والشرع وتَتَعَارض مع العقل. وكان أحرى بالمحققين أن ينبهوا إلى ذلك في الهامش. وإن كان ذلك لا ينال من قيمة الكتاب وأهميته. وحبذا لو أن الشريف محمد حمزة وضع الترجمة التي خصصها لمحمد بن جعفر المؤلف في كتابه «منطق الأواني»، في مطلع «السلوة»، ففيها معلومات مهمة جداً. ولقد لاحظت أن تاريخ مولد المؤلف الذي أورده محمد حمزة في «منطق الأواني»، يختلف عن التاريخ المسجل على ظهر غلاف كتاب «السلوة»، ولا يخلو كتاب من مثل هذه الهفوات.

وأود ان أشير إلى أن الدكتور فوزي عبد الرزاق مؤلف «المطبوعات الحجرية في فاس»، قد أحصى 584 كتاباً، معظمها لم تعد طباعتها، ولا تزال في حكم المخطوطات. ولذلك فإن القارئ المهتم بالتراث المغربي لا يسعهُ إلا أن يقدر للمحققين الثلاثة جهودهم.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

Black plate (349,1)

«سلوة الأنفاس» للكتاني
كمصدر للتاريخ الدولي للمغرب

د. عبد الهادي التازي[1]:

لا بد أن نذكر هذا الرجل الجليل القدر الذي عرفه التاريخ تحت اسم: محمد بن جعفر بن إدريس الكتاني، الذي قدم للمكتبة المغربية ـ في جملة ما قدم ـ موسوعة رفيعة المستوى تتحدث عن رجالات مدينة فاس، تحمل عنواناً طويلاً هكذا:

«سلوة الأنفاس، ومحادثة الأكياس، بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس»

فلكثر تعلق الرجل بهذه المدينة التي يرتبها جل المؤرخين على أنها المدينة الثالثة بعد مكة والمدينة، لكثر تعلق الرجل بمدينته؛ رأى أن يترجم لمن أدركه أجله بها من رجال العلم والفضل... وهكذا شدنا إليها شداً بواسطة هذه «السلوة» التي أصبحت بالنسبة إلينا نعم «النشوة»! من غير أن نحتاج إلى «رشوة»!.

وعن طريق هذا التأليف أحببت الرجل الذي أصبح شريكي في غرفة نومي، وأصدقكم القول أنني من الذين كانوا يمنون النفس بالمقام في البيت التاريخي الذي كان يسكنه الشيخ بالمدينة المنورة عندما قمنا بأداء مناسك الحج في موسم عام (1378هـ ـ يونيه 1959م) على ما قلته في تأليفي: «التحليق إلى البيت العتيق»[2] وذلك استحضاراً لروح هذا السيد العالم

(1) عضو أكاديمية المملكة المغربية.

(2) نشر دارة الملك عبد العزيز 1422 رقم الإيداع: 4085/ 22 ص39.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

الواصل، الذي ينطبق عليه قول الرسول عليه الصلوات: «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث...**».

وقد اعتقد بعض الناس أن «العلم» الذي بثَّه هذا السيد في صدورنا كان يقتصر على أخبار قوم رحلوا عن هذه الدنيا إلى عالم الآخرة... ولعله لم يكن يخطر ببال هذا البعض أن «السلوة» كانت أيضاً من مصادر تاريخنا الدولي، وأنها كانت حجة لنا على أن الشيخ محمد بن جعفر كان له حضوره في القضايا الدبلوماسية والسياسية التي تربط المملكة المغربية بالدول الأخرى: بالبرتغال، مثلاً وإسبانيا، وفرنسا، بل وبالمؤسسات الدولية...

لقد ظهر الرجل وطنياً صادقاً، وسياسياً بصيراً، ونصيحاً أميناً للدولة فيما جدَّ من أحداث عندما كان المغرب هدفاً للأطماع الأوروبية..

لقد قرأتُ بتقدير كبير ما حرره زملاؤنا الأعزاء عن «السلوة»، هذه المعلمة الكبرى التي فرضت نفسها على كل الذين تناولوا تاريخ المغرب وتاريخ علاقات هذا المغرب بالمشرق وبالعالم المسيحي كذلك، فرضت وجودها فأصبحت بذلك معدودة من بين مصادر تاريخ المغرب، في مختلف الموسوعات الأكاديمية المحكمة، اعتباراً لمصداقيتها ومرجعيتها الموثقة بالزمان والمكان وأشخاص الأعيان...

ولنستعرض هنا بعض الأحداث مما نصت عليه «السلوة» مما كان مرجعي في تناول التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم..

كان في صدر الأحداث التي رفعت ذكر اسم المغرب عالياً في دنيا التاريخ: (معركة الملوك الثلاثة، أو: معركة القصرالكبير، أو: معركة وادي المخازن) التي واجهت المغرب بالبرتغال في صيف (986هـ/ 1578م)، وكانت السبب في مصرع ملك البرتغال: **ضون سيباستيان،** أكثر من هذا كانت السبب في تغيير خارطة العالم كله!...

لقد شهدت المعركة وفاة ثلاثة ملوك؛ فإلى جانب العاهل البرتغالي: توفي ملك المغرب عبد الملك السعدي، وقتل الأمير محمد الذي استنجد بالبرتغال...

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

لقد أصبح المغاربة يقدمون في خارج المغرب على أنهم «من بلاد وقعة وادي المخازن. . .»؛ نظراً للصيت الذي كان لهذه المعركة. .

هذه الحادثة العظيمة استوقفت شيخنا الكبير سيدي محمد بن جعفر الكتاني. . .

استوقفته؛ فتحدَّث عنها بما تناهى إليه من أخبار، محترماً المعلومة التاريخية التي لم يتطاول عليها بالتزيُّد والاصطناع، منبِّهاً بقوة، إلى ضرورة اعتبار ما وصلت إليه الدراية عن طريق الرواية، فدخل بذلك التاريخ من أوسع أبوابه عندما اقتدى بالإمام مالك في قولته الذائعة الصيت: «من قال: لا أدري؛ علمه الله ما لا يدري»!.

لقد قضت تلك المعركة التي قصت جناح البرتغال في أقصى الدنيا (مالاكا) بماليزيا. . وفي الهند، وفي منطقة الخليج والفرات وعمان. . . حيث وجدنا الفشتالي شاعر السعديين يخاطب أحمد المنصور هكذا:

فكم هنأت أرض الفرات بك العلى وطارت بك البشرى لأرض عمان!

هذه المعركة لفتت نظر شيخنا ابن جعفر وهو المهتم بتاريخ دار الإسلام، فاستطرد بالحديث عنها وهو يتحدث عن (قبة سبعة رجال). هذه القبة الكبيرة التي تقع خارج باب الفتوح من فاس، والتي كانت تحتضن جثامين سبعة شهداء حُملوا إلى فاس جرحى، وكانوا يحضرون مع الشيخ أبي المحاسن الفاسي قتال النصارى في الواقعة المشهورة بوقعة وادي المخازن.

هنا وجدنا الشيخ يعطي الكلمة لنفسه ليقول معلقاً: «وكانت الوقعة يوم الإثنين، منسلخ جمادى الأولى، سنة ستة وثمانين وتسعمائة، وقال: وهي من الغزوات العظيمة التي لم يتقدم مثلها بالمغرب، ورزق الله فيها النصر العظيم للمسلمين، وقتل كبير النصارى؛ وهو: «سيباستيان» ملك البرتغال في ذلك اليوم. واستولى المسلمون على جميع ما معه، وحصلوا على غنيمة عظمى، وما نجا من النصارى إلا القليل. .!».

ولم يقصد الشيخ الكتاني من التذكير بهذا الحادث العظيم أن يخرج

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

الناس من مقابرهم من أجل عملية تحنيط أو تخييط، ولكنه كان يقصد إلى استحضار الذكرى، واستنهاض الغافلين عن التاريخ بما تحقق بالأمس القريب من نصر مبين!.

ونظراً لأهمية هذا النص في «السلوة»؛ وجدنا الاعتماد عليه في كل المراجع التي تحدثت عن مصادر هذه الوقعة التي كانت تهدد المغرب بتحويل هويته إلى انتماء حضاري آخر بعيد عنه وعن لغته وعقيدته...

ألححت على ذكر هذه اللقطة على الخصوص؛ لأنها تعطي صورة عن الروح الوطنية المتأججة التي كانت تعتمل في وجدان الشيخ محمد بن جعفر الكتاني.

ولننتقل بعد هذه المحطة إلى الحديث عن مظهر آخر من مظاهر العدوان الذي كان يوجه إلى هذا المغرب:

لقد اجتاحت فرنسا المغرب الأوسط: جارتنا: الجزائر، انتزعتها من يد الأتراك (21 محرم 1245هـ/ 13 يونيه 1830م)، وأمست تُنزل بنا، نحن في المغرب، من أنواع العقاب ما يعرفه المؤرخون، بمن فيهم إخوتنا الجزائريون الذين أخذوا يتهافتون على المغرب طلباً للإيواء واستعداداً للعودة لبلادهم...

ولعلَّ من الطريف أن نقرأ نص هذه الرسالة التاريخية العظيمة التي وجهها العاهل المغربي السلطان عبد الرحمٰن بن هشام يقوي عزم الأمير عبد القادر ويلهب حماسته:

«إلى محل الولد البار، الأعظم المجاهد الأرضى؛ السيد عبد القادر بن محيي الدين؛ أمدَّك الله بالعون واليقين..».

«إن عادة الله في هذا العدو الأصفر أن يوبقه ببغيه كما وقع له بمصر وغيرها، وأذكرك في غزوة وادي المخازن على عهد السعديين؛ فإن أعداء الله خرجوا في مائة ألف فارس وخمسة وعشرين ألفاً... فهزم الله الكافرين وقُتلوا وسبوا وغرقوا، ولم يفلت إلا النزر اليسير، ومات محمد المسلوخ الذي أتى

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

بهم، ومات طاغيتهم دون سيباستيان..»[1].

وكردٍّ فعل لمساعدة المغرب للجزائر؛ قامت فرنسا بضرب المغرب ضربة قاسمة عام (1845م)، في معركة غير متكافئة في إيسلي، معركة كانت الحد الفاصل بين مغرب قوي مهاب الجانب، وبين مغرب توالت عليه الضربات من كل جانب!!.

هنا وجد الشيخ ابن جعفر الفرصة ليعبر عما يخالجه من شعور مرير وهو يرى أن جارتنا الجزائر تحتل.. لم يكن ذلك مقبولاً عند أحد من المغاربة أجمعين.

لقد اتخذ الشيخ من ذلك اليوم المشؤوم محطة للحديث عن كل الشعور بالحزن الذي عم البلاد. كان يترجم لصالح من صلحاء فاس، وقال عنه: إنه جلس ذات يوم على شِلْيَة (كرسي) في شارع من شوارع فاس يعرف بباب السلسلة، وهو من الأبواب القديمة التي سمعنا بها منذ التخطيط الأولي للمدينة... لبس هذا الصالح كَبُّوطاً وبابوجاً مما اعتاده النصارى، وطلى لحيته بالنجاسة، وجلس طوال اليوم يعرض نفسه أمام الجمهور الذي كان يمُر به ما بين مُنكِر ومتسائل عن هذا الصنيع الغريب العجيب!.

وتبيَّن فيما بعد أن ذلك اليوم كان يصادف اجتياح فرنسا للجزائر... أعادها الله دار إسلام بمنه...

ونبين للناس وجه فعلته، وأنه كان يرمز بذلك إلى «الأحداث الفظيعة» التي أعقبت ذلك اليوم النحس!، والتي غيرت من معالم المنطقة برمتها!!.

لقد كانت هذه الطريقة الإعلامية التي اتخذها ابن جعفر الكتاني للإعلان عن ذلك الحدث؛ كافية في نظري للتعبير عن سخط المغرب ضد احتلال الجزائر الذي ظل مَشغلة لنا على كل صعيد، ووصلنا منه كل ما يمكن أن تتصوره من غبن وهوان.

---

(1) د. التازي: «التاريخ الديبلوماسي للمغرب»، ج10 ص13، رقم الإيداع القانوني 25/ 1986 مطابع فضالة المحمدية.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

لكن اللفظة التي كان لها أكثر من دلالة هي التي تتصل بالعدوان الذي وقع على حاضرة تطوان من لدن الجيش الإسباني، الذي وجد في نكبة المغرب في وقعة إيسلي فرصة لتركيع المغاربة وابتزازهم واحتلال أراضيهم!.

وهكذا جُرت المملكة المغربية المتهالكة إلى حرب في الشمال لم تكن هي الأخرى متكافئة، كانت مع دولة أوروبية أخرى: إسبانيا، ولما يستجمع المغرب أنفاسه من نكسته العظمى في إيسلي!!.

لقد اغتنم الشيخ ابن جعفر الحديث عن شريف فقيه مجاهد، من الفقهاء، ليقول في مناقبه وسيرته: إنه حضر مع إخوانه المغاربة غزو الإسبان بأحواز تطوان، أيام السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمٰن (محمد الرابع)، وأن الشريف أبلى البلاء الحسن في قتاله، وأنه وقع في الأسر قبل أن يفرج عنه ويتوفاه الله متأثراً بجراحه..![1].

ولا بد لي أن أسجل موقفاً سياسياً هاماً للشيخ ابن جعفر حول مخلفات حرب الإسبان بتطوان، موقف لم يفصح عنه الشيخ كتابة، ولكنه عبَّر عنه صمتاً!.

نحن نعلم أن هذه الحرب أرغمت المغرب بمقتضى معاهدة الصلح المبرمة بتاريخ 4 شوال عام (1276هـ/ 26 أبريل1860م) على أداء عشرين مليوناً فداء لتطوان، حتى يغادرها الإسبان!.

وقد وضع المشكل أمام العلماء: هل يفرض المال المصالح به على الرعية حاضرها وباديها؟. أم هل نلجأ إلى بعض الدول لتقرضنا هذا المال؟.

وهنا كانت فتوى مولاي أحمد العراقي صريحة في حرمة انتزاع الملايين من أيدي الرعية؛ لما يؤدي إليه ـ في رأيه ـ من تمكين العدو من جني ثمرة عدوانه!!.

لكن العدد الكبير من العلماء كانوا يرون أن الحكمة تقتضي أن يتحمل المغرب المبلغ تلقاء الإفراج عن تطوان..

(1) هذا الشريف هو: جد المؤلف العلامة إدريس بن الطائع الكتاني رَحِمَهُ اللَّهُ. المحققان.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

ولعل من المفيد أن أنقل هنا ما عثر عليه بخط الأمير المولى العباس ابن السلطان المولى محمد بن عبد الرحمٰن ـ عم السلطان المولى (الحسن الأول) ـ عثرت على طرة بخطه في مخطوطة خاصة له لرحلة ابن بطوطة كان يصحبها معه السلطان المولى الحسن الأول في أسفاره[1].

هنا وجدت طرة بخط الأمير المذكور عند حديث الرحلة عن افتداء السلطان أبي عنان لمدينة طرابلس ربيع الأول (756هـ/أبريل 1355م) من الأمير الجنوب الجنوي الذي احتلها فيليبو دوريا Filipopo Doria بخمسين ألف دينار من الذهب العين، وجدت بخط الأمير الذي كان قائداً أعلى للجيش المغربي ورئيس الوفد المغربي للتفاوض مع إسبانيا لفدية تطوان، قال في الطرة: «لقد استعظمتْ الناس افتداء تطوان جهلاً بالواقع، وما دروا أنه لو بقي الأمر على حاله؛ لعرفت البلاد الوباء ولضاعت تطوان!!».

فتأييداً لموقف الغالبية من أداء تلك الفدية؛ وجدنا الشيخ سيدي محمد بن جعفر الكتاني يؤيد الجماعة، ويختار الصمت على اختيار الشيخ مولاي أحمد العراقي، وذلك على عكس ما فعله الشيخ المولى المهدي الوزاني في تأليفه «المعيار الجديد»[2]...

وهذا موقف يعتبر في نظري من المواقف السياسية الواقعية التي تعطينا فكرة عما كان يتحلى به صاحب «السلوة» من بعد نظر وسداد رأي وعمق تفكير...

لكن الموقف الجريء والثوري، إذا صحَّ التعبير؛ فهو: الموقف الذي اتخذه ابن جعفر في مسألة شرعية سائرة تتعلق بتأدية الحج بالنسبة للمغاربة إذا تعرضوا لما يخل بمروءتهم وكرامتهم من لدن النصارى المتحكمين في الأساطيل البحرية التي تنقل الحجاج المغاربة.

---

(1) رحلة ابن بطوطة، تحقيق: د. عبد الهادي التازي، مطبوعة أكاديمية المملكة المغربية (1417هـ/ 1997م)، رقم الإيداع القانوني 321، 1997، ج1، ص26، ج4، ص201.

(2) «المعيار الجديد» ج2، 341 ـ «الاستقصا» 8، 201 ـ التازي: «رسائل مخزنية»، ص39.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

لقد كان من أخطر القضايا التي واجهتها المملكة المغربية أثناء القرن الرابع عشر الهجري ـ القرن التاسع عشر الميلادي ـ: إنشاء المجلس الدولي بطنجة، بحجة الحفاظ على الصحة في العاصمة الدبلوماسية للمغرب، لكن المجلس لم يلبث أن أخذ يستصدر القرارات ضد السفن العائدة بالحجاج، وقد أثارت هذه القرارات قلق المغرب؛ لعلمه بشدة وقعها على الرأي العام المحافظ...

وتجدر الإشارة إلى أن هذا المجلس الدولي قرر تكثيف إجراءاته الوقائية بعد انتشار وباء الكوليرا الذي تسرَّب إلى المغرب عن طريق الحجاز سنة (1313هـ/ 1895م)، حيث اتجه التفكير إلى أن يجعل من جزيرة الصويرة مَحجراً صحياً للمغرب.

ولم يلبث الوزير الأول المغربي باحماد معزَّزاً بوزير المالية والخارجية التازي موخا؛ أن قام بإبلاغ الدبلوماسي، الممثل البريطاني نيكلسون Nicolson خلال سفارته إلى مراكش (1314هـ/ 1896م) بعزم الحكومة المغربية على إشعار الشركات الملاحية بمنع نقل الحجاج المغاربة إلى الديار الحجازية.

وأمام توالي مواصلة المجلس الدولي لمطالبه التعسفية؛ قام العاهل المغربي السلطان المولى عبد العزيز باستصدار فتوى من العلماء حول الموضوع[1]...

وقد كان في صدر هذه الفتاوى التي أعتبرها استراتيجية: فتوى الشيخ محمد بن جعفر الكتاني... التي كثيراً ما أستحضرها ونحن نعيش بعض الظروف التي يعيشها الحجاج اليوم!...

تعتبر فتوى الشيخ ابن جعفر في نظري وثيقة فقهية تاريخية؛ لأنها لا تهم المملكة المغربية وحدها، ولكنها صالحة لكل العالم الإسلامي، والمؤمل أن يعود إليها الباحثون ليقفوا على نموذج من نماذج التشريع الإسلامي، وليقفوا

(1) د. التازي: «رحلة الرحلات: مكة في مائة رحلة مغربية ورحلة» ج2، ص573، نشر مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن 1426هـ/ 2005م.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

كذلك على ما كانت عليه الحالة الاجتماعية في بداية القرن الماضي.

لقد حرص الشيخ الكتاني على المصارحة بأن تأدية الحج في الأزمان الأخيرة اقترنت بمحظورات كثيرة؛ كان منها: ما يتعرض له الحجاج من إهانات وإذلالات وتجاوزات...

هذا إلى «المخالفات» والمنكرات التي تعرفها مواسم الحج... وقد تخلص إلى التفويض لأمير المؤمنين العارف بما تقتضيه مصلحة البلاد والعباد...

أريد أن أؤكد ما قلت في البداية؛ بأن اهتمام «سلوة الأنفاس» بأداء رسالتها بالنسبة للشخصيات التي أسهمت في بناء الحياة بمدينة فاس، لم يمنعها من ذلك الحضور الفاعل في الحياة السياسية للبلاد... وإنني لأغتنمها فرصة للتنويه مرة أخرى بزملائنا الذين سهروا على تحقيق «السلوة» وإعداد الفهارس الكاملة لها، والتي كنا في حاجة ماسة إليها، بالرغم من الجهود التي بُذلت لحد الآن في دراستها والتعريف بمباهجها...

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

Black plate (358,1)

العالم محمد بن جعفر الكتاني وكتابه: «سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس، بمن أقبر من العلماء والصلحاء بمدينة فاس»[1]

د. عبد الإلٰه الفاسي[2]:

تقديم

أهتم في هذه الدراسة بالتعريف بكتاب من أهم كتب التراجم التي أنجزت في التاريخ المغربي المعاصر، كما أهتم بالتعرف على ما في محتواه من جوانب تاريخية، وخاصة تلك الجوانب المتعلقة بالقرن الماضي الذي عاش المؤلف ردحاً منه محاولاً استقصاء أفكاره وآرائه حول مختلف القضايا، سواء التي يُدرجها في تراجمه، أو التي جاءت في استطراداته وتنبيهاته المختلفة.

وإن موضوع هذه الدراسة هو: استغلال الكتاب من أجل المعرفة «التاريخية»، وبالخصوص: ما يتعلق بالمعلومات الخاصة بالقرن الثالث عشر الهجري؛ أي: التاسع عشر الميلادي، كما سلف الذكر.

ويمكن لمؤرخ أي فترة أن يرجع إلى هذا المؤلف ليستقي منه ـ وعن مدينة فاس ـ معلومات قيِّمة، وبالخصوص: ما يمس الجانب العلمي والديني والاجتماعي.

---

(1) مجلة دعوة الحق: العدد 54، مارس 1997م.

(2) أستاذ جامعي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن طفيل، القنيطرة.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

غير أنه قبل ذلك؛ لا بد من الاطلاع على حياة المؤلف، والمرور بأهم مراحل تكوينه ورحلاته، وكذلك الوقوف على بعض ما خلف من مؤلفات.

ترجمة المؤلف:

اسم المؤلف: محمد بن جعفر بن إدريس الكتاني. والكتانيون من شرفاء فاس، ينحدرون من يحيى بن يحيى بن محمد بن إدريس الأزهر[1].

ولد في شهر ربيع الأول من سنة (1274هـ/ موافق 1858م)، نشأ في كنف والده جعفر الذي كان عالماً فقيهاً، ورجلاً صالحاً، ذا احترام وتقدير في مدينة فاس.

تعلَّم محمد بن جعفر على يد والده وجماعة من الأساتذة كانوا نخبة أشياخ فاس وعلمائها في وقتهم؛ ففي صغره أخذ عن محمد الشاهد الحسني اليوسي، وإدريس بن قاسم الحجوي، القرآن والقراءات.

ثم أخذ «المختصر»[2] عن أستاذين من الأسرة العلوية؛ هما: محمد بن عبد الرحمٰن العلوي المدغري، وعبد المالك بن محمد العلوي المدغري. كما أخذ النحو والفقه والحديث، والأصول والتوحيد، عن والده الذي كان يوفر له عناية كبرى، وأجازه في عدة علوم وطرق وأذكار.

ومن أهم أساتذته: أحمد بن أحمد البناني الذي لقنه الحديث والأصول والمصطلح، وعلم المعاني. وقرأ فرائض الخليل عن أحمد بن الطالب ابن سودة، وأخذ عنه وعن محمد بن المدني گنون صحيح البخاري، كما أخذ كلّاً من الصحيحين و«الشفاء»، وشمائل الترمذي، وأوائل الكتب الحديثية، وعلم العروض والقوافي؛ عن أبي الحسن علي بن ظاهر الوتري المدني[3].

ومن بين أساتذته أيضاً: الطيب بن كيران صديق والده.

---

(1) انظر عمود نسبهم في عائلة الكتانيين في الباب الثالث.
(2) مختصر خليل.
(3) أجيز المؤلف من طرف أغلبية أساتذته المذكورين.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

كان محمد بن جعفر منذ صغره ولوعاً بلقاء الأولياء والصالحين، وزيارة الأحياء منهم والأموات. ويتحدث في بعض مؤلفاته عمن لقي منهم وأخذ عنهم؛ كأبي عبد الله بن أحمد الغياثي الحسني الذي لقنه الطريقة القادرية والوزانية والتجانية، وأجازه في الأسماء والأذكار، والأحزاب والأدعية إجازة عامة. ومثل مصطفى ماء العينين ابن الشيخ محمد فاضل، والعلامة محمد بن علي الحبشي المصري بفاس. وأخذ إجازات عنهما وعن غيرهما، وزار عدداً كبيراً من أضرحة الأولياء في كل أنحاء البلاد.

ما إن بلغ محمد بن جعفر الكتاني سن الثامنة عشر حتى أقنعه أساتذته بالاستعداد للتدريس، ولم يجد إلا أن يلبي أمرهم بعد امتناعه في البداية.

قال في مخطوطه «النبذة اليسيرة النافعة»[1]: «وبدأت بدرس الشمائل النبوية في زاوية أبناء العم بساباط القرادين، وحضر والدي، والفقيه سيدي أحمد ابن الخياط الزگاري، وبقي الوالد يحضره أياماً، وبقيت أُدرس بها بين العشاءين مدة».

حين بلغ سن العشرين؛ افتتح الدرس بمسجد القرويين، وكان بذلك قد بدأ حياته في التدريس بهذا الجامع وغيره مدة ثلاثين سنة متصلة، وكانت دروسه تشمل: «الفقه والنحو، والمنطق وعلم الأصول، وعلم البيان، والمصطلح، وكتب السيرة، وكتب المالكية»[2].

وكان يحضر مجالسه عدد كبير من طلبة فاس وغيرها؛ سواء بالقرويين، أو بجامع الرصيف، أو ببعض الزوايا. كما كان يتزاحم على مجالسه الكثير من العوام.

يقول في المخطوط نفسه: «وتخرَّج عني جماعة من الطلبة؛ هم الآن

(1) «النبذة اليسيرة النافعة التي هي لأستار جملة أحوال الشعبة الكتانية رافعة»: (مخطوط بقسم الوثائق بالرباط، رقمه D 1846).

(2) المصدر نفسه.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

منتصبون للتدريس، وكتبوا عني المنشآت والمسائل الغريبة في الفقه والحديث وغيرهما، مما يملأ عدة مجلدات».

وفي سنة (1321هـ/ 1903م)، توجه إلى الديار المقدسة، واغتنم فرصة وجوده هناك، فاجتمع بعدد من العلماء من أهل مصر والحجاز واليمن والشام، وقد سجل ما جرى بينه وبينهم من المذاكرت العلمية وما تبادلوه من الإجازات في مخطوطه «الرحلة السامية، للإسكندرية ومصر والحجاز والبلاد الشامية». ثم رجع إلى فاس.

وفي نفس سنة (1325هـ/ 1907م) كانت الأحوال الداخلية في المغرب قد تدهورت، واستولى الفرنسيون على مدينتي وجدة والدار البيضاء. فخاف محمد بن جعفر الكتاني أن تقع مدينة فاس في أيديهم أيضاً، فشد الرحال إلى المدينة المنورة مع أهله، ومكث بها سنة؛ اجتمع خلالها ببعض أكابر المشرق؛ كالشيخ أحمد بن الحسن العطاس اليمني الحضرمي، وهو متصوف كبير، وبعد ذلك رجع إلى فاس مع أهله. قال في المخطوط نفسه:

«رجعت إلى فاس بعدما قام أهلها على السلطان المولى عبد العزيز ونصروا أخاه المولى عبد الحفيظ، رغبة في قيامه بوظيفة الجهاد، وإبعاد العدو عنهم».

لم يمكث المؤلف في فاس إلا مدة تقل عن سنتين، عزم بعدها على مغادرة البلاد مع أسرته، والابتعاد عنها طويلا، بعدما رأى ما آلت إليه الأمور من استبداد الأجانب وضغطهم، وانقياد السلطان لهم بعد أن أفلت زمام الأمر من يده.

وهكذا رجع إلى المدينة المنورة في شعبان (1328هـ/ 1910م)، فكان ذلك بداية لهجرة طويلة ستستمر 16 سنة، وهكذا كان غائباً عن بلاده في وقت حصار فاس من طرف الجيوش الفرنسية وتوقيع الحماية على المغرب، وبداية الغزو العسكري الفرنسي والإسباني.

أدى محمد بن جعفر الكتاني فريضة الحج مرات متوالية قبل الحرب العالمية، لكن اندلاع هذه الأخيرة اضطره إلى القعود بالمدينة لمدة أربع

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

سنوات، حيث شبت ـ في جو الحرب ـ الثورة العربية التي انطلقت من الحجاز ضد الحكم التركي بمساعدة الإنجليز ابتداء من (16 يونيو 1916م).

رغم هذه الحوادث؛ كان المؤلف يتابع إلقاء دروسه في المدينة، وكان يحضرها العلماء والفقهاء، وكانوا يترددون إلى منزله ويستفيدون منه.

وكانت ظروف الحرب قد جعلت المدينة المنورة محاصرة، وفي نهاية الحرب اضطر من فيها إلى إخلائها والتوجه إلى الشام، يقول المؤلف: «وبقينا بالمدينة إلى شهر ربيع الثاني من سنة (1336هـ/ 1918م)، وفي أواخره خرجنا منها إلى الشام بالعائلة كلها، لأمر اقتضاه الله، وخرج الناس كلهم أيضاً من المدينة، أهالي ومجاورين، وتفرقوا في البلاد شذر مذر، ومات أكثرهم بالجوع والبرد... وها نحن وقته بالشام، وذاك شهر جمادى الثانية (1338هـ/ 1920م) إلى شهر رجب (1340هـ/ 1922م)»[1].

وفي دمشق، التي استقر بها طويلا، درَّس في مجالس حضرها أيضاً العلماء والطلبة، وفي سنة (1344هـ/ 1926م)، رحل بعائلته راجعاً إلى أرض الوطن. ولم تمر سنة واحدة على وصوله إلى فاس حتى فارق الحياة في (16 رمضان سنة 1345هـ/ الموافق 1927م).

قال صاحب «المدهش المطرب»[2]: «ودفن بروضة أسلافهم قرب المصلى خارج باب الفتح، ثم نقل بعد ذلك إلى عدوة الأندلس داخل فاس، وبنيت عليه زاوية».

ترك محمد بن جعفر الكتاني عدة مؤلفات تربو على الستين كما صرح هو نفسه في مخطوطه المذكور، ومن هذه المؤلفات:

- «البشارة للعامل بالاستخارة»: وهو أول ما ألَّف.
- «الأزهار العاطرة الأنفاس، بذكر مناقب المولى إدريس قطب مدينة فاس».

---

(1) أيضاً.

(2) عبد الحفيظ الفاسي، «المدهش المطرب» أو: «رياض الجنة»، مطبعة عباس التناني، الرباط 1931م.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

- «سلوة الأنفاس، ومحادثة الأكياس، بمن أقبر من العلماء والصلحاء بمدينة فاس».
- «النبذة اليسيرة النافعة، التي هي لأستار جملة من أحوال الشعبة الكتانية رافعة».
- «شفاء الأسقام والآلام، بما يُكفر ما تقدم وما تأخر من الذنوب والآثام»... إلخ.

محتوى الكتاب:

يقع مؤلَّف «سلوة الأنفاس» في ثلاثة أجزاء، يكون مجموعها أزيد من 1100 صفحة، وقد طبع على الحجر بفاس منذ حوالي قرن، ويُعرف المؤلف كتابه قائلاً: «هذا بحمد الله تقييد شريف، ومنزع لطيف، أذكر فيه ـ إن شاء الله تعالى ـ بعض الصلحاء المشاهير، والعلماء الكبار النحارير، الذين قُبضوا بهذه الحضرة... وأشير فيه لبيان ضرائحهم، وشيء من تراجمهم، على سبيل الاختصار».

المجلد الأول: يقع في 375 صفحة، منها: ثمان وستون صفحة على شكل مقدمة مطولة تناول فيها قضية عدم اهتمام المغاربة بتدوين التاريخ، وجمع أخبار العلماء والصلحاء، وهذا من الأسباب التي دفعت المؤلف إلى كتابة مؤلفه. وأشار إلى ضياع أخبار ومناقب عدد ضخم ممن يستحقون الذكر.

ثم انتقل إلى الحديث عن زيارة الصالحين والأولياء والعلماء، وأتى بآداب الزيارة وشروطها وأحكامها، مورداً أحاديث نبوية واستشهادات كثيرة للعلماء في ذلك.

وتحدث عن الشكل الذي اتبعه قي تناول تراجمه؛ فأخبرنا أنه: بدأ ـ أولاً ـ بالترجمة لمن دُفن بداخل المدينة والسور، فالروضات التي تحيط بالمدينة، مرتبين «على حسب الرحاب والبقاع، من غير مراعاة تقدم أو تأخر في الأعصار والأزمنة»، ويزيد قائلاً: «وذكرتُ الأول فالأول في الطريق؛ لأن ذلك أسهل إلى الزائر الطالب للتحقيق».

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

وهكذا نجد بأن هذا الكتاب قد وضعه صاحبه من أجل كل من أراد زيارة العلماء والأولياء المدفونين بفاس.

وبعد هذه المقدمة الطويلة؛ بدأ بذكر الأضرحة والروضات على الشكل التالي:

1 ـ صلحاء وعلماء داخل الحرم الإدريسي.

ترجم فيه للمولى إدريس الأنور، واستطرد فتحدث عن المولى إدريس الأكبر، ثم تحدث عن كل المدفونين بهذا الحرم من الأسرة الإدريسية المالكة، معطياً نبذة عن حياتهم وأعمالهم، معتمداً على مصادر مثل: كتاب «العبر» لابن خلدون، و«جنا زهرة الآس» للجزنائي وغيرهما، وفي كل ذلك نلاحظ حرص المؤلف على تمجيد المولى إدريس الأنور، وإظهار عظمته وبركته. وقد وصفه بأنه: قطب المغرب.

كما أظهر قيمة مدينة فاس العلمية والروحية، ذاكراً ما يزيد عن عشرين امتيازاً تتفوق به على مدن العالم الإسلامي بعد الحرمين.

وبعد الانتهاء من تراجم الأدارسة؛ تابع الترجمة لباقي المدفونين في هذا الضريح، وبعضهم ينتمي إلى القرن الثالث عشر الهجري.

2 ـ صلحاء وعلماء حومة النجارين وجرنيز، وما هو منضاف إليهما.

لا يلتزم المؤلف بالحديث عن المدفونين بهذه الحومات، فيستطرد في بعض الأحيان، وتحت هذا العنوان تحدث مثلاً عن أسرة الوزانيين؛ كشيخ الطريقة الوزانية: عبد الله بن الشريف الوزاني، المتوفى (1039هـ)، ودفين زاويته بوزان.

3 ـ صلحاء وعلماء حومة المعادي، وزقاق البغل والقطانين.

4 ـ حومة: باب النقبة، والسبع لويات، والصاغة، وما هو منضاف إليها.

5 ـ حومة: درب الطويل، والبليدة، وما هو منضاف إليها.

تحدث هنا ـ أيضاً ـ عن شخصية تاريخية ودينية لم يُدفن صاحبها بفاس؛

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

وهو: الشيخ أبو يعزى بن ميمون، الولي الشهير، المتوفى سنة (472هـ)، الذي توجد زاويته بالبلدة.

6 ـ حومة: فندق اليهودي والحفارين، وسيدي أحمد بن يحيى، وما هو منضاف إليها من داخل باب الجيسة.

7 ـ بقية داخل باب الجيسة، وحومة زقاق الرمان، وما هو منضاف إليهما.

استطرد هنا ـ أيضاً ـ حينما تحدث عن شخصية الولي مولاي عبد القادر الجيلالي دفين بغداد، وقد ذكر ذلك أثناء حديثه عن زاوية منسوبة إلى هذه الشخصية في إحدى هذه الحومات.

8 ـ زقاق الحجر، وسويقة ابن صافي.

باستثناء ما تحت هذا العنوان من تراجم؛ تحدث عن مزارة مشهورة تحت اسم: «حانوت النبي».

9 ـ حومة: الشرابليين، والمنية، والشرشور، وما هو منضاف إليها.

10 ـ حومة: طالعة فاس، وما هو منضاف إليها.

11 ـ حومة: السياج والدوح، والجرف والعيون، وما هو منضاف إليها.

12 ـ حومة: رأس الجنان، ورحبة الزبيب، وما هو منضاف إليها.

13 ـ حومة: جزاء ابن زكّون، وسيدي العواد، وما هو منضاف إليها.

14 ـ حومة: الرصيف والقلقليين وما هو منضاف إليها.

يدلي المؤلف أحياناً ببعض آرائه، فتحت هذا العنوان يعطي رأيه في أسباب وقوع ظاهرة الزلازل، وذلك حينما عقب على رأي العالم عبد القادر الفاسي الذي ترجم له تحت هذا العنوان، والذي سئل عن سبب الزلزال من أحد العامة.

15 ـ حومة: جزاء ابن برقوقة، والمخفية، وما هو منضاف إليها.

استهل الحديث هنا بذكر جامع سيدي خليل؛ قائلاً: إنه سمي كذلك؛ لأن مختصر خليل دُرس به لأول مرة في المغرب من طرف محمد بن عمر بن فتوح التلمساني، المتوفى سنة (805هـ).

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» Printed on [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100]

16 ـ حومة: درب الشيخ.

لم يعثر فيها إلا على دفين واحد.

17 ـ حومة: الجزيرة.

استطرد هنا متحدثاً عن دار الشرفاء الطاهريين الصقليين التي قال: إنها تضم نعل رسول الله ﷺ، يوجد في صندوق موضوع في مكان مرتفع. وأهم ما في هذا الاستطراد: طريقة المؤلف في التحليل والبحث حينما أراد أن يتيقن من أن هذا النعل هو فعلاً للنبي ﷺ، وكيف اتصل بأهل صناعة الجلد والدباغة لمعرفة إمكانية صمود الجلد طول هذه المدة، وأخيراً؛ استنتج أن بالإمكان أن يكون ذلك؛ استناداً إلى ظاهرة صمود الكتب القديمة وعدم اندثار أوراقها، واستناداً أيضاً إلى أن (أجساد الأنبياء لا تفنى). ويمكن أن ينطبق ذلك ـ أيضاً ـ على ما كانوا يلبسونه أو ينتعلونه.

18 ـ صلحاء وعلماء حومة القواس.

ترجم فيها لشخصين فقط.

19 ـ صلحاء وعلماء حومة شيبوبة، وجامع الأندلس، والكدان، والرميلة.

يستغل المؤلف وجود بعض المزارات للحديث عن أصحابها؛ مثل حديثه عن أبي مدين الغوث المتوفى سنة (594هـ)، عندما ذكر مسجده الموجود في إحدى هذه الحومات.

المجلد الثاني: يضم 370 صفحة، ورغم ضخامته لا يحتوي إلا على فصلين؛ الفصل الأول: هو صلحاء وعلماء داخل باب الفتوح. والفصل الثاني: خارجه؛ ويحتوي على أكبر عدد من التراجم، منها: تراجم لشخصيات تاريخية مهمة؛ من بينها: أشهر الشخصيات العلمية، إما المنتمية لعهد المنصور السعدي، أو غيره؛ كالأسرة الدلائية، أو الأسرة الفاسية، أو أسرة ابن القاضي المؤرخ المشهور.

كما يضم ترجمات طويلة جداً؛ منها: ما يبلغ ثمان صفحات؛ كترجمة

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

أبي غالب الصاريوي؛ صاحب المزارة الشهيرة التي تُقصد للاستشفاء في صاريوة (ص17)، وقد يبلغ بعضها عشر صفحات؛ كما هو الحال في ترجمة مولاي الطيب الكتاني (ص241). كما أن هذا المجلد يشتمل على استطرادات عديدة لها فائدة تاريخية، سأذكرها عند الحاجة إليها.

المجلد الثالث: يقع في 363 صفحة، خصصت الصفحات السبعة الأخيرة منها لائحة طويلة من المصادر التي اعتمدها المؤلف، وتضم 140 مصدراً.

أما أقسام هذا المجلد؛ فهي:

1 ـ أصحاب روضة العلماء.

2 ـ صلحاء وعلماء خارج باب المسافرين.

3 ـ صلحاء وعلماء خارج باب الجيسة. حيث ترجم لعدد من ملوك بني مرين.

4 ـ صلحاء وعلماء خارج باب الشريعة؛ المعروف بباب المحروق وخارج باب السبع.

تحدث المؤلف هنا عن بناء باب الشريعة، وسبب تسميته لهذا الاسم، وباسم باب المحروق أيضاً، مشيراً إلى بعض الحوادث السياسية في عصر الناصر الموحدي.

5 ـ فاس الجديدة وما هو منضاف في حكمها: ويضم ترجمات عديدة، الكثير منها قصير.

وتحدث المؤلف هنا عن تاريخ بناء فاس الجديد؛ الذي يقال له أيضاً: فاس العُليا، أو المدينة البيضاء، أو المدينة المرينية. ومن الاستطرادات: ترجمته لملوك لم يُدفنوا بفاس؛ مثل: مولاي إسماعيل، وقد اتبع ترجمته كل السلاطين الذين حكموا المغرب إلى المولى عبد العزيز.

ويختم المؤلف هذا المجلد الأخير قائلاً: «وليكن هذا آخر ما قصدتُ ذكره مما يتعلق بعلماء وأولياء هذه الحضرة، وأنا أجزم وأعترف بأني ما ذكرتُ منهم قليلاً من كثير، ولا حاولتُ قطرة من مطر غزير؛ لأنهم لا يُحصون كثرة وعدداً»...

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

المادة التاريخية التي يمكن استخلاصها من الكتاب

1 ـ الاستنتاج العام:

يجد الباحث في كتاب «سلوة الأنفاس» معلومات تاريخية متنوعة، تتعلق ـ طبعاً ـ بأفراد أكثر مما تتعلق بظواهر وأحداث سياسية أو غيرها. لكن أهمية بعض هؤلاء الأفراد تُضفي على هذه المعلومات ـ أحياناً ـ قيمة استثنائية، بسبب الأدوار التاريخية التي قاموا بها، وخصوصاً في الميدان الثقافي والعلمي، وفي الميدان الاجتماعي والديني.

ومن جهة ثانية؛ ليس من المستحيل توظيف كتاب «سلوة الأنفاس» في إفادة المؤرخ إفادة تاريخية متكاملة، يظهر فيها عُنصر سيرورة التاريخ وتطوره، لو اتبع في قراءته طريقة أخرى غير الطريقة التي كتب بها، والتي قلنا سابقاً: إنها تتبع الحومات والأزقة لإرشاد الزائر إلى أضرحة ومزارات العلماء والصلحاء المدفونين بها، إذ يمكن استغلال معلومات الكتاب بوجه أحسن لو كانت تراجمه متتابعة زمنياً، وإذا كان تحقيق هذا الأمر صعباً نسبياً؛ فهو ذو فائدة كبيرة.

وقد حاولتُ القيام به فعلاً، فرتبت هذه التراجم ابتداء من أقدم ترجمة؛ وهي: ترجمة المولى إدريس الأزهر ـ باني فاس ـ والمتوفى بها سنة (231هـ)، وتابعتُ هذا الترتيب حريصاً على توالي سنوات الوفاة بكيفية تصاعدية، إلى أن وصلت أخيراً إلى سنة (1314هـ) كآخر سنة للوفاة؛ وهي: السنة التي يذكر المؤلف أن السيد عبد الرحمٰن بن العباس العراقي توفي فيها. أما الشخص الذي ترجم له المؤلف وكان ما زال حياً في تلك السنة؛ فهو: السلطان المولى عبد العزيز.

وهكذا استنتجتُ أن تراجم «سلوة الأنفاس» تمتد على طول اثني عشر قرناً بدون انقطاع، موزعة على الشكل الآتي:

القرن الثالث: 9 تراجم.

القرن الرابع: 5.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

القرن الخامس: 4.

القرن السادس: 56 ترجمة.

القرن السابع: 18 ترجمة.

القرن الثامن: 62 ترجمة.

القرن التاسع: 37.

القرن العاشر: 99.

القرن الحادي عشر: 139 ترجمة.

القرن الثاني عشر: 209 ترجمة.

القرن الثالث عشر: 228 ترجمة.

القرن الرابع عشر: 33 ترجمة.

ويكون مجموع هذه التراجم حوالي 900 ترجمة، دون اعتبار الترجمات القصيرة جداً، والتي لا تحتوي إلا على الاسم والنسب؛ تارة بسنة الوفاة وتارة بدونها.

وانطلاقاً من هذا التصنيف الجديد للتراجم، حسب الترتيب الزمني المتسلسل؛ ظهرت «حركة تاريخية» جديدة في كتاب «سلوة الأنفاس»، عوضت تلك الحركة الجغرافية المتنقلة بين روضات وأحياء مدينة فاس.

وعلى أساس ذلك؛ برزت مدينة فاس كمركز استمر إشعاعُه طيلة تاريخ المغرب، وعرفت اتصالات بين مختلف عواصم العالم الإسلامي، في الميدان الثقافي والروحي، واستقطبت جامعتُها «القرويين» أصناف العلماء منذ بنائها، وتخرَّج منها الفقهاء في المذهب المالكي؛ نبغ منهم مدرسون وقضاة، ومفتون وخطباء، أعطى عنهم المؤلف أخباراً كثيرة؛ سواء طيلة العصر الوسيط الذي تميزت فيه فاس بالارتباط الثقافي مع الأندلس والمغربين الأوسط والأدنى، أو في العصر الحديث الذي نبغ خلاله عظماء الفقهاء، وخاصة في عهد أحمد المنصور الذهبي، أو في الفترة المعاصرة التي حافظت فيها فاس على نفس الدور السابق.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

كما أن عملية ترتيب التراجم زمنياً مكَّن من التعرُّف على الأثر الاجتماعي الذي خلفته هجرات العلماء وتنقلاتُهم إلى فاس، وتكوين أسر فاسية جديدة اختلط فيها دم سلالات البربر والعرب، سواء كانوا من داخل البلاد أو من الأندلس قبل سقوطها، أو من باقي الشمال الإفريقي.

وأمكن ـ أيضاً ـ أخذ نظرة على نشوء وتطور الزوايا والطرق، ودور رجال التصوف في التأثير العقائدي والاجتماعي للسكان، وأحياناً تلتقط مؤشرات تدل على تأثيرهم السياسي في إطار العلاقات مع الحكام، وإن كان هذا لا يظهر إلا في أوقات معينة، كما هو الحال في القرن العاشر الهجري.

2 ـ التراجم المنتمية إلى ما قبل الفترة المعاصرة في الكتاب:

أكثر من ثلثي التراجم وقعت وفاة أصحابها قبل سنة (1245هـ)، وهي السنة التي جعلتُها بداية للفترة المعاصرة، استناداً على ما هو ما متداول في تقسيم التاريخ المغربي. وإن الاهتمام بتراجم تنتمي لفترة معينة، وتسليط الضوء عليها، من شأنه أن يظهر مغفلاً للتراجم الأخرى، ولكن الحقيقة هي أن جميع تراجم الكتاب تدور حول محور واحد؛ وهو: التاريخ العلمي والديني للمغرب من خلال مدينة فاس، ويضم هذا المحور في جانبه الثقافي الحديث عن العلوم وتطورها، والعلاقات الثقافية بين المغرب وبلدان الغرب الإسلامي والشرق العربي، ونتائج هذه الصلات، وما أدت إليه من حركة فكرية في جامع القرويين؛ باعتباره مركزاً ثقافياً تردَّدَ ذكرُه على مَرِّ عصور هذا التاريخ المذكور.

أما الجانب الثاني من هذا المحور؛ فهو: التاريخ الديني، بما في ذلك حياة الزهد والتصوف، وظهور الشخصيات الدينية التي أثرت في المجتمع المغربي، حيث أسست الزوايا والطرق، ابتداء من أقدمها؛ وهي: طريقة عبد السلام بن مشيش وتلميذه الشاذلي، وانتهاء بأحدثها حسب تراجم الكتاب؛ وهي: طريقة أبي العباس أحمد التجاني، وطريقة مولاي العربي الدرقاوي، بما في هذه الحياة الدينية من ذكر لأولياء الله وأصحاب الكرامات، الأسوياء منهم والبهاليل.

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

إذن؛ بما أن كل تراجم «سلوة الأنفاس» تدور حول هذا المحور؛ يصبح اختيار فترة تاريخية معينة؛ كالفترة الحديثة، أو الفترة المعاصرة؛ تندرج فيها مجموعة من التراجم، وتسليط الضوء عليها أفيد من الحديث عن كل هذه التراجم التي قلنا: إن لها محوراً واحداً، ولم أتوصل إلى هذه النتيجة إلا بعمليتين اثنتين:

العملية الأولى: اكتشاف فواصل تاريخية تمكن من تقسيم هذا الطول «الزمني»، وهي فواصل تهم الجانب الثقافي والاجتماعي لهذا التاريخ؛ وهي:

أ ـ سقوط الأندلس، وتوقف الهجرة منها إلى فاس (مفهوم الهجرة العلمي والاجتماعي؛ أي: المساهمة العلمية، والتزاوج، واختلاط الأسر)، فكانت هذه الفاصلة عُنصراً من العناصر التي سجلت نهاية ما عُرف بالعصر الوسيط. أما العنصر الثاني الذي واكب نهاية هذا العصر؛ فيتمثل في الجمود الذي ميز العلاقات المغربية الجزائرية والتونسية، نتيجة دخول الأتراك. وأصبح هناك عصر جديد؛ هو: ما اتفق على تسميته بالعصر الحديث[1].

ب ـ الفاصلة التاريخية الأخرى هي ما يشير إليه الكتاب من لمحات عن دخول الفرنسيين إلى الجزائر، ويظهر ذلك في الأثر الذي تلقاه التاريخ الثقافي الديني حيث انقطع ركب الحجاج عبر الجزائر، وحيث هاجر عدد من علماء الجزائر، وخاصة من تلمسان، فكان ذلك بمثابة بداية عهد جديد.

أما **العملية الثانية**؛ فهي: محاولة إنجاز تقرير عن كل فترة من هذه الفترات، فتوصلتُ إلى أن هناك منهجاً واحداً، بمعنى أن: المنهج والجوانب التاريخية نفسها تتكرر في الفترة الوسيطة، وفي الفترة المعاصرة، انطلاقاً من تراجم الكتاب طبعاً.

فكانت نتيجة هذين العمليتين هو الاقتناع بالاكتفاء بما يقارب ثلث هذه التراجم، وهي التي تنتمي إلى الفترة اللاحقة لسنة (1245هـ)، سنة احتلال

(1) من الصدف أن هذه الفاصلة التاريخية «الثقافية» في «سلوة الأنفاس» تلائم ما هو متعارف على جعله نهاية للعصر الوسيط مع غيرها من الحوادث؛ كاكتشاف أمريكا.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

الجزائر، ومحاولة تصنيفها والاستفادة منها بالطريقة التي ستأتي في الفصل الثاني من هذا الباب، مدفوعاً في ذلك بهم معرفة تراجم الفترة المعاصرة بالتخصيص.

أما التراجم الأخرى التي تزيد عن الثلثين؛ فلم أغفلها، بل رجعت لآخذ منها بعض المقتطفات للاستشهاد، زيادة على الرجوع إلى الاستطرادات والتنبيهات التي يُدرجها المؤلف في هذه التراجم، والتي تعبر عن بعض آرائه وأفكاره.

الفترة المعاصرة من خلال الكتاب:

لقد جعلت سنة (1245هـ/ الموافق لـ 1830م)، بداية لهذه الفترة، سالكاً مسلك المؤرخين الذين يرون في حدث احتلال الجزائر في السنة تغييراً لمجرى الأمور في البحر الأبيض المتوسط، وتحوُّلاً في علاقات المغرب مع الدول الأوروبية، مما كان له أثر على أوضاعه الداخلية، وقد حاولتُ من خلال التراجم المنتمية إلى الفترة الممتدة من (1245هـ إلى 1314هـ)، (التي تنتهي عندها الوفيات) أن أبحث عن المتغيرات، وتعقبتُ نوعية هذه المتغيرات والثوابت في مختلف الجوانب، سواء العلمية منها أو الدينية، أو الجوانب الاجتماعية.

أما الجانب السياسي، وأثر الحوادث الكبرى التي عرفها المغرب في القرن التاسع عشر، سواء التي عاصرها المؤلف أو ما قبلها؛ فلا يوجد في كتاب «سلوة الأنفاس» ما يقنع به المؤرخ كما سيظهر، وعلى أساس كل ما سبق؛ برزت مواضيع وملاحظات عن هذه الفترة كما يلي، ملتزماً بما جاء في الكتاب:

أولاً: ملامح من الحياة الثقافية المغربية في القرن التاسع عشر:

ظلت فاس وجامعتها ـ القرويين ـ تلعبان الدور السابق في الميدان الثقافي والعلمي، فكونت هذه الجامعة العلماء المدرسين، وقضاة ومفتين وأئمة، وكذلك الكُتاب والعدول والخطباء، وظل المسجد مركزَ الثقافة

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

والعلم، ومحكمةً للتقاضي، ونادياً للوعظ والإرشاد، زيادة على كونه بيتاً للصلاة، وهذا يدل على بقاء امتزاج الحياة الدينية والدنيوية، ليس فقط في أوائل القرن التاسع عشر، وإنما في أواخره أيضاً.

وبدون شك كان عدمُ فصل الأمور الدينية عن الدنيوية سبباً في استمرار أسلوب التدريس نفسه، وأخذ العلم عن طريق الإجازات، والمحافظة على العلوم المألوفة، طيلة عدة قرون، خاصة وأن العلماء حاملي لواء الشريعة في البلاد مالكيون سنيون، متشددون في قبول الجديد خوفاً من البدعة.

ولم يكن هذا الخوف من الجديد مقتصراً على العلوم، وإنما تعدَّاه إلى العادات الاجتماعية؛ كتناول «سكر القالب»، والشاي والقهوة، كما يظهر من بعض التآليف في هذا المضمار... إلى غير ذلك من العادات الجديدة التي دخلت إلى البلاد بالاحتكاك مع الأوروبيين.

1 ـ مدى التجديد في ميدان العلوم:

أظهرت تراجم الكتاب التي ينتمي أصحابها إلى القرن الماضي، أن العلوم ظلت على ما كانت عليه في القرون السالفة، وبقيت العلوم الدينية مع اللغة وقواعدها تحظى بالأسبقية، وكانت هذه العلوم كالتالي:

أ ـ الفقه: ظلت دراسته تعتمد على الحواشي والشروح، سواء على مختصر خليل، أو على مدونة مالك، وكذلك شرح النوازل. أما الفقه العلمي؛ فقد تبلور لدى بعض المفتين؛ أهمهم: الفقيه محمد بن سعد التلمساني المتوفى سنة (1264هـ)[1]، ومولاي عبد الهادي العلوي المدغري المتوفى سنة (1272هـ)[2]، ومحمد بن التهامي الوزاني المتوفى سنة (1311هـ)[3].

ب ـ الحديث: ظل من العلوم الملقَّنة في القرويين، وأهم أساتذته:

(1) «سلوة الأنفاس» ج3 ص79.
(2) «سلوة الأنفاس» ج1 ص117.
(3) «سلوة الأنفاس» ج1 ص237.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

السيد المدني الغربي المتوفى سنة (1267هـ)[1]، ومحمد الحراق[2] المتوفى سنة (1261هـ)، ومولاي الوليد العراقي المتوفى سنة (1265هـ)[3]، والمدني ابن جلون المتوفى سنة (1299هـ)[4].

ج ـ التفسير: لم يتعاطاه سوى قلة قليلة؛ كمحمد الحراق المذكور، وعبد السلام الجوطي؛ المتوفى سنة (1290هـ)[5].

د ـ علم القراءات: يقول المؤلف: إن هذا العلم انتهى على يد الفقيه إدريس البگراوي المتوفى سنة (1258هـ)[6]، وإن كنا نجد عمر الهنتيفي[7] من العلماء العارفين بالمقاري العشر بعد ذلك.

هـ ـ علم الأصول: ظل من العلوم الملقنة منذ أن أدخله أبو عمر السلالجي[8] في القرن السادس الهجري، واشتهر بتدريسه الوليد العراقي وأحمد العراقي[9]، والمدني ابن جلون[10]، ومحمد بناني[11].

أما الآداب العربية، والعلوم المتعلقة بها؛ من نحو وصرف، وعروض وشعر وأزجال؛ فقد ظلت تلقن بالطرق والمواضيع نفسها، وتعطى أهمية كبيرة فيها لألفية مالك والجرومية في النحو، الذي اعتبر الحاج محمد حمارة[12] من فقهائه، وكذلك محمد مسواك التازي[13] المتوفى سنة (1263هـ)، ومحمد بن التهامي الوزاني السابق الذكر، والذي كان عارفاً ـ أيضاً ـ بالكلام والبيان.

واشتهر في الشعر: محمد بن إدريس العَمراوي[14]، وزير السلطان مولاي عبد الرحمٰن، كما اشتهر من الأدباء: عمر المكي الشرقاوي المتوفى سنة (1260هـ)، والذي عُرف بالتصوف أكثر مما عُرف بغيره من العلوم.

---

(1) «سلوة الأنفاس» ج3 ص7.
(2) «سلوة الأنفاس» ج1 ص342.
(3) «سلوة الأنفاس» ج3 ص36.
(4) «سلوة الأنفاس» ج2 ص363.
(5) «سلوة الأنفاس» ج3 ص96.
(6) «سلوة الأنفاس» ج2 ص343.
(7) «سلوة الأنفاس» ج3 ص82.
(8) «سلوة الأنفاس» ج2 ص183.
(9) «سلوة الأنفاس» ج3 ص37.
(10) «سلوة الأنفاس» ج2 ص363.
(11) «سلوة الأنفاس» ج3 ص27.
(12) «سلوة الأنفاس» ج2 ص208.
(13) «سلوة الأنفاس» ج1 ص262.
(14) «سلوة الأنفاس» ج2 ص362.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

أما التاريخ؛ فلم يترجم المؤلف فيه إلا المؤرخ أبا القاسم الزياني[1] المتوفى سنة (1249هـ)، ومحمد بن عبد القادر الكردودي[2] المتوفى سنة (1268هـ)، وسنرى مؤلفاته في العنوان اللاحق.

وكان المنطق من بين المواد المدرسة الموروثة عن الماضي منذ أن دخل من الأندلس، وقد برز فيه: المدني ابن جلون.

وهكذا نجد بأن حركة التجديد العلمي التي يتحدث عنها بعض المؤرخين في مغرب القرن الماضي لم تكن حركة بالمعنى الحقيقي؛ لغلبة هذه العلوم التقليدية!.

أما ما وقع من تجديد؛ فهو إعادة فقط لبعض العلوم التي ازدهرت في بعض العهود السالفة، فإذا كان الحاج محمد بن الطاهر الحبابي المتوفى سنة (1267هـ) ماهراً في «الحساب والتوقيت، والتعديل والهيئة والسيمياء، وعلوم التدابير الطبيعية، والأوفاق»[3]؛ فإن التوقيت والتعديل والحساب كانت علوماً معروفة، بل مزدهرة، منذ ما قبل خمسة قرون من عهد الحبابي، أيام المرينيين. وكمثال على ذلك؛ قال المؤلف حينما تحدث عن بناء فاس الجديد[4] أيام السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني، نقلاً عن ابن خلدون: «ووقف عليها السلطان نفسه حتى حدت وأسست، وأحضر لذلك المعدلين لحركة الكواكب؛ فاختاروا في الطوالع النجومية ما يرضون أثره... وكان فيهم: الفقيه العدل أبو الحسن القطان، والفقيه أبو عبد الله ابن الحباك؛ المقدَّمان في الصناعة».

وفي ترجمة السلطان أبي عنان المريني قال[5]: «أمر ـ أيضاً ـ بصنع المجانة (الساعة الكبيرة) المقابلة للمدرسة العنانية من طالعة فاس، فصنعت على يد المؤقت أبي الحسن علي بن أحمد التلمساني المعدل سنة 758هـ».

---

(1) «سلوة الأنفاس» ج1 ص263.
(2) «سلوة الأنفاس» ج2 ص333.
(3) «سلوة الأنفاس» ج2 ص359.
(4) «سلوة الأنفاس» ج3 ص220.
(5) «سلوة الأنفاس» ج3 ص224.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

وهكذا نرى أن هذه العلوم ليست جديدة، وحتى بعثها في القرن الماضي لم يكن يُعبر عن حركة يقظة كما يدعي البعض، إذا اعتبرنا ما أصبح عليه العالم من تطور علمي وتقني إذاك من جهة، ومن جهة أخرى لما يظهر من استمرار للهياكل القديمة في مختلف المظاهر.

ولا يذكر محمد بن جعفر الكتاني بالإضافة إلى الحاج محمد الحبابي سوى بعض الأسماء القليلة التي كان أصحابها عارفين ببعض العلوم التجريبية؛ أمثال: عمر الهنتيفي ـ المذكور سالفاً ـ والذي كان عارفاً بالحساب والتوقيت، والرصد والأسماء، أو كمحمد الشرادي؛ المتوفى سنة (1293هـ)، الذي كان عارفاً بالسيمياء والحدَثان[1].

ولا نجد أية إشارة في «سلوة الأنفاس» إلى علماء سافروا إلى أوروبا للأخذ من علومها، كما لا نجد أي حديث عن بناء المدارس العصرية ـ كمدرسة المهندسين التي كانت تُدرس العلوم الهندسية بفاس منذ سنة (1844م)[2] ـ ولا يوجد ـ أيضاً ـ أي حديث عن العلوم الجديدة الأخرى، والتقنيات التي تعلمها الطلبة في أواخر القرن الماضي!.

وكان لبعض العلوم التي تطورت في أوروبا ـ ومنها: الكيمياء ـ ذكر في بعض تراجم الكتاب، ولكن لم تكن في المغرب علماً بقدر ما كانت إحدى الفنون التي يتعاطاها من يتعاطى الخط والجدول.

2 ـ حركة التأليف:

يمكن استقصاء عدد لا يحصى من الكتب التي ألفها أصحابها في الفترة المعاصرة، لكن هذه التآليف كانت ـ أيضاً ـ استمراراً لما ألف سابقاً في اهتماماتها ومواضيعها، وقد حظيت كتب التصوف والأمداح النبوية، والشروح والحواشي والأراجيز الفقهية بالأولوية في مؤلفات القرن الماضي، حسب

(1) «سلوة الأنفاس» ج3 ص205.

(2) محمد المنوني: «مظاهر يقظة المغرب الحديث»، الطبعة الأولى، منشورات وزارة الاوقاف 1973م، ص103.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

الكتاب، كما ألفت عدة كتب في النسب الشريف، والوعظ، وبعض كتب التاريخ.

ومن الأمثلة: ألف إدريس البگراوي السالف الذكر حاشية على الجعبري، ورجزاً في الفرائض. كما ألف علي بن إدريس قصارة حاشية على «الموضِّح»[1]، هذا في الفقه.

أما في الأمداح؛ شرح الحاج الداودي التلمساني[2] همزية البُصيري والبردة.

ومن أمثلة مؤلفات التصوف: كتاب «المناجاة الفردية الإلٰهية، في تبيين عزائم الطريقة المحمدية»[3]، وهو من تأليف أحمد البدوي زويتن.

وفي الوعظ وتحريم بعض العادات: ألف المدني جلون السابق، كتاب «الأزهار المهداة لسيد الأبرار في التحذير من تعاطي الكيمياء والكنوز والنار».

وفي الأنساب: عدة مؤلفات سنرجع إليها في تحليل مسألة النسب الشريف.

وفي الشعر: قصائد الوزير محمد بن إدريس، وعمر بن المكي الشرقاوي السالفي الذكر.

وفي التاريخ: كتاب تاريخ الدولة العلوية للكردودي السابق الذكر، ومؤلفات أبي القاسم الزياني؛ كالترجمان المعرب، و«ألفية السلوك في وفيات الملوك... إلخ».

وفي النحو: ألف علي السوسي المتوفى سنة (1311هـ)[4] شرحاً على ألفية ابن مالك، كما كتب تقاييد وطرراً في النحو.

أما في ميدان العلوم التجريبية المذكورة سابقاً؛ فلا يورد صاحب «سلوة الأنفاس» أي مثال على تأليف واحد فيها!.

---

(1) «سلوة الأنفاس» ج2 ص265.
(2) «سلوة الأنفاس» ج1 ص262.
(3) «سلوة الأنفاس» ج1 ص260.
(4) «سلوة الأنفاس» ج3 ص351.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

3 ـ العلاقات الثقافية بين المغرب والعالم الإسلامي:

أ ـ مع الجزائر: بعد سقوط الجزائر في يد الفرنسيين سنة (1830م) انتقل عدد من علمائها إلى المغرب، وخاصة منهم علماء تلمسان سنة (1836م)؛ مثل: محمد بن سعد التلمساني؛ المتوفى سنة (1264هـ)[1]، الذي درَّس بتازة وأفتى بها، ثم رجع إلى فاس حيث قام فيها بالتدريس، وقد أخذ عنه جعفر الكتاني والد المؤلف.

كما انتقل الحاج الداودي التلمساني المتوفى سنة (1271هـ) من تلمسان إلى فاس للسبب نفسه. وكان مثل الأول قاضياً بتلمسان، ثم درَّس الفقه والحديث، والنحو والمنطق، والبيان والعروض بفاس[2].

كما درس بوعزى التلمساني المتوفى سنة (1277هـ) بفاس أيضاً بعد أن أتى من تلمسان، ولم يكن العلماء يقدرون على مجادلته؛ لقوة علمه[3].

وهكذا نجد أن هناك مساهمة جزائرية في الحياة العلمية المغربية، نتيجة هجرة الجزائريين بعد التدخل الفرنسي في الجزائر. ولكن علماء فاس ظل تفوُّقهم ملحوظاً بصفة عامة.

ب ـ العلاقات مع الشرق: نلاحظ وفرة العلماء المغاربة الذين ذهبوا لأخذ العلم بالمشرق، مستغلين فرصة الحج في غالب الأحيان. كما نجد بعض المشارقة أتوا إلى المغرب للقاء ببعض العلماء المغاربة أو الصلحاء، ومن الأمثلة على ذلك: قدوم الشيخ محمد بن خير الله الحسني الرضوي البخاري السمرقندي، الذي اجتمع بفاس مع سيدي عمر المكي الشرقاوي؛ الأديب المتصوف، المتوفى سنة (1260هـ)، وقد أتى هذا المشرقي ـ كما قال ـ للقاء بشخصين؛ هما: سيدي قَدُّور العلمي، وسيدي عمر بن المكي[4].

أما علماء المغرب الذين شدوا الرحال إلى المشرق؛ فمنهم: الحاج محمد الطاهر الحبابي الآنف الذكر، وقال المؤلف: إنه أخذ العلوم العقلية

---

(1) «سلوة الأنفاس» ج3 ص79.
(2) «سلوة الأنفاس» ج1 ص262.
(3) «سلوة الأنفاس» ج1 ص363.
(4) «سلوة الأنفاس» ج1 ص194.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

هناك، ولما حج محمد؛ المدعو: الكبير الكتاني، المتوفى سنة (1289هـ)، أشار في إحدى رحلاته الثلاثة التي كتبها إلى أخذ علماء الشرق عنه[1] خلال رحلته الثانية.

وضمن العلاقات المغربية الشرقية ـ حسب «سلوة الأنفاس» ـ كانت بعض العائلات المغربية قد اتخذت بعض بلدان الشرق موطناً لها؛ مثل: عائلة محمد السلاوي الذي وُلد بمصر، وحينما شب؛ أتى إلى فاس واستقر بها[2].

وفي سنة (1246هـ) حج المهدي ابن سودة، ودرَّس بمصر والحرمين[3]. وفعل الشيء نفسه أحمد بناني[4]، والحاج محمد گنون[5] المتوفى سنة (1302هـ).

كان تبادل الإجازات العلمية بين المغاربة والمشارقة من أهم مؤشرات هذا التواصل الثقافي، لكن كان هناك ـ أيضاً ـ تبادل الطرق الدينية، فكان علماء المغرب يلقنون للمشارقة الطرق المعروفة في المغرب؛ كالشاذلية والناصرية، بينما يتلقون الطريقة الحفناوية الخلوتية بمصر والحرمين.

فعمر الصقلي المتوفى سنة (1307هـ)؛ «أخذ بمصر الطريقة الخلوتية عن الشيخ الغوث سيدي فتح الله عن الشيخ أحمد الصاوي عن القطب أحمد الدردير»[6].

ثانياً: ملامح من الحياة الدينية والاجتماعية في القرن التاسع عشر:

1 ـ الزوايا والطرق الصوفية:

إذا كان تاريخ المغرب شاهداً على أن ظاهرة الزوايا تنشط في أوقات ضعف السلطة المركزية، فيتزعم رؤساؤها حركة الجهاد لطرد الكفار من دار الإسلام، كما شهد العهد الوطاسي، وعهد ما قبل العلويين؛ فإن كتاب «سلوة الأنفاس» لا يفيدنا بهذا الجانب الأساسي، ولكن بالمقابل يفيدنا بصور كثيرة

(1) «سلوة الأنفاس» ج1 ص125.
(2) «سلوة الأنفاس» ج3 ص352.
(3) «سلوة الأنفاس» ج1 ص238.
(4) «سلوة الأنفاس» ج3 ص27.
(5) «سلوة الأنفاس» ج2 ص364.
(6) «سلوة الأنفاس» ج1 ص171.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

عن الدور التقليدي للزوايا؛ وهو: دور التعبد والانقطاع عن الدنيا، ومهمة الوعظ والإرشاد، وتربية المريدين، والالتزام بالتصوف الذي يكون أحياناً صافياً، وأحياناً أخرى مشوباً ببدع وعادات بعيدة عن الدين.

ومن أهم الظواهر في القرن التاسع عشر، كما يتبين من التراجم: كثرة الزهاد والمنخرطين في الزوايا، بحيث لا يوجد أي عالم أو صالح إلا وله انخراط في زاوية معينة، أو له تلاميذ وأتباع، مما يثير ملاحظة مهمة؛ وهي: أن المجتمع المغربي كان مكوناً من طوائف متعددة على الصعيد الديني، لكنها ليست طوائف متنافرة كما قد يلاحظ في الطوائف الاجتماعية، والسبب في عدم التنافر بينها: أنها كلها مبنية على المبادئ الشاذلية التي قامت عليها الجزولية وما بعدها، باستثناء القادرية التي ـ وإن كانت ذات وجود فعلي في فاس ـ فإن المنخرطين فيها لم يكونوا عديدين بالقياس إلى الطوائف المنبثقة عن الشاذلية.

وأهم الزوايا والطرق التي كان لها عدة مريدين؛ هي أحدث الطرق: كالتجانية والدرقاوية.

أ ـ التجانية: ترجم المؤلف لأبي العباس أحمد التجاني[1]؛ مؤسس الطريقة التجانية التي انتشرت في المغرب وفي كل شمال إفريقيا وغربها، ولا حاجة لذكر ما قاله المؤلف في ترجمة التجاني؛ لتجنب الإطالة، وأكتفي بقول أنه: توفي سنة (1230هـ)، ودفن بحومة البليدة بفاس.

وقد اعتنق الكثير من المغاربة الطريقة التجانية، والتقى عدد وافر من العلماء والصلحاء بالشيخ التجاني وأخذوا عنه، «وسلبوا له الإرادة». ومنهم على سبيل المثال: محمد الأمين الزيزي المتوفى سنة (1259هـ)[2]، وعمر الدباغ المتوفى سنة (1260هـ)[3].

وبعد موت التجاني؛ انتشرت طريقته في المغرب بشكل أكثر من

(1) «سلوة الأنفاس» ج1 ص180. (2) أيضاً ج2 ص355.
(3) كذلك ج2 ص250.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

السابق، وتدلنا بعض الأبحاث إلى أن البعض رفض هذه الطريقة ولم يعتبر صاحبها شيخ تربية بمعنى الكلمة؛ كمحمد أكنسوس[1]، وأحمد البكاي الكنتي، ولكن الكتاني لا يفيدنا بأي شيء عن هذا الرفض، بل بالعكس؛ يعتبر التجاني من أكبر متصوفي العالم الإسلامي، وأنه وقع له الفتح الأكبر، وأنه تلقى طريقته عن النبي ﷺ.

ب ـ الطريقة الدرقاوية: لم يترك المؤلف مناسبة تفوت إلا ويشيد بشيخ هذه الطريقة مولاي العربي الدرقاوي، المتوفى سنة (1239هـ)[2]، ويكثر من تمجيده وذكر علو مقامه. ويبلغ عدد العلماء والصلحاء الذين انخرطوا في الطريقة الدرقاوية أكثر من نصف من ترجم لهم المؤلف والذين وقعت وفاتهم بعد (1245هـ).. وعلى هذا الأساس المنطلق من الكتاب؛ تأتي هذه الطريقة في الدرجة الأولى من حيث الانتشار في فاس خلال القرن التاسع عشر، وخاصة في أوساط أهل العلم والفضل.

ويخبرنا المؤلف كيف انقاد الكثير من الصلحاء للشيخ مولاي العربي الدرقاوي، ويعطينا نظرة عن مدى تأثير شيوخ الزوايا في الناس عندما يترجم مولاي الطيب بن محمد الكتاني المتوفى سنة (1253هـ)؛ فقد أمر العربي الدرقاوي هذا الأخير أن يتخلى عن حرفته (تاحرارت)، وفعلاً لبَّى أمره، ولكن في المقابل: «لما رجع إلى فاس؛ فاض في الحال، وحصل له الجذب العظيم»[3].

وقد تربى عدد من المتصوفة على يد مولاي العربي الدرقاوي، وأصبحوا هم بدورهم أصحاب فروع أساسية لتلقين هذه الطريقة، وخاصة بعد وفاة شيخها، وأسسوا لهم زوايا، وأصبح لهم أتباع ومريدون كثيرون. ومنهم على الخصوص: محمد الحراق؛ المتوفى سنة (1261هـ)[4]، الذي تكلف بتربية

---

(1) لا يصح اعتراض الشيخ أكنسوس وطعنه في الشيخ التجاني، بل كان من كبار أتباعه ومعتقديه، وللتجانيين فيه ممادح ومؤلفات. فليحرر. المحققان.

(2) كذلك ج2 ص242.

(3) «سلوة الأنفاس» ج1 ص342.

(4) أيضاً ج1 ص258.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

عدد هائل من المريدين الذين يوجد من بينهم علماء «سلبوا إرادتهم له» على حد قول المؤلف.

ومن الشخصيات المكونة الأساسية أيضاً: عبد الواحد الدباغ؛ المتوفى سنة (1271هـ)[1]، وأحمد البدوي زويتن؛ المتوفى سنة (1275هـ)[2]؛ الذي شهد له شيخه الدرقاوي (بالصديقية)، والحاج محمد فَنْجِيرو؛ المتوفى سنة (1239هـ)[3].

ويلاحظ أن الانخراط في هذه الطرق كان يشمل العلماء والعامة، وإن كانت طريقة تربيتهم مختلفة؛ إذ هناك أوراد خاصة بأهل العلم؛ وتكون طويلة. وأوراد خاصة بالبسطاء؛ وتكون قصيرة؛ وهي ما يسمى: الورد الكبير والورد الصغير.

ورغم أن العلماء كان لهم من مشاغل علومهم ما يملأ أوقاتهم؛ فهم يحضرون الأذكار والأوراد في الزوايا، ولكن نجد المقدمين على هذه الزوايا ـ عادة ـ ليسوا علماء، إنما يشترط فيهم حسن السيرة فقط.

وكان أهل الصلاح والعلم لا يكتفون بأخذ طريقة واحدة، بل قد يجمع الواحد منهم عدة طرق؛ أي: أوراد وأذكار مختلف الزوايا المعروفة، ومن الأمثلة على ذلك: كان علي بن جلون المتوفى سنة (1292هـ) قد أخذ الطريقة الشاذلية عن مولاي العربي الدرقاوي، والتجانية عن إمامها، والطريقة الناصرية **عمن له الاذن فيها في الوقت**»[4].

وكانت الطرق التي تأسست في القرون السالفة ـ كالوزانية والناصرية ـ نشيطة أيضاً في تربية المريدين وتلقين أورادها، وإعطاء الإذن لمن ترى فيه الأهلية لتلقينها للآخرين. وكانت حركة التنقل إلى الزوايا والأضرحة مِن أهم أنواع الأسفار في القرن الماضي، حيث يشد الناس الرحال لزيارة الأضرحة المشهورة؛ كضريح مولاي عبد السلام بن مشيش؛ دفين جبل العلم، أو ضريح

(1) كذلك ج1 ص260.
(2) كذلك ج2 ص107.
(3) كذلك ج1 ص253.
(4) «سلوة الأنفاس» ج1 ص133.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

مولاي إدريس الأزهر والأكبر، أو ضريح أبي العباس السبتي في مراكش. وكانت هذه الأسفار جماعية في كثير من الأحيان، وخصوصاً إذا كان هناك موسم سنوي يقام عند ضريح الولي، ولا يمكن إعطاء الأمثلة ـ لكثرتها ـ عن وصف المؤلف للزوار المتوجهين إلى مثل هذه الأضرحة والمزارات المذكورة، واهتمامه بمسألة الزيارة بصفة استثنائية كما جاء في مقدمة كتابه.

الزوايا الثانوية: وجدت في القرن التاسع عشر زوايا ذات أهمية ثانوية؛ إما تأسست في القرن الثامن عشر؛ كالزاوية الصقلية، أو اشتهرت في القرن 19؛ كالكرزازية والحمزاوية والمختارية، أو الكنتية.

فالزاوية الصقلية؛ أسسها رجل صالح كان له تأثير في الوسط الديني المغربي، وهو من وصفه المؤلف بـ«القطب» أحمد الصقلي؛ المتوفى سنة (1177هـ)، وقد ذاع صيته في المغرب والمشرق على السواء، وقد قال فيه الشيخ التجاني: «لم يدفن قطب بداخل سور مدينة فاس سوى مولانا أحمد الصقلي!»[1].

وقد ألفت في شأنه عدة كتب يوردها المؤلف[2]، وقد بقي الصقليون يتوارثون الإشراف على أمور الزاوية حتى بداية القرن العشرين حسب الكتاب، وربما إلى ما بعد.

الزاوية الكرزازية: نستنتج وجودها من ترجمة مولاي عبد الواحد العلوي المتوفى سنة (1310هـ)؛ حينما ذكر المؤلف أنه كان مقدماً عليها، ولا يعطينا معلومات أخرى عنها، عدا أنها تنتمي إلى أحمد بن موسى بن خليفة الكَرْزَازِي (الجزء 3 ص83).

أما الزاوية الكنتية أو الحمزاوية؛ فقد جاء ذكرهما عرضاً دون تفاصيل في ترجمة الطيب الكتاني[3]، وترجمة عبد السلام الجيزي[4].

ومن الزوايا الصغرى أيضاً: زاوية أحمد بن محمد الربيع؛ المتوفى

(1) الصفحة نفسها.
(2) أشير إليه سابقاً.
(3) «سلوة الأنفاس» ج3 ص26.
(4) «سلوة الأنفاس» ج2 ص301.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

سنة (1303هـ)، الموجودة بحومة زنقة الرطل بفاس، وبعد وفاة صاحبها: «تولى عبد الواحد بناني تقديم الزاوية، وصار يجتمع عليه الفقراء، ويعاملونه معاملة الشيخ المربي»[1].

وقد وجدت أيضاً زوايا أخرى، ولكن شهرتها اتسعت قبل القرن الماضي بكثير، حسب تراجم الكتاب؛ مثل: الأمغارية؛ أو زاوية تيط، أو الصنهاجية، أو الهزميرية. ولعل ما كان لها بعض الصيت حتى القرن الماضي هي الزاوية الفاسية التي كان يلازمها المجذوب الفاسي[2].

لقد تحدث المؤلف عن الدور الديني الاجتماعي لهذه الزوايا والطرق المختلفة، ولكنه لم يذكر في مناسبة ما، ما قد تكون قامت به من دور سياسي، فحتى في حديثه المسهب عن الزاوية الدلائية وما قدمته من خدمات علمية على يد علمائها في القرن السابع عشر؛ لم يتحدث أبداً عن المحاولات السياسية التي أبدتها، وإنما اكتفى بالقول مراراً: إنها حُطمت وخرج منها أهلها.

أما عن أدوار الزوايا في القرن الماضي؛ فلم يشر أبداً إلى موقف الزاوية الوزانية من تدخل الفرنسيين في المغرب، ولا إلى موقف الزاويتين الدرقاوية والتجانية من تدخلهم في الجزائر قبل ذلك.

إن الدراسة التاريخية الحقة للزوايا لا تكون كاملة إلا بمعرفة ما كانت عليه من وفاق أو معارضة للحكم القائم، وما كان عليه موقفها من الأحداث الكبرى للتدخل الأجنبي، لكن المؤلف لا يعطي أية إشارة لهذا الجانب، مما يجعل المظهر الديني هو وحده المعروف عن الزوايا في كتابه، ونعلم أن السلاطين في القرن الماضي ـ وإن كان منهم من حارب الطوائف المبتدعة التي تستعمل «الرقص والسماع»، وتقيم المواسم؛ كالسلطان مولاي سليمان ـ فإنهم كانوا تابعين للزوايا الكبرى، ولهم اعتقاد في الأولياء، ويتلون الأوراد والأذكار.

---

(1) أشير إليه سابقاً.

(2) «سلوة الأنفاس» ج1 ص327.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

2 ـ أولياء الله وأصحاب الكرامات:

إن نسبة كبيرة من تراجم الكتاب مخصصة لأولياء الله وأهل الكرامات الذين لم ينقطعوا في القرن الماضي، بل ظل عددهم كبيراً، ويكفي القيام بإحصاء بسيط لمعرفة أن تراجمهم تعادل ما يقارب نصف تراجم القرن في الكتاب، وقد شكل هؤلاء ظاهرة دينية واجتماعية لا بد من الوقوف عندها؛ لتأثر المجتمع المغربي بهم، ولأنها ظاهرة تُبيِّن نوعية العقلية والتفكير لدى الناس العاديين ولدى الملوك والعلماء على السواء.

وصاحب الكرامة، أو ولي الله؛ إما يكون معروفاً بعمله، وإما يكون أمياً. فمحمد الدباغ؛ المدعو: بوطربوش؛ كان أمياً، ومع ذلك كان من كبار الأولياء: «يتكلم في حقائق التصوف، وأسرار السُّنَّة والكتاب»[1]. ويحدثنا المؤلف عن الكثير من الناس حصل لهم «الفتح من الله»؛ فأصبح لهم علم عوض أميتهم، ولكنه علم خاص؛ يسميه: علم الباطن، أو العلم اللدني، أو علم الحقيقة الذي يملك صاحبه أسراراً ومعرفة ليست في متناول صاحب العلم الدنيوي، ويتكهن بغيبات، ويكفي استعراض بعض النماذج لمعرفة ما يحصل لهم من الأحوال والمعجزات.

وأهم هذه الأحوال؛ هي: المرائي الإلٰهية والنبوية. قال المؤلف عند ترجمته للخضر السجعي: «كان من أكابر الأولياء، وممن يحضر الديوان مع رسول الله ﷺ»[2].

وقال في ترجمة إبراهيم الغماري؛ المتوفى سنة (1295هـ): «له كتاب في التصوف؛ اسمه: «نصرة الدين، وبهجة السالكين، ومفتاح الواصلين»؛ ذكر فيه أموراً؛ منها: رؤيته للنبي ﷺ مناماً عدة مرات، ويقظة مرتين، ومرة أخرى وراءه الخلفاء الأربعة... ورؤيته للحق تعالى مراراً متعددة، ورؤيته لسيدنا جبريل، ولسيدنا الخضر يقظة لا مناماً... إلخ»[3].

---

(1) كذلك ص340.
(2) كذلك ج3 ص345.
(3) كذلك ج2 ص110.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» Printed on [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100]

ومن كرامات الأولياء أيضاً: ما أخبر به المؤلف عن عم والده أنه رأى الولي أحمد الغيوان «يطير في الهواء»[1].

ومن الكرامات أيضاً: أن بعضهم له ما يسمى بـ«التصريف»؛ أي: التحكم في مصائر الخلق، سواء كانوا إنساً أو جناً، ومنهم: «من يتصرف بعد مماته أكثر مما يتصرف في حياته».

ولا بد من الإشارة إلى صنف مهم من هؤلاء الأولياء؛ وهم: المجاذيب البهاليل. فالمؤلف ترجم لعدد كبير من الأشخاص يطوفون في أسواق فاس وأزقتها حفاة وشبه عراة، يجرون ويصيحون، وقد يدخلون البيوت بغير استئذان، ولا يتعرض لهم أحد بسوء؛ خوفاً من شوكتهم، أو محبة فيهم؛ إذ يصفهم أنهم محبوبون، ويأتي هؤلاء من الأفعال ما يمكن أن يكون قصصاً شعبياً مثيراً.

ومما يسترعي الانتباه: أن المؤلف يصف كثيراً من هؤلاء المجاذيب بالملامتيين؛ ومعنى هذا: أنهم أصحاب طريقة صوفية معينة؛ تعني بصفة عامة: إظهار أعمال ينكر الشرع ظاهرها، وعدم ادعاء الفضل والولاية، وإذلال النفس وتحقيرها للحصول على التوبة.

أثناء هذا النوع من التراجم؛ يدلي المؤلف بآرائه وآراء المؤلفين في التصوف، فنعلم أن العقلية الدينية التي كانت سائدة في مجتمع القرن التاسع عشر يُميزها الاعتقاد الجازم بأن كل حقبة زمنية تتصف بوجود عدد من الأولياء؛ كالقطب؛ وهو: أعلاهم، والغوث، والأوتاد الأربعة، والأبدال السبعة، لا يزيدون ولا ينقصون في أي زمان، ويأتي هؤلاء لتجديد الدين.

وقد يفهم أن في ذكر هؤلاء المجاذيب البهاليل تنبيه إلى فساد أحوال المجتمع، ولكن لا نجد أية إشارة إلى ضرورة إصلاح هذه الأحوال في الكتاب.

ويشير المؤلف في كثير من الأحيان على لسان بعض هؤلاء الأولياء

(1) «سلوة الأنفاس» ج1 ص192.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

المجاذيب، إلى التنبؤ بدخول النصارى، أو إلى انهزام المغاربة في المعارك التي خاضوها مع المستعمرين في القرن التاسع عشر.

ففي ترجمة حمادي الكتاني؛ المتوفى سنة (1250هـ)؛ قال: «له كرامات؛ منها: لبسه للباس النصارى يوم دخولهم للجزائر، رغم أنهم لم يكونوا معروفين بفاس، ولا يُعلم من أين أتى بذلك اللباس؟، وجلس على شلية وطلى وجهه بالنجاسة»[1].

وحينما ترجم سيدي أحمد الجريدي المتوفى سنة (1260هـ)؛ قال: «أخبر بالهزيمة الواقعة بوجدة لجيش المسلمين مع **جيش النصارى** عام (1260هـ) قبل وقوعها»[2].

ثالثاً: ملامح من ساكنة فاس في القرن 19:

نماذج من الأسر الفاسية الكبرى.

اشتهرت فاس منذ القديم بأسر عرفت بالعلم أو الشرف أو الصلاح، أو بالجاه والثروة، وكان لها تأثير في المجتمع الفاسي. منها: أسر احتفظت بشهرتها منذ القديم، ومنها: أسر لم تشتهر إلا حديثاً؛ لهجرتها إلى فاس في فترة قريبة.

ونلاحظ أن الأسر الفاسية العريقة في القدم، سواء كانت بربرية أو عربية، انقرض الكثير منها؛ كالأزديين، وبني العجوز، وبني زَكُّون، وبني يَسْكَر الكنانيين، وبني قليل... وهي: أسر ترجم لها المؤلف فيما قبل القرن السابع الهجري.

بينما ظلت بعض الأسر القديمة موجودة إلى القرن التاسع عشر، وربما إلى الآن؛ كأسرة ابن القاضي التي تنتمي إلى ابن أبي العافية المكناسي الذي كان موجوداً في **القرن الرابع الهجري، أو الشرفاء الصقليين الذين كانوا**

(1) أيضاً ج3 ص326.

(2) «سلوة الأنفاس» ج3 ص326.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

موجودين بفاس ومراكش أيام الموحدين، أو أسرة السراج التي منها: **الحاج محمد السراج** المتوفى سنة (1264هـ)[1].

1 ـ مسألة النسب الشريف:

إن مسألة الشرف والانتماء إلى آل البيت كقضية اجتماعية دينية أو سياسية وإثنية في فاس، وفي أنحاء المغرب، في عدة مناسبات، منها: ما كان قد وقع بعد اكتشاف قبر المولى إدريس الأنور بفاس سنة (1437م)، ومنها: ما وقع سنة (1465م) حينما قامت ثورة بفاس حملت أحد الأدارسة إلى الحكم ضد ولاية اليهوديين الذين أقامهما الملك عبد الحق المريني بالمدينة.

وفي القرن التاسع عشر وقع تجديد لحركة الأدارسة كأشراف، والتي كان من نتائجها: تأسيس الزاوية الكتانية مثلاً[2]، وادعاء كثير من الأسر للنسب الشريف.

ويلاحظ من خلال «سلوة الأنفاس» وجود هذه الحركة في القرن التاسع عشر بسبب كثرة الكتب التي ألفت في آل البيت، وإثبات شرف العائلات، ومن الأمثلة على ذلك:

كتاب «الدر النفيس، فيمن بفاس من بني محمد بن النفيس»: ألَّفه الوليد العراقي المتوفى سنة (1265هـ) في الشعبة العراقية[3].

كتاب «الدرة الفائقة، في أبناء علي وفاطمة»: ألفه المصطفى بن الطايع البلغيثي؛ المتوفى سنة (1268هـ)[4].

وقد ألف السيد الطالب ابن الحاج المتوفى سنة (1273هـ) ثلاثة كتب من هذا القبيل:

- «الإشراف، في بعض من حل بفاس من مشاهير الأشراف».
- «نظم الدر واللآل، في شرفاء عقبة ابن صوال».

---

(1) عبد الله العروي: «الأصول الاجتماعية والثقافية» ص102.
(2) «سلوة الأنفاس» ج3 ص36. (3) كذلك ج3 ص36.
(4) كذلك ج1 ص157.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

ـ «**رياض الورد، إلى ما انتهى إليه هذا الجوهر الفرد**»: **(في نسب حمدون ابن الحاج)**[1].

وألف الحاج محمد گنون المتوفى سنة (1302هـ) في هذا المضمار كتاب: «الدرر المكنونة، في النسبة الشريفة المصونة»[2].

كما ألف محمد بن جعفر الكتاني نفسه كما ذكرنا في ترجمته، كتاب «النبذة اليسيرة النافعة» في سلالة الكتانيين.

2 ـ الأسر ذات الأصل الشريف، والمشهورة بفاس في القرن الماضي:

ـ هناك أسر معروفة بشرفها بدون منازع، بينما هناك أسر أخرى يُشك في شرفها. أما أهم الأسر الشريفة؛ فهي:

أ ـ الصقليون: يقول المؤلف في الجزء الأول، صفحة 141 عنهم: «أثنى على نسبهم غير واحد من كبار العلماء؛ كابن عرفة وابن خلدون، وقال فيهم: ذوو النسب الواضح السليم من الريبة عند كافة أهل المغرب». وابن الخطيب السلماني: «نسبهم صحيح، ومجدهم مجد صريح». وابن بشر، وابن جزي، وابن الجياب، وابن السكاك، وابن الأحمر، والشيخ القصار.

وقال عبد القادر الفاسي في كتابه «ذكر بعض مشاهير بيوتات فاس في القديم»: «الشرفاء الحُسينيون المعروفون، الصقليون؛ بنو طاهر بن الحسين بن علي بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وفاطمة بنت الرسول ﷺ».

أما عن تاريخ حلول هذه الأسرة؛ بفاس فلا يذكر، إلا أنهم وُجدوا في

(1) كذلك ج2 ص364.

(2) «سلوة الأنفاس» ج1 ص170.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

عهد الموحدين، حينما قال عبد القادر الفاسي عن نسب طاهر المذكور: «محمد ابن الفقيه الصالح، قاضي الخلافة الموحدية بمراكش؛ عبد الله بن طاهر بن الحسين».

- أما الذين اشتهروا من هذه الأسرة؛ فمنهم: أحمد الصقلي؛ المعروف بالقطب، والمشار إليه آنفاً، وابنه مولاي محمد؛ المتوفى سنة (1232هـ)، المعروف بعلمه وتصوفه.
- أما من ترجم المؤلف من الصقليين الذين عاشوا في القرن الماضي؛ فمنهم على سبيل المثال: محمد بن الطيب الصقلي؛ المتوفى سنة (1271هـ)[1]. صاحب كتاب «محاسن الأسرار الإلٰهية».
- والمجذوب مولاي أحمد الصقلي المتوفى سنة (1304هـ)[2]؛ الذي كانت للمؤلف معرفة به.

ب ـ العراقيون: أسرة فاسية عريقة، تنتسب إلى أبي القاسم بن نفيس كما ذكرنا سلفاً.

قال المؤلف: «الحاج محمد الهادي العراقي ابن أبي القاسم بن نفيس الشريف الكربلائي العراقي الحسيني؛ جد الشرفاء العراقيين بفاس، وأول قادم منهم عليها من البلاد العراقية. كانت له منزلة عظمى لدى الخاص والعام، وكان حياً أيام السلطان أبي سالم المريني»[3]. ويقول: «إن السلطان أبا سعيد المريني خرج لاستقباله»[4].

ويلاقى العراقيون مع الصقليين في جدهم موسى الكاظم حسب الشجرة الآتية:

(1) كذلك ص106.
(2) كذلك ج3 ص17.
(3) الصفحة نفسها.
(4) «سلوة الأنفاس» ج3 ص325.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

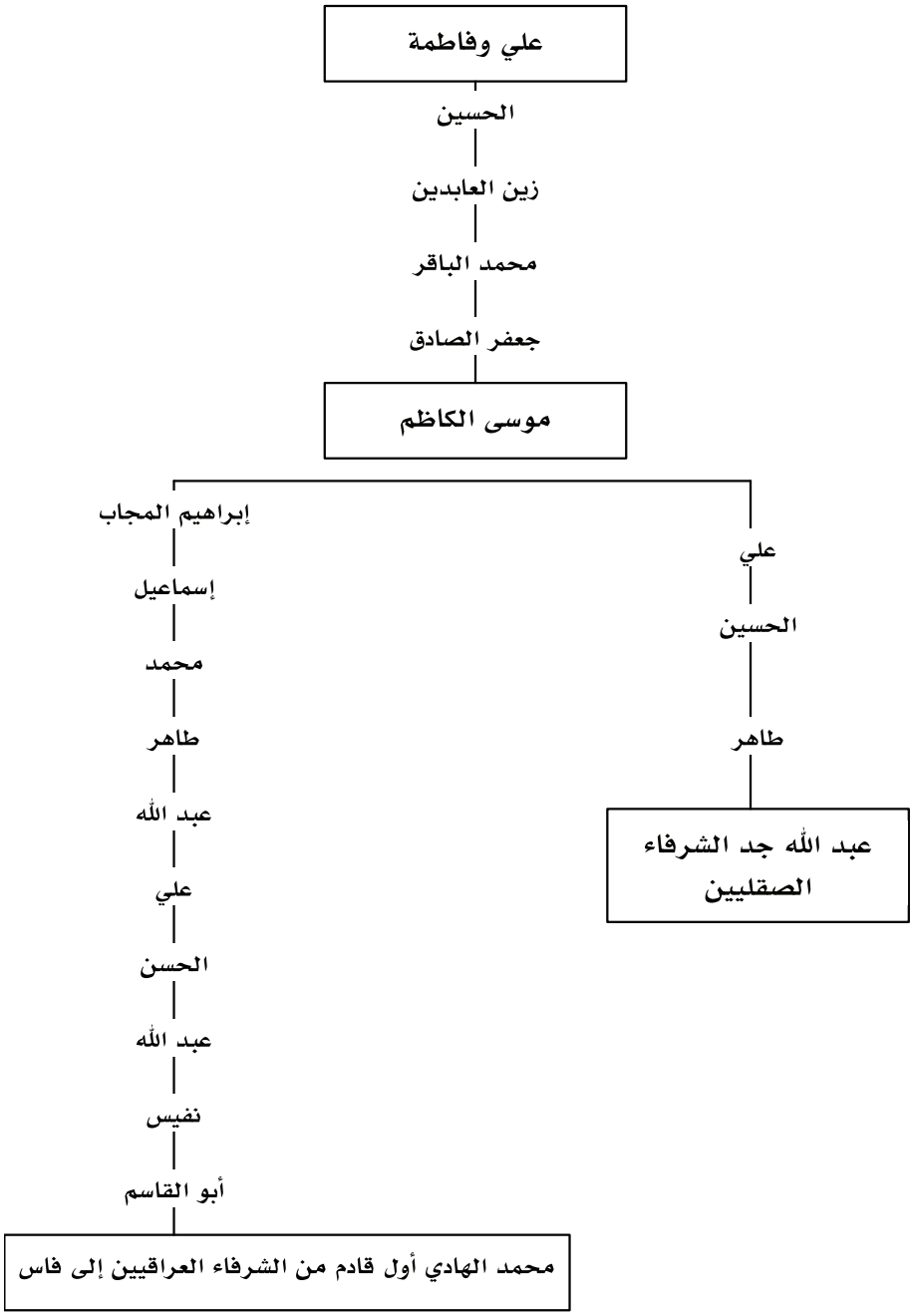

المصادر: عبد القادر الفاسي: «بيوتات فاس في القديم».

عبد الحفيظ الفاسي: «المدهش المطرب» ـ محمد الكتاني: «سلوة الأنفاس»

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

وقد ترجم محمد بن جعفر الكتاني لعدد من العراقيين في القرن الماضي؛ أذكر منهم: بعض العلماء المشهورين؛ كمولاي الوليد العراقي المتوفى سنة (1265هـ)، وقد سبق ذكرُه، وكان أستاذاً بالقرويين، وعبد الرحمٰن بن العباس العراقي؛ المتوفى سنة (1314هـ)؛ وكان ـ أيضاً ـ أستاذاً بالقرويين، وله مؤلفات في المدح النبوي[1].

كما اشتهر في الأسرة العراقية صلحاء؛ مثل: المهدي العراقي؛ المتوفى سنة (1258هـ)، الذي **قال عنه المؤلف**: «**له تلامذة صالحون، يعتقدونه، ويخافون من العطب إذا قطعوا أمراً دونه**»[2].

ج ـ أسرة الدباغين: يقول صاحب «سلوة الأنفاس»: «إن الدباغين شرفاء حسنيون من ذرية عيسى ابن المولى إدريس». ويقول المؤلف عبد الحفيظ الفاسي[3]: «إن مساكنهم الأولى كانت بقبيلة آيت عتاب من برابرة تادلا، حيث كان جدهم عيسى في أول أمره خليفة عن أخيه الأمير محمد بن إدريس الذي كان صاحب فاس، ثم انتقلوا منها إلى سلا في حدود سنة (790هـ)، وكان المنتقل هو: أبو العباس أحمد بن القاسم، ولما استوطنوا سلا؛ أصبحوا يُدعون باسم الدباغ، وكان انتقالهم من سلا إلى فاس أوائل القرن التاسع».

ومن هذه الشعبة: الولي الشهير عبد العزيز الدباغ؛ المتوفى سنة (1131هـ)[4].

أما المشهورين منهم في القرن الماضي؛ فمنهم: عمر؛ سبط عبد العزيز الدباغ، وقد توفي سنة (1260هـ)، وكان فقيهاً وعدلاً، وإماماً وخطيباً بمسجد الديوان أيام المولى سليمان[5] وعبد الواحد؛ المتوفى سنة (1271هـ)؛ الذي وُصف بالقطب، وألف في شأنه كتاب «النور القوي»[6]. وأخيراً: محمد؛

---

(1) كذلك ج2 ص358. (2) أيضاً ج3 ص105.
(3) عبد الحفيظ الفاسي: «المدهش المطرب».
(4) «سلوة الأنفاس» ج2 ص197. (5) «سلوة الأنفاس» ج2 ص205.
(6) «النور القوي، في ذكر شيخنا مولاي عبد الواحد وشيخه مولاي العربي الدرقاوي».

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

المدعو: بوطربوش؛ المتوفى سنة (1291هـ)، وقد سبق بعض الحديث عنه.

د ـ الكتانيون: يتحدث محمد بن جعفر الكتاني عن أسرته بإسهاب في كتاب «سلوة الأنفاس»، لكن تاريخهم وهجراتهم إلى نهاية استقرارهم بفاس؛ فيوجد بكيفية مفصلة في كتاب «النبذة اليسيرة النافعة».

ينتمي الكتانيون إلى يحيى بن عمران الذي كان يسمى: أمير الناس، أو: أمير المؤمنين؛ لأنه كان سيد قومه بمنطقة زواوة التي هاجر إليها كما سنرى، وهو أول من دُعي بالكتاني، واشتهر بها بنوه، وسبب ذلك: أنه استعمل الأخبية من الكتان، وكانت قبله لا تُستعمل إلا من الصوف والشعَر.

في العشرينيات من القرن الرابع الهجري؛ عزم موسى ابن أبي العافية المكناسي التابع لأمويي الأندلس، أن يطرد الأدارسة، فالتجأ هؤلاء إلى قلعة الحجر بسوماتة، قرب جبل العلَم، لكن قائد موسى ابن أبي العافية؛ وهو: أبو الفتح التسولي حاصرهم بتلك القلعة، ففر عدد من هؤلاء الأشراف؛ ومنهم: يحيى بن عمران المذكور، وحل ببلاد زواوة.

وأول انتقال للكتانيين من زواوة كان إلى شالة وقبيلة بني حسن أيام عبد المومن بن على الموحدي، وبعد مكوثهم بشالة؛ انتقلوا إلى مكناس في أوائل عهد المرينين، وتختلف الآراء حول تاريخ هذا الانتقال بين (656 و710هـ).

وفي أواسط القرن العاشر؛ انتقل فريق منهم إلى فاس، بينما ظل الفريق الآخر في مكناس إلى أن انقرض عقبهم أواخر القرن الثاني عشر الهجري بمكناس. أما أول قادم منهم إلى فاس في القرن العاشر؛ فهو المسمى: أبو عبد الله مولاي محمد؛ أخو مولاي أحمد بن أبي القاسم الذي انقرض عقبه بمكناس.

وسكنوا عقبه أبي صوال التي بقيت بها دارهم التي سكنها محمد بن جعفر الكتاني؛ وهي دار محبسة على الكتانيين منذ القرن العاشر.

أما عمود نسبهم؛ فسأكتفي بالوقوف فيه عند علي الجد الجامع لقبيلة الكتانيين:

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

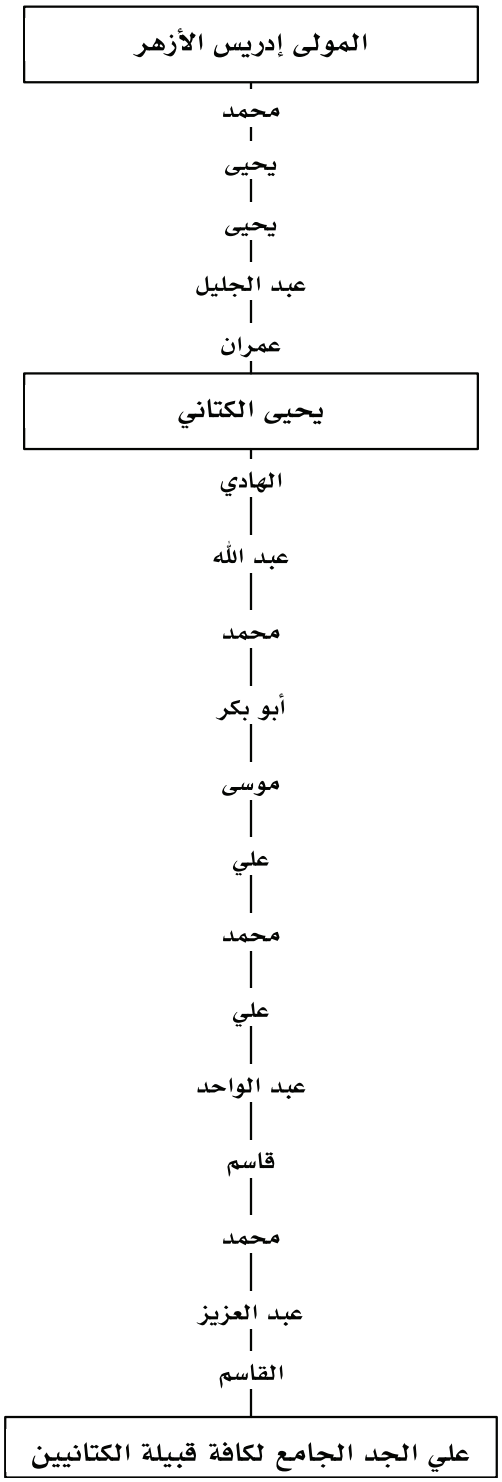

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

ويتصل محمد بن جعفر بجدهم الجامع عن طريق الشريف المولى الزمزمي؛ المتوفى عام (1178هـ) على الشكل الآتي:

علي الجد ← محمد ← مولاي العربي ← محمد الفضيل ← محمد الزمزمي.

وقد ترجم محمد بن جعفر نحو أربعة عشر فرداً من الكتانيين عاشوا من (1245هـ إلى 1314هـ)، ولكن أهم ملاحظة تخصهم؛ هي: عدم اشتهار أي واحد منهم بالعلم والفكر من قبل، وإنما كانوا أولياء صلحاء، ويمكن الجزم بأن أول عالم منهم هو: جعفر بن إدريس؛ والد المؤلف. ومن أهم الشخصيات الدينية التي ترجمها منهم: محمد؛ المدعو: الكبير بن عبد الواحد المتوفى سنة (1289هـ)، المشار إليه آنفاً؛ وهو: صاحب الزاوية الموجودة بساباط القرادين، وكان له أتباع وأصحاب، وقوراً ومحبوباً عند الناس، كما أشار المؤلف[1].

وكانت زاويته نواة الزاوية الكتانية التي اشتهرت في أوائل هذا القرن، والتي أُقفلت ثم استعادت نشاطها بعد ذلك.

أما الكتانيون الآخرون الذين عاشوا في القرن الماضي؛ فلا يترجم المؤلف منهم إلا أولياء الله والمجاذيب؛ وهم عديدون.

هـ ـ أسرة العلويين:

تعدد الأفراد المشهورون من هذه الأسرة في القرن الماضي، واشتهروا إما بعملهم أو بصلاحهم، ولكن الشيء الجديد لدى العلويين الذين ذكرهم المؤلف؛ هو: حداثة استقرارهم بفاس، وليس معنى هذا أن أسرة العلويين لم توجد بها من قبل. وإنما لم يهاجر الكثير منهم إلى فاس إلا في القرن الماضي، ومنهم على سبيل المثال:

ـ مولاي عبد الهادي العلوي السجلماسي المدغري؛ المتوفى سنة (1272هـ)،

(1) «سلوة الأنفاس» ج1 ص125.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

والذي هاجر من أولاد شاكر إلى فاس، وصاهره السلطان مولاي عبد الرحمٰن، حيث زوجه ابنته (ج1 ص117).

- مولاي المهدي العلوي؛ المتوفى سنة (1301هـ)، والمعروف كشاعر، وقد قدم من الصحراء إلى فاس، واستقر بها (ج1 ص244).
- مولاي علي بن عبد الواحد العلوي؛ المتوفى سنة (1310هـ)، الذي جاء إلى فاس ودُفن في الفدان المشتمل على غرباء الفقهاء والعلماء... وغيرهم[1].

وختاماً للكلام عن الأسر الشريفة؛ يمكن القول بأن مدينة فاس ضمت أكبر عدد من هذه الأسر من بين المدن المغربية الأخرى، بدون منازع، وممن لم يتسن إيراد أسمائهم، يمكن الإشارة إلى كل من القادريين والعلميين، والطالبيين والعمرانيين.

ولم أذكرهم؛ لأنني أخترتُ نماذج الأسر التي ترجم المؤلف فيها أكثر من أربعة أشخاص عاشوا في الفترة المعاصرة؛ لأن في ذلك إشارة إلى مدى مساهمتها العلمية والدينية في مجتمع القرن الماضي.

3 ـ الأسر غير المنتمية لآل البيت:

ظهرت في القرن الماضي ـ كغيره من القرون السالفة ـ أسر علمية كبرى ساهمت في الحياة الاجتماعية بقسط وافر من العلم، وتولَّى أفرادُها المناصب العليا؛ كالإفتاء والقضاء والتدريس، وكان بعضهم من أهل الحل والعقد في مدينة فاس كأعضاء الأسر الشريفة السابقة الذكر. ومنها:

أ ـ أسرة آل بن سودة: أول فرد ذكره المؤلف من هذه الأسرة هو: القاضي أبو القاسم؛ الذي لقبه بالمُرّي الغرناطي، والمتوفى سنة (1004هـ)، كما أعطى بعض المعلومات عن أصل آل ابن سودة في ترجمة محمد التاودي المتوفى سنة (1209هـ)، مُورداً قول العلامة الرهوني: إن مُرَّة؛ هي: قريش، أما تاودة؛ فهي: من أعمال فاس[2].

(1) «سلوة الأنفاس» ج3 ص83.

(2) أيضاً ج1 ص112.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

أما صاحب كتاب «المدهش المطرب»؛ فيقول: «بيت ابن سودة من البيوتات العربية الشهيرة بفاس علماً ومجداً، وفضلاً وثروة، وتخططاً في الوظائف الدينية العلية وغيرها؛ من قضاء وخطابة، وإمامة وعدالة وكتابة»[1].

قدموا من الأندلس في القرن الثامن، وأول قادم منهم على فاس هو: أبو القاسم محمد بن محمد بن علي، وذلك سنة (754هـ)، في عهد أبي عنان المريني، وكان من العلماء والأطباء، وقد ظهر فيهم كثير من العلماء.

أما الذين ينتمون إلى القرن الماضي حسب «سلوة الأنفاس»؛ فمنهم:

الحاج عمر ابن سودة؛ المتوفى سنة (1235هـ)، وهو: مدرس وعالم كبير[2].

الحاج المهدي؛ المتوفى سنة (1294هـ)؛ وكان قاضي مكناس، كما كان يقرأ القرآن مع السلاطين؛ ابتداء من مولاي عبد الرحمٰن، وانتهاء بمولاي الحسن، وله تآليف وشروح فقهية.

وبالطبع؛ كان هناك آخرون في القرن الماضي، ولكن المؤلف لا يذكرهم؛ لأنهم كانوا ما زالوا أحياء وقت كتابته لمؤلفه، وهذا ينطبق على كل الأسر المذكورة وغير المذكورة.

ب ـ آل الفاسي: لم يترجم المؤلف إلا عدداً قليلاً من علماء هذه الأسرة المنتمين للقرن الماضي، ولكنه بالمقابل أتى على ذكر الكثير ممن عاش منهم في القرنين الحادي عشر والثاني عشر، وقد ذكر في المجلد الثاني اثني عشر اسماً متتالياً للأسرة الفاسية، زيادة على أفراد آخرين منهم غير متتابعين في باقي المجلد، بالإضافة إلى عدد كبير آخر منهم في المجلدين الأول والثالث، ويحدثنا المؤلف عن أصل هذه الأسرة في ترجمة عبد الرحمٰن جده أبا المحاسن قائلاً: «إنهما ينتميان إلى فرج ابن الجد الذي كان من أكابر الأندلس».

(1) عبد الحفيظ الفاسي، «المدهش المطرب»، ص99.
(2) «سلوة الأنفاس» ج2 ص109.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

يقول عبد الحفيظ الفاسي في كتابه السابق عن الأسرة الفاسية: «هؤلاء ـ بإجماع نسابي الأندلس ـ من قريش، من بني فهر بن مالك؛ الذي هو قريش، ثم اختلف من أي طريق يتصلون؟... وكانت مساكن أسلافنا الأولى: القيروان وقرطبة، ثم انجلوا عنهما إلى لبلة من أعمال إشبيلية، ثم انتقل بعضهم إلى مالقة، والبعض إلى إشبيلية، ثم انحاشوا برهطهم إلى مالقة سنة (646هـ)، ومنها انتقلوا إلى فاس في حدود عام (880هـ)، وكان المهاجر إلى فاس: أبا زيد عبد الرحمٰن... ومعه **أخت لا ثالث لهما**».

أما صاحب «سلوة الأنفاس»؛ فقد جعل أول قادم من الأندلس هو: يوسف بن عبد الرحمٰن؛ الذي جاء إلى القصر، وكان يشتغل بالتجارة، ويتردد على فاس؛ فلقب بالفاسي، وهذا عمود نسبه إلى الجد:

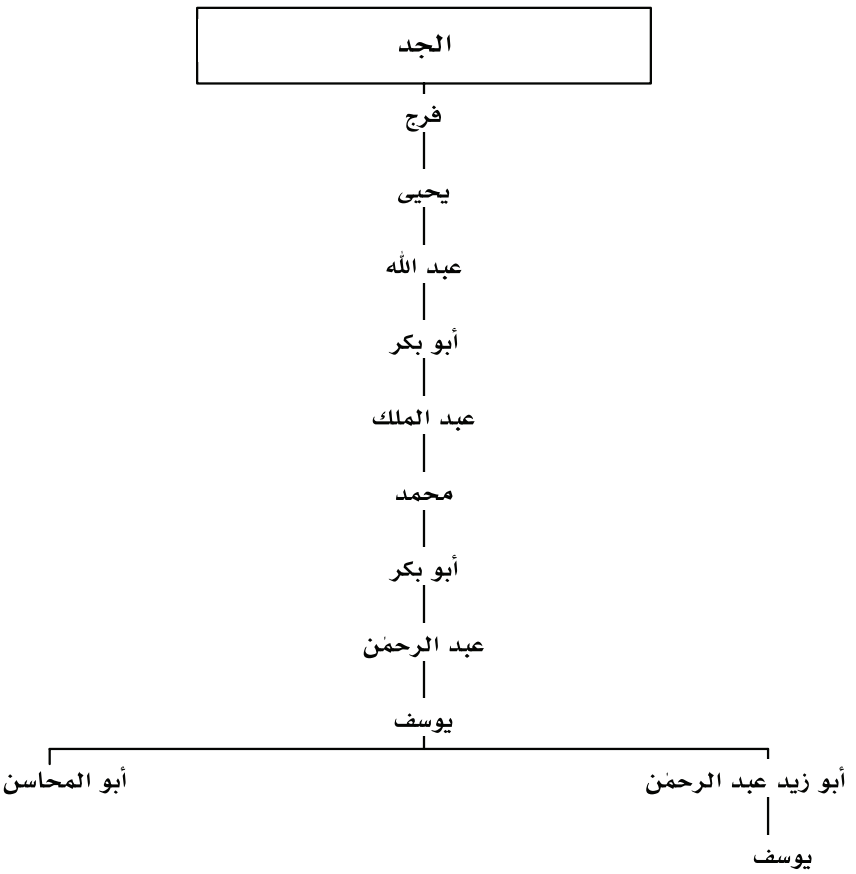

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

وقد تفرع عن أبي المحاسن يوسف الفاسي عدد كبير من العلماء والمتصوفين، يسهب المؤلف في ترجمتهم؛ منهم: أبو حامد العربي؛ صاحب «مرآة المحاسن»، وعبد القادر الفاسي؛ المدعو: شيخ الإسلام؛ المتوفى سنة (1091هـ)... إلخ.

أما المشهورون من هذه الأسرة في القرن الماضي؛ فمنهم: المجذوب الفاسي؛ المتوفى سنة (1260هـ)، وكان خطيباً بمسجد القرويين[1].

وعبد القادر بن عبد الواحد؛ الذي كان السلطان مولاي سليمان ولاه الإمامة بالقرويين وهو ابن ثمان عشرة سنة.

ج ـ أسرة آل بناني: من بين الأسر التي اشتهر أفرادها بالعلم خلال القرن الماضي، أما قبل ذلك؛ فلم يشتهر منها سوى عدد قليل لا يخصص لهم المؤلف إلا ترجمات قصيرة جداً.

يقول عبد السلام ابن سودة في مقاله «بيوتات فاس قديماً وحديثاً»: «إن هناك عائلة بناني (بكسر الباء) وأصلهم من تلمسان، وعائلة البناني: أصلهم من جبل العلم؛ ويدعون الشرف، وعائلة بناني؛ الذين يذكر أصلهم من القيروان... تقدم فيهم العلم من زمان، والخير والدين، فيهم عدة فرق تصل إلى 32 فرقة، وإن كان أصلهم واحداً. منهم: شيخ الجماعة في وقته محمد بن محمد بن عبد السلام بناني؛ شارح كتاب «الاكتفاء»؛ دفين حومة الصاغة، المتوفى سنة 1163هـ».

وأول بناني ترجمه صاحب «سلوة الأنفاس»؛ هو: محمد الذي ذكره عبد السلام ابن سودة.

أما المشهورون من البنانيين في ترجمات القرن الماضي؛ فليسوا قليلين؛ فمنهم:

ـ أحمد بناني المتوفى سنة (1306هـ)؛ وهو: من شيوخ محمد بن جعفر

(1) «سلوة الأنفاس» ج1 ص326.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

الكتاني في العلوم العقلية كما سلف في ترجمة المؤلف، وكان بارعاً فيها.

- عبد الله بناني؛ المتوفى سنة (1307هـ)، وكان قاضياً بطنجة والصويرة، وفقيهاً درس الفقه والنحو بالقرويين[1].

كما اشتهر من هذه الأسرة أولياء؛ مثل: الصالح بن الطيب بناني؛ المتوفى سنة (1270هـ).

4 ـ خلاصة ديموغرافية:

نستنتج أن ظاهرة الاستقرار في موطن واحد منعدمة، فكثير من الأسر خرجت من فاس ثم رجعت إليها كما رأينا في حالة الشرفاء الكتانيين أو الدباغيين... إلخ، وكثير من الأسر جاءت من الأندلس؛ كالسوديين والفاسيين، وأخرى جاءت من الشرق؛ كالعراقيين. أما الأسر التي أتت من مختلف بقاع المغرب إلى فاس؛ فلا تُحصى؛ كأسرة السوسي، والزموري، والدلائي، والتادلي، والوزاني، والعلمي، والسلاوي... إلخ. وكلها أسر مذكورة في الكتاب بتفاوت.

وظلَّت ظاهرة التنقل مستمرة خلال القرن الماضي والقرن الحالي طبعاً، كما لاحظنا في حالة أسرة العلويين عند ذكر بعض أفرادها.

أما الأسر التي هاجرت من فاس إلى مختلف أنحاء المغرب، وخارج المغرب؛ كالسودان مثلاً؛ فلا نجد لها أمثلة في كتاب «سلوة الأنفاس» بما أن مؤلفه لا يتحدث إلا عمن «أقبر بمدينة فاس».

وأخيراً؛ لا بد من التنبيه إلى أن ما أستعرضه من الأسر لا يكون إلا نماذج قليلة ممن لعبت أدواراً اجتماعية ودينية وعلمية بفاس من خلال الكتاب، وذلك لالتزامي بذكر من ورد أنه عاش في القرن الماضي من جهة، ومن جهة أخرى؛ لتفادي التطويل؛ خاصة وأن الموضوع متشابه.

كما أن عدم ذكري لأسر؛ كأسرة گنون، والحبابي، أو التازي؛ ليس

(1) «سلوة الأنفاس» ج1 ص149.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

تنقيصاً من أهميتها؛ فقد ذكرت أعضاءها البارزين في عنوان الحياة العلمية. وما يؤخذ على المؤلف هو: إغفاله تماماً ترجمة أفراد بعض الأسر؛ كأسرة الشرفاء الطالبيين، أو أسرة الأزرق، أو أسرة الحلو.

وكخاتمة عن هذا الباب الثالث؛ أرجو أن يكون ما قيل غير مقصر في إثارة الجوانب التي يمكن استخلاصُها من الكتاب في الفترة المعاصرة، ولا أدعي أنني أحطتُ بكل ما يمكن أن يقال، ولكن بذلت جهدي للقيام بذلك. ومن جهة ثانية؛ لم أجعل من المعلومات المستخلصة عن الأسر أو المواد الدراسية أو رجال التصوف أو العلم معلومات غايتها التراكم والحصر، وإنما غايتها: ضرب الأمثلة فقط.

ومن جهة ثانية؛ ترجع مسؤولية كبرى للمؤلف نفسه في تجاهل الحديث عن بعض الجوانب الأساسية التي كان من الممكن والسهل عليه إثارتها، خاصة وأن الظرف التاريخي الذي كتب فيه كتابه ملائمٌ جداً، بل ودافعٌ أساسي للكتابة عنه؛ وأعني بذلك: الجانب السياسي المفتقَد في كتاب «سلوة الأنفاس»، لكن هذا الموضوع سأتركه للتعليق في نهاية الدراسة.

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

Black plate (402,1)

التعليق على الكتاب

1 ـ من حيث المنهاج:

يعتبر كتاب «سلوة الأنفاس» فريداً من نوعه ككتاب في التراجم؛ للعوامل الآتية:

أ ـ تعدد الجوانب المذكورة في الشخصية.

ب ـ طول بعض التراجم، مما يعطي فوائد ومعلومات متنوعة.

ج ـ التحقيق؛ سواء في سنة الوفاة، أو في مكان دفن المترجَم (بفتح الجيم)، وذلك بإيراد أكبر عدد من المصادر لإثبات ذلك.

د ـ تقديم التراجم على أساس المواقع الجغرافية للمدينة، وهذا منهاج جديد لم يؤلَّف في كتب التراجم السابقة، المعتمِدة إما على التسلسل الزمني وإما على الترتيب الأبجدي.

هـ ـ تنوع المصادر: استعمل محمد بن جعفر الكتاني في تأليف كتابه المصادر المكتوبة؛ من كتب في التاريخ أو السير، أو التراجم أو الفهارس، أو كتب الأدب، أو الفقه، أو الفتاوى، أو النوازل، كما استعمل الوثائق؛ من رسوم للصداق، أو الملكيات، أو المعاملات، أو وثائق الحبُس. أما مصدره الثاني؛ فهو: النقوش على الأضرحة وشواهد المقابر للتعرف على سنة الوفاة على الخصوص. وأخيراً؛ اعتمد على الرواية الشفوية.

و ـ طول مدة التأليف: استغرق المؤلف 15 سنة في تأليف «سلوة الأنفاس» كما قال **ليفي بروفنسال** في كتابه «مؤرخو الشرفا»، ومع ذلك علَّق على هذا قائلاً: «إن هذه المدة لا تكاد تكفي لقراءة كل المصادر التي أثبتها في آخر كتابه».

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

ي ـ لائحة بيبليوغرافية طويلة: يبلغ عدد المصادر التي اعتمدها المؤلف 140 مصدراً، ومن بين هذه المصادر ما يضم الواحد منها عدة مجلدات.

وفي سنة (1905م) قام أحد الأساتذة الفرنسيين بإحدى الكليات الجزائرية بمحاولة دراسة هذه المصادر؛ وهو: **روني باصي** René Basset، وأصدر دراسته كمقال في إحدى المجلات تحت اسم: **أبحاث بيبليوغرافية في مصادر «سلوة الأنفاس»**[1]، وأهم انتقاد يوجهه هذا الأستاذ إلى مؤلف «سلوة الأنفاس»؛ هو: خلو المصادر من الكتب الخاصة بتاريخ الموحدين؛ ككتاب «المعجب» للمراكشي، أو كتاب «تاريخ إفريقيا وإسبانيا» لابن عذاري، أو كتاب «الحلل الموشية»، أو ما كتبه البكري والإدريسي... إلخ، أما الملاحظة الثانية؛ فهي: عدم ترتيب هذه اللائحة البيبليوغرافية زمنياً.

هذه إذن مجموعة من الملاحظات تجعل من الكتاب مؤلَّفاً ذا قيمة خاصة، وقد حاول بعض المهتمين بالتراجم الاقتداء بمحمد بن جعفر في طريقة هذا التأليف؛ مثل: محمد بن محمد بن عبد الله الموقت المراكشي في كتابه: «**السعادة الأبدية، في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية**»، ولكنه لم يبلغ مبلغ صاحبنا كما لاحظ **ليفي بروفنسال**.

2 ـ من حيث المضمون:

لقد أشرتُ سلفا إلى بعض المآخذ من حيث المضمون، ولكن هناك جوانب مهمة أرى ضرورة إثارتها والتركيز عليها؛ منها: ما أشار إليه **ليفي بروفنسال** من الأساطير والخرافات التي قال: إنها «تلوث سمعة الكتاب». أما الملاحظة الأساسية؛ هي ما يتعلق بـ:

«مدى الاهتمام بالأحداث الكبرى التي عرفها القرن التاسع عشر، باعتبار المؤلف ابناً لهذا القرن».

---

(1) «أبحاث بيبليوغرافية في مصادر سلوة الأنفاس»، ضمن مجموع نصوص نشرت في أعقاب المؤتمر الرابع عشر للمستشرقين، الجزائر 1905م.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

بما أن محمد بن جعفر الكتاني عاش أكبر قسم من حياته في القرن التاسع عشر؛ فمن الطبيعي أن يتأثر بأحداثه الكبرى، ولا بد أن يظهر أنه مسؤول إذا لم يثرها حينما سنحت له المناسبات، رغم أن كتابه في التاريخ بقدر ما هو كتاب تراجم.

لقد ترجم لعدد من الملوك؛ سواء في الفترة المعاصرة أو قبلها، ولكن ما يلاحظ هو: عدم إثارته إلا للأعمال الدينية والخيرية لهؤلاء السلاطين.

فحينما ترجم السلطان مولاي عبد الرحمٰن بن هشام[1]؛ أشار إلى حُسن عبادته وتقشفه، وبنائه للمساجد؛ كالجامع الجديد، والمارستان بسلا، وإصلاح قبة أبي العباس السبتي. ولكن لم يذكر أبداً أن المغاربة انهزموا في عهده في **معركة إيسلي**، أو أن الأجانب ازداد اختلاطُهم بالمغاربة.

وحينما ترجم السلطان محمد بن عبد الرحمٰن[2]؛ تحدث عن حلمه ووقاره، وإصلاحه للأسوار، ولضريح أبي العباس أحمد الشاوي، دون أن يشير ـ ولو تلميحاً ـ إلى **كارثة تطوان**، وما أصاب المغرب بسببها من أزمة.

لقد عاصر المؤلف ـ أيضاً ـ السلطان مولاي الحسن، والسلطان مولاي عبد العزيز، وقد بدأ تأليف كتاب «سلوة الأنفاس» سنة (1883م)، ومع ذلك لم يتحدث لا عن ازدياد التدخل الأجنبي، ولا إلى تفاقم الحماية الفردية انطلاقاً من **مؤتمر مدريد** الذي انعقد في عام (1880م)، ولا إلى المنافسات الدولية على البلاد. وهي: أمور لا يمكن أن يكون رجلٌ مثله غائباً عن الإحساس بل والتأثر بها، لقد تجاهل ذكر كل ذلك رغم أنه ترجم للسلطانين الأخيرين.

وكل ما ذكره عن هذه الحوادث الكبرى كلمات قليلة عن التنبؤ بدخول الفرنسيين إلى الجزائر، والتكهن **بانهزام إيسلي** من طرف بعض أولياء الله المجاذيب كما سبقت الإشارة في الباب السابق.

أما اللمحات الأخرى عن حوادث القرن الماضي؛ فلا تجد منها إلا

(1) «سلوة الأنفاس» ج3 ص232.

(2) كذلك ج3 ص233.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

اثنتين أخريين؛ **أولاهما**: تتمثل في الإشارة إلى حرب تطوان حينما ترجم المؤلف لجده إدريس الكتاني المتوفى (1281هـ)؛ فقال: «حضر رَحِمَهُ اللَّهُ غزو الصبنيون (كذا) مع المسلمين بأحواز تطوان في أيام السلطان محمد بن عبد الرحمٰن، وقاتل قتالاً شديداً، وأسره العدو، لكن افتك من أيديهم»[1]... ولم يعقب على هذا بأي شيء.

وثانيهما: ولعلها الأكثر تعبيراً عما وصلته حالة المغرب في أواخر القرن؛ هي: التي أشار فيها إلى سؤال السلطان مولاي عبد العزيز لعلماء فاس كما يأتي: «وقد كان ورد السؤال على فاس من... سيدنا أمير المؤمنين... مولانا عبد العزيز... في السنة التي قبل هذه؛ وهي: سنة أربع عشرة وثلاثمائة وألف، عن قوم أرادوا الذهاب لحج بيت الله الحرام، والحال أن أجناس النصارى ـ دمرهم الله ـ اتفقوا على التنكيل البالغ بمن يحج في هذه السنة من الأنام، فهل يُمكنون منه والحالة هذه أم لا؟... وقد كتب في ذلك كتابه»[2].

تكلف إذن المؤلف بالرد على سؤال السلطان، وأعطى فتوى في ذلك ضمن رسالة جوابية أوردها في الصفحة ذاتها، لكن لا تهمنا هذه الرسالة بقدر ما يهمنا مدى توضيح هذه الظروف التي كانت تعيشها البلاد، ومدى اهتمامه بذلك.

هذا كل ما ذكره المؤلف عن حالة المغرب في القرن الماضي في كتابه.

ومما يثير الانتباه أيضاً؛ هو: أن المؤلف ترجم عدداً من شخصيات القرن التاسع عشر الذين اعتبرهم المؤرخون من دعاة الإصلاح، لكن المؤلف أغفل ذكر ذلك، وهذه أمثلة للتوضيح:

لقد ترجم الفقيه التسولي[3] المتوفى سنة (1258هـ)، وذكر تآليفه، ولم يشر أبداً إلى رسالته في إصلاح الجيش؛ المسماة «البسيط»، رغم أنه ـ كما

(1) «سلوة الأنفاس» ج2 ص195.
(2) «سلوة الأنفاس» ج2 ص215.
(3) كذلك ج1 ص238.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

رأينا ـ يكثر من ذكر مؤلفات العلماء ويستقصيها، وترجم الكردودي المتوفى سنة (1268هـ)، وذكر عدة تآليف له، ولم يذكر كتابه «كشف الغمة» في ترجمته، والذي يحض فيه على الجهاد وطرد الكفار. وترجم ـ كما رأينا ـ الوزير ابن **إدريس العمراوي؛ المتوفى سنة** (1264هـ)، وذكر له قصائد وأمداحاً نبوية وسلطانية، ولكن لم يذكر أبداً أن له قصائد في الحض على الجهاد أيضاً؛ مثل قصيدته التي مطلعها:

يا أهل مغربنا؛ حُق النفير لكم إلى الجهاد، فما في الحق من غلطِ[1]

وحينما ترجم مولاي محمد النيلادي المدغري؛ المتوفى سنة (1299هـ)، والقاضي بفاس ونواحيها، لم يشر إلى أنه كاتب **المذكرة الجوابية رداً عن رسالة الكاردينال نينا** كاتب الدولة في الفاتيكان، التي وجهها لمؤتمر مدريد (1297هـ/ 1880م) بواسطة سفير النمسا بشأن حرية العقيدة في المغرب[2].

يقول **الأستاذ المنوني في مقال له عن الإصلاح في المغرب في القرن التاسع** عشر[3]: «عهد الحسن الأول إلى قاضي فاس محمد بن عبد الرحمٰن العلوي المدغري بكتابة مشروع عن المذكرة، فحرره هذا بعد استشارة العلماء المعنيين بالأمر دون الإشارة إلى أسمائهم».

فمن المستبعد جداً أن يكون المؤلف جاهلاً بهذه الرسالة، باعتباره من علماء فاس وأعيانها المشهورين.

وهكذا نجد ـ عن طريق هذه الأمثلة ـ أن كتاب «سلوة الأنفاس» لا يبين حالة المغرب في الزمن الذي عاش فيه المؤلف، وبالتالي؛ لا يظهر فيه موقفه من القضايا الكبرى التي عاشتها البلاد.

---

(1) أيضاً ص363.

(2) محمد المنوني، «الإصلاح في المغرب في القرن التاسع عشر»، في مجلة كلية الآداب بالرباط، عدد 9.

(3) بمجلة كلية الآداب بالرباط العدد 9.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

ولكن لا بأس من أن نقفز من «سلوة الأنفاس» إلى بعض ما كتبه محمد بن جعفر الكتاني في أماكن أخرى، وإلى ما كُتب عنه ـ حسب الإمكان ـ لنأخذ صورة عن حقيقة شخصيته واهتماماته.

وفي هذا المجال؛ أول ما يسترعي الانتباه: خطبته التي ألقاها بجامع أبي الجنود يوم (18 قعدة 1317هـ)، والتي أوردها الأستاذ المنوني[1]، ولا بأس من الاطلاع على بعض الأسطر من هذه الخطبة، فبعد أن مجد الشريعة الإسلامية قال:

«إن كثيراً منا ـ يا عباد الله ـ قد دنسوها بالركون لأعداء الدين، وموالاة الكفرة الأشرار المعتدين، والدخول تحت حكمهم وسلطانهم، والكون في خدمتهم وفي جملة أعوانهم، والتردد على أبوابهم والتعلق بين أعتابهم، نابذين بذلك الغيرة الإسلامية، والطاعات الإمامية، جهلاً منهم بما ينشأ عن ذلك من البلايا، وما يترتب عليه من المفاسد العظيمة والرزايا. وما علموا أن ذلك أصل كل بلوى، وطريقٌ لهدم الإسلام وخراب أساس التقوى».

مما لا شك فيه أن هذه الفقرات تُبرز الموقف الوطني لمؤلف «السلوة» بوضوح، حيث قام في خطبته بتوعية الناس وتحذيرهم من خطر المستعمر، وأبرزت هذه الخطبة موقف المؤلف من الأوضاع الجديدة التي سببها تزايد التغلغل الأجنبي في البلاد، مشيراً بصفة غير مباشرة إلى الحمايات الفردية المتكاثرة، وإلى وجوب إنقاذ الشريعة الإسلامية مما يهددها.

ويكفي لأخذ صورة عن مدى اهتمام المؤلف بقضايا بلاده كعالم وفقيه، وصاحب مجالس علمية، أن نشير إلى عناوين بعض مؤلفاته؛ لندرك أنه: حاول القيام بدوره كعالم عامل. ومن الأمثلة على ذلك: كتاب «نصيحة أهل الإسلام، بما يدفع عنهم داء الكفرة اللئام». وكتاب: «وجوب التناصر بين المسلمين على أعدائهم الكافرين مع الإمكان»، وكتاب في حكم الاحتماء بالنصارى!.

(1) في كتاب «مظاهر يقظة المغرب الحديث».

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

وكل هذه الكتب ما زالت مخطوطة، وكان من الصعب الاطلاع عليها؛ لندرة وجودها في الخزانات، قبل أن يقوم ورثة هذا العالم بوهب مجموعة هامة من مكتبته إلى الخزانة العامة بالرباط مؤخراً.

ونتيجة لما سبق؛ يمكن أن نصحح نظرتنا إلى محمد بن جعفر الكتاني دون أن ننفي أنه كان مقصراً جداً، بل وسلبياً، كمؤلف كتب مجلداً عن شخصيات قديمة وحديثة، وسلاطين وعلماء عاصرهم، دون الإشارة إلى أدوارهم التاريخية، ومواقفهم من التدخل الأجنبي، ودون أن يبيِّن هو نفسه موقفه من كل ذلك.

ويبقى الجواب على السؤال مطروحاً: لماذا هذه السلبية؟.

أما موقفه كعالم قلق على مصير بلاده؛ يمكن الاستزادة من معرفته بالرجوع إلى ترجمته في بداية هذا البحث، فقد عرفنا أنه لم يهاجر إلى المدينة المنورة سنة (1910م) إلا لأنه لم يتحمل أن يرى بلاده تقع شيئاً فشيئاً في يد المستعمرين تحت شروط عقد الحماية سنة (1912م).

وهاجر محمد بن جعفر الكتاني إلى الشرق العربي، وأثناء مكوثه عُرف كشخصية لامعة، سواء أثناء إلقاء دروسه بالمساجد بالمدينة المنورة وبدمشق، أو في داره، حيث كان يلتقي عنده المشايخ والعلماء الآتون من كل حدب وصوب. لقد كان لهجرته ما يُبررها مما سبق شرحُه، فاعتبر موطنه ليس هو المغرب فقط، بل كل دار الإسلام، حيث مارس مهمة التدريس إلى أن رجع سنة (1925م) إلى مسقط رأسه.

خاتمة

لقد كان الهدف من هذه الدراسة ـ إضافة إلى التعريف بكتاب «سلوة الأنفاس» وبصاحبه تعريفاً سريعاً نسبياً ـ هو: تسليط الضوء على تراجم الفترة المعاصرة التي دُفن أصحابها بمدينة فاس، وقد عاش أغلبُهم في المدينة نفسها، ساهم البعض منهم في حياتها الثقافية، والبعض الثاني لعب دوراً اجتماعياً وصوفياً مربياً ورئيس زاوية، والبعض الآخر أضفى على جانب من

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

مجتمعاتها صبغة خاصة؛ إذ استقطب عطف الناس أو تخوفهم، اعتقاداً بسلطته الخفية، أو «شوكته»؛ ذاك هو: صنف البهاليل الذين جعلهم المؤلف رُموزاً اجتماعية وأخلاقية وغيرها، وكل هذه الأصناف أظهرت تراجمُها تطور حضارة فاس وتاريخها و«قدسيتها».

وإذا كان هذا الكتاب كتاب تراجم؛ فهو قطعة من تاريخ فاس والمغرب؛ إذ يمنحنا معلومات شتى، دينية وعلمية، إضافة إلى المعلومات عن أحياء المدينة وحوماتها وأسوارها وأبوابها، مما يُبيِّن أهمية كتب التراجم في التأليف التاريخي.

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

Black plate (410,1)

أبحاث بيبليوغرافية
حول مصادر «سلوة الأنفاس»[1]

الأستاذ روني باسي[2]:

بالرغم مما نشر لحد الساعة حول المغرب؛ فإن ذلك لم يثر اهتمام المستشرقين[3]؛ فجزء منه هو الذي أشير إليه في دراسة للباحثين: **م. كوديرا وزايدين** (M.Codera et Zaidin)، تحت عنوان: «كتب صادرة من المغرب» Libros procedentes de Marruecos («نتيجة التحقيق»، و«الإشراف»، و«الدر السني»، و«الدوحة»، و«الصفوة»، و«الممتع»، و«نشر المثاني»، بالإضافة إلى: «الزجر والإقماع» لمحمد بن المدني گنون[4])، وبعض الأبحاث الأخرى أشار

(1) تعريب المحققين.

(2) مستشرق فرنسي شهير، مختص في تاريخ المغربي العربي، والأمازيغية، وما يتعلق بذلك من مصادر وأبحاث، وقد تولى عدة مناصب في هذا الإطار. مدير المدرسة العليا للآداب بالجزائر، ومراسل المعهد التابع لها، عضو المجمع العلمي العربي، وأحد المشاركين في إصدار النسخة الأولى من «دائرة المعارف الإسلامية»، توفي عام (1924م).

(3) أشير بهذا الصدد إلى استثناء مهم؛ وهو العمل الجيد الذي أصدره الباحث م.كور M.Cour حديثاً بعنوان: «نشأة ممالك الشرفاء بالمغرب، وتنافسهم مع الأتراك في ولاية الجزائر» L'ètablissement des dynasties des Cherifs au Maroc et leurs rivalites avec les Turcs de la Règence d'Alger (طبع بباريز 1901م في القالب الرباعي) والذي اعتمد على المصادر المغربية المنشورة وغير المنشورة.

(4) «نشرة الأكاديمية الملكية للتاريخ» Boletin de lq Real Academia de la Historia، مدريد، مايو 1894م، ص370 ـ 378.

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

إليها **م. بروكلمان** M.Brokelmann في كتابه التاريخي القيم حول تاريخ الأدب العربي[1].

وحتى بالنسبة لتاريخ المغرب، وبصرف النظر عن عمل الباحث **م. كور** M.Cour المشار إليه في الهامش؛ فلم يتم الاعتماد على هذا المرجع إلا قليلاً، ما عدا ما كتبه **الإفراني** و**ابن عسكر** بالخصوص، والذي اعتمده كتاب الباحث **م. وير** M.Weir[2]، وأخيراً كتاب «الدر السني» للقادري، حيث كان المرجع الرئيسي في الأبحاث الموجزة لـ م. **سالمون** M.Salmon[3].

ومن بين المنشورات التي أصدرتها المطبعة الحجرية بفاس بالرغم من تقنيتها البدائية، من بين تلك المؤلفات التي نالت عناية المهتمين بتراث المغرب والتي تعتبر أكثرها أهمية: «سلوة الأنفاس»[4] لمحمد بن جعفر بن إدريس الكتاني الذي ينتمي إلى إحدى العائلات الشريفة التي أسست زاوية دينية بالمغرب، والتي تنتسب إلى إدريس الثاني باني مدينة فاس، من ابنه محمد، والذي ينتسب بدوره إلى النبي عن طريق بنته فاطمة زوج علي. (المرفق رقم 1).

وهناك ترجمة لرؤساء هذه الزاوية توصلت بها من فاس، تتضمن ذكر نسب هذه العائلة إلى القرن العاشر الهجري (المرفق رقم 2) هكذا: مَحمد بن

---

(1) «تاريخ الآداب العربية» Geschichte der arabischen Litteratur، طبعة فيمار Weimar، وبرلين، مجلدان في القالب الثماني 1897 ـ 1902م.

(2) «شيوخ المغرب» The Shaiks of Morocco، إدنبرغ Edinbourg، 1904م، في القالب الثماني.

(3) «الأشراف الأدارسة بفاس»، الأرشيف المغربي، ج1، المرحلة 3، باريز 1904م، ص425 ـ 453.

(4) «سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس»، طبع بفاس عام (1316) هجري في ثلاثة مجلدات من القالب الرباعي، وللمؤلف الكتاني ـ أيضاً ـ كتاب آخر في ترجمة إدريس الثاني؛ هو: «الأزهار العاطرة الأنفاس، بذكر بعض محاسن قطب المغرب وتاج مدينة فاس»، طبع بفاس في القالب الرباعي، عام (1314) هجري.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» Printed on [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100]

قاسم بن عبد الواحد بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن أبي بكر بن محمد بن عبد الله بن هادي بن يحيى بن عمر (أو: عمران) بن عبد الجليل بن يحيى بن يحيى بن محمد بن إدريس بن إدريس بن عبد الله الكامل بن الحسن بن الحسن السبط بن علي صهر النبي. ومن محمد بن القاسم، تتنسل الفروع التالية (المرفق رقم 2)[1].

إن مؤلف «سلوة الأنفاس» ينتسب إلى عائلة الكتانيين، وحسب عمود شجرة نسبه الذي أثبته في اللوحة التالية (كما في المرفق 3)، فإنني لم أستطع حسب المعلومات المستقاة من كتابه وصل نسبه بعمود الشجرة الأساسي.

وبالرغم من كون مؤلفنا معاصراً، غير أن كتابه يعتبر نفيساً نظراً للعدد الكبير من المراجع التي استند إليها، والتي ليس في حوزتنا سوى جزء يسير منها. إن قائمة هاته المراجع التي وضعها المؤلف تعتبر مختصرة جداً، وبخلاف ما هو معهود عند المؤرخين المسلمين، فقد وضعها المؤلف في نهاية كتابه (ج3، ص357 ـ 363)، وهي تعرفنا على عدد من الكتب التي نأمل الحصول عليها. إن التنقيب والبحث عن هاته المراجع في خزانات فاس، خاصة الخزانات الخاصة، بواسطة مستشرق متميز، سيتيح لنا بلا شك الحصول على تلك المراجع التي لا نتوفر عليها لحد الآن.

لقد أشرت بأن هذه اللائحة مختصرة، بل وغير تامة، وعلى سبيل المثال لا نجد فيها: «تاريخ الموحدين» **للمراكشي**، ولا «تاريخ إفريقيا وإسبانيا» **لابن عذاري**، ولا «الحلل الموشية»، ولا تاريخ **البكري** أو **الإدريسي**، ولا حتى المؤرخين المجهولين الواردة أسماؤهم في «روض القرطاس»؛ **كالبرنصي**[2]

(1) انظر الصفحة التالية، شجرة النسب رقم (1)، تبعاً للترجمة غير المنشورة المثبتة أعلاه. كما لدى القادري في «الدر السني» ص38 ـ 40، والكتاني في «سلوة الأنفاس»، فمن المرجح أنها تتضمن ثغرات. (ملاحظة من المترجم: قمنا بتصحيح تلك الأخطاء وسد الثغرات ضمن نفس الشجرة التي نشرنها، مع الإشارة إلى تلك التصحيحات).

(2) تحت رقم (1892)، الورقات 72 ـ 82، تضمن «فهرس المخطوطات العربية =

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

وابن غالب وابن مطروح، و**ابن الخشاب**، و**ابن الباز**، **وابن گنون**، أو كتاب «التشوف» وكتاب «أزهار البستان» **لابن أبي زرع**، وكتاب «المقباس» **للوراق**... إلخ.

أخيراً؛ فإن المؤلف قليل الالتزام بمناهج **علم البيبليوغرافية التاريخية الحديثة**، حيث قدم لنا لائحة بسيطة بأسماء الكتب والمؤلفين بدون إضافة أية إيضاحات حولهم.

وكيفما كانت قيمة هاته المعلومات؛ فإنني ارتأيت إعادة النظر فيها باعتماد المؤشرات الإضافية التي أملكها، مؤدياً بذلك خدمة لكل المهتمين بالتاريخ المغربي، سواء في حاضره أو ماضيه، ومساهماً في نفس الوقت في العمل العلمي الذي ابتدأه معهد الآداب بالجزائر مع العاملين المجتمعين حول أهدافه:

المرفق (1)

القعدد الرئيسي لشجرة الشرفاء الكتانيين[1]

محمد (24) بن قاسم (23) بن عبد الواحد (22) بن علي (21) بن محمد (20) بن علي (19) بن موسى (18) بن أبو بكر (17) بن محمد (16) بن عبد الله (15) بن الهادي (14) بن يحيى (13) بن عمر (عمران) (12) بن عبد الجليل (11) بن يحيى (10) بن يحيى (9) بن محمد (8) بن إدريس (7) بن إدريس (6) بن عبد الله الكامل (5) بن الحسن (4) بن الحسن السبط (3) بن علي صهر النبي (2).

= الموجودة بالمكتبة الوطنية بباريز»، ملاحظة طوبوغرافية وتاريخية حول فاس، مقتطفة من كتاب لأحمد بن عبد الله البرنصي. والذي هو بدوره فصل من «القرطاس»، منسوخ مُصحفاً، بتاريخ (6 مارس 1826م)، من طرف ديلابورت Delaporte (ص15 ـ 27، من طبعة تورنبرغ Tornberg)، وقد دون السلاوي [أحمد بن خالد الناصري] مقاطع البرنصي، ومجموعة من الكتاب بعده، في كتابه «الاستقصا»، من دون عزوها إلى مصادرها الأصلية، ولكن نسبها من غير إشارة للوسائط إلى كتاب «القرطاس».

(1) كما حرره الباحث الفرنسي «روني باسي» في بحثه في الصفحة (2) عام (1905م).

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

المرفق رقم (2)

شجرة الشرفاء الكتانيين[1]

كما حررها الباحث الفرنسي (روني باسي Rene Basset) مدير المدرسة العليا للآداب ومراسل المعهد الفرنسي وهي إحدى الوثائق المثبتة في بحثه تحت عنوان: «أبحاث بيبليوغرافية حول مصادر كتاب سلوة الأنفاس».

مساهمة منه في أعمال المؤتمر الرابع عشر للمستشرقين المنعقد بمدينة الجزائر العاصمة عام (1905م). وتم نشر هذا البحث مع دراسات أخرى في مجلد وقائع المؤتمر الرابع عشر للمستشرقين في سبعة وأربعين صفحة.

وتشوب هذه الشجرة بعض الأغلاط، كما هو واضح في الفرعين (16) و(17)، حيث اعتبر الباحث أن (امحمد الفضيل) شخص واحد والحقيقة أن (امحمد) و(الفضيل) شخصان. انظر الصفحة (3) من البحث.

(1) شجرة الشرفاء الكتانيين مثبتة في اللوحة المصاحبة لهذا المرفق.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

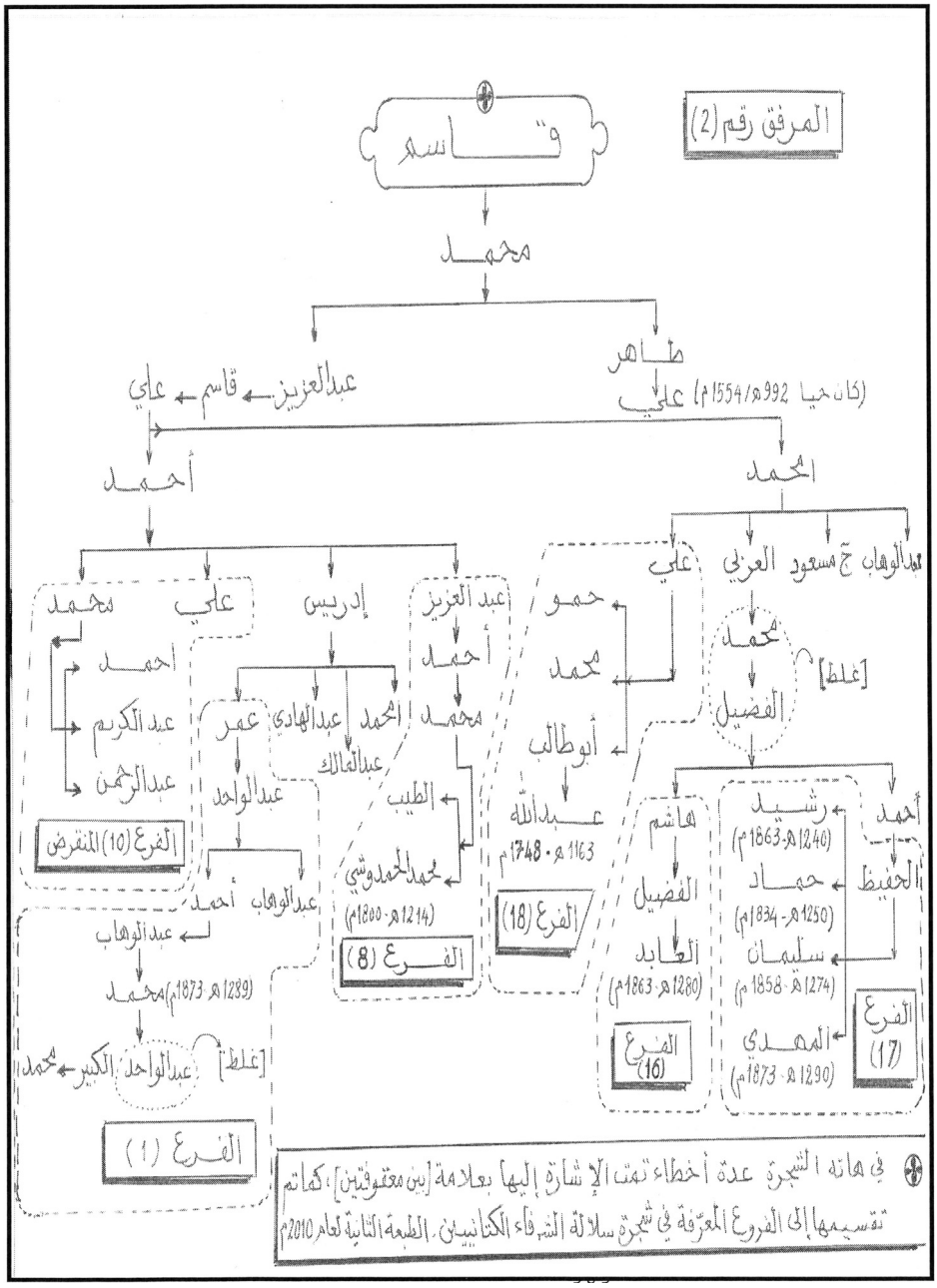

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

المرفق رقم (3)

عمود نسب الإمام سيدي محمد بن جعفر الكتاني

أثبته الأستاذ «**روني باسي**» في الصفحة (2) من البحث وقد شاب هذا النسب عدة أخطاء من جملتها:

إثبات إسم (إبراهيم) على رأس هذا العمود وولده (مَحمد)، بينما العمود يبدأ من الشريف محمد الفضيل (30) ثم محمد الزمزمي (31) ثم إدريس (32) وإثبات اسم (هاشم) غلط.

وفي اللوحة التالية نورد عمود نسب المؤلف كما نشره الباحث بأخطائه:

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

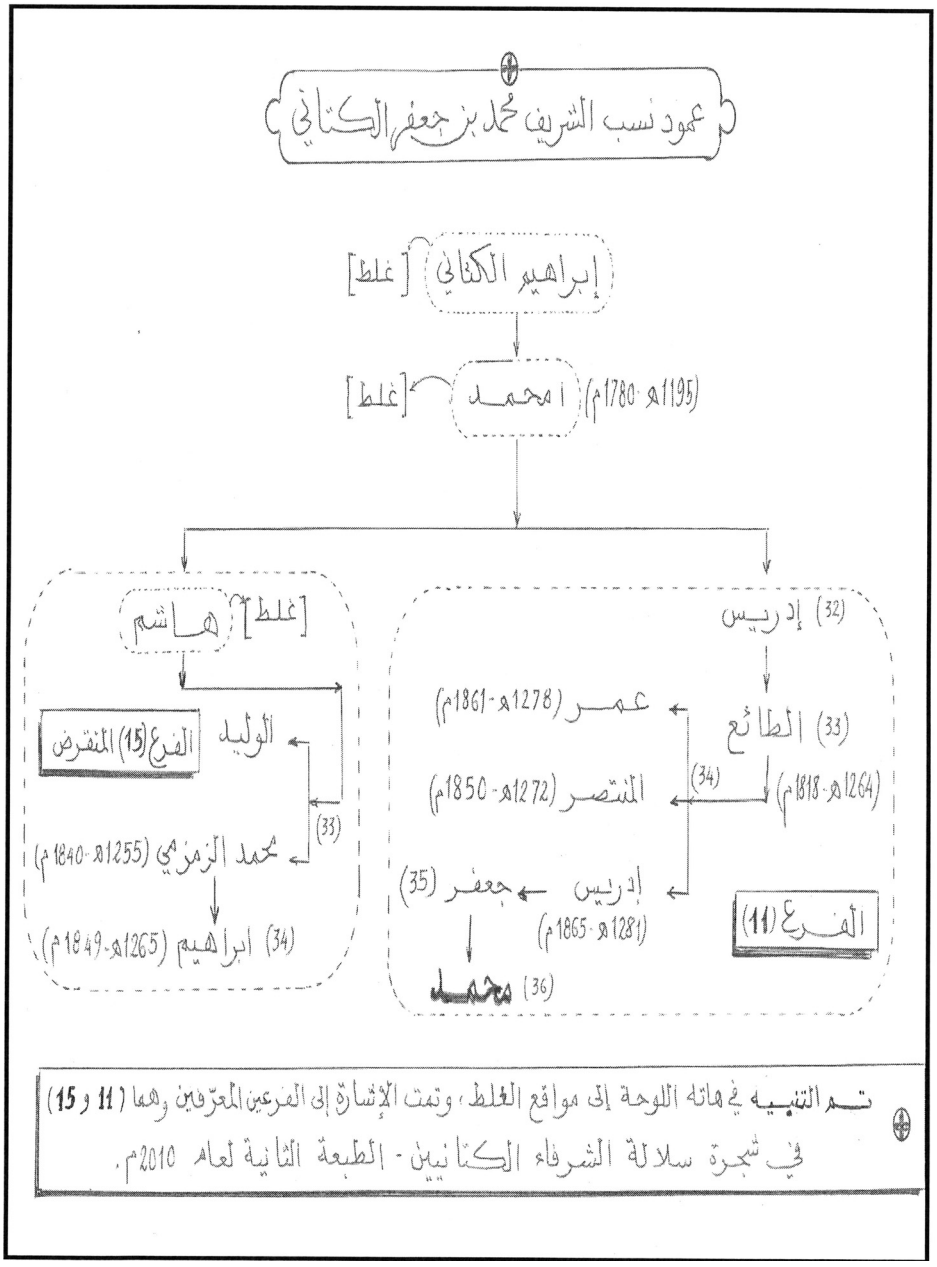
عمود نسب الشريف محمد بن جعفر الكتاني
إبراهيم الكتاني [غلط]
محمد (1195هـ-1780م) [غلط]
(32) إدريس
(33) الطائع (1264هـ-1818م)
عمر (1278هـ-1861م)
(34) المنتصر (1272هـ-1850م)
إدريس (1281هـ-1865م)
جعفر (35)
محمد (36)
الفرع (11)
[غلط] هاشم
الوليد
الفرع (15) المنقرض
(33) محمد الزمزمي (1255هـ-1840م)
(34) ابراهيم (1265هـ-1849م)
تم التنبيه في هاته اللوحة إلى مواقع الغلط، وتمت الإشارة إلى الفرعين المعرّفين وهما (11 و 15) في شجرة سلالة الشرفاء الكتانيين - الطبعة الثانية لعام 2010م.

Black plate (418,1)

[دراسة مصادر «سلوة الأنفاس»]

1 ـ الشيخ أبو الحجاج يوسف بن يحيى بن عيسى بن عبد الرحمٰن التادلي؛ الشهير بابن الزيات، والمتوفى سنة (627 أو 628هـ/ 1229، 1230م، أو: 1230، 1231م). له: «التشوف في معرفة رجال التصوف»، ذكره روزين Rosen في «المجموعات العلمية» لمعهد سان بطرس برغ للغات الشرقية[1]، الصفحة 86. الذي عرض الكتاب تحت عنوان: «التشوف في رجال التصوف»، تحت لائحة الكتب المتعلقة بالمغرب العربي، والمذكورة في كتاب حاجي خليفة[2]، رقم 507.

كما توجد ترجمة للمؤلف في «نيل الابتهاج»[3] لأحمد بابا، ص86، الذي وسم الكتاب بـ«التشوف إلى رجال التصوف».

2 ـ عبد الرحمٰن بن محمد بن محمد بن محمد بن الحسن بن خلدون الحضرمي المالكي: «كتاب العبر، وديوان المبتدأ والخبر، في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر».

3 ـ عبد الرحمٰن بن خلدون هذا يعدُّ كتاباً شهيراً، وقد ولد مؤلفه في أول رمضان عام (732هـ/ 27 مايو 1332م)، وتوفي في (25 رمضان عام 808هـ/ 16 مارس عام 1406م). طبع الكتاب في بولاق عام (1284) هجرية، في سبعة مجلدات، في القالب الرباعي. ويوجد في طبعات عديدة، كما ترجم لعدة لغات.

---

(1) سان بطرس برغ، 1877م، في القالب الثماني.

(2) «كشف الظنون» طبعة فلوجيل Flugel ج6، في القالب الرباعي، ص661.

(3) فاس، 1317هـ، في القالب الرباعي.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

ترجمه ابن القاضي في «درة الحجال»[1] الصفحتين 172 ـ 173، وفستنفيلد في «تأريخ العرب ومؤلفاتهم»[2] Die Arabischen Geschichschreiber الصفحات: 194 ـ 199، وبونس بويغيس Pons Boigues في: «معجم تراجم ومؤلفات المؤرخين والجغرافيين الإسبانيين العرب»[3] - Ensayo bio bibliografico sobre los historiadores y geografos arabigo - espa7oles، الصفحات 350 ـ 362، وبروكلمان Brockelmann، في: «تاريخ الآداب العربية»[4] Geschichte der arabischen Litteratur، المجلد 2، الصفحات: 242 ـ 245، مع المصادر المذكورة. أ. بيل A.Bel: «بنو غانية»[5] Les Benou Ghanya، المقدمة، ص16 ـ 17، والتعاليق.

4 ـ أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الحضرمي. له: «السلسل العذب والمنهل الأحلى، المرفوع للخلافة العزيزية التي لا تزال مناقبها على مر الدهور تتلى، في سلك من تحلى سلكهم في الأربعين في الجيل جيل فاس ومكناسة». وهو أيضاً صاحب كتاب: «الكوكب الوقاد، فيمن حل بسبتة من العلماء والصلحاء والعباد». انظر «سلوة الأنفاس» ص298.

5 ـ الشيخ أبو محمد عبد الحق بن إسماعيل الخزرجي البادسي: «المقصد الوريف، في ذكر صلحاء الريف».

6 ـ الشيخ أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الرحمٰن بن إبراهيم الأنصاري الساحلي، ولد عام (649هـ/ 1251 ـ 1252م)، وتوفي في (15 شعبان 754هـ/ 15 سبتمبر 1353م).

له: «بغية السالك في أشرف المسالك»، توجد منه نسخة في المتحف البريطاني رقم 758، انظر: بروكلمان في «تاريخ الآداب العربية»، المجلد2، ص265.

---

(1) مخطوطة المكتبة الجامعية بالجزائر، رقم (2022).
(2) طبعة غولتنخن Goltingen، 1882م، في القالب الرباعي.
(3) مدريد، 1898م، في القالب الرباعي.
(4) فيمار Weimar وبرلين، 1897 ـ 1902م، مجلدان في القالب الثماني.
(5) باريز، 1903م، في القالب الثماني.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

7 ـ محيي الدين أبو عبد الله محمد بن علي بن العربي، ولد في ليلة الخميس أو الجمعة (27 رمضان عام 560هـ/ 7 أغسطس 1164م)، وتوفي في دمشق في ليلة (22 ربيع الثاني سنة 638هـ/ 10 نفمبر 1240م)، انظر مصادر ترجمته في: ابن القاضي «جذوة الاقتباس»[1]، ص175 ـ 176، وفهرس الخزانة الخديوية[2]: ج2، ص99 ـ 100، وسخرينير Schreiner، في «إسهامات في تاريخ الحركات اللاهوتية في الإسلام»[3] Beiträge zur Geschichte der theologischen Beuegungun im Islam، وبروكلمان: «تاريخ الآداب العربية» Geschichte der arabischen Litteratur ج1، ص441 ـ 448، والمصادر. له: «الفتوحات المكية، في معرفة أسرار المالكية والملكية». هذا المجموع الصوفي يتضمن 17 مجلداً، طبع في بولاق عام (1274هـ)، وفي (1293هـ).

في عام (942هـ/ 1346، 1535م) اختصر هذا الكتاب عبد الوهاب بن أحمد بن علي الشعراني باسم «لواقح الأنوار القدسية»، وطبع في القاهرة عام (1302هـ)، في القالب الرباعي. كما اختصر مختصره نفسه في كتاب بعنوان: «الكبريت الأحمر، في بيان علوم الشيخ الأكبر»، طبع طبعة حجرية بالقاهرة عام (1277) هجرية.

انظر حول الكتابين: حاجي خليفة «كشف الظنون»[4]، ج4، رقم 8914، ص381 ـ 385، والجريدة الآسيوية Journal asiatique 1860، ج1، ص348، «جريدة الجمعية الأمريكية للاستشراق» Zeitschrift der Deutchen morgenländischen Gesellschuft ج11، ص274. توفي الشعراني في 27 رجب عام (937هـ/ 16 مارس 1531م).

وهناك كتاب بعنوان: «سواطع الأنوار القدسية، فيما صدرت به

(1) فاس، 1309هجري، في القالب الرباعي.
(2) القاهرة، 1305هجري، في القالب الثماني.
(3) «جريدة الجمعية الأمريكية للاستشراق» ج1، 2، 1898م، المرحلة 6.
(4) لندن، 1850م، في القالب الرباعي.

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

الفتوحات المكية»، جمع فيه مؤلفه القوافي الموزعة بين فصول «الفتوحات»، توجد منه نسخة مخطوطة ضمن فهرس المكتبة الخديوية (الفهرس، ج2، ص92).

كما يوجد في الموضوع كتاب «توضيح سبيل الإحسان المحمود، وتفصيح الأقاويل بوحدة الوجود»، الموجود بالمكتبة الخديوية (الفهرس: ج2، ص124). لعبد الرحمٰن علي المرحومي، المولود سنة (1124هـ/ 1712، 1713م)، والذي شرح فيه فقرات من كتاب «الفتوحات».

ويوجد بنفس المكتبة، مختصر للفتوحات بعنوان: «منتخب من أسرار الفتوحات» (الفهرس ج2، ص138).

8 ـ ولنفس المؤلف كتاب «روح القدس»، وهي رسالة أرسلها ابن العربي لصاحبه أبي محمد عبد العزيز بن أبي بكر المهدوي، من أهل تونس، كتبها بمكة عام (600هـ/ 1203، 1204م)، وطبعت بالقاهرة عام (1281) هجرية.

انظر: حاجي خليفة «كشف الظنون»[1] ج3، رقم 6157، ص405 ـ 406، وروزين Rosen في «ملاحظات حول المخطوطات الشرقية بمكتبة الكونت مارسيغلي ببولونيا»[2] Remarques sur les manuscrits orientaux de la bibliothèque du Comte Marsigli a Bologne رقم 452 ـ 455.

9 ـ ولنفس المؤلف: «محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار». طبع بالمطبعة الحجرية بالقاهرة في مجلدين، في القالب الثماني، 1282هـ، وأعيد طبعه في القاهرة في 1305هـ، في مجلدين أيضاً، في القالب الثماني أيضاً.

انظر: حاجي خليفة «كشف الظنون»[3]، المجلد الأول رقم 11507، ص415 ـ 416.

---

(1) لندن، 1845م، في القالب الثماني.
(2) روما، 1885م، في القالب الرباعي.
(3) لندن، 1845م، في القالب الرباعي.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

10 ـ أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي. ولد في شعبان عام (476هـ/ دسمبر 1083، أو: يناير 1084م)، وتوفي في السابع من جمادى الثانية عام (544هـ/ 13 أكتوبر 1149م). انظر ترجمته في: ابن القاضي «جذوة الاقتباس» ص277، وابن فرحون في كتاب «الديباج المذهب»[1]، والكتاني في «السلوة» ج1، ص151، وفستنفيلد في «تأريخ العرب ومؤلفاتهم» Die Geschichschreiber der Araber، ص285. وروني باسي R.Basset، «مخطوطات زاوية الهامل»[2]، رقم 29، ص16 ـ 17، وبروكلمان في «تاريخ الآداب العربية»، ج1، ص369 ـ 370.

له: «ترتيب المدارك، وتقريب المسالك، لمعرفة أعلام مذهب مالك». هو كتاب نادر جداً، مذكور في ثبت مجموعة المخطوطات الموجود في بريل Brill[3]، ص33، وذكر م. هوتسما M.Houtsma بأنه لم يره مذكوراً في أي مكان آخر. كما ذكره حاجي خليفة في قائمة الكتب المغربية «كشف الظنون» (ج6، رقم 492، ص660)، وتوجد منه نسخة في زاوية الهامل رقم 29، وأخرى في مجلدين في مدريد. انظر: ف. كوديرا F.Codera «البعثة التاريخية في الجزائر»[4] Mison Historica en la Argelia، ص175 ـ 176، كما أن المجلد الثاني يوجد في خزانة الجامع الكبير (القرويين) بفاس.

ويوجد مختصران لهذا الكتاب؛ الأول: لعبد الله بن محمد بن رشيق الأندلسي، والثاني: لأبي عبد الله بن حمّاد السبتي، ذكرهما ابن فرحون في «كتاب الديباج» ص215.

11 ـ برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن محمد بن فرحون اليعمري المدني. توفي في العاشر من ذي الحجة عام (799هـ/ 4 سبتمبر 1397م)، انظر ترجمته في أحمد بابا «نيل الابتهاج» ص5 ـ 6، وابن القاضي

(1) فاس، 131 هجري (كذا)، في القالب الرباعي، ص177 ـ 1806 (كذا).
(2) فلورانس، 1897م، في القالب الثماني.
(3) ليدن، من غير تاريخ، في القالب الثماني.
(4) مدريد، 1892م، في القالب الثماني.

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

في «درة الحجال» الترجمة رقم 52، وبروكلمان في «تاريخ الآداب العربية» ج1، ص175 ـ 176.

له: «الديباج المذهب، لمعرفة أعيان علماء المذهب». يترجم هذا الكتاب لطبقات أعلام المذهب المالكي إلى حدود سنة (761هـ/ 1359 ـ 1360م)، طبع في فاس عام (1316هـ) في القالب الرباعي.

ذكر ص304 مصادره الأصلية؛ وهي:

- مختصر «المدارك» لعبد الله بن محمد بن رشيق الأندلسي.
- «تاريخ مصر» لقطب الدين عبد النور.
- «كتاب الصلة»[1] لأبي القاسم خلف بن بشكوال.
- «كتاب التكملة» لأبي عبد الله محمد ابن الأبار.
- كتاب الحافظ أبي العباس اللبلي.
- «الصلة» لأبي جعفر بن الزبير.
- «وفيات الأعيان» لابن خلكان (انظر رقم 15).
- «المعجم» لجمال الدين محمد بن مسري.
- «كتاب الروضتين»[2] لشهاب الدين أبو شامة.
- «الكتاب» للإمام محمد ابن دقيق العيد.
- «كتاب العبر في أخبار من غبر» لشمس الدين الذهبي.
- كتاب «لقطة العجلان» (مختصر من كتاب «وفيات الأعيان») لتاج الدين بن عبد الباقي بن عبد المجيد اليمني.
- «الإحاطة»[3] للسان الدين ابن الخطيب.
- «كتاب الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة» لأبي عبد الله محمد بن عبد الملك الأنصاري المراكشي.

---

(1) طبعه كوديرا، في مدريد 1883م، مجلدين في القالب الثماني.
(2) طبع في القاهرة عام (1297) هجري، في القالب الثماني.
(3) في طريقه للطبع، بالقاهرة عام (1319) هجري، مجلدين في القالب الرباعي.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

Black plate (424,1)

ـ «الكتاب» لأبي العباس بن سهل.

غير أن هذه القائمة غير كاملة، فبمراجعة مجلدات الكتاب، يمكن الوقوف على المصادر التالية: «كتاب الذيل» لعفيف الدين المطري، و«المعجم» لأبي ذر، و«عائد الصلة» لابن الخطيب، وابن عبد الملك، وأبي إسحاق الشيرازي، وأبي الوليد الباجي، و«طبقات القراء» لأبي عمرو الداني، وابن هلال، وأبي علي القالي، و«المدارك» للقاضي عياض، والسلفي، و«تاريخ إفريقيا» لإبراهيم بن قاسم ابن رقيق، و«الذخيرة» لابن بسام، وابن الفرضي[1]، و«تاريخ النحاة» للنفطي، وتاريخ أبي يونس المصري، و«كتاب خطط مصر» للقضاعي، وعلي بن عبد الله القطان، والدارقطني، وابن المريني، وابن حيان، وابن الوضاح، والرازي، وأبو الحسن ابن الباذش El Badzich، وأبو محمد بن حزم، وابن لبابة، وابن حارث، والصدفي، وتاريخ أبي عبد الله بن عرفة نفطويه، وأبو القاسم الشافعي، طبقات ابن عبد الرؤوف. وابن زولاق.

ويوجد اختصار لهذا الكتاب لأبي الخير محمد بن عبد الرحمٰن السخاوي، المتوفى عام (902هـ/ 1496 ـ 1497م)، قام بتصنيفه مدة مجاورته بمكة، وزاد فيه فقرات. نوَّه لهذا الكتاب م. هوتسما في قائمة مجموعة من المخطوطات العربية Catalogue d'une collection de manuscrits arabes، ص33، رقم 204.

كما ذيَّل هذا الكتاب: بدر الدين القرافي[2]، المتوفى عام (975هـ/ 1567 ـ 1568م) بعنوان: «توشيح الديباج، وحلية الابتهاج».

12 ـ أبو العباس أحمد بابا السوداني. ولد في (21 ذي الحجة عام 923هـ/ 4 يناير 1518م)، وتوفي عام (1036هـ/ 1626 ـ 1627م).

(1) طبعه كوديرا، وج. ريبيرا J.Ribera، مدريد، 1890 ـ 1892م، مجلدين في القالب الثماني.

(2) في الأصل: بدر الدين العراقي، وهو تصحيف قمنا بإصلاحه. مترجم.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

انظر: الإفراني في «نزهة الحادي»، طبعة هوداس[1] ص97، 98، والمحبي في «خلاصة الأثر»[2]، وشيربونو Cherbonneau في «الثقافة العربية في السودان» جمعية قصطنطينة للآثار[3]، ج2، ص31 ـ 42، وفستنفيلد Wüstenfeld في «تأريخ العرب ومؤلفاتهم» ص260 ـ 261 (غير تامة ولا صحيحة)، وبروكلمان في «تاريخ الآداب العربية» ج2، ص466 ـ 467.

له: «نيل الابتهاج بالذيل على الديباج»، أو: «بتطريز الديباج»، طبع في فاس سنة (1307هـ) مجلد في القالب الرباعي.

13 ـ ولنفس المؤلف: «كفاية المحتاج بمعرفة من ليس في الديباج». توجد منه نسخة في المكتبة الوطنية في باريز، تحت رقم 4628، وفي المكتبة الملكية لبرلين، تحت رقم 10032، وهناك فقرات من الكتاب ترجمها شيربونو Cherbonneau باعتماد نسختين موجودتين في قسنطينة. «الثقافة العربية في السودان» ص1 ـ 48.

14 ـ القاضي بدر الدين محمد بن يحيى بن عمر بن أحمد بن يونس النابلسي القرافي المصري. ولد في (17 رمضان عام 939هـ/ 13 أبريل عام 1533م)، وتوفي في (27 رمضان عام 1008هـ/ 11 أبريل عام 1600م)، أو عام (1009هـ/ فاتح أبريل 1601م)، انظر: محمد بن الطيب [القادري] في «نشر المثاني»[4]، ج1، ص56، وابن القاضي في «درة الحجال» الورقة 132، وشيربونال، في «الجريدة الآسيوية»، عدد يناير 1859، ص94 ـ 95، وبروكلمان في «تاريخ الآداب العربية»، ج2، ص316.

له: «توشيح الديباج، وحلية الابتهاج»، هذا التأليف هو تتمة لـ«نيل الابتهاج»، يتضمن ثلاثمائة وثمانين ترجمة لعلماء المالكية. ذكره حاجي خليفة

(1) باريز، 1889م، مجلدان في القالب الثماني.
(2) القاهرة، في أربعة مجلدات، من القالب الرباعي. عام (1284هـ)، ج1، ص170 ـ 172.
(3) قسنطينة، 1855م، في القالب الثماني.
(4) فاس، 1315 هجري، مجلدان في القالب الرباعي.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» Printed on [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100]

في «كشف الظنون»[1] ج2، ص464، رقم 3734. يوجد مقتطف منه بالخزانة الوطنية بباريز رقم: 4614، الورقات: 101 ـ 127، ونسخة تامة تحت رقم 4627. كما توجد مخطوطة ضمن مجموعة السيد حمودة في قسطنطينة.

15 ـ القاضي شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان الدمشقي الشافعي. ولد في (11 ربيع الثاني عام 608هـ/ 22 سبتمبر عام 1211م)، وتوفي في (26 رجب عام 681هـ/ 30 أكتوبر عام 1282م).

له: «وفيات الأعيان، وإنباء أبناء الزمان». وقد كتب حول ابن خلكان وقاموسه التراجمي (البيوغرافي): ر.باسي: «ملاحظات مقتضبة حول المخطوطات الشرقية لمكتبتين في لشبونة»[2] Notice sommaire sur les manuscrits arabes des deux bibliothèques de Lisbonne ص4 ـ 6، وهناك مصادر جانبية ذكرته؛ كابن القاضي في «درة الحجال»، الورقة الثانية، وبروكلمان في «تاريخ الآداب العربية» ج1، ص326 ـ 328.

16 ـ أبو الحسن علي الجزنائي. له: «جنا زهرة الآس»، وهي من مصادر «الدر النفيس» (ص9).

17 ـ أبو الحسن علي بن عبد الله بن أبي زرع الفاسي. له: «الأنيس المطرب وروض القرطاس، في أخبار ملوك المغرب وتاريخ فاس». القرطاسان ينسب كلاهما لابن أبي زرع كما أشير إليه في الكتب المتعلقة بالمغرب (حاجي خليفة «المعجم» ج6، رقم 497 ـ 498، ص460 ـ 461). الكتاب الأول «القرطاس الكبير» يوجد في أربعة مجلدات. وهذا الكتاب كان تمامه عام (723هـ/ 1323م)، والمؤلف كان حياً عام (726هـ/ 1325 ـ 1326م). انظر فستنفيلد «تأريخ العرب ومؤلفاتهم» Die Geschichschreiber der Araber ص156 ـ 157، وبونز بويجز Pons Boigues في: «بحث في سير ومؤلفات» Ensayo bio - bibliografico ص420 ـ 421. وأ.بيل A.Bel في

(1) لبزغ Leipzig، 1837م، في القالب الرباعي.
(2) لشبونة، 1894م، في القالب الثماني.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

«بني غانية» Les Benou Ghanya ص14 ـ 15، وبروكلمان في «تاريخ الآداب العربية» ج2، ص240 ـ 241، كما اشتغل عليه محمد بن قاسم بن زاكور في كتابه: «المعرب المبين، عما تضمنه الأنيس المطرب وروض النسرين»، وانظر محمد العلمي في «الأنيس المطرب»[1].

هذا الكتاب طبع مرفوقاً بترجمة للغة اللاتينية وتعليقات من طرف تورنبرغ Tornberg، بعنوان: «حوليات ممالك المغرب»[2] Annales regum Mauritaniae. طبع هذا الكتاب بفاس مرتين؛ الأولى: عام (1303هـ)، ويوجد ملخصها في «الكريستوماتيا[3] العربية ـ الإسبانية»[4]، التي أنجزها سيمونيت Simonet، ولركوندي Lerchundi.

كما أن للكتاب ترجمة باللغة الألمانية قام بها دومباي Dombay بعنوان: «تاريخ ملوك المغرب»[5] Geschischte der Mauritanischen Kaenige، وترجمها ب.مورا P.Moura، للغة البرتغالية بعنوان: «تاريخ الملوك المحمديين (المسلمين)»[6] Historia dos soberanos mahometanos. كما أن بيوميي Beaumier ترجمه باللغة الفرنسية ترجمة هزيلة جداً بعنوان: «تاريخ سادة المغرب، وحوليات مدينة فاس»[7] Histoire des souverains du Maghreb et Annales de la ville de Fas.

---

(1) فاس، 1313هجري، في القالب الرباعي.

(2) أبصالال Upsala، 1843، 1846م، مجلدان في القالب الرباعي.

(3) كريستوماتيا Crestomatia هي: كلمة مركبة من الكلمتين اليونانيتين khrestos وتعني مفيد وmathein وتعني أن يعرف، وهي عبارة عن تجميعات مختارة لمقاطع أدبية تستعمل على وجه الخصوص في تعلم لغة أجنبية. في فقه اللغة أو في دراسة الأدب هي عبارة عن أنطولوجي (Anthology) تمثل سلسلة من النصوص الأمثولة، مختارة لتوضيح تطور اللغة أو النوع الأدبي. (عن الموسوعة الحرة: موقع إلكتروني).

(4) غرناطة، 1881م، في القالب الثماني.

(5) أغرام Agram، 1794 ـ 1797م، مجلدان في القالب الثماني.

(6) لشبونة، 1824م، في القالب الرباعي.

(7) باريز، 1860م، في القالب الثماني.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

18 ـ أبو عبد الله محمد بن محمد بن زاكور الفاسي، توفي في (20 محرم عام 1120هـ/ 11 أبريل عام 1708م). ترجم له محمد بن الطيب [القادري] في «نشر المثاني» ج2، ص186 ـ 187. ومحمد بن الطيب [العلمي] في «الأنيس المطرب» ص9 ـ 38، والكتاني في «سلوة الأنفاس» ج2، ص180، كما توجد ترجمته أول كتابه: «نشر أزاهر البستان، فيمن أجازني بالجزائر وتطوان»[1].

19 ـ أبو عبد الله محمد بن تيجلات الهزميري المراكشي، له: «إثمد العينين، ونزهة الناظرين، في مناقب الأخوين: أبي زيد وأبي عبد الله الهزميريين».

20 ـ أبو العباس أحمد بن حسن بن علي بن الخطيب القسمطيني؛ المعروف بابن القنفذ. ولد عام (740هـ/ 1339 ـ 1340م)، وتوفي سنة (810هـ/ 1407 ـ 1408م). ترجم له أحمد بابا في «نيل الابتهاج» (ص57 ـ 58)، وله سيرة مترجمة من طرف كيربونو Cherbonneau في نسخته الرابعة من Faresiade[2]، وابن القاضي في «درة الحجال» الورقة 33 ـ 34، وكيربونو في «الثقافة العربية في السودان»، ص47، ملاحظة: 18، وبروكلمان في «تاريخ الآداب العربية» ج2، ص241.

له: «شرف الطالب في أسنى المطالب»، هي ترجمة ترجع لنحو عام (807هـ/ 1404 ـ 1405م)، وتوجد منها نسختان في المكتبة الوطنية بباريز، رقم: 1546، ورقم 4629.

21 ـ ولنفس المؤلف: «أنس الفقير، وعز الحقير». هذا الكتاب غير مذكور ضمن قائمة مؤلفات ابن قنفذ التي عرضها أحمد بابا، وتوجد منه نسخة في المكتبة الخديوية (انظر: الفهرس، ج2، القسم الأول[3]، ص344).

---

(1) الجزائر، 1902م، في القالب الثماني.

(2) «المجلة الآسيوية» Journal Asiatique أغسطس ـ سبتمبر 1852م.

(3) القاهرة، 1308 هجري، في القالب الثماني.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

22 ـ القاضي أبو نصر عبد الوهاب بن تقي الدين (أو: تاج الدين) الأنصاري الخزرجي السبكي. ولد في القاهرة عام (727هـ/ 1326 ـ 1327م، أو 728هـ/ 1327 ـ 1328م)، زار مع والده دمشق عام (739هـ/ 1338 ـ 1339م)، وعين قاضياً عام (756هـ/ 1355م)، وتوفي بالطاعون في ذي الحجة عام (771هـ/ يونيو ـ يوليوز 1370م)، ترجم له السيوطي في «حسن المحاضرة»[1]، وفستنفيلد في «تأريخ العرب ومؤلفاتهم»، رقم 431، ص182، وبروكلمان في «تاريخ الآداب العربية» ج2، ص90 ـ 91.

له: «الطبقات الكبرى»، هذا الكتاب بحسب «نزهة الحادي» (ص49 من النص)؛ قاموس لتراجم علماء المذهب الشافعي، وتوجد منه عدة نسخ؛ فبالمكتبة الوطنية بباريز تحت رقمي: 2100، 2102، وبمجموعة ليد Leyde رقم 897، وبمجموعة الإسكوريال رقم 1664، وفي المكتبة الخديوية (الفهرس: ج5[2]، ص78 ـ 79).

وللمؤلف مختصر للكتاب تحت اسم: «الطبقات الصغرى»، موجود بالمتحف البريطاني بأورينت Orient 3038، للاطلاع على نسخ أخرى من هذا المختصر انظر: ريو Rieu في «الفهرس التكميلي»[3] Supplemental Catalogue رقم: 642، ص430 ـ 431، حيث ذكر مصادر أخرى لترجمة السبكي غير مطبوعة؛ كالدرر الكامنة، نسخة منها في المتحف البريطاني Orient 3043، رقم 181. وابن قاضي شهبة في طبقاته، وتوجد منها نسخة في المتحف البريطاني Add 7356، رقم 119، و«تشنيف المسامع»، وتوجد منه نسخة في المتحف البريطاني Orient 3040، رقم 1.

23 ـ جلال الدين عبد الرحمٰن السيوطي. ولد في أول رجب عام (849هـ/ 3 أكتوبر 1445م)، وتوفي فاتح جمادى الأولى عام (911هـ/ 17 أكتوبر 1505م).

---

(1) القاهرة، من غير تاريخ، مجلدين في القالب الرباعي.
(2) القاهرة، 1308 هجري، في القالب الثماني.
(3) لندن، 1894م، في القالب الرباعي.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» Printed on [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100]

وقد كتب حول السيوطي فستنفيلد في «تأريخ العرب ومؤلفاتهم» ص246 ـ 232، وبروكلمان في «تاريخ الآداب العربية» ج2، ص143 ـ 158، وتوجد مصادر أخرى في «درة الحجال» ص173 ـ 174.

له: «بغية الرواة، في طبقات اللغويين والنحاة». توجد منه مخطوطة في المكتبة الملكية ببرلين، تحت رقم 10062 (ملخص)، وفي المكتبة الإمبراطورية بفيينا، تحت رقم 1175، وفي مجموعة بريل (انظر هوتسما: «الفهرس» رقم 211، ص35)، وفي المتحف البريطاني رقم 1344، وفي المكتبة الخديوية تحت عنوان: «بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة» («الفهرس»: ج5، ص19 ـ 20).

طبع دوزي Dozy وترجم الفصل المختص بابني أخت غانم («أبحاث حول إسبانيا في التاريخ الوسيط»[1] Recherches sur l'histoire de l'Espagne au moyen - age ج1 القسم 21، ص ل2، ل3)، كذلك ترجم القسم المختص بترجمة أبي جعفر البتي البلنسي الذي أحرق حياً بأمر من إدارة البحث الجنائي. المصدر السابق ج2، القسم2، ص34 ـ 35.

24 ـ أبو المواهب عبد الوهاب الشعراني. توفي في (973هـ/ 1565 ـ 1566م)، ترجمه فستنفيلد في «تأريخ العرب ومؤلفاتهم» ص247 ـ 248، وبروكلمان في «تاريخ الآداب العربية» ج2، ص335 ـ 338.

له: «الطبقات الكبرى»، هذا الكتاب لا يوجد بهذا الاسم ضمن مؤلفات الشعراني، ولكن ربما هو الكتاب المعنون بـ«لواقح الأنوار، في طبقات الأخيار»، توجد منه نسخة في الخزانة الوطنية بباريز، تحت رقم 2045، وقد طبع في القاهرة عام (1305هـ)، وعام (1308هـ)، وعام (1311هـ).

أو هو كتاب: «الميزان الكبرى»؛ وقد طبع في القاهرة عام (1275هـ).

25 ـ عبد الرؤوف بن تاج الدين المناوي. ولد عام (952هـ/ 1545 ـ 1546م)، وتوفي في (23 صفر عام 1031هـ/ 7 يناير 1622م). ترجم له

(1) الطبعة الثالثة، ليدن، عام 1881م، مجلدين في القالب الثماني.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

المحبي في «خلاصة الأثر» ج2، ص412 ـ 416، وحاجي خليفة في «كشف الظنون» ج2، رقم 1168، ص333. وفستنفيلد في «تأريخ العرب ومؤلفاتهم» ص259 ـ 260، وبروكلمان في «تاريخ الآداب العربية» ج2، ص305 ـ 307.

له: «الكواكب الدرية، في تراجم الصوفية»، توجد منه نسخ في مكتبة برلين رقمي: 9984، و9987. وفي فيينا رقم 1168، وفي المتحف البريطاني رقم 1303، وفي المكتبة الوطنية بالجزائر رقم 1739، وفي مكتبة جامع الزيتونة بتونس (انظر: هوداس ور.باسي «بعثة علمية في تونس» القسم الأول، ص71، رقم 129). وتوجد نسختان كاملتان من الكتاب، وثلاث قطع في المكتبة الخديوية (الفهرس: ج5، ص119)، وتوجد نبذة من الكتاب متضمنة ترجمة للقزويني على رأس مخطوطة «آثار البلاد» في المكتبة الوطنية بباريز، تحت رقم 2236.

26 ـ أبو العباس أحمد بن محمد ابن عجيبة الحسني. له: «أزهار البستان في طبقات الأعيان».

27 ـ أبو زيان الغريسي، تلميذ السابق، له: «طبقات أصحاب مولاي العربي الدرقاوي».

28 ـ أبو زكريا يحيى بن أحمد (أو: محمد) بن محمد بن الحسن الفاسي السراج الكبير. توفي بفاس عام (803هـ/ 1400، 1401م)، أو عام (805هـ/ 1402، 1403م). ترجمه أحمد بابا في «نيل الابتهاج» ص390 ـ 391. وابن القاضي في «جذوة الاقتباس» ص339. ومحمد بن الطيب [القادري] في «نشر المثاني» ج1، ص51. والكتاني في «سلوة الأنفاس» ج2، ص143 ـ 144. له: فهرسة.

29 ـ أبو العباس أحمد بن علي بن عبد الله المنجور المكناسي. ولد عام (926هـ/ 1520م)، وتوفي في (16 ذي القعدة عام 995هـ/ 18 أكتوبر عام 1587م). ترجم له: الإفراني في «الصفوة»[1] ص4 ـ 6، وأحمد بابا في «نيل

(1) فاس، من غير تاريخ، في القالب الرباعي.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

الابتهاج» ص80 ـ 82، وابن القاضي في «درة الحجال» الأوراق: 44 ـ 46.

له: فهرسة. هذه الفهرسة ألفها بطلب من السلطان أبي العباس أحمد المنصور؛ إذ كان المترجم أستاذه (انظر: «نزهة الحادي»، النص العربي، ص130)، وهو من مصادر «النزهة» (انظر: ص23، 33، 34، 37 من النص)، و«درة الحجال» حيث اختصرها المؤلف فيه.

30 ـ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن علي بن غازي العثماني. ولد بمكناسة عام (858هـ[1]/ 1454م) بحسب «درة الحجال»، أو: في (841هـ/ 1437 ـ 1438م)، بحسب «سناء الباهية». وتوفي في (9 جمادى الأولى عام 919هـ/ 13 يوليوز 1513م) في فاس، وبحسب كاسيري Casiri (I، 369) في مكناسة.

انظر ترجمته عند: ابن عسكر في «دوحة الناشر»[2] ص36 ـ 37، وابن القاضي في «جذوة الاقتباس» ص203 ـ 204، والكتاني في «سلوة الأنفاس» ج2، ص73 ـ 77، وبروكلمان في «تاريخ الآداب العربية» ج2، ص240.

له: فهرسة. وتوجد مخطوطة منها في مكتبة أبصالا Upsala، تحت رقم 392. وهذا الكتاب يوجد أيضاً تحت عنوان: «الفهرسة المباركة». وتوجد نسخة أخرى مصورة عن مكتبة جامع الزيتونة بتونس في أكاديمية مدريد (انظر: كوديرا «بعثة تاريخية» Misión historica ص198).

31 ـ الشيخ اليوسي. له: فهرسة. وهي من مصادر «الصفوة» (انظر: ص206 ـ 209).

32 ـ سيدي إبراهيم بن هلال الفلالي السجلماسي. توفي عام (903هـ/ 1497 ـ 1498م) عن 89 عاماً. انظر: أحمد بابا «نيل الابتهاج» ص29. له: فهرسة.

---

(1) هذا التاريخ 858، يخالف ما تقدم عن علي بن أحمد المنجور في فهرسته (انظر: رقم 29).

(2) فاس، 1309 هجري، في القالب الرباعي، في حاشية «الإشراف».

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

Black plate (433,1)

33 ـ سيدي عبد العزيز الفلالي. نجل السابق. له: فهرسة.

34 ـ سيدي عبد القادر بن أبي الحسن علي الفاسي. ولد في (2 رمضان عام 1007هـ/ 29 مارس عام 1599م)، وتوفي في الثامن من رمضان عام (1091هـ/ 2 أكتوبر عام 1680م). انظر: الإفراني «الصفوة» ص181 ـ 184، ومحمد بن الطيب [القادري] «نشر المثاني» ج2، ص58 ـ 60، والكتاني في «سلوة الأنفاس» ج1، ص309 ـ 314. له: فهرسة.

35 ـ عبد الرحمٰن بن عبد القادر الفاسي. ابن السابق. توفي عام (1096هـ/ 1684 ـ 1685م)، وكان يلقب بسيوطي عصره. انظر: الإفراني في «الصفوة» ص201 ـ 202، ومحمد بن الطيب [القادري] في «نشر المثاني» ج2، ص88 ـ 92 حيث تجد قائمة شيوخه بين الصفحتين 88 ـ 89. والكتاني في «سلوة الأنفاس» ج1، ص314 ـ 316. له: فهرسة.

36 ـ أبو عبد الله مَحمد بن عبد الرحمٰن بن عبد القادر الفاسي، نجل السابق. ولد في (19 جمادى الثانية، عام 1058هـ/ 11 يوليوز عام 1648م)، وتوفي منتصف شعبان عام (1134هـ/ مايو/ يونيو من عام 1722م)، أو بحسب «نشر المثاني» في (5 جمادى الثانية، عام 1134هـ/ 23 مارس عام 1722م)، انظر: الإفراني «الصفوة» ص226 ـ 227، ومحمد بن الطيب [القادري] في «نشر المثاني» ج2، ص202 ـ 203، والكتاني في «سلوة الأنفاس» ج1، ص319 ـ 320.

له: فهرسة. وهي تعتبر من مصادر «الصفوة»، وتوجد أيضاً تحت عنوان: «المنح البادية، في الأسانيد العالية».

37 ـ سيدي إدريس المنجرة. توفي في (1175هـ/ 1761، 1762م)، انظر الكتاني في «سلوة الأنفاس» ج2، ص272 ـ 273.

له: فهرسة. وتسمى أيضاً: «عذب المواريد في رفع الأسانيد».

38 ـ سيدي عبد الرحمٰن بن إدريس بن محمد بن أحمد المنجري الحسني التلمساني، نجل السابق. ولد في (21 شوال عام 1111هـ/ 11 أبريل 1700م)،

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

وتوفي في الخامس من ذي الحجة عام (1179هـ/ 15 ماي 1766م). انظر: الكتاني «سلوة الأنفاس» ج2، ص270 ـ 272، حيث لخص ترجمته ص271. له: فهرسة.

39 ـ القاضي أبو القاسم سعيد العميري. له: فهرسة.

40 ـ أبو عبد الله محمد بن عبد السلام البناني. توفي في (16 ذي القعدة عام 1163هـ/ 17 أكتوبر 1750م)، وكان من شيوخ محمد بن الطيب [القادري] («نشر المثاني» ج2، ص285). انظر: الكتاني في «سلوة الأنفاس» ج1، ص146 ـ 148.

له: فهرسة.

41 ـ أبو عبد الله محمد بن الحسن البناني. انظر: محمد بن الطيب [القادري] «نشر المثاني» ج2، ص254 ـ 257.

له: فهرسة.

42 ـ أبو عبد الله محمد التاودي ابن سودة، ولد في (1003هـ/ 1594 ـ 1595م)، وتوفي في (1076هـ[1]/ 1665، 1666م)، انظر: الإفراني «الصفوة» ص159 ـ 160، والكتاني في «سلوة الأنفاس» ج2، ص71، 72.

له: فهرسة.

43 ـ أبو عبد الله محمد بن عمر الهشتوكي السوسي. له: فهرسة.

44 ـ أبو عبد الله محمد بن علي الوَرْزَازِي التِطَّاوني (التطواني). له: فهرسة.

45 ـ أبو العباس أحمد ابن عجيبة. له: فهرسة.

46 ـ أبو محمد عبد القادر الكوهن. انظر: الكتاني «سلوة الأنفاس» ج2، ص189. له: فهرسة.

---

(1) أخطأ المؤلف في هذا التاريخ، بل ولد بعد عام (1123هـ، وتوفي عام 1209هـ/ 1794م). انظر: «سلوة الأنفاس» (1/ 118 ـ 120). مترجم.

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

47 ـ أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن أبي محمد صالح. له: «المنهج الواضح، في تحقيق كرامات أبي محمد صالح».

48 ـ أبو العباس أحمد بن أبي القاسم بن محمد بن عبد العزيز الهراوي التادلي. توفي في أوائل ربيع الأول عام (1013هـ/ يوليوز ـ أغسطس 1604م)، وانتقل مديراً بمدرسة الصومعة. انظر: محمد بن الطيب [القادري] «نشر المثاني» ج1، ص84 ـ 88.

له: «المعزى في أخبار أبي يعزى».

49 ـ أبو العباس أحمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن علي بن أبي العافية (ابن القاضي) المكناسي. ولد في (960هـ/ 1553م)، وسافر إلى مصر عام (980هـ/ 1572، 1573م)، وعام (986هـ/ 1578، 1579م). (انظر: «درة الحجال» الورقتين 75 ـ 77)، وتوفي في صفر عام (1025هـ/ فبراير ـ مارس 1616م). انظر: الإفراني في «الصفوة» ص77 ـ 78، ومحمد بن الطيب [القادري] في «نشر المثاني» ج1، ص128 ـ 130، والكتاني في «سلوة الأنفاس» ج3، ص133 ـ 135، و«نزهة الحادي» ترجمة هوداس[1] Houdas ص7 ـ الحاشية.

له: «درة الحجال في أسماء الرجال». قاموس تراجمي، يعتبر تتمة لوفيات الأعيان لابن خلكان، ابتدأه مؤلفه أوائل رجب عام (999هـ/آخر أبريل عام 1591م)، ابتدأه آخر القرن العاشر، وأتمه أوائل الحادي عشر الهجري، وهو من مصادر «نزهة الحادي» الذي أعاد صياغته (انظر: ص136 من النص العربي من طبعة هوداس)، وترجمة أبي جمعة سعيد بن مسعود الماغوسي (الورقة 228 رقم2، من مخطوطة الجزائر)، (ص164 ـ 165 من نفس المصدر)، كذا ترجمة أبي فارس عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم الفشتالي (ورقة 182 من المخطوطة)، و(ص169 من نفس المصدر)، كذا ترجمة عبد العزيز بن سعيد المزوار (ورقة 182 ms).

(1) باريز، 1889م، في القالب الثماني.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» Printed on [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100]

توجد مخطوطة من هذا الكتاب بجامع الزيتونة بتونس، ثم نسخت منها نسخة عام (1299هـ)، ووضعت بالمكتبة الجامعية بالجزائر، ص2022، وتتضمن 241 ورقة.

مصادر الكتاب الأساسية هي: فهرسة ابن جابر الواديآشي، و«طبقات النحاة الصغرى» للسيوطي، وأحمد بابا الإدفوي، وابن حجر، وأبو حيان، وطبقات الإسنوي، وابن رشيد، و«تاريخ اليمن» للخزرجي، و«المختصر» للذهبي، وتاريخ ابن شاكر، والصفدي، والحميدي، ومجموع إجازات مؤرخ بسنة: (684هـ/ 1285 ـ 1286م)... إلخ.

50 ـ نفس المؤلف. له: «جذوة الاقتباس، فيمن حل من الأعلام مدينة فاس». طبع بفاس في القالب الرباعي.

51 ـ نفس المؤلف. له: «المنتقى المقصور على الخليفة أبي العباس المنصور». وهو من مصادر «نزهة الحادي» (النص العربي، ص3 ـ 4، 160).

52 ـ نفس المؤلف. له: «لقط الفرائد من لفاظة [حقق] الفوائد».

53 ـ أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد المقري. له: «نفح الطيب، من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين الخطيب».

توفي في جمادى الثانية عام (1041هـ/ ديسمبر 1631، يناير 1632م)، ترجم له فستنفليد في «تأريخ العرب ومؤلفاتهم» ص265 ـ 267. ودوغال Dugal في «كلمة حول المقري» Notice sur Almakkari، على رأس طبعة Analectes[1]، ور. باسي «ملاحظات مقتضبة حول المخطوطات الشرقية لمكتبتين في لشبونة» Notice sommaire des manuscrits orientaux de deux bibliothèques de Lisbonne ص24 ـ 26. بونز بويجز Pons Bogues في «بحث في سير ومؤلفات» Ensayo bio - bibliografico ص417 ـ 419، وبروكلمان في «تاريخ الآداب العربية» ج2، ص296 ـ 297، أ. بيل A.Bel في

(1) ليد Leyde، 1855 ـ 1861م، مجلدين في القالب الرباعي.

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

«بنو غانية» Les Benou Ghanya ص19 ـ 20، والتعاليق، والمصادر المنوه لها.

طبع النص الكامل بمطبعة بولاق بالقاهرة عام (1279هـ) في أربعة مجلدات من القالب الرباعي، وفي عام (1302هـ)، وعام (1304هـ)، في أربعة مجلدات من القالب الرباعي أيضاً.

54 ـ لنفس المؤلف: «أزهار الرياض في أخبار عياض، وما يناسبها مما يحصل به ارتياح وارتياض». ذكره حاجي خليفة في «كشف الظنون» ج1. وتوجد منه نسخة مخطوطة غير كاملة في المكتبة الوطنية بباريز، تحت رقم 2106، وأخرى في مدريد (انظر: كوديرا «بعثة تاريخية في الجزائر» ص176 ـ 177)، وأخرى في جامع الزيتونة بتونس (انظر: هوداس ور.باسي في «بعثة علمية بتونس» القسم الثاني، ص46)، ونسخة أخرى توجد بمكتبة قاضي مزونة: ولد حميسي.

55 ـ أبو العباس أحمد بن موسى المرابي الأندلسي، توفي عام (1034هـ/ 1624 ـ 1635م).

له: «تحفة الإخوان، ومواهب الامتنان، في مناقب سيدي رضوان». في ترجمة سيدي رضوان بن عبد الله الجنوي الفاسي. وقد ترجم لأحمد المرابي الكتاني في «سلوة الأنفاس» ج2، ص257 ـ 261.

56 ـ أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد بن علي الصباغ القلعي، كان قاضي القلعة، وعاش في أوائل القرن العاشر. انظر: أحمد بابا في «نيل الابتهاج» ص243 ـ 245.

له: «بستان الأزهار، في مناقب زمزم الأخيار ومعدن الأنوار، سيدي أحمد بن يوسف الراشدي». توجد منه مخطوطتان في المكتبة الوطنية بالجزائر رقمي: 1707، 1708 (الأخيرة نسخة نقية ومنقحة)، وتوجد نسخ أخرى من الكتاب في قلعة بني راشد، الواقعة بين غليزان وبسكرة.

57 ـ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن علي بن غازي العثماني (انظر رقم 30).

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

له: «الروض الهتون، في أخبار مكناسة الزيتون». هذا الكتاب هو إعادة صياغة مع بعض الإضافات لمؤلف مشابه، ألَّفه قاضي مكناسة أبو الخطاب سهل بن قاسم بن عبد الله بن محمد بن حماد بن محمد بن زغبويه، المولود بوادي آش، والمتوفى بمرسية عام (610هـ/ 1213، 1214م).

تاريخ مكناس هذا مذكور ضمن الكتب المغربية (انظر: حاجي خليفة «كشف الظنون» ج6، القسم رقم 488، ص660).

توجد من الكتاب نسخة مخطوطة بندرومة، وأخرى بفاس (انظر: ر. باسي «المخطوطات العربية بمكتبتين بفاس»[1] Les manuscrits arabes de deux bibliothèques de Fas ص9، رقم 10)، وهناك نسخة أخرى نقلت من الجزائر، حيث اشتراها العباس بن علي الجلال عام (1139هـ/ 1726، 1727م)، موجودة بالمتحف البريطاني تابعة لكتاب «القرطاس» (انظر: ريو Rieu, Suppl. Catal. رقم 597، 2، ص388 ـ 389).

58 ـ الإمام العشماوي. له: تاريخ.

59 ـ مجهول. له: «كتاب الشجرة في الأنساب».

60 ـ أبو بكر بن محمد السيوطي المكناسي. له: «عقد اللآلي المستضيئة المعدة لنفي التلبيس، عن المنتسبين للرسول خصوصاً منهم: إدريس بن إدريس». توجد منه مخطوطة بالمكتبة الوطنية بباريز، تحت رقم 1871، الورقة 1.

وبالورقة الأولى من هذه النسخة توجد الملاحظات التالية، وهي لا تخلو من أخطاء:

«النادرة الأولى بعنوان: القرطاس على الشجرة، في أخبار فاس وذرية مولانا إدريس. بمعنى: لائحة أو شجرة أنساب العائلات الإدريسية، مع ذكر تاريخ مدينة فاس، يذكر تحت هذا العنوان أن القول بأن السيوطي هو مؤلف

(1) الجزائر، 1883م، في القالب الثماني.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

الكتاب محض خطأ، وأن القسم الأكبر من هذا الكتاب[1] لشخص اسمه: ابن زرعة، الذي يمكن ملاحظة ذكره كثيراً في القسم الأخير من الكتاب. في هذه النادرة بعد ذكر مشجر نسبي لإدريس، نجد ذكر هجرته من الحجاز لإفريقية، وبناءه لمدينة فاس، التي سماها باسمه. بعد ذلك عمد إلى وصف هذه المدينة وذكر بنائها، ثم فتوحات إدريس الأول وجهوده في توسعة الدولة الإدريسية... إلخ».

هذه الملاحظة كتبها شانيير Chénier (القنصل العام للإمبراطورية الفرنسية في المغرب) حيث دونها في باريز، في (11 فبراير عام 1775م) لـ: لوغراند Le Grand، الكاتب والمترجم الملكي، المختص باللغات الشرقية.

في ملاحظة مخطوطة كتبها رينود Reinaud بتاريخ أول أكتوبر عام (1832م)، دونها حول أخطاء لو غراند، وهمه حول خلطه بين جلال الدين السيوطي، وأبي بكر السيوطي صاحب «عقد اللآليء» و«القرطاس»، وذكر بأن ذلك غير صحيح، حيث مخطوطة «القرطاس» في المكتبة الوطنية، مرفقة بترجمة بيتيز دو لا كروا Petis de La Croix.

61 ـ مجهول. له: «إخبار الأذكياء، بأخبار الأولياء». توجد مخطوطة منه بالمكتبة الوطنية بالجزائر تحت رقم 940.

62 ـ أبو حامد بن أبي عبد الله (كذا) محمد العربي بن يوسف الفاسي[2]. ولد عام (988هـ/ 1580، 1581م). انظر: محمد بن الطيب [القادري] في «نشر المثاني» ج1، ص180 ـ 183.

---

(1) إذ يحتوي على كتاب «القرطاس» لابن أبي زرع الذي ختم المخطوطة. (هذا التعليق يحمل رقم 2 في الأصل، غير أنه لا يوجد في الصفحة غيره، فكأنه خطأ أو تصحيف. مترجم).

(2) أخطأ المؤلف في تسمية صاحب هذا الكتاب، فهو: أبو حامد محمد العربي بن يوسف بن محمد بن يوسف الفاسي الفهري، وبذلك أخطأ في تعيين المترجم لهم. فالكتاب في قسمين: الأول: ترجمة الشيخ أبي المحاسن يوسف بن محمد الفاسي، والد المؤلف، يبتدئ بذكر نشأته وتعليمه، وعلومه، إلى وفاته، ثم ترجمة آبائه، =

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

له: «مرآة المحاسن، في أخبار أبي المحاسن». القسم الأول مخصص لجد المؤلف: أبي المحاسن يوسف بن محمد، المولود عام (937هـ/ 1530، 1531م) والمتوفى عام (1014هـ/ 1605، 1606م)، والمشارك في معركة القصر (واد المخازن). والقسم الثاني لوالد المؤلف أبي عبد الله محمد بن يوسف وبعض آبائه. والقسم الثالث في ذكر جملة من مشيخته.

هذا الكتاب يعتبر من المصادر الأساسية لكتابي «نزهة الحادي»، و«نشر المثاني»، وتوجد منه مخطوطة مبتورة الأول في المكتبة الوطنية بالجزائر، رقم 1717. ومقدمة الكتاب توجد منها نسخة بالمكتبة الوطنية بمدريد، تحت رقم 416,2 (انظر: روبلز Robles «فهرس المخطوطات العربية الموجودة بالمكتبة الوطنية بمدريد»[1] Catalogo de los manuscritos arabos existentes en la Biblioteca Nacional de Madrid، ص179)، مقتناة من تطوان (انظر: لا فونتي Lafuente والقنطرة Alcantara «فهرس المخطوطات العربية المقتناة من تطوان»[2] Catalogo de los codices arabigos adquiridos en Tetuan رقم: 138).

63 ـ أبو العباس أحمد بن العربي الفاسي ابن الحاج[3]. توفي في العشرية الأولى من القرن الحادي عشر، ودفن بروضة سيدي عزيز بالدرب الطويل بفاس. انظر: الإفراني «الصفوة» ص213 ـ 214.

له: «المنح الصافية في الأسانيد اليوسفية».

64 ـ أبو عيسى محمد المهدي بن أحمد [بن علي] بن يوسف الفاسي.

= ثم تراجم أبنائه وبعض أهم تلامذته وما يتعلق بذلك... أما القسم الثاني فهو من قسمين: الأول: في ذكر أسانيده الطرقية وتراجم أهم رجالات الطريق الذين أخذ عنهم أو تتصل بهم سلاسله، والثاني؛ في ذكر تراجم طبقات الآخذين عنه. والكتاب طبع طبعة حديثة بدار ابن حزم ببيروت عام 2006م، مع دراسة مسهبة وتحقيق من طرف الدكتور محمد حمزة بن علي الكتاني. مترجم.

(1) مدريد، 1887م، في القالب الثماني.

(2) مدريد، 1862م، في القالب الثماني.

(3) كذا سماه المؤلف، ولكنه ابن الحاج نسباً، الفاسي استيطاناً.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

ولد في القصر [الكبير] في (19 رجب 7 مايو، أو 20 رجب 17 مايو، أو 29 شعبان 16 يونيو عام 1033هـ/ 1624م)، وتوفي في التاسع من شعبان عام (1109هـ/ 21 يناير 1698م). انظر: الإفراني في «الصفوة» ص211 ـ 213، ومحمد بن الطيب [القادري] في «نشر المثاني» ج2، ص160 ـ 161، والكتاني في «سلوة الأنفاس» ج2، ص316 ـ 318.

له: «الجواهر الصافية، في المحاسن اليوسفية».

65 ـ نفس المؤلف. له: «روضة المحاسن الزهية، بمآثر الشيخ أبي المحاسن البهية».

66 ـ نفس المؤلف. له: «ممتع الأسماع، بمناقب الشيخ الجزولي ومن له من الأتباع». وهو من مصادر «نزهة الحادي» (انظر: ص20 ـ 21، 28، 43 ـ 44، 48 من النص العربي). انظر: كوديرا في «كتب من إنتاج المغرب»[1] Libros procedentes de Marruecos، ص374. طبع هذا الكتاب بفاس عامي (1305 و1313) هجرية في جزء.

67 ـ نفس المؤلف. له: «الإلماع ببعض من لم يذكر في ممتع الأسناع».

68 ـ نفس المؤلف. له: «تحفة أهل الصديقية، بأسانيد الطائفة الجزولية». هذا الكتاب ألف عام (1090هـ/ 1679 ـ 1680م) حول الشيخين الجزولي وزروق، وطبقات أتباعهما، توجد منه نسخة بالمكتبة الوطنية بباريز، تحت رقم 2946.

69 ـ أبو عبد الله محمد العربي بن الطيب القادري الحسني. أحد سلف مؤلف «نشر المثاني»، توفي في (1106هـ/ 1694، 1695م)، ودفن خارج باب الفتوح بفاس، قرب ضريح سيدي أحمد اليمني. انظر: محمد بن الطيب [القادري] «نشر المثاني» ج2، ص158 ـ 159.

---

(1) «نشرة الأكاديمية الملكية للتاريخ» Boletin de lq Real Academia de la Historia، مدريد، ج24، مايو 1894م.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

له: «الطرفة، في اختصار التحفة»؛ يعني: «تحفة أهل الصديقية».

70 ـ أحمد بن عبد الله. له: «المقصد [الأحمد]، في التعريف [بابن عبد الله سيدي أحمد]»[1].

71 ـ أبو محمد عبد السلام بن الطيب القادري الحسني. ولد في العاشر من رمضان عام (1058هـ/ 28 سبتمبر 1648م)، وتوفي في الثالث عشر من ربيع الأول عام (1110هـ/ 19 سبتمبر عام 1698م)، انظر: محمد بن الطيب [القادري] «نشر المثاني» ج2، ص162 ـ 163، والكتاني في «سلوة الأنفاس» ج2، ص348 ـ 350.

له: «معتمد الراوي، في أخبار سيدي أحمد الشاوي». توفي الولي أبو العباس أحمد بن محمد الشاوي في (26 محرم عام 1014هـ/ 13 يونيو 1605م). انظر حول شخصيته: محمد بن الطيب [القادري] «نشر المثاني» ج1، ص96 ـ 98.

72 ـ نفس المؤلف. له: «العرف العاطر، فيمن بفاس من أبناء الشيخ عبد القادر».

73 ـ نفس المؤلف. له: «مطلع الإشراق، [في] نسب الشرفاء الواردين من العراق».

74 ـ نفس المؤلف. له: «الدر السني، في بعض من بفاس من أهل النسب الحسني». هذا الكتاب من مصادر «نزهة الحادي»، وقد طبع بفاس في حاشية «الإشراف» عام (1309) هجرية، في القالب الرباعي. يذكر فيه الحسن بن علي، ثم يشجر الفروع المتنسلة منه: الجوطيين وفروعهم، والطاهريين، والعمرانيين، والطالبيين، والغالبيين، وشرفاء [عقبة] ابن صوال (الكتانيين)، والشفشاونيين، والريسونيين، والسجلماسيين، والقادريين.

(1) كذا نسبه المؤلف خطأ لسيدي أحمد بن عبد الله معن الأندلسي، والصحيح أن الكتاب من تأليف عبد السلام ابن الطيب القادري، وهو في ترجمة الشيخ المربي أحمد بن محمد بن عبد الله معن الأندلسي. مترجم.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

انظر: كوديرا «كتب صادرة من المغرب»، ص371 ـ 372. وقد لخص القسم المتعلق بالأشراف الأدارسة سالمون Salmon في كتابه: «الشرفاء الأدارسة بفاس»[1] Les Chorfa idrisides de Fes.

75 ـ أبو العباس أحمد بن عبد القادر القادري الحسني. ولد عام (1050هـ/ 1640 ـ 1641م)، وتوفي في التاسع عشر من جمادى الأولى عام (1133هـ/ 18 مارس 1721م). انظر: محمد بن الطيب [القادري] في «نشر المثاني» ج2، ص201 ـ 202، والكتاني في «سلوة الأنفاس» ج2، ص353 ـ 354.

له: «نسمة الآس، في حَجة سيدنا أبي العباس»؛ يعني: [أحمد] بن عبد الله معن الأندلسي.

76 ـ أبو زيد عبد الرحمٰن بن عبد القادر الفاسي (انظر: رقم 35). له: «ابتهاج القلوب، بخبر الشيخ أبي المحاسن وشيخه المجذوب». هو أحد مصادر «نزهة الحادي» (انظر الصفحات: 80، 101، 240، من النص العربي).

77 ـ نفس المؤلف. له: «أزهار البستان، في مناقب الشيخ أبي محمد عبد الرحمٰن».

78 ـ نفس المؤلف. له: «تحفة الأكابر، في مناقب الشيخ عبد القادر»؛ أي: الفاسي. ألف ـ كما سابقه ـ من أجل مرض ألم بالمؤلف. انظر: الإفراني «الصفوة» ص201.

79 ـ أبو العباس أحمد بن عبد الحي الحلبي. قدم المغرب عام (1080هـ/ 1669 ـ 1670م)، وتوفي في جمادى الثانية عام (1120هـ/ أغسطس أو سبتمبر 1708م). انظر حوله وحول أشعاره، ما كتبه معاصره محمد بن الطيب العلمي في «الأنيس المطرب» ص6 ـ 19، وانظر أيضاً:

(1) «الأرشيف المغربي» Archives Marocaines، ج1، باريز، 1904م، ص425 فما بعدها.

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

محمد بن الطيب [القادري] في «نشر المثاني» ج2، ص185 ـ 186، والكتاني في «سلوة الأنفاس» ج2، ص164 ـ 167.

له: «الدر النفيس، والنور الأنيس، في مناقب الإمام إدريس بن إدريس». طبع بفاس عام (1304هـ) في القالب الرباعي.

تضمن الكتاب مقدمة تحدث فيها المؤلف عن نفسه، وبين لائحة المصادر التي اعتمدها في كتابة كتابه هذا، مع إبدائه بعض الملاحظات عليها؛ وهي بحسبه كالتالي:

- أبو عبد الله بن مصعب الزبيري[1].
- القاضي عياض «المدارك» (انظر رقم 10).
- ابن حمادة السبتي.
- عبد الرحيم الكتاني.
- ابن قتيبة «عيون الأخبار»[2]، و«كتاب المعارف»[3].
- محمد بن عبد الله بن مسلمة ابن الأفطس «كتاب المظفر».
- أبو الحسن علي الجزنائي «جنا زهرة الآس».
- ابن أبي زرع «روض القرطاس» (انظر رقم 17).
- محمد بن عبد الملك الوراق «المقباس».
- مجهول: «نزهة البستان، في أخبار الزمان».
- مجهول: «كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار»[4].
- أحمد بن أحمد البرنصي زروق «الكناش».
- الأزوارقاني «بحر الأنساب فيما للسبطين [من] الأعقاب».
- ابن اللباد «جلاء الأذهان».

---

(1) الغالب أنه: مصعب بن عبد الله الزبيري، صاحب كتاب «نسب قريش». مترجم.
(2) طبعه فستنفيلد، غوتنغن G.ttingen، عام 1850م في القالب الرباعي.
(3) طبعه بروكلمان، برلين 1900 ـ 1903م، مجلدين في القالب الثماني.
(4) طبعه أ.فون كريمير A.von Kremer، فيينا 1852م، في القالب الثماني.

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

- ابن عبد الحليم.
- مجهول: «الفتح المبين».
- مجهول: «كتاب الاعتبار وتواريخ الأمصار».
- أبو الحسن علي النوفلي.
- موسى بن عبد الله الزياتي.
- تاريخ ابن الفياض.
- تاريخ ابن غالب.
- التنسي التلمساني «كتاب الدر والعقيان»[1].
- محمد بن علي التوزري «شرح القصيدة الشقراطسية».
- عبد الرحمٰن بن خلدون «كتاب العبر» (انظر رقم 3).
- يحيى بن خلدون «بغية الرواد»[2].
- المسعودي «مروج الذهب»[3].
- هشام بن عبد الله «تاريخ قرطبة».
- مجهول: «شرف الطالب، في أسنى المطالب».
- ابن الخطيب «رقم الحلل»[4].
- محمد ابن السكاك المكناسي.
- أبو العباس أحمد الونشريسي «المعيار».

---

(1) ترجم لابي بركاش l'abbé Bargés، القسم المتعلق بملوك تلمسان، تحت عنوان: «تاريخ بني زيان» Histoire des Beni Zeiyân، باريز 1851م، في القالب اثني عشر.

(2) قام م.بيل M.Bel، بنشر المجلد الأول من هذا الكتاب بالجزائر عام 1904م، في القالب الثماني.

(3) قام م.باربيير دو ميناردM.Barbier de Meynard، بترجمة هذا الكتاب وطبعه بباريز عام (1862م) فما بعدها، في تسعة أجزاء من القالب الثماني.

(4) طبع هذا الكتاب في تونس عام (1316هـ) في القالب الثماني، كما نشر هوداس قطعة منه في كتابه «الكريستوماتيا المغربية»، نشر بباريز عام (1891م) في القالب اثني عشر، ص114 ـ 121.

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

- ابن غازي «شفاء الغليل»، و«الروض الهتون» (انظر رقم: 57)، و«تكميل التقييد».
- عبد الله العبدوسي.
- محمد الشاطبي «كتاب الجمان»، و«كتاب في الخط والكيمياء».
- القصار.
- محمد ابن الحنات.
- ابن حيان «المقتبس».
- ابن دراج الأندلسي الفشتالي.
- الحميدي «الروض المعطار، في أخبار الأقطار».
- عبادة بن عبد الله الأنصاري.
- أبو محمد غانم.
- ابن بسام «الذخيرة».

كما أضاف إلى مصادره المراجع التالية: الصدفي، والقضاعي «تاريخ العلماء»، وأحمد زروق «شرح الأرجوزة»، وابن الخطيب «الإحاطة»، وأحمد بابا «نيل الابتهاج» (انظر: رقم 12)، وابن عسكر «دوحة الناشر»[1]، والسيوطي «أعيان الأعيان»، والسخاوي، وابن القاضي «درة الحجال» (انظر رقم: 49)، وابن خلكان «وفيات الأعيان» (انظر: رقم 15)، والسمهودي «خلاصة الوفاء»[2].

قسم الكتاب الأول الذي أفرده حول أنساب الأدارسة إلى خمسة عشر فصلاً.

الكتاب الثاني: حول إدريس الأول ابن عبد الله، وتضمن تسعة عشر فصلاً.

(1) طبع بفاس في حاشية «الإشراف»، عام (1309هـ)، في القالب الرباعي.
(2) طبع بالقاهرة من غير تاريخ، في مجلدين من القالب الرباعي.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

الكتاب الثالث: حول ترجمة الإمام إدريس الثاني بن إدريس، في ستة وأربعين.

الكتاب الرابع: تضمن كرامات إدريس الثاني، في حياته وبعد وفاته، وهو يتضمن نحو فصل واحد.

80 ـ أبو العباس أحمد بن محمد بن محمد بن يعقوب الولالي. توفي في (2 رجب عام 1028هـ/ 15 يونيو 1619م) وأقبر في مكناسة. انظر: محمد بن الطيب [القادري] «نشر المثاني» ج2، ص194 ـ 196.

له: «مباحث الأنوار، في أخبار بعض الأخيار».

81 ـ عبد الله بن محمد بن أبي بكر العياشي. ولد عام (1007هـ/ 1627، 1628م)، وتوفي في ذي القعدة عام (1090هـ/ ديسمبر 1679، يناير 1680م). انظر: محمد بن الطيب [القادري] «نشر المثاني» ج2، ص45 ـ 55، وبروكلمان «تاريخ الآداب العربية» ج2، ص464.

له: «الرحلة العياشية». هذا الكتاب من مصادر «نزهة الحادي»، طبع بفاس عام (1316هـ) في مجلدين من القالب الرباعي، وترجم بربروجر Berbrugger ملخصاً للكتاب في مؤلفه: «رحلات في جنوب الجزائر»[1] Voyages dans le Sud de l'Algérie.

82 ـ عبد المجيد بن علي المنالي الزبادي، توفي في الحادي عشر أو الثاني عشر من شعبان عام (1163هـ/ 16 أو 17 يوليوز 1750م). انظر: محمد بن الطيب [القادري] «نشر المثاني» ج2، ص257، والكتاني في «سلوة الأنفاس» ج2، ص184 ـ 186. (لم يذكر الكتاب، وهو: «سلوك الطريق الوارية في الشيخ والمريد والزاوية»).

83 ـ أبو العباس أحمد بن مبارك اللمطي السجلماسي. له: «الذهب الإبريز، في مناقب الشيخ عبد العزيز». عاش المؤلف في الفترة بين

(1) باريز، 1846م، في القالب الرباعي.

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

عامي (1125هـ/ 1713، 1714م) إلى (1129هـ/ 1716 ـ 1717م)، ودفن قرب الولي الذي كتب حول حياته: عبد العزيز بن مسعود بن أحمد بن محمد. . .ابن الحسن بن علي؛ الملقب بالدباغ. انظر: بروكلمان «تاريخ الآداب العربية» ج2، ص462 ـ 463. وقد طبع الكتاب في القاهرة عام (1278)، وعام (1304هـ).

84 ـ أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز بن علي المرابط السجلماسي. له: «تيسير المواهب، في ذكر بعض ما للشيخ أبي فارس من المناقب».

85 ـ القاضي أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر بن الحسين الشريف الشفشاوني الحسني؛ الملقب بابن عسكر. والدته: عائشة بنت أحمد؛ أرَّخ لحياتها صاحب كتاب «ممتع الأسماع» ص93 ـ 94. توفي في معركة القصر (واد المخازن)، وهو في صف الحلفاء البرتغاليين، في الثلاثين من جمادى الأولى عام (986هـ/ 4 أغسطس 1578م). انظر: الإفراني «نزهة الحادي» ص76 من النص، وكوديرا «كتب من إنتاج المغرب» Libros procedentes de Marruecos، ص372 ـ 373.

له: «دوحة الناشر، لمحاسن من كان بالمغرب (أو: من المغرب) من مشايخ القرن العاشر». طبع بفاس في حاشية «الإشراف» عام (1309هـ) في القالب الرباعي. تحتفظ المكتبة الوطنية بالجزائر بمخطوطة من الكتاب لا تخلو من فوائد متعددة. هذا الكتاب هو أحد مصادر «نزهة الحادي»، و«الدر النفيس»، ويعتبر أساس كتاب وير Weir: «شيوخ المغرب»[1] The Shaikhs of Morocco.

86 ـ أبو عبد الله محمد بن بن (كذا مرتين) محمد بن محمد بن عيشون؛ الملقب بالشراط. ولد عام (1035هـ/ 1625، 1626م)، وتوفي في (7 صفر عام 1109هـ/ 25 أغسطس 1697م)، انظر: الكتاني في «سلوة الأنفاس» ج1، ص8، 190.

(1) إدنبرغ Edinbourg، 1904م، في القالب الثماني.

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

له: «الروض العاطر الأنفاس، بأخبار الصالحين من أهل فاس». غير أن مجموعة من المراجع اعترضت على نسبة هذا الكتاب لابن عيشون، وذكروا أن مؤلفه الحقيقي هو: أبو عبد الله محمد بن العربي بن الطيب القادري.

87 ـ نفس المؤلف. له: «التنبيه، على من لم يقع به من أهل (غيره: من فضلاء) فاس [تنبيه]». وهو تتمة للكتاب السابق.

88 ـ أبو عبد الله محمد المدرَّع. انظر: محمد بن الطيب [القادري] «نشر المثاني» ج2، ص237.

له: «منظومة في صلحاء فاس».

89 ـ الطيب بن مَحمد بن عبد القادر الفاسي. ولد في رجب 1028هـ/ يونيو، يوليوز 1619م)، وتوفي في رجب (1062هـ/ يونيو ـ يوليوز 1652م)، انظر: محمد بن الطيب [القادري] في «نشر المثاني» ج2، ص167 ـ 168. والكتاني في «سلوة الأنفاس» ج2، ص151 ـ 152.

له: «مطمح النظر، ومرسل العبر، بذكرى بمن عبر (كذا) من أهل القرن الحادي عشر».

90 ـ أبو عبد الله محمد المحبي بن فضل الله بن محب الله. ولد في دمشق في (1061هـ/ 1650، 1651م)، وتوفي في (12 جمادى الأولى عام 1111هـ/ 5 نفمبر 1699م). انظر: فستنفيلد «تأريخ العرب ومؤلفاتهم» ص290 ـ 292، و«التعريف بأسرة المحبي العلمية»[1] Die Gelehrtenfamilie Muhibbi، وبروكلمان في «تاريخ الآداب العربية» ج2، ص293 ـ 294.

له: «خلاصة الأثر، من أعيان القرن الحادي عشر». طبع في القاهرة عام (1284هـ)، في أربعة مجلدات من القالب الثماني. ترجمة المقري (كذا) على رأس طبعة «مختارات من ليدن» Analectes de Leiden.

(1) غوتنغن Gottingen، 1884م، في القالب الرباعي.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

91 ـ أبو علي الحسن بن رحال المعداني. توفي في (3 رجب 1040هـ/ 5 فبراير 1631م). انظر: محمد بن الطيب [القادري] «نشر المثاني» ج2، ص214 ـ 215.

له: «الروض اليانع الفائح، في مناقب الشيخ أبي عبد الله المدعو الصالح»؛ يعني: والد سيدي المعطي صاحب «الذخيرة».

92 ـ أبو عبد الله محمد بن أحمد المسناوي. توفي في (16 شوال 1130هـ/ 12 سبتمبر 1718م). انظر: محمد ابن الطيب [القادري] «نشر المثاني» ج2، ص204 ـ 207، وكوديرا «كتب من إنتاج المغرب»، ص372.

93 ـ أبو عبد الله محمد بن الطيب بن عبد السلام الشريف القادري. ولد في (1124هـ/ 1712، 1713م)، وتوفي في (23 شعبان 1187هـ/ 11 نفمبر 1773م)، انظر الكتاني في «سلوة الأنفاس» ج2، ص352.

له: «الزهر الباسم (أو: العرف الباسم) في مناقب الشيخ سيدي قاسم، ومآثر من لقي من الأشياخ والأتباع أهل المكارم».

94 ـ نفس المؤلف. له: «نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني». توجد منه نسختان: كبيرة ومختصرة، والمختصرة طبعت في فاس في مجلدين من القالب الرباعي، عام (1315) هجرية.

95 ـ ولنفس المؤلف أيضاً: «التقاط الدرر، ومستفاد المواعظ والعبر، من أخبار أعيان أهل المائة الحادية والثانية عشر». وهو مختصر السابق.

96 ـ مجهول. له: «لمحة البهجة العلية، في بعض أهل النسبة الصقلية». وقد أعطى الكتاني في عدة مواضع من كتابه «سلوة الأنفاس» تفاصيل عديدة حول الأشراف الحسينيين الصقليين.

97 ـ أبو عبد الله محمد بن محمد القادري الحسني. من أحفاد سيدي عبد القادر الجيلاني، ومن سلف مؤلف «نشر المثاني». توفي عام (1043هـ/ 1633، 1634م). انظر: محمد بن الطيب [القادري] «نشر

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

المثاني» ج1، ص160 ـ 165، بعد ترجمة عبد الرحمٰن بن عبد القادر الفاسي (انظر: «أزهار البستان» رقم77)، والكتاني في «سلوة الأنفاس» ج2، ص51، (انظر: محمد بن الطيب [القادري] في «التقاط الدرر» رقم99)، وعبد السلام بن الطيب [القادري] (في: «العرف العاطر» رقم 72).

98 ـ أبو عبد الله محمد الصغير الإفراني المراكشي. انظر: كوديرا «كتب من إنتاج المغرب» ص375 ـ 376، وهوداس في مقدمة ترجمة «النزهة» ص1 ـ 7.

له: «نزهة الحادي، بأخبار ملوك القرن الحادي». طبع في فاس في القالب الرباعي، وحقق من طرف باحثين من تلمسان ومن الجزائر، مع ترجمة للكتاب قام بها هوداس، بعنوان: «نزهة الحادي: تاريخ الملوك السعديين» Nozhat el - Hadi, Histoire de dynastie Saadienne، وطبع بباريز عام (1882م) في مجلدين في القالب الثماني. وقد تُرجمت قطع منه من طرف دي سلان De Slane، ونشرت بمجلة «المشهد الإفريقي» Revue Africaine. ومن طرف محمد ابن رحال، ونشرت في ملف جمعية الجغرافيا بوهران Bulletin de la Société de Géographie d'Oran.

المصادر التي أدرجها المؤلف في كتابه هي التالية:

- أجوبة ابن رشد.
- «الأحكام السلطانية» للماوردي[1].
- أبو عبد الله المهدي: «شرح درة السلوك».
- الفشتالي: «مناهل الصفا، في أخبار الملوك الشرفا».
- السلطان المنصور: «كتاب السياسة».
- المقري: «أزهار الرياض» (انظر رقم: 54)، و«بذل المناسة؟؟»، و«بستان الآداب»، و«نفح الطيب» (انظر: رقم 53).

(1) ترجمة م. أوستروروغ M.Ostrorog، تحت الطباعة.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

- ابن عسكر: «دوحة الناشر» (انظر رقم: 85).
- سيدي العربي الفاسي: «شرح دلائل الخيرات».
- عبد الرحمٰن بن يعقوب السملالي: «شرح جامع شامل».
- ابن القاضي: «جذوة الاقتباس» (انظر رقم: 50)، و«درة الحجال» (انظر رقم: 47)، و«المنتقى المقصور» (انظر رقم: 51)، و«درة السلوك، فيمن حوى الملك من الملوك»، و«لقط الفرائد» (انظر رقم: 52).
- الأزوارقاني: «الدوحة».
- عبد السلام بن الطيب [القادري]: «الدر السني» (انظر رقم: 74).
- مؤلف مجهول: «الأنوار السنية، في نسبة من بسجلماسة من الأشراف المحمدية».
- علي بن طاهر التمنارتي: «الفوائد الجمة، بإسناد علوم الأمة».
- عبد الله بن محمد الفاسي: «الإعلام بمن مضى وغبر، من أهل القرن الحادي عشر».
- ابن الخطيب: «الإعلام، فيمن بويع قبل الاحتلام».
- أبو محلى: «السخور، في الرد على أهل الفجور»، «إصليت الخريت، في قطع بلعوم العفريت النفريت».
- مؤلف مجهول: «زهرة الشماريخ في علم التاريخ». وتعليقه.
- أبو العباس أحمد التواتي: «مقام التجلي، من صحبة الشيخ أبي محلي».
- محمد ابن عيسى: «الممدود والمقصور، من سناء السلطان أبي العباس المنصور».
- محمد الميارة: «شرح المرشد المعين» (انظر رقم: 107).
- ابن العربي: «محاضرات الأبرار» (انظر رقم: 9).
- مؤلف مجهول: «النفحة المسكية، في السفارة التركية».
- محمد بن سعيد المرغيتي: «فهرسة».
- المنجور: «فهرسة» (انظر رقم: 29).

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

- ابن المنجور: «فهرسة».
- ابن يعقوب: «فهرسة».
- الدميري: «حياة الحيوان»[1].
- السيوطي: «حسن المحاضرة»[2].
- ابن خلكان: «وفيات الأعيان» (انظر رقم: 15).
- عبد الرحمٰن بن عبد القادر الفاسي: «ابتهاج القلوب» (انظر رقم: 13).
- ابن عذاري: «كتاب البيان المغرب، في أخبار المغرب»[3].
- أبو نعيم: «كتاب الحلية».
- ابن فضل الله: «كتاب المسالك».
- إبراهيم بن هلال: «منسك».
- أبو حامد العربي [ابن يوسف الفاسي]: «مرآة المحاسن» (انظر رقم: 106).
- محمد المهدي بن أحمد [الفاسي]: «ممتع الأسماع» (انظر رقم: 66).
- أبو مهدي عيسى السگتاني: «النوازل».
- التكروري: «نصيحة أهل السودان».
- أبو طالب المكي: «قوت القلوب».
- ابن بطوطة: «الرحلة»[4].
- العياشي: «الرحلة» (انظر رقم: 81).
- أبو عبد الرحمٰن بن أحمد الشاوي: «الرحلة».
- أحمد الأفقاي الأندلسي: «رحلة الشهاب إلى لقاء الأحباب».

---

(1) طبع بالقاهرة، مجلدين من القالب الرباعي، 1292 هجري.

(2) طبع بالقاهرة، مجلدين من القالب الرباعي، من غير تاريخ.

(3) طبعه دوزي Dozy، تحت عنوان: «تاريخ إفريقيا وإسبانيا» Histoire de l'Afrique et de l'Espagne، بليدن، في مجلدين من القالب الثماني، 1848 ـ 1851م.

(4) طبع وترجم من طرف ديفريميري Defrémery، وسانغينيتي Sanguinetti، في مجلد واحد من القالب الثماني، 1877 ـ 1879م.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» Printed on [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100]

- عبد الوهاب السبكي: «الطبقات الكبرى».
- أبو سالم [العياشي]: «تحفة الأخلة، بإسناد الأجلة».
- مؤلف مجهول: «تحفة القادم».
- المكي السمرقندي: «تحفة الطالب».

99 ـ ولنفس المؤلف: «صفوة ما انتشر، من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر». طبع بفاس في القالب الرباعي من غير تاريخ.

انظر: كوديرا «كتب من إنتاج المغرب» ص373 ـ 374.

وقد أخطأ فهرس مخطوطات مكتبة الجزائر، حيث قدم الكتاب تحت رقم1741، على أنه لـ«مؤلف مجهول»!.

المصادر التي ذكرها المؤلف (ص288)، هي كالتالي:

- ابن القاضي: «درة الحجال» (انظر رقم: 47). «لقط الفرائد» (انظر رقم: 52)، و«جذوة الاقتباس» (انظر رقم: 50).
- عبد الرحمٰن التمنارتي: «الفوائد الجمة».
- مؤلف مجهول: الكناشة.
- أحمد بابا: «نيل الابتهاج» (انظر رقم: 12)، و«كفاية المحتاج، في ذيل الديباج» (انظر رقم: 13)، وفهرسة.
- أحمد بن علي: «مرآة المحاسن وبذل المناصحة» (انظر رقم: 106).
- المقري: «نفح الطيب»، و«الروضة العاطرة الأنفاس» (انظر رقم: 53).
- أبو القاسم بن أبي النعيم [الغساني]: فهرسة.
- الميارة: «شرح المرشد المعين» (انظر رقم: 107)، حاشية على البخاري.
- الفشتالي: وفيات.
- المكلاتي: وفيات.
- العياشي: «رحلة» (انظر رقم: 81)، و«تحفة الأخلاء»، و«اقتفاء الأثر».
- أحمد العجمي: «فهرسة».

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

- أبو علي اليوسي: «فهرسة» (انظر رقم: 31)، و«المحاضرات» (انظر رقم: 106).
- عبد الرحمٰن ابن القاضي الفاسي: «أنيسة المساكن، في أبناء أبي المحاسن»، و«ابتهاج القلوب» (انظر رقم: 76)، و«ابتهاج البصائر»، و«تحفة الأكابر» (انظر رقم: 78)، و«أزهار البستان» (انظر رقم: 77).
- الغماني: «رحلة».
- أحمد الأفقاي الأندلسي: «رحلة».
- محمد بن سعيد المرغيتي: «تحفة الإخوان، بمناقب سيدي رضوان»، و«فهرسة».
- أبو محلى: «الأصلية»، و«منجنيق الصخور».
- الباعقيلي: «أوراق».
- أحمد بن الحق الحلبي (كذا)[1].
- مَحمد بن عبد الرحمٰن [الفاسي]: «فهرسة».
- عبد الله بن محمد [الفاسي] (ابن السابق): «الإعلام بمن مضى».
- محمد بن مهدي (كذا): «ممتع الأسماع» (انظر رقم: 66)[2].
- أحمد بن أبي القاسم الهروي: «كتاب المعزى في مناقب أبي يعزى» (انظر رقم: 48).
- ابن عيشون: «الروض العاطر الأنفاس» (انظر رقم: 80).

100 ـ أبو عبد الله محمد بن الطيب الشريف العلمي. توفي في القاهرة عام (1134هـ/ 1721 ـ 1722م، أو: 1135هـ/ 1722، 1723م). انظر ترجمة محمد ابن الطيب في «نشر المثاني» ج2، ص204.

(1) الظاهر أنه يقصد أحمد بن عبد الحي الحلبي، الشهير رحمه الله تعالى. مترجم.
(2) وقد تقدم أنه: محمد المهدي بن أحمد بن علي الفاسي. مترجم.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

له: «الأنيس المطرب، فيمن لقيته من أدباء المغرب». طبع في فاس عام (1305هـ)، في القالب الرباعي.

يتضمن الكتاب الأعلام المغاربة الذين التقى بهم المؤلف، أو تبادل معهم الأشعار والآداب؛ وهم: [أحمد بن عبد الحي الحلبي][1]، ومَحمد بن قاسم بن زاكور، ومسعود المريني، ومحمد الشرقي، والمهدي الغزال الأندلسي، والوزير أبو حفص عمر الحسني، وأبو العباس أحمد دادوش، ومحمد بن بوعصافي، وأبو محمد عبد القادر بن شقرون، وأبو عبد الله محمد بن سليمان، وأبو عبد الله محمد بن يعقوب.

هذا الكتاب كتب بأسلوب جميل مشوق، وبالرغم من غلبة الأشعار، التي قد تكون ضعيفة أحياناً؛ فإن الكتاب يتضمن استطرادات بأسماء الأشهر، وعروض الشعر، والموسيقى، والنباتات، والمواقف الجميلة، وأخبار الحجاج، وشيوخ المؤلف... إلخ.

101 ـ مؤلف مجهول. من تلامذة الشيخ أبي عبد الله المسناوي. له: «جواهر السماط، في مناقب سيدي عبد الله الخياط».

الشيخ أبو عبد الله المسناوي؛ هو: ابن محمد بن أبي بكر الصنهاجي، المتوفى قتيلاً في الدلاء عام (1059هـ/ 1649م). انظر: محمد ابن الطيب [القادري]: «نشر المثاني» ج1، ص190.

استوطن سيدي أبو محمد عبد الله الخياط جبل زرهون، وتوفي مسموماً عام (939هـ/ 1532، 1533م). انظر: ابن عسكر «دوحة الناشر» ص63، وأبو عبد الله محمد المهدي [الفاسي] «ممتع الأسماع» ص65، والكتاني: «سلوة الأنفاس» ج3، ص191.

102 ـ أبو عبد الله محمد المكي بن موسى بن محمد ابن الشيخ سيدي محمد بن ناصر الدرعي. له: «الدرر المرصعة، في أخبار صلحاء درعة».

---

(1) صدَّر العلمي كتابه بترجمة الإمام أحمد بن عبد الحي الحلبي، وكأن المؤلف غفل عن ذلك. مترجم.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

103 ـ أبو عبد الله محمد بن أحمد [بن محمد] بن عبد القادر الفاسي. له: «المورد الهني، بأخبار الإمام المولى عبد السلام الشريف القادري الحسني».

104 ـ نفس المؤلف. له: «شرح درة التيجان».

105 ـ أبو مدين [بن أحمد] بن مَحمد بن عبد القادر الفاسي. توفي في (13 شعبان 1091هـ/ 13 سبتمبر 1680م)، انظر: الكتاني «سلوة الأنفاس» ج3، ص348.

له: «المحكم في الحكم».

106 ـ أبو علي الحسن بن مسعود اليوسي. توفي رجعته من الحج أوائل ذي الحجة (1102هـ/ أغسطس 1691م)، ودفن في تمزَزْت، قرية قرب مدينة صفرو. انظر: محمد ابن الطيب [القادري] «نشر المثاني» ج2، ص142 ـ 152، الإفراني «الصفوة» ص205 ـ 210، باسين «المجموعات العلمية» Collections scientifiques ج1، ص86 ـ 87، بروكلمان «تاريخ الآداب العربية» ج2، ص455 ـ 456.

له: «المحاضرات». طبع هذا الكتاب في فاس عام (1317) هجرية، في القالب الرباعي، وهو مذكور ضمن كتب المغرب. انظر: حاجي خليفة «كشف الظنون» ج7، القسم رقم 612، ص663 ـ 664، وهو من مصادر «الصفوة» (ص135)، و«نزهة الحادي»؛ انظر: ص101، 204، 205، 206، 207، 284 من النص.

107 ـ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد ميارة الفاسي. ولد أواسط رمضان عام (999هـ/ أغسطس 1591م)، وتوفي في (1072هـ/ 1661 ـ 1662م)، ودفن في درب الطويل، بمقبرة سيدي عزيز. انظر: محمد بن الطيب [القادري] «نشر المثاني» ج1، ص235 ـ 237، والكتاني في «سلوة الأنفاس» ج1، ص165 ـ 167، والإفراني «الصفوة» ص140.

له: «الدر الثمين، والمورد المعين، في شرح المرشد المعين، على الضروري من علوم الدين».

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

مؤلف «المرشد المعين» هو: أبو محمد عبد الواحد بن أحمد بن علي ابن عاشر الأنصاري الأندلسي، الفاسي، توفي في (3 من ذي الحجة عام 1040هـ/ 3 يوليوز 1631م). انظر: بروكلمان «تاريخ الآداب العربية» ج2، ص461.

طبع هذا الكتاب بقسنطينة عام (1262) هجرية، وفي القاهرة عام (1300) هجرية.

تعليق ميارة تم في (5 ربيع الثاني عام 1044هـ/ 28 سبتمبر 1633م)، وطبع في فاس عام (1292هـ)، وفي تونس عام (1293هـ)، وفي القاهرة عام (1305هـ)، وعام (1306هـ).

كما أن المؤلف نفسه وضع شرحاً مختصراً للكتاب، ابتدأه في ذي الحجة عام (1048هـ/ مايو 1639م)، وطبع في القاهرة عدة مرات: عام (1301، و1303، و1305) هجرية.

108 ـ الشيخ مرتضى الزبيدي الحسيني، توفي عام (1206) هجرية (1791 ـ 1792م).

له: «شرح القاموس». طبع في بولاق في عشرة مجلدات في القالب الرباعي، عام (1307 ـ 1308هـ).

109 ـ أبو الربيع سليمان بن محمد بن عبد الله الحوات الشفشاوني. ولد عام (1060هـ/ 1650م). انظر: الكتاني «سلوة الأنفاس» ج3، 176 ـ 179.

له: «الروضة المقصودة، والحلل المعدودة[1]، في مآثر بني سودة». هذا الكتاب بخصوص شيخ المؤلف: أبو عبد الله محمد التاودي ابن سودة المري، المدفون بفاس قرب باب عجيسة. انظر: الكتاني «سلوة الأنفاس» ج3، ص117.

(1) في النسخة المطبوعة: «الحلل الممدودة». مترجم.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» Printed on [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100]

110 ـ نفس المؤلف. له: «البدور الضاوية، في مناقب (نسخة أخرى: في التعريف بالسادات) أهل الزاوية الدلائية».

111 ـ نفس المؤلف. له: «السر الظاهر، فيمن أحرز بفاس الشرف الباهر، من أعقاب الشيخ عبد القادر».

112 ـ نفس المؤلف. له: «ثمرة أنسي في التعريف بنفسي». ذكر المؤلف في هذا الكتاب تفاصيل حياته، منذ مراهقته إلى دخوله مدينة فاس، ومن أخذ عنهم من الشيوخ في تلك الفترة (انظر: الكتاني «سلوة الأنفاس» ج3، ص117).

113 ـ نفس المؤلف. له: «قرة العيون، في الشرفاء القاطنين بالعيون». ترجم في هذا الكتاب للشرفاء الأدارسة الدباغين، القاطنين بحومة العيون بفاس بعد القرن التاسع. انظر: عبد السلام ابن الطيب [القادري] «الدر السني» ص35 ـ 38، وقد زاد على هذا الكتاب ملخصاً فروع الشرفاء الدباغيين سالمون Salmon في كتابه «الشرفاء الأدارسة بفاس» Les Chorfa idrisides de Fès ص445 ـ 446.

114 ـ أبو عبد الله محمد بوگرين اليازغي؛ من مريدي أبي عبد الله الخياط. الترجمة التي خصصها محمد المهدي للمؤلف في «دوحة الناشر» ص121 ـ 122، مختصرة ولا تذكر كتابه الآتي. وانظر أيضاً الكتاني «سلوة الأنفاس» ج3، ص126.

له: «الأزهار الندية، في بالتعريف بأهل الزاوية الدلائية البكرية».

115 ـ محمد بن علي المنالي الزبادي (انظر: رقم 82). له: «سلوك الطريق الوارية، في الشيخ والمريد والزاوية». يعتبر من المصادر الرئيسية للكتاني؛ لما يتضمنه من تراجم الصلحاء والصوفية.

116 ـ نفس المؤلف. له: «دوحة (غيره: روضة) البستان، ونزهة الإخوان، في مناقب الشيخ سيدي علي بن عبد الرحمٰن»؛ أي: الدرعي التادلي.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

117 ـ سيدي حمدون بن محمد بن حمدون الطاهري الحسني الجوطي. توفي في (22 جمادى الثانية عام 1191هـ/ 28 يوليوز 1777م)، بحسب «الإشراف»، وفي عام (1195هـ/ 1781م) بحسب «سلوك الطريق» للمنالي. انظر: الكتاني «سلوة الأنفاس» ج2، ص72 ـ 73.

له: «تحفة الإخوان، ببعض مناقب شرفاء وزان». توجد نسخة من الكتاب بفاس (انظر: ر.باسي «مخطوطات مكتبتين بفاس» ص9، رقم: 12)، وفي المكتبة الوطنية بالجزائر تحت رقم 303، حيث ذكر في فهرس المكتبة خطأ أنه لمؤلف مجهول.

118 ـ البركة أبو محمد سيدي عبد السلام بن الخياط بن محمد بن علال القادري الحسني. له: «تأليف في مناقب مولاي عبد الله الشريف الوزاني».

119 ـ أبو العباس أحمد بن محمد ابن الشيخ سيدي محمد بن عطية الأندلسي الفاسي. له: «كتاب التفكر والاعتبار، في تاريخ المصطفى وبعض أصحابه الأخيار، ومن تبعهم من العلماء والسادات الصوفية الأبرار».

120 ـ مؤلف مجهول. من تلامذة الشيخ أبي عبد الله القوري؛ شيخ العلامة ابن غازي. له: «تأليف في بعض مشاهير أعيان فاس في القديم».

121 ـ أبو زيد الفاسي الصغير. له: «تأليف في بعض مشاهير أعيان فاس في القديم».

122 ـ أبو العباس أحمد بن إبراهيم الدكالي. له: «سلسلة الذهب المنقود، في ذكر الأعلام من الأسلاف والجدود».

123 ـ أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الدكالي. ابن السابق. له: «التكملة لسلسلة الذهب». وهو تكملة للكتاب رقم (122).

124 ـ أبو محمد عبد الله بن يخلف الأنصاري الأندلسي الفاسي. توفي في (27 ذي القعدة عام 1162هـ/ 6 نفمبر، 1749م). انظر: الكتاني «سلوة الأنفاس» ج1، ص289 ـ 299.

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

له: «سلوة المحبين، ونكاية الحاسدين والجاحدين، في مناقب سيدي محمد ابن الفقيه أحد الأبرار العارفين»[1].

125 ـ أبو محمد عبد الواحد بن محمد الفاسي. ولد بفاس عام (1172هـ/ 1758 ـ 1759م)، وتوفي آخر ذي القعدة (1213هـ/ مايو 1799م). انظر: الكتاني «سلوة الأنفاس» ج1، ص325 ـ 326.

له: «غاية الأمنية، وارتقاء الرتب العلية، في ذكر الأنساب الصقلية، ذات الأنوار البهية السنية».

126 ـ نفس المؤلف. له: «إغاثة اللهفان، وسلوة الأحزان، بالقادريين عظام الشأن».

127 ـ السلطان أبو الربيع مولاي سليمان بن محمد العلوي. ولد في (1180هـ/ 1766 ـ 1767م)، وتوفي في (13 من ربيع الأول عام 1238هـ/ 28 نفمبر 1822م). انظر: دومباي Dombay «تاريخ الأشراف»[2] Geschichte der Scharifen ص321 ـ 324. والكتاني «سلوة الأنفاس» ج3، ص3، والسلوي «كتاب الاستقصا» ج4، ص129 ـ 169. وكور Cour «تاريخ الملوك الشرفاء بالمغرب»[3] Etablissement des dynasties des Chérifs au Maroc ص225 ـ 233.

128 ـ أبو محمد عبد الخالق بن محمد بن أحمد التادلي الشرقاوي. له: «المرقي، في ذكر بعض مناقب القطب سيدي محمد الشرقي».

129 ـ مولاي العربي بن أحمد الدرقاوي. له: «رسائل». طبعت في فاس عام (1318هـ)، في القالب الرباعي.

130 ـ أبو الحسن الحاج علي الحرازمي (كذا) البرادة. له: «جواهر المعاني، وبلوغ الأماني، في فيض الشيخ أبي العباس أحمد التجاني». طبع في القاهرة في مجلدين في القالب الرباعي. ترجم أرناود Arnaud مقتطفاً من

(1) كذا، والمعروف: «أحد الأفراد العارفين». مترجم.
(2) أغرام Agram، 1801م، في القالب الثماني، ص5.
(3) باريز، 1904م، في القالب الثماني.

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

الكتاب يتضمن ترجمة سيدي أحمد وابنه، نشر بمجلة «المشهد الإفريقي» Revue Africaine عام (1861م)، ص468 ـ 474.

مؤلف الكتاب ـ الذي كان يعرف أيضاً باسم «كوناش» Kounnach ـ يعتبر من أبرز مريدي سيدي أحمد التيجاني. ابتدأ كتابه بفاس عام (1213هـ/ 1798 ـ 1799م)، وبعد المعلومات التي ساقها حول سيدي أحمد الذي استوطن هو نفسه فاسا مع ابنه سيدي محمد الكبير، انتهى من الكتاب في (1214هـ/ 1799 ـ 1800م)، ومن الجدير بالذكر أن سيدي أحمد وعد المؤلف علي حرازم بالحج، حيث توفي أثناءه. انظر: رين Rinn «المرابطون والإخوان» Marabouts et Khouans ص421 ـ 443.

131 ـ أبو حامد محمد العربي ابن السائح الرباطي التيجاني. له: «بغية المستفيد، لشرح منية المريد». طبع في القاهرة عام (1304) هجرية.

«منية المريد» كتاب للشيخ أحمد التجاني بن بابا الشنجيطي؛ المتوفى بالمدينة بعد عام (1260) هجرية (1844م).

132 ـ أبو عبد الله محمد الزكي بن هاشم العلوي. له: «الدرة الفائقة، في أبناء علي وفاطمة». هذا الكتاب ينسب لغيره أيضاً.

133 ـ الوليد ابن العربي العراقي الحسيني. له: «الدر النفيس، فيمن بفاس من بني محمد بن نفيس».

134 ـ أبو عبد الله محمد المهدي بن محمد ابن القاضي. توفي عن أربعين سنة في العاشر من شوال عام (1271هـ/ 26 يونيو 1855م). انظر: الكتاني «سلوة الأنفاس» ج1، ص361.

له: «النور القوي، [في] ذكر الشيخ مولاي عبد الواحد الدباغ، وشيخه مولاي العربي الدرقاوي».

135 ـ مؤلف مجهول. له: «تحفة الحادي المطرب، في رفع نسب شرفاء المغرب».

136 ـ أبو محمد عبد السلام ابن الطيب القادري الحسني (انظر: رقم 72). ولد في العاشر من رمضان عام (1058هـ/ 28 سبتمبر 1648م)، وتوفي

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

في الثالث عشر من ربيع الأول عام (1111هـ/ 8 سبتمبر 1699م). انظر: الكتاني «سلوة الأنفاس» ج2، ص348 ـ 350.

له: «الإشراف، على نسب الأقطاب الأربعة الأشراف». طبع بفاس عام (1309هـ)، في القالب الرباعي. الأقطاب الأربعة هم: سيدي عبد القادر الجيلاني، وسيدي عبد السلام ابن مشيش، وسيدي أبو الحسن الشاذلي، وسيدي محمد بن سليمان الجزولي. تضمن الكتاب تواريخ مختصرة لهؤلاء الشخصيات الأربعة وذرياتهم.

137 ـ مؤلف مجهول. له: «نظم الدر واللآل، في شرفاء عقبة ابن صوال». شرفاء عقبة ابن صوال هم: فرقة الكتانيين الذين ينتمي إليهم مؤلف «سلوة الأنفاس». انظر: عبد السلام ابن الطيب [القادري] «الدر السني» ص38 ـ 40، وهناك فصل من الكتاب لخصه وترجمه سلمون ضمن كتابه: «الأشراف الأدارسة في فاس»، ص446 ـ 448.

138 ـ أبو عبد الله محمد الطالب بن حمدون ابن الحاج السلمي المرداسي. له: «رياض الورد، إلى ما اختص به هذا الجوهر الفرد».

139 ـ سيدي الكبير ابن المجذوب الفاسي. له: «تذكرة المحسنين، بوفيات الأعيان وحوادث السنين».

140 ـ أحمد بن خالد الناصري السلاوي. انظر: كوديرا: «مؤرخ مغربي معاصر»[1] Un Historiador Marroqui contemporáneo. ودوتي Doutté: «ملف مكتبي، حول الإسلام المغربي»[2] Boulletin bibliographique de l'Islam Maghribin.

[له: «الاستقصا، لأخبار دول المغرب الأقصا»]. طبع بالقاهرة في أربعة مجلدات في القالب الرباعي، عام (1312هـ).

روني باسي
مدير المدرسة العليا للآداب التابعة للمعهد

(1) «نشرة الأكاديمية الملكية للتاريخ»، مدريد، ج30، ص251 ـ 274.
(2) وهران، 1898م، ص56 ـ 57.

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

Black plate (464,1)

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

Black plate (465,1)

ملحق يتضمن

كلمات الجلسات الافتتاحية والختامية في ندوات تقديم كتاب «سلوة الأنفاس» في الرباط وفاس وتطوان

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

1 ـ كلمات الجلسات الافتتاحية:

* كلمة فعاليات النادي الجراري في ندوة الرباط الأولى.

أ. محمد احميدة

* كلمة رئيس الجمعية المغربية للبحث التاريخي بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط في ندوة الرباط الثانية.

أ. د. جامع بيضا

* كلمة السيد رئيس جامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس في ندوة فاس.

أ. د. توفيق الوزاني الشهدي

* كلمة عميد كلية الآداب والعلوم الإنسانية ـ ظهرالمهراز ـ فاس في ندوة فاس.

أ. د. محمد الشاد

* كلمة السيد رئيس شعبة اللغة العربية وآدابها بكلية الآداب بفاس في ندوة فاس.

أ. د. عبد الرحيم الرحموني

* كلمة رئيس وحدة الأدبية المغربية، التمثل والتميز بكلية الآداب بفاس في ندوة فاس.

أ. عبد الله بنصر العلوي

* كلمة رئيس المجلس العلمي المحلي بتطوان في ندوة تطوان.

أ. عبد الغفور الناصر

* كلمة رئيس المؤسسة العلمية الكتانية في ندوة تطوان.

أ. د. حمزة ابن الطيب الكتاني

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

2 ـ كلمات الجلسات الختامية:

* كلمة الجلسة الختامية بكلية الآداب بالرباط في ندوة الرباط الثانية.

أ. عبد الله الكامل الكتاني

* كلمة المؤسسة العلمية الكتانية في الجلسة الختامية بكلية الآداب فاس في ندوة فاس.

أ. د. حمزة بن محمد الطيب الكتاني

* تقريظ مؤرخ المملكة المغربية لسلوة الأنفاس.

أ. عبد الوهاب بن منصور

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

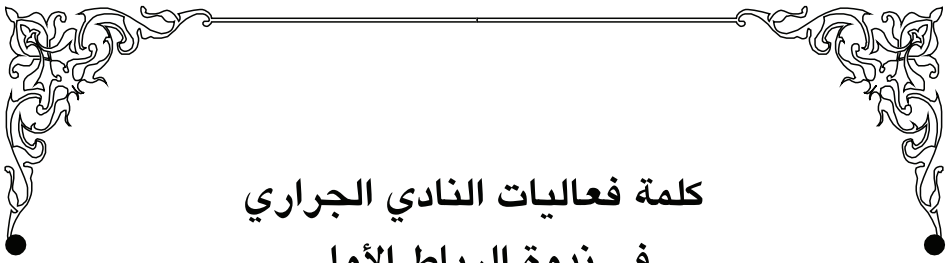

كلمة فعاليات النادي الجراري في ندوة الرباط الأولى

د. محمد احميدة[1]:

خلال سنة (2004م) صدرت طبعة جديدة لكتاب[2] «سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء بفاس»، من تأليف الشيخ أبي عبد الله محمد بن جعفر بن إدريس الكتاني (1274هـ ـ 1345هـ)، وقد قام بتحقيق هذا الكتاب الأساتذة: عبد الله الكامل الكتاني، حمزة بن محمد ابن الطيب الكتاني، محمد حمزة بن علي الكتاني.

ونظراً لأهمية هذا المصنف، فقد لقي اهتماماً كبيراً من طرف الباحثين والمثقفين والمهتمين بالفكر المغربي في تجلياته المختلفة، من ثم عقدت عدة جلسات علمية لتقديم «السلوة» ومناقشة محققيها، وتعريف الأجيال الجديدة من الباحثين بهذا الكتاب وصاحبه، وإبراز القيمة العلمية لمصدر كان الوصول إليه أمراً عسيراً.

وقد عبر الأساتذة الأفاضل حمزة الكتاني وعبد الله الكامل الكتاني ومحمد حمزة بن علي الكتاني عن رغبتهم في أن يخصص «النادي الجراري» إحدى جلساته العلمية الأسبوعية، التي تعقد مساء كل جمعة، لتقديم «سلوة الأنفاس» في طبعتها الجديدة.

رحب رئيس النادي الدكتور عباس الجراري بهذا الاقتراح، وخصصت

(1) أستاذ باحث بجامعة ابن طفيل بالقنيطرة.

(2) صدرت طبعة حجرية لهذا الكتاب عام 1316هـ/ 1897م.

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

لكتاب «السلوة» جلسة علمية انعقدت بمقر النادي يوم الجمعة (24 ذي الحجة 1425هـ/ الموافق 4 يبراير 2005م)، بحضور الأستاذين حمزة الكتاني وعبد الله الكامل الكتاني، وهما معاً ساهما في تحقيق «السلوة»، وقد دامت هده الجلسة ثلاث ساعات، من الخامسة والنصف إلى الثامنة والنصف ليلاً.

افتتح الدكتور عباس الجراري الجلسة بالترحيب بالأستاذين المحترمين عبد الله الكامل الكتاني وحمزة بن محمد الطيب الكتاني داخل النادي الجراري مبدياً سعادته باستقبالهما في هذا المجلس العلمي لتقديم كتاب «سلوة الانفاس» للفقيه الشريف محمد بن جعفر الكتاني، ونوَّه الدكتور عباس الجراري في كلمته بإقدام الأسرة الكتانية على إخراج هذا الكتاب القيِّم الذي يعتبره عميد الأدب المغربي مصدراً لا يمكن لأي باحث في الأدب المغربي أن يستغني عنه، مشيراً إلى أن «السلوة» أصبح كتاباً نادراً، وأن طبعته الحجرية لم تبق متداولة، وغدا عسيراً على الباحثين الإطلاع عليها، لقلة نسخها، من ثم فإن إعادة إخراجها في شكل جديد وبطباعة جيدة يعتبر عملاً مهماً بل ضرورياً.

ثم انعطف كلام الدكتور عباس الجراري إلى الحديث عن قيمة الكتاب العلمية، وما احتواه من تراجم، مبرزاً الجهد الذي بذله المحققون الثلاثة في ضبط ما يمكن ضبطه، وفي وضع فهارس الأعلام وغير ذلك، كما نوه الأستاذ الجراري بصاحب هذا التأليف الفقيه محمد بن جعفر الكتاني، وبمكانته العلمية المتميزة، ثم انبرى للحديث عن قيمة «سلوة الأنفاس» بالنسبة لتاريخ الفكر العربي ككل، وعن أهمية التراجم التي ضمها الكتاب بين دفتيه.

غير أن الدكتور عباس الجراري، نبه من خلال كلمته التي افتتح بها هذه الجلسة العلمية، إلى أن كتاب «سلوة الأنفاس» في طبعته الجديدة، قد يثير نقاشاً حول مفهوم التحقيق، فالتحقيق عندنا في الجامعة ـ يقول الأستاذ الجراري ـ له شروطه وأصوله ومناهجه، وقد يؤخذ على هذا الكتاب ومحققيه، أنه لم يستوف كل عناصر التحقيق العلمي، نعم ـ يقول الدكتور عباس الجراري ـ هناك عناصر من التحقيق نجدها في الكتاب، ولكن يبقى هذا الجانب مثيراً لبعض الملاحظات.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

وبعد انتهاء الدكتور عباس الجراري من كلمته التقديمية، تحدث الأستاذ عبد الله الكامل الكتاني، الذي عبر في البداية عن سعادته لوجوده في هذا المجلس العلمي الرفيع، شاكراً رئيس النادي الجراري الذي أتاح لهم ـ أي: الأساتذة عبد الله الكامل الكتاني وحمزة ابن الطيب الكتاني ومحمد حمزة بن علي الكتاني ـ هذه الفرصة للالتقاء بنخبة من الأساتذة، لتقديم كتاب «السلوة» وتبادل الآراء ووجهات النظر حول عمل المحققين.

ثم انبرى الأستاذ عبد الله الكامل الكتاني للحديث عن كتاب «السلوة» وعن المعاناة التي مر بها المحققون وهم يتعاملون مع هذا المصنف الكبير، وقال الأستاذ عبد الله الكامل الكتاني: «لقد كنا في حيرة، هل نخرج الكتاب كما تركه صاحبه، خاصة ما يتعلق بالتراجم التي تحدثت عن بعض المجاذيب، وما كانوا يقومون به من أعمال قد تكون غير مقبولة شرعاً؟، وبعد أخذ ورد وتقليب الأمر على أكثر من وجه اقتنع الجميع ـ أي: المحققون ـ بإخراج الكتاب كما هو، وليكن ما يكون، من أحبه بذلك الشكل أحبه، ومن أراد انتقاده فله ذلك».

وأضاف الأستاذ عبد الله الكامل الكتاني قائلاً: «إنني أنظر إلى ظاهرة الجذب نظرة خاصة، وفي اعتقادي أنها تعبير عن موقف من الأوضاع السياسية والاجتماعية التي عرفها المغرب في تلك المرحلة التاريخية ـ أي: زمن ظهور المجذوب ـ وقد يكون المجذوب معبراً عن ثورة على أوضاع معينة».

بعد إنهاء الأستاذ عبد الله الكامل لكلمته، تناول الحديث الدكتور حمزة ابن الطيب الكتاني الذي عبر بدوره عن سعادته لوجوده في هذا المجلس العلمي الجراري، وعن شكره لرئيس النادي الأدبي الذي رحب بعقد هذه الجلسة بناديه، مستضيفاً محققي «سلوة الانفاس»، مذكراً الأعضاء الحاضرين بالعلاقة التي تربطه بالدكتور عباس الجراري والتي تعود إلى سنوات الستين من القرن الماضي، يوم كان الدكتور عباس الجراري ـ يقول الدكتور حمزة الكتاني ـ يهديني كتبه محلاة بـ«عبارات حميمة»، بل إن هذه الروابط تمتد إلى ما كان يجمع بين العلامة المرحوم عبد الله الجراري مؤسس النادي الجراري ووالده العلامة الفقيه محمد الطيب الكتاني.

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

وأعطف الدكتور حمزة الكتاني بعد ذلك إلى الحديث عن المؤسسة العلمية الكتانية «وجمعية الشرفاء الكتانيين للتعاون والثقافة» التي يترأسها، مبيناً أن فكرة تكوين هذه الجمعية والمؤسسة قد خامرته يوم حضر إحدى حلقات «ندوة عبد الله الجراري»[1] بمنزل الأستاذ عبد الواحد الجراري بشارع عين خلوية (السويسي ـ الرباط) ولاحظ ما يقوم به النادي الجراري من أنشطة علمية رصينة، وما ينشره من ندوات ومؤلفات قيمة، وفعلاً قمنا بتأسيس هذه الجمعية وأصدرنا ـ يقول الدكتور حمزة الكتاني ـ إلى حدود اليوم (4 يبراير 2005م) ما ينيف على أربعين كتاباً، وهنا قام الدكتور حمزة الكتاني بتقديم مجموعة من الكتب إلى الدكتور عباس الجراري، من ضمنها: «سلوة **الأنفاس**»، و«الأنفاس النورانية في الرحلة الحجازية لسنة 1350هـ» للفقيه محمد الطيب الكتاني، و«الشرفاء الكتانيون في الماضي والحاضر» للدكتور علي المنتصر الكتاني، «وكتاب نظم الدر والآل في شرفاء عقبة ابن صوال» بقلم الشيخ أبي عبد الله محمد الطالب بن حمدون ابن الحاج السلمي، وغيرها من الكتب.

بعد ذلك أخذ الدكتور حمزة الكتاني في التعقيب الأساتذة المتدخلين، الذين أشاروا إلى أن عمل المحققين إنما هو «إعادة إصدار السلوة» دون التنصيص على التحقيق في كلمة الإهداء التي كتبت على النسخة المقدمة للدكتور عباس الجراري، مؤكداً أن العمل الذي قاموا به، هو تحقيق لكتاب «سلوة الأنفاس»، قائلاً: «إنه تحقيق متميز، لماذا أقول تحقيق؟؛ لأن هناك خطة في العمل، وهناك مجهود في قراءة النص وضبطه ومقابلته، وهي أهم ضوابط وشروط التحقيق.

(1) «ندوة عبد الله الجراري»، من الندوات العلمية التي دأب النادي الجراري على تنظيمها إحياء لذكرى مؤسس النادي العلامة المرحوم عبد الله الجراري، وقد نظمت الحلقة الأولى من «ندوة عبد الله الجراري» بتاريخ (27 ربيع الثاني 1405هـ/الموافق 19 يناير 1985م)، في موضوع: «كتابة تاريخ العدوتين»، وقد صدرت أعمال هذه الندوة ضمن منشورات النادي الجراري رقم 2، ط1، يناير 1987م.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

وقبل أن يختم الدكتور حمزة الكتاني كلمته؛ أخبر أعضاء النادي الجراري الحاضرين بأن جلسة علمية حول «السلوة» ستنظم بكلية الآداب بالرباط، يوم (25 يبراير 2005م)[1] كما ستنعقد جلسة ثانية بكلية الآداب، ظهر المهراز، بفاس، تنظمها «مجموعة البحث في الإبداع والدراسات المغربية الإماراتية» بالاشتراك مع وحدة الأدبية المغربية: التمثل والتميز».

بعد أن انهى الدكتور حمزة تدخله، فتح الدكتور عباس الجراري باب المناقشة وإبداء الرأي حول كتاب «السلوة»، فتدخل عدة أساتذة من الحاضرين في النادي حسب الترتيب الآتي: تناول الكلمة في الأول الأستاذ محمد احميدة (أستاذ بكلية الآداب بالقنيطرة)، وأبدى ملاحظتين اثنتين:

الأولى: تتعلق بمسألة الأمانة العلمية حينما يتعلق الأمر بتحقيق نص ما، تحقيقاً علمياً، فأكد على أن الإبقاء على تراجم المجذوبين يعد مسألة إيجابية، بل من صميم الإخراج العلمي الدقيق للنص، ذلك أن الأمر سيتغير لو عمد المحققون إلى حذف هذا الجانب، حيث سنجد أنفسنا أمام نص آخر، وكتاب مختلف يمكن تسميته: «تهذيب سلوة الأنفاس».

الثانية: لخصها الأستاذ محمد احميدة في كون كتاب «سلوة الأنفاس» ليس موجّهاً للمهتمين بالدراسات الأدبية المغربية فحسب، بل هو كتاب يفيد منه المؤرخ ودارس الأدب، وعالم الاجتماع والأنطربولوجي، وغير هؤلاء. فلو تم حذف المادة المتعلقة ـ مثلاً ـ بالجذب والمجذوبين كما أشار إلى ذلك الأستاذ عبد الله الكامل الكتاني؛ لبترت مادة يمكن أن يستفيد منها الباحثون في مجالات معرفية مختلفة.

وتدخل بعد ذلك الأستاذ محمد البوري (أستاذ بالمدرسة العليا للأساتذة بالرباط)، وانصبت ملاحظاته حول تحقيق النصوص، حيث أشار إلى أن

(1) انعقدت هذه الجلسة يوم (25 يبراير 2005م) بكلية الآداب بالرباط، وشارك فيها الأساتذة: محمد بن شريفة، وإبراهيم حركات، وفاطمة الحراق مديرة معهد الدراسات الإفريقية بالرباط، وإبراهيم بوطالب، وترأس الجلسة د. جامع بيضا.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

مفهوم التحقيق يتطور، ولكن هناك أصول يجب احترامها، وأعطى الأستاذ عباس الجراري بعد ذلك الكلمة للأستاذ مصطفى الجوهري (أستاذ بالمدرسة العليا للأساتذة) ليوضح رأيه حول مفهوم التحقيق، حيث قال: «ليس هناك تحقيق قديم وتحقيق حديث، هناك تحقيق وكفى». مضيفاً أن الذي يعرف التحقيق هو من كابد مشقاته وعانى صعوباته.

وجاء دور الأستاذ الحسن شاهدي (أستاذ بكلية الآداب بالقنيطرة) الذي نوه في بداية كلمته، بإخراج كتاب «سلوة الأنفاس» في هذه الحلة الجديدة، مذكراً بما كان الباحثون يعانونه وهم يعتمدون الطبعة الحجرية لهذا الكتاب، والصعوبات الكبيرة التي يجدها قارئ هذه النسخة، نظراً لطبيعة الطبع الحجري، وانعطف الأستاذ شاهدي بعد ذلك للتعقيب على ما قاله الأستاذ عبد الله الكامل الكتاني حول ما يوجد بالسلوة من كلام عن الجذب والمجاذيب، وما سببه هذا الأمر من تردد عند المحققين للكتاب حول الإبقاء على هذه المادة أو حذفها، فبين أن هذا الأمر ليس مقصوراً على كتاب «السلوة»، بل نجده في عدة كتب للتراجم، أو التصوف، أو النوازل.

وطلب الكلمة بعد ذلك الأستاذ السعيد بنفرحي (أستاذ بالثانوي بمدينة المحمدية)، ليوجه سؤالاً مباشراً إلى الدكتور حمزة الكتاني على الشكل التالي: «ما هو الشيء الذي جذب الدكتور حمزة الكتاني، المهتم بالعلوم الفيزيائية والكيميائية، والمدير السابق للمدرسة المحمدية للمهندسين، إلى كتاب تراثي هو «السلوة»؟. وجاءت إجابة الأستاذ حمزة الكتاني مبينة الأسباب الكامنة وراء هذا التوجه، متمثلة أساساً ـ كما بين الأستاذ الكتاني ـ في النشأة التي نشأها داخل وسط يميل إلى التراث العربي الإسلامي بصفة عامة، بل إن والده الشيخ محمد الطيب الكتاني، كان يوجه ابنه حمزة إلى المسجد الأعظم بسلا للأخذ عن الفقهاء في حلقات دروسهم بعد أن حفظ القرآن الكريم كاملاً، من ثم ـ يقول الدكتور حمزة ـ تلقيت منذ صغري المتون التي كانت تدرس داخل الكتاتيب وحلقات المساجد، خلال النصف الأول من القرن العشرين، أضف إلى ذلك، أن الأسرة الكتانية، كان لها تقليد، يتمثل في عقد

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

لقاءات عائلية، تكون فرصة للتعارف، ولكن في نفس الآن، كانت تلقى بعض الدروس المرتبطة بالثقافة العربية الإسلامية، كل هذا كان له تأثير في ميلي إلى هذا النوع من المعرفة، دون أن ننسى، أنني أحد تلامذة مدارس محمد الخامس بالرباط وهي المدرسة الوطنية التي تولي عناية كبيرة للغة العربية وفكرها، وللحضارة الإسلامية وتاريخها.

وكان آخر المتدخلين في هذا النقاش، هو: الأستاذ أحمد شوقي بينبين، مدير الخزانة الحسنية بالرباط، وقد أشاد بدوره في البداية، بإخراج الكتاب، وأهمية توفره بين أيدي الباحثين، لينتقل بعد ذلك إلى التركيز على مسألة التحقيق، يقول الأستاذ أحمد شوقي بينبين:

«إن المشكل الذي يطرحه هذ الكتاب هو: التحقيق، ولو وضع الأساتذة المحترمون الذين أشرفوا على إخراج «السلوة» كلمة أخرى عوض كلمة «تحقيق»؛ لما أثار الكتاب أية ملاحظة، واقترح الأستاذ بنبين مثلاً عبارة: «نشر بعناية...» أما وقد تم النص على كلمة التحقيق، حيث وردت عبارة «سلوة الأنفاس.. تحقيق...»؛ فهنا الإشكال، فالتحقيق ـ يقول الأستاذ بنبين ـ له قواعده وأسسه وشروطه، لذلك أعتقد أن الملاحظات خلال الجلستين العلميتين المقرر عقدهما في كليتي الآداب بالرباط وفاس، ستنصب على هذا الجانب».

وفي ختام هذه الجلسة العلمية تناول الدكتور عباس الجراري الكلمة، منوِّهاً مرة أخرى بهذا العمل، وأهمية هذه الطبعة الجديدة لسلوة الأنفاس، قائلاً: «إن الكتاب المهم هو الذي يثير النقاش، ولا ترمى إلا الشجرة المثمرة».

وقبل أن يغادر الأعضاء والضيوف مقر النادي؛ قدم الدكتور عباس الجراري مجموعة من الكتب، التي صدرت ضمن منشورات النادي الجراري، للأستاذين عبد الله الكامل الكتاني وحمزة بن محمد الطيب الكتاني، اللذين وجها إلى هذا النادي الأدبي دعوة لزيارة «المؤسسة العلمية الكتانية»، وعقد إحدى الجلسات بمقرها، وهو الأمر الذي رحب به رئيس النادي الجراري.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

وتمت هذه الزيارة بالفعل يوم الجمعة (24 جمادى الأولى 1426هـ/ الموافق 1 يوليوز 2005م).

هذه أهم الأفكار التي تم تداولها داخل النادي الجراري خلال الجلسة التي خصصها هذا المجلس لتقديم كتاب «سلوة الأنفاس»، وقد اتخذت شكل نقاش مفتوح يختلف عن حلقة اليوم الدراسي أو الجلسة التي هيأ لها بعض الباحثين عروضاً مسبقة، كما تم في جلستي كلية الآداب بالرباط وكلية الآداب، ظهر المهراز بفاس، فالتلقائية وتبادل الآراء بشكل حر هي السمة التي ميزت الجلسة، وأثمرت ملاحظات منهجية ومعرفية على جانب كبير من الأهمية.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» Printed on [70x100] [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d]

Black plate (476,1)

كلمة رئيس الجمعية المغربية للبحث التاريخي في ندوة الرباط الثانية

أ. د. جامع بيضا[1]:

بسم الله الرحمٰن الرحيم؛ هذه الجلسة من الجلسات التي تنظمها الجمعية المغربية للبحث التاريخي، وهي: جلسة استثنائية حقاً بهذا الحضور المكثف..

«سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس، بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس» لمحمد بن جعفر الكتاني المتوفى عام (1927م)، هذا هو موضوع القراءة للكتاب الذي نقدمه اليوم، فهو مصدر من أهم مصادر تاريخ المغرب والذي كتب عنه فقيدنا العلامة محمد المنوني ما يلي:

«تعتبر (أي: «سلوة الأنفاس») أكبر مصدر لتاريخ رجال فاس إلى عصر تأليفها، ولم يدون قبلها ولا بعدها ما يوازيها في موضوعها..». انتهى قول المرحوم محمد المنوني. لقد تداول المؤرخون والباحثون النسخة المطبوعة الطبعة الحجرية الفاسية منذ (1897م)، في ثلاثة أسفار وعانى الباحثون في الحصول عليها واستغلالها الاستغلال اليسير..

تنبَّه الباحثون المغاربة منهم والأجانب إلى أهمية هذا المصدر مبكراً؛ فالمستشرق الفرنسي روني باسي قدم دراسة عن مصادر «سلوة الأنفاس» إلى المؤتمر الدولي للمستشرقين، المنعقد بالجزائر سنة (1904م)، ومنذ ذلك الحين نهل الباحثون من «سلوة الأنفاس» معلومات شتى، واعتبروها موسوعة

(1) أستاذ التعليم العالي بجامعة محمد الخامس، الرباط.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

لدفناء فاس من أهلها أو الواردين عليها، وكذا لمزاراتها وزواياها ومعالمها التاريخية، ولا تخلو أطروحة جامعية تتناول تاريخ المغرب من الإشارة إلى أهمية هذا المصدر.

وآخر ما وقفت عليه من هذه الإشارات هو: أنني في الخريف الماضي أثناء زيارة إلى جامعة هارفارد الأمريكية؛ وجدت أن الشعبة المهتمة هناك بدراسات الشرق الأوسط وأفريقيا الشمالية قد أدرجت ضمن أنشطتها: محاضرة للأستاذة سحر البزاز، وهي: أمريكية من أصل عراقي، محاضرة تحت عنوان: «أهمية سلوة الأنفاس كمصدر من مصادر تاريخ المغرب»، وقد ألقيت المحاضرة فعلاً يوم (16 من يناير الماضي 2004م) وكان بود صاحبة المحاضرة ـ وقد اتصلت بها مؤخراً ـ أن تشاركنا هذا العرس لولا بعض الالتزامات السابقة..

المهم أن «سلوة الأنفاس» أصبحت اليوم رهن إشارة الباحثين والمؤرخين، وغيرهم من ذوي التخصصات الأخرى، وذلك بفضل كل من الأساتذة: الأستاذ عبد الله الكامل الكتاني؛ أستاذ باحث في الفكر الإسلامي، الأستاذ حمزة بن محمد الطيب الكتاني؛ عضو الأكاديمية الإسلامية للعلوم، والأستاذ محمد حمزة بن علي الكتاني؛ باحث في الدراسات الإسلامية والتراث، فإليهم جميعاً عبارات التقدير والامتنان من معشر الباحثين. ولعل أحسن تعبير عن هذا الامتنان: استجابتكم جميعاً لدعوتنا، وأيضاً؛ استجابة ثلة من الأساتذة المرموقين ودون تردد للمشاركة في هذا التقديم، فسيتناول الكلمة تباعاً: الأستاذ محمد بن شريفة، ثم الأستاذ إبراهيم حركات، ثم الأستاذة فاطمة الحراق. ويختم عميدنا الأستاذ إبراهيم بوطالب في كلمة عن هذا الموضوع.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

Black plate (478,1)

كلمة السيد رئيس جامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس في ندوة فاس

أ. د. توفيق الوزاني الشهدي:

بسم الله الرحمٰن الرحيم،
وصلى الله على المصطفى الكريم

أيها السادة؛ يطيب لي اليوم بمناسبة الاحتفال بالدورة الثالثة للأسبوع الوطني للعلم الذي تنظمه الجامعة المغربية، أن يكون من بين أنشطته الهامة: تنظيم ندوة علمية تُخصص للاحتفال بصدور كتاب «سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس، بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس» للشريف أبي عبد الله محمد بن جعفر الكتاني، بتحقيق مجموعة من فضلاء الأسرة الكتانية، بعد أن كان من قبلُ محط اهتمام بطبعته الحجرية الفاسية.

إن لكتاب «سلوة الأنفاس» قيمة حضارية وثقافية كبيرة قدَّر من شأنها كثير من الباحثين والمستشرقين. فالمرحوم محمد المنوني يعتبرها: «أكبر مصدر لتاريخ رجال فاس إلى عصر تأليفها، ولم يدون قبلها ولا بعدها ما يوازيها في موضوعها».

كما أن المستشرق ليفي بروفنسال اعتمدها مصدراً هاماً لمصادر تاريخ رجالات دولتي الشرفاء بالمغرب، وأحاطها بعناية خاصة، معترفاً بإحاطة المؤلف بمدينته؛ لأنه بحث في كل مكان، ورجع إلى الوثائق العائلية، وسجل مواقع الأضرحة بكل ضبط، ونقل ما عليها من كتابات.. ومثل هذا التوجه النقدي جعل هذا المستشرق يقر بكونه منهجاً متقدماً لا عهد للمغرب به، وهو إنجاز سيظل وثيقة أساسية في الدراسات المغربية في شتى مجالاتها.

إن «سلوة الأنفاس» ـ وقد أبرزت المجالات الدينية والثقافية والاجتماعية

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

لتاريخ المغرب عبر تراجم أعلام مدينة فاس ـ ستفتح أمام الباحثين في مختلف الحقول الإنسانية أبواب البحث العلمي. ولا شك أن مثل هذه المناسبة ستجعل من إحياء المؤلفات الهامة بتحقيقها أو إعادة طبعها فرصة سانحة للتأمل في التراث، فكما تعرفون كان من الأولويات التي اعتمدها العرب في مرحلة البعث حين عملوا على طبع المصادر الأمهات التي شكلت المنطلق العلمي لحركة التغيير التي عرفتها عصور النهضة العربية، بل وأبعد من هذا؛ فإن النهضة الأوروبية اعتمدت على إحياء التراث اليوناني والروماني والعربي، ونشره بين المهتمين، فكانت النهضة الأوروبية التي أثمرت حضارة اليوم.

إن هذه الندوة العلمية التي تنظمها وحدة الأدبية المغربية بين التمثل والتميز، يعتبر عملاً جليلاً لتكريم كتاب قدم للتاريخ الحضاري المغربي مداخل متعددة المقاصد، وذلك يُعبر عن اقتناع بضرورة التواصل مع التاريخ ببناء حاضر قادر على صنع المستقبل، وهو السبيل لتثبيت مقومات الحضارة وصوناً للهوية المغربية ومقوماتها الفاعلة في المعرفة والسلوك، والحرص على قيم التشارك والتسامح والبناء.

ومن ثم؛ فإننا اليوم أحوج ما نحن إلى تراثنا العلمي ليكون حافزنا على العمل من أجل غرس جديد يأكل من ثمره أحفادنا كما نأكل اليوم من ثمار ما غرسه أجدادنا. وبالمناسبة؛ فإنني أغتنمها طيبة لدعوة أصحاب الهمم من العلماء والباحثين إلى بذل مزيد من الجهد من أجل استخراج كنوز المكتبة المغربية إخراجاً يفيد منه البحث العلمي، وتتطور به الرؤى المحاذية لآفاقه وتطلعاته، وسيجدون بكل تأكيد في الجامعة وفي الجامعيين مسؤولين وباحثين كل الدعم المعنوي والمادي.

وفي الختام؛ أهنئ المشرفين على هذه الندوة، متمنياً لهم وللقادمين من بعيد مقاماً طيباً بيننا، وشاكراً إياهم مبادرتهم. ويسعدني أن أخص بالذكر منهم: أستاذي الجليل سيدي حمزة الكتاني الذي يشرف جامعتنا اليوم بحضوره في رحابها، والذي يرجع إليه الفضل الكثير اليوم في تكوين العديد من الأطر الجامعية العليا، فهو ممن أعتز بهم لاختياري مهنة التعليم الجامعي، وكلامي هذا ليس مبالغاً فيه، وهو أعلم مني به، فأهلاً به وسهلاً، وأهلاً بكل الأساتذة الأجلاء، والله الموفق للصواب. والسلام عليكم ورحمة الله.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

كلمة عميد كلية الآداب والعلوم الإنسانية ـ ظهر المهراز بجامعة محمد بن عبد الله بفاس في ندوة فاس

أ. د. محمد الشاد:

بسم الله الرحمٰن الرحيم

السيد رئيس المؤسسة العلمية الكتانية.

والسادة أعضاء هذه المؤسسة.

سيدي إدريس بن محمد بن جعفر الكتاني.

الشرفاء الأجلاء

السادة الزملاء

لعلَّ من كرامات هذا الشيخ، علم من أعلام فاس، أقولها والشد بالله، وهذا هو اسم جدي، أقولها والشد بالله لأني تبينت أن هذه الكلمة عربية، فصيحة لا غبار عليها؛ قلت: لعل من كرامات هذا الشيخ أن نكون بهذه الجلسة قد افتتحنا عهداً جديداً من الشراكة الأخلاقية، كما نبهني إلى ذلك سيدي حمزة، بين الدار الكتانية العالمية كخلية من المجتمع المدني، قد عجبني ربط أعلام هذا البيت المجيد بالأعمال الفكرية والاجتماعية للمجتمع المدني الواسع والمتسع لكل من شمل هذا البلد، هذه الشراكة الأخلاقية نشأت قبل هذه الجلسة، ولكنها توثقت في هذه الجلسة، وستستمر إنشاء الله بعد هذه الجلسة.

ماذا فتحت لنا هذه الجلسة؟. أولاً؛ فتحت لنا أبواب إحدى أهم

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» Printed on [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100]

الخزانات المغربية، ولا شك أنكم تدركون ما يعاني منه الباحث للوصول إلى المكتبات الخاصة، وانغلاق جلها أمامه، فتحت هذه الجلسة آفاقاً جديدة للبحث، إن على مستوى كتاب «السلوة» ومداخلة الزملاء كشفت عن جوانب من ذلك، وفتحت شهية الباحثين والمحققين لمواضيع لم يتطرق إليها؛ أو على مستوى الكم الهائل من التراث الذي تركه العديد من أبناء هذه الأسرة الشريفة، وغير هذه الأسرة من العائلات المغربية.

وقد كانت الاتصالات التي تمت على هامش هذه الندوة ثرية في هذا الباب، أخيراً وحتى لا أطيل فوقت الصلاة قد حان. أؤكد لكم من موقع المسؤولية أن استعدادنا للتعاون من أجل التحقيق والنشر استعداد تام بإمكانياتنا البشرية كما يقال اليوم، وهي أهم وأعز ما نملك، باحثين وطلبة، ولكن أيضاً بإمكانياتنا المادية، وذلك بإصدار الأبحاث والمتون التي سننجزها معاً، وأولها: أعمال هذه الندوة المباركة، وما سيليها من نصوص وتحقيقات وتوثيقات ألح الزملاء والعلماء على أهميتها.

السيد رئيس المؤسسة العلمية الكتانية، السادة أعضاء هذه المؤسسة، الشرفاء الكتانيون، لكم منا كل الود والتقدير... والسلام عليكم.

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

كلمة السيد رئيس شعبة اللغة العربية وآدابها بجامعة محمد بن عبد الله بفاس في ندوة فاس

أ. د. عبد الرحيم الرحموني[1]:

بسم الله الرحمٰن الرحيم، والصلاة والسلام على من أرسل رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

- أستاذي الكبير الدكتور محمد الكتاني المكلف بمهمة في الديوان الملكي.
- السيد رئيس الجامعة.
- السيد عميد الكلية.
- السادة الشرفاء.
- زملائي الأساتذة.
- إخواني الطلبة.
- أيها الحضور الكريم.

الاعتناء بالتراث تحقيقاً وتوثيقاً ودراسة أساسٌ مهم من أسس نهضة الأمم، ووصل حاضرها بماضيها، وخاصة بالنسبة لأمة كأمتنا ذات الماضي العريق، والمجد التليد، والقدم الراسخة في مختلف مجالات العلم والمعرفة، أمتنا التي أحرزت قصب السبق بالتأليف والبحث والتصنيف في كل العلوم الشرعية منها والإنسانية والاجتماعية، فضلاً عن العلوم المادية الحقة، فتركت

(1) أستاذ اللغة العربية.

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

لنا بذلك تراثاً علمياً ضخماً، لا تكاد تحصى عناوين مؤلفاته إذا عدها العادون، ولا تكاد تحصر موضوعاته إن خاض فيها المتخصصون. قطوفه دانية للعلماء العارفين، وظلاله وارفة على المخلصين المريدين.

وتراثنا المغربي جزء من تراث هذه الأمة، فيه الغالي والنفيس، والطريف والتالد. ولا أقول: فيه الغث والسمين، أو الغالي والرخيص، فالقيمة العلمية لهذا التراث لا يمكن أن ينظر إليها إلا بعين الرضا، ولا يمكن أن تقاس إلا بأنفس الأنفَس.

لقد حاول عدد من الأساتذة الأجلاء المؤسسين للجامعة المغربية، وخاصة في شعبة اللغة العربية وآدابها، أن يرسخوا تقليداً، شهد له بالتميز والنتيجة الفضلى، وذلك بتوجيه الباحثين بإنجاز رسائلهم الجامعية في تحقيق التراث، ولقد كانت هذه التوجيهات بمثابة وابل على البحث العلمي، فآتت أكلها ضعفين؛ مرة حينما برز إلى الوجود عدد من ذخائر التراث العربي الإسلامي، ومرة أخرى بتخرج ثلة من الباحثين الذين خبروا التحقيق واختصوا به، ولئن كان عدد من هذه الذخائر المحققة ما زال حبيساً في رفوف مكتبات الكليات، فإنها في كل الأحوال أوفر حظاً من تلك المخطوطات التي ما زالت تنتظر من ينفض عنها غبار الزمن، والأمل معقود على طلابنا الأوفياء لمغربيتهم وتراثهم وحضارتهم، للقيام بهذه المهمة العلمية النبيلة.

وإن شعبة اللغة العربية وآدابها لتسجل بكل فخر واعتزاز اهتمام ثلة من أساتذتها الباحثين بتحقيق التراث بحثاً وتدريساً وتأطيراً، وانشغالهم بإخراجه على أحسن وجه. ويمكن أن أقول: إن وحدة التكوين والبحث: الأدبية المغربية بين التمثل والتمييز. من بين الوحدات القلائل التي أدركت حق الإدراك أهمية الانشغال بالتراث المغربي، فتمثلت بذلك توجيهات الجيل الرائد المؤسس من أساتذتنا الأجلاء، وتميزت أو كادت عن باقي الوحدات، بتوجيه الطلبة الباحثين إلى إنجاز رسائلهم وأطروحاتهم في تحقيق مؤلفات من التراث المغربي.

ثم إن هذه الندوة العلمية التي تشهدها كليتنا بمناسبة الأسبوع الوطني

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» Printed on [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100]

للعلم، وصدور الطبعة الجديدة من كتاب «سلوة الأنفاس»، لتؤكد من جديد هذا المنحى العلمي السديد بالاهتمام بالتراث دراسة وتحقيقاً، فلأساتذتها القائمين عليها جزيل الشكر والتقدير.

ختاماً؛ باسمي شخصياً، ونيابة عن زملائي بشعبة اللغة العربية وآدابها، أرحب بضيوف الندوة الكرام، خاصة الذين وفدوا علينا من خارج فاس، فهم أهل الدار بعلمهم وفضلهم، ونحن الضيوف عندهم، أرجو لهم مقاماً طيباً، في الحاضرة العلمية للمملكة، ولأعمال هذه الندوة التوفيق والسداد، لتكون هي الأخرى سلوة الأنفاس ومحادثة للأكياس.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

Black plate (485,1)

كلمة رئيس وحدة الأدبية المغربية بكلية الآداب بفاس في ندوة فاس

أ. د. عبد الله بنصر العلوي[1]:

بسم الله الرحمٰن الرحيم؛ أيها الحضور الكريم؛

إذا تعددت أجناس الأدبية المغربية؛ فإن التأليف في كتب التراجم يعتبر من المصنفات التي أولاها المغاربة العناية الفائقة، تقديراً منهم لرجالهم الذين أسهموا في مجالات المعرفة والسلوك، وصوناً لتراثهم الذي عبثت به يد الإهمال والزمان.

وتعد «سلوة الأنفاس، ومحادثة الأكياس، بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس» لمؤلفها الشريف أبي عبد الله محمد بن جعفر بن إدريس الكتاني من أوسع كتب التراجم المغربية، وواسطة عقدها، فقد استوعبت مصادر من قبلها، ونهجت سبيلها المصادر التي أتت بعدها، نظراً لتعدد مشاربها وتنوع مقاصدها، مما جسد مجالاً خصباً رام ثقافة القدوة لاستجلاء المناقب التي أصبحت تمثل في الثقافة المغربية نبراساً تجلت أنواره في الفكر والإبداع.

وإيماناً من وحدة الأدبية المغربية بين التمثل والتميز، ومجموعة البحث في الإبداع والدراسات المغربية الإماراتية، بخصوبة القيمة الثقافية لكتاب «سلوة الأنفاس»؛ يسعدهما اليوم أن تنظما هذه الندوة العلمية تكريماً لكتاب جليل ألَّفه باحث قدير.

---

(1) أستاذ التعليم العالي بجامعة محمد بن عبد الله بفاس.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

وقد اتخذت الندوة موضوع: «سلوة الأنفاس: الذاكرة والحضور»، باعتبارها مصدراً هاماً يختزن طاقات الثقافة المغربية في مجالات التاريخ والفكر والأدب والتصوف، اعتمده الكثير من الباحثين المغاربة والمستشرقين في العديد من دراساتهم في مختلف الجامعات العربية والدولية.

إن «سلوة الأنفاس» ذاكرة لثقافة مغربية تجاوزت المكان والزمان إلى ارتياد حقول علمية جسدت قوات فاعلةً متعددة:

- فهناك القوة الصوفية المتحكمة في العقيدة والفقه.
- وهناك القوة العالمة المتحكمة في المعرفة والتربية.
- وهناك القوة الإبداعية المتحكمة في الفكر والتأويل.
- وهناك قوة المشاركة المتحكمة في عقول العامة والخاصة..

وهي قوات تفاعلت مرجعياتها وأصبحت تشكل في زمن المصالحة مع الذات استمراراً لنهج إقرار القدوة وتحقيق الفعل في سبيل معاودة التراث بين الأنا والنحن للنفوذ إلى مكامنه ومقوماته... ومن ثم لم تكن الذاكرة في «سلوة الأنفاس» مجرد ماض مضى، بل لها من الحضور ما يجعل هذه الندوة تنجز تواصلاً علمياً أكاديمياً وحداثياً بما له من الامتداد والإشعاع اللذين يصنعان لحظات التنوير والإشراق في زمن تعولمت أحواله وفاضت مشاكله...

إن دراسة كتاب «سلوة الأنفاس» وتحليل تجلياتها الثقافية ـ اعتبارها ذاكرة وحضوراً ـ أمر جدير برعاية البحث العلمي، لما فيه من صون للهوية المغربية ودعائمها الاجتماعية والفكرية.

وإذا كان كتاب «سلوة الأنفاس» قد تصدر من جديد المكتبة المغربية؛ فإنه يجدر بنا الإقرار بالتقدير لأهل الفضل من الشرفاء الكتانيين: عبد الله الكامل الأستاذ الباحث في الفكر الإسلامي، وحمزة بن محمد الطيب العضو بالأكاديمية الإسلامية للعلوم، ومحمد حمزة بن علي الباحث في الدراسات الإسلامية والتراث. فقد كابدوا الجهد والعناء في سبيل إخراج هذا الكتاب،

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

فأتاحوا بصنيعهم نقله من خزانة النخبة ـ التي كانت أحياناً تضن بتداول نسخته الحجرية ـ إلى خزائن عموم الباحثين.

وفي إقامة هذه الندوة العلمية تقدير لمكانة هذا الكتاب في وجدان الثقافة المغربية، فلتكن مناسبة الاحتفال بالدورة الثالثة للأسبوع الوطني للعلم في الجامعة المغربية مناسبة لتكريم الثقافة المغربية في بعدها الإنساني.

وما كان لهذه الندوة أن تقام لولا أيادٍ فاضلة أسبغت بتشجيعها المادي والمعنوي؛ منها: رئاسة جامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس، وعمادة كلية الآداب ظهر المهراز بها، والمؤسسة العلمية الحمزاوية الكتانية بالرباط، ومؤسسة دار الثقافة بالدار البيضاء. وما كان لهذه الندوة أن تعقد ـ أيضاً ـ لولا جهود الباحثين الأساتذة الأجلاء الذين تجشموا عناء السفر، والمشاركين من كليتي الآداب بظهر المهراز وسايس، ممن أسهموا ببحوثهم العلمية في إغناء موضوعاتها. لذا يسعدني أن أقدم جزيل الشكر والتقدير لكل الفاعلين في إنجاح هذه الندوة، وللحضور الكريم. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

كلمة رئيس المجلس العلمي المحلي بتطوان في ندوة تطوان

الأستاذ عبد الغفور ناصر[1]:

سيداتي وسادتي؛ لقد عَنون لهذا اللقاء: «شيخ الإسلام محمد بن جعفر الكتاني وعلماء تطوان»، بمعنى أن هناك صلات متينة وحميمية بين هذا الإمام وعلماء هذه المدينة، وهو كذلك حيث يعدون من أخص تلامذته رَحِمَهُ اللَّهُ، ومنهم من كان له الحظ الأوفر في صحبته وخدمته، وممن كانوا يشيدون به في دروسهم ومجالسهم العلمية العامة والخاصة.

وأخص بالذكر منهم: الفقيه العلامة المحدث، الأستاذ بالمعهد الديني العالي بتطوان؛ المرحوم السيد الحاج محمد الفَرْطَاخ، الذي كان يفتخر بصحبته الشيخ، ويذكره بإجلال وتعظيم. ومن المعلوم أن العلامة الفرطاخ رَحِمَهُ اللَّهُ كان متفرغاً لصحبة الشيخ وخدمته في أوقات فراغه من دروسه التي كان يتلقاها بالقرويين، ومن عرف العلامة الفرطاخ وجلس في حلقاته العلمية والوعظية؛ يدرك أن هناك شيئاً زائداً على التحصيل العلمي الذي تميز به رَحِمَهُ اللَّهُ، وأن بركة الشيخ الإمام سيدي محمد بن جعفر الكتاني شملته، وفتحاً ظاهراً كان على يديه.

وقد سعدتُ بحضور المجالس العلمية والوعظية لهذا العالم، وكان أخي الأكبر الأستاذ الحاج محمد رَحِمَهُ اللَّهُ يصحبني معه وأنا صغير لمسجد للافريجة بحي السويقة قرب منزله. كما أنني لما تأهلتُ للطلب؛ كنت حريصاً على

(1) رئيس المجلس العلمي المحلي بمدينة تطوان.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

حضور دروسه. ولا أنسى العام الأخير الذي انتقل فيه رَحِمَهُ اللَّهُ إلى الرفيق الأعلى، حيث كان يدرس في الجامع الأعظم قبل الفجر في رمضان كتاب «الشفا» للقاضي عياض، و«الأربعين النووية» بالزاوية الكتانية بعد العصر، وكنت حريصاً على حضور هذين الدرسين.

وقد حظي رَحِمَهُ اللَّهُ بمصاهرة هذه الأسرة الشريفة؛ حيث اقترن كل من ولديه المرحومين: سيدي المكي وسيدي محمد، بشريفتين من حفدة الشيخين سيدي محمد بن جعفر الكتاني، وسيدي محمد بن عبد الكبير الكتاني[1].

وإن المجلس العلمي المحلي بتطوان مدين لهذا العالم الجليل والحافظ المحدث الشهير؛ إذ من الواجب أن يقيم له المجلس حفل تكريم ـ بحول الله ـ بمساعدة نجله الأبر الأخ الأستاذ أحمد الفرطاخ الذي يوجد بيننا حفظه الله.

ومن العلماء الذين كانت لهم صلة بالشيخ: صهري وأستاذي، الفقيه العلامة المرحوم؛ الحاج عبد السلام بلقات، الذي كثيراً ما كان يحدثنا عن حجته الأولى مع والديه ـ وهو ما زال يافعاً مراهقاً ـ وكان ذلك في عام (1329هـ). ومما كان يذكر ويفتخر به: أن أول درس علمي تلقَّاه كان بالحرم المكي، ومن المحتفى به الشيخ الإمام سيدي محمد بن جعفر الكتاني، حيث كان رَحِمَهُ اللَّهُ يعقد مجالس علمية بالحرم المكي.

ومرت السنون والأعوام، وتأهل الفقيه العلامة الحاج عبد السلام بلقات لإعمال الرحلة إلى فاس بعدما تخرج على يد شيوخه وأساتذته من أعيان وعلماء تطوان؛ أمثال: سيدي أحمد الزواقي، وسيدي أحمد الرهوني، وسيدي محمد المرير، وسيدي محمد أفيلال. وتاقت نفسه لمتابعة سُنَّة أهل هذا البلد من الطلبة النجباء؛ إذ كان من المعروف عندنا في تطوان: «فلان فتح الله عليه واطْلاع فاس»، إلا أن الشيوخ ـ وبالأخص العلامة الزواقي ـ

(1) تزوج ابنه سيدي محمد بن محمد الفرطاخ بالشريفة خديجة زين الشرف بنت الشيخ محمد الباقر بن محمد بن عبد الكبير الكتاني، وتزوج سيدي المكي بن محمد الفرطاخ بالشريفة فاطمة المكية بنت الشيخ محمد الزمزمي بن محمد بن جعفر الكتاني. المحققان.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

نصحوه بأن يبقى في تطوان، وكانت الرحلة إذ ذاك إلى فاس من باب التبرك والاتصال بالعلماء الكبار ـ وقد ذكرتُ هذا في تراجم بعض الشيوخ ـ.

لأن تطوان كانت ابتداء من أوائل القرن الرابع عشر الهجري زاخرة بالعلماء المشهود لهم على المحيط الوطني بالتحصيل والقدم الراسخ، مما حمل المولى الحسن الأول رَحِمَهُ اللَّهُ ـ عندما زار تطوان عام (1307هـ) واتصل بعلمائها وعرف قدرهم ـ على أن يبعث ولده الأمير سيدي عمر للدراسة بتطوان، ومكث هنا سنتين كما هو معروف.

فاكتفى العلامة بلقات بشد رحلة تبرك استمرت قرابة شهر، حضر أثناءها دروساً على أكابر الشيوخ.

ومن الشيوخ الذين اتصل بهم، وتردد على مجالسهم، ودخل بيوتهم في هذه الفترة الوجيزة: المحتفى به رَحِمَهُ اللَّهُ، وكثيراً ما كان يُحدثنا عن هذه الرحلة القصيرة، وعن المجالس العلمية للشيخ الإمام. وتشاء الأقدار أن يحظى الفقيه بلقات بمصاهرة الشيخ سيدي محمد بن جعفر الكتاني؛ ففي إحدى زيارات حفيد الشيخ العلامة محمد المنتصر لتطوان ـ وكان ضيفاً على آل العلامة المرحوم محمد الفرطاخ، وكان من بين من زاروا سيدي محمد المنتصر الكتاني بالمنزل المذكور: الفقيه العلامة الحاج عبد السلام بلقات ـ جرت مذاكرة عن علاقة تطوان بفاس وبالشرفاء الكتانيين على الخصوص، وأنه لا بد من تمتين هذه العلاقة، فقال الفقيه بلقات لسيدي محمد المنتصر: «هذا لا يتم إلا بالمصاهرة، وها أنا أطلب يدكم لولدي مصطفى!». فجرت اتصالات، وتمَّت الخطبة على سنة الله ورسوله، حيث اقترن الأستاذ مصطفى بكريمة العلامة المرحوم سيدي الزمزمي ابن سيدي محمد بن جعفر؛ أخت سيدي محمد المنتصر.

وسعدت تطوان بهذه المصاهرة الكريمة، وتوالت الزيارات للسادة الشرفاء لتطوان؛ أمثال سيدي المنتصر وسيدي الناصر، وسيدي جعفر، وسيدي يحيى، وسيدي إدريس... وغيرهم رحم الله من انتقل منهم إلى دار الآخرة، وحفظ الباقي وأطال عمره.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

وثالث العلماء والشيوخ الذين أعتز بمشيختهم وبالأخذ عنهم: هو العلامة القاضي، الفقيه النوازلي، والأستاذ الباحث المطلع، بقية السلف همة وعلماً، وترفُّعاً وزُهداً وعفافاً، رئيس محكمة الاستئناف العالي بالمنطقة الخليفية؛ المرحوم السيد محمد المرير، وكان يقول لي بالحرف: «كنا نراه من بقية السلف الصالح!». وقد أفرد له في فهرسته الجامعة «النعيم المقيم» ترجمة حافلة، تعرض فيها بالمناسبة للكلام على السُّنَّة وعلومها وأئمتها في جزأين من الفهرسة.

أما العلامة الرابع الذي نوَّه به في كتابه «عمدة الراوين»، والذي كان متفانياً في الشرفاء الكتانيين، وكان منزلُه العامر يستقبل من حين لآخر أعيان وعلماء هذه الأسرة الشريفة؛ فهو: الفقيه العلامة، المؤرخ المشارك؛ السيد أحمد الرهوني رَحِمَهُ اللَّهُ. هذا الشيخ لم أحظ بالأخذ عنه؛ لأني كنت دون تأهيل للطلب أيام نشاطه العلمي، والذي لا زلت أتذكره: أني كنت بين العشاءين أحضر إلى الزاوية التجانية لأصحب والدي رَحِمَهُ اللَّهُ، بعد صلاة العشاء إلى المنزل، ولا زلت أذكر أنه كان يلقي دروساً ويحضر عليه نبهاء طلبة تطوان وعلمائها، وكنت أجلس في آخر الزاوية، ولا أجرؤ على التقدم إلى المجلس.

ومن العلماء الذين أفردوا للشيخ سيدي محمد بن جعفر الكتاني ترجمة حافلة: شيخي وأستاذي العلامة المؤرخ، الأستاذ السيد محمد داود رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه: «على رأس الأربعين».

وسيتفضل السادة الأساتذة الباحثون الموجودون معنا بإلقاء عروضهم الموفقة بحول الله، كل حسب اختياره للكتاب الذي اعتمده، كما أن بعض الأساتذة الباحثين الموجودين معنا سيتناولون في عروضهم بعض الإرتسامات عن كتاب: «سلوة الأنفاس»، النبي اضطلعت بنشره «جمعية الشرفاء الكتانيين» حفظهم الله، والتي أخذت على عاتقها نشر فصول نادرة من التراث المغربي الأصيل، يأتي في طليعته: إعادة طبع هذا الكتاب[1].

(1) مقدمة «السلوة»، دار الثقافة.

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

ويطيب لي أن أردد ما خطه يمين ولده البار، الأستاذ الجليل، والعلامة النبيل؛ الدكتور سيدي إدريس ابن سيدي محمد بن جعفر الكتاني، حين قال حفظه الله: «فأي تقديم يفيد، وأي نقد موضوعي يساق، وأي تحليل أو استقراء يمكن أن يفي بمثل ما تجده في مقدمات سهر المؤلف نفسه على تحرير موضوعاتها شكلاً ومادة، واهتم رَحِمَهُ اللَّهُ اهتماماً خاصاً بترتيب محاورها ونقد مادتها التاريخية، نقداً موضوعياً، معتمداً على ما هو بين يديه من مصادر نادرة وموثوقة، باذلاً في سبيل ذلك أقصى الجهود من نفيس عمره»[1].

كما أثبت هنا ما كتبه المحققون السادة العلماء من آل الشرفاء وحفدته، وفاء منهم لصاحب الكتاب، وبروراً بإنتاجه، حيث جاء بين يدي الكتاب: «لا يمكن لنا أن نخفي أننا أحببنا هذا التقييد حباً كبيراً، ملك علينا من أوقاتنا معظمها طيلة ثلاث سنوات أو تزيد قليلاً، جهدنا فيه على إخراجه للباحثين والدارسين، والجامعيين والمؤرخين، وعامة القراء الذين كتب لهم ومن أجلهم سهلاً ميسراً، محبباً إلى أنفاس الجميع، محادثة تصل إلى قلوبهم وعقولهم كما أرادها المؤلف».

الخميس (21 جمادى الأولى 1428هـ/الموافق 7 يونيو 2007م)، رئيس المجلس العلمي المحلي بتطوان، وعضو المجلس العلمي الأعلى: عبد الغفور الناصر.

(1) مقدمة «السلوة»، دار الثقافة.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

كلمة المؤسسة العلمية الكتانية في ندوة تطوان حول «سلوة الأنفاس»

أ. الدكتور حمزة الكتاني[1]:

بسم الله الرحمٰن الرحيم،
والصلاة والسلام على سيد المرسلين

أيتها السيدات، والسادة، الحضور الكريم؛

نجتمع اليوم في رحاب مدينة تطوان بعلمائها وباحثيها، وكل فعالياتها، لنجدد العهد الذي ربط علماء مغربنا الحبيب في شماله وجنوبه، شرقه وغربه، حاملين لواء العلم، ومتنقلين من حاضرة إلى حاضرة، ومن عاصمة إلى عاصمة، ينهلون من منابع العلم أينما وجد، فيدونون في كتبهم وفهارسهم علماً غزيراً سجلته الأجيال بمداد من الفخر والاعتزاز.

حضرات السيدات والسادة؛

لقد يسَّر الله لنا الأمور، في بداية العقد الأول من القرن الواحد والعشرين، حيث تكاتفت الجهود لمجموعة من أفراد الأسرة الكتانية، فعقدوا العزم بتلقائية نادرة، على إخراج إحدى الذخائر الفريدة في حلة جديدة، وجعلها في تناول باحثينا على مختلف تخصصاتهم، ويتعلق الأمر بالموسوعة العلمية التي وضع لها شيخ علماء وقته: الإمام محمد بن جعفر الكتاني عنواناً جامعاً مانعاً، معبراً عن سلوته، فكانت الموسوعة تحت اسم: «سلوة الأنفاس، ومحادثة الأكياس، بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس».

(1) أستاذ التعليم العالي، عضو أكاديمية العالم الإسلامي للعلوم.

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

ويسعد المؤسسة العلمية الكتانية التي بدأت نشاطها منذ حوالي عشر سنوات أن تعبر عن كامل اعتزازها بالتعاون القائم بينها وبين باحثين أفذاذ ينتمون بالخصوص إلى جامعة «محمد الخامس» بالرباط، وجامعة «محمد بن عبد الله» بفاس، ومؤسسة «نادي الجراري» بالرباط.

ونغتنم هذه الفرصة كذلك لنعبر عن عميق امتناننا لجامعة «عبد الملك السعدي» رئيساً وعمداء وباحثين، لاحتضانهم لهذا اللقاء العلمي المتميز بتعاون مع المجلس العلمي لمدينة تطوان الزاهرة.

وإذا كان المجلد الخامس للسلوة «الذاكرة والحضور» خير معبر عما ساهم به صفوة من العلماء الأجلاء في تقديم كتاب «السلوة» لجمهور القراء، فإننا سنعمل جاهدين بحول الله لتقديم أعمال هاته الندوة المباركة في حلة لائقة في المستقبل القريب؛ لأن ما سجلته ذاكرة علماء تطوان وعلماء سوس ستكون خير مُعبر عن الالتحام الوثيق والتفاعل الرشيد بين مختلف رواد العلم المغرب قديماً وحديثاً.

ولا عجب في ذلك، فقلد قدم لنا كتاب «السلوة» حسب الموقع المكاني وأجداث مترجميه صورة عن مدينة تجانست فيها فئاتها الاجتماعية، ففي كل ربع وفي كل حي من أحيائها شرفاء وأولياء وعلماء وقضاة ومجاذيب، وفي كل زقاق من ثرى أديمها عاش أعيان من قبائل المغرب في الشمال والجنوب، ومن الصحراء ومن الأندلس.

إن إخراج كتاب «سلوة الأنفاس» في طبعته الحالية بعد قرن من الزمن من صدور الطبعة الحجرية، وتحقيقه بطريقة مبتكرة جديدة خرجت عن الطريقة المألوفة للتحقيق والتوثيق؛ جعلتنا نثابر ونجاهد في إشراك أكثر من باحث في إنجاز هذا التحقيق؛ لأن كتاب «السلوة» لم يكن لينصاع لإرادة باحث وحيد، بل تحقيقه في نظرنا كان ولا بد أن يتم بتضافر العديد من العلماء في مختلف التخصصات الأدبية والاجتماعية والتاريخية.

وبالفعل؛ يسَّر الله لنا السبيل، فعقدنا ثلاث ندوات علمية، أبانت عن قيمة الكتاب ـ الموسوعة، تعرض فيه المساهمون بالتحقيق المتميز إلى عدة

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

محاور تناولت منهجيته، وبنيته، وقيمته الأدبية والأسطورة فيه، ونساء «السلوة»، وأماكنيته، وأقوال العوام، و«السلوة» كمصدر لكتابة التاريخ الداخلي والدولي للمغرب.

وهكذا عقدنا العزم فأصدرنا «السلوة» في حلتها الجديدة، في خمس مجلدات، خصصت الأجزاء الثلاثة الأولى منها لمتن الكتاب مع مقدمة تشرح المنهجية المتبعة في الإنجاز وفهارس الموضوعات، وأعلام النساء وعامة الأعلام والفصول والأبواب، وكانت الفهارس المفصلة وعددها: إحدى عشر فهرساً هي محتوى الجزء الرابع.

أما الجزء الخامس؛ فكان تدويناً أميناً للدراسات والعروض القيمة التي ساهم بها أكثر من عشرين باحثاً، فعبر خير تعبير بعنوانه «الذاكرة والحضور» عن غنى وعمق التحقيق من كل ميدان من ميادين الأبحاث المتعلقة بنشر وإحياء التراث.

ونغتنمها فرصة سانحة أخرى لنثني الثناء العاطر ونجزل التقدير الكبير لكل المساهمين في إنجاز هذا العمل العلمي الرصين.

أيتها السيدات أيها السادة؛

لن أطيل عليكم كثيراً، فالوقت لا يرحمنا، والحضور الكريم متعطش للاستماع إلى عروض السادة المحاضرين، لذا سأفسح المجال بعد هذه الكلمة الوجيزة شاكراً لهم مسبقاً مساهمتهم، ومعبراً لهم عن عميق امتنان المؤسسة العلمية الكتانية للمجهودات العلمية والبحثية التي بذلوها لجعل **ملتقى تطوان** منارة أخرى يشع منها نور الحقيقة الساطعة والعرفان المتوهج.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

Black plate (496,1)

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

Black plate (497,1)

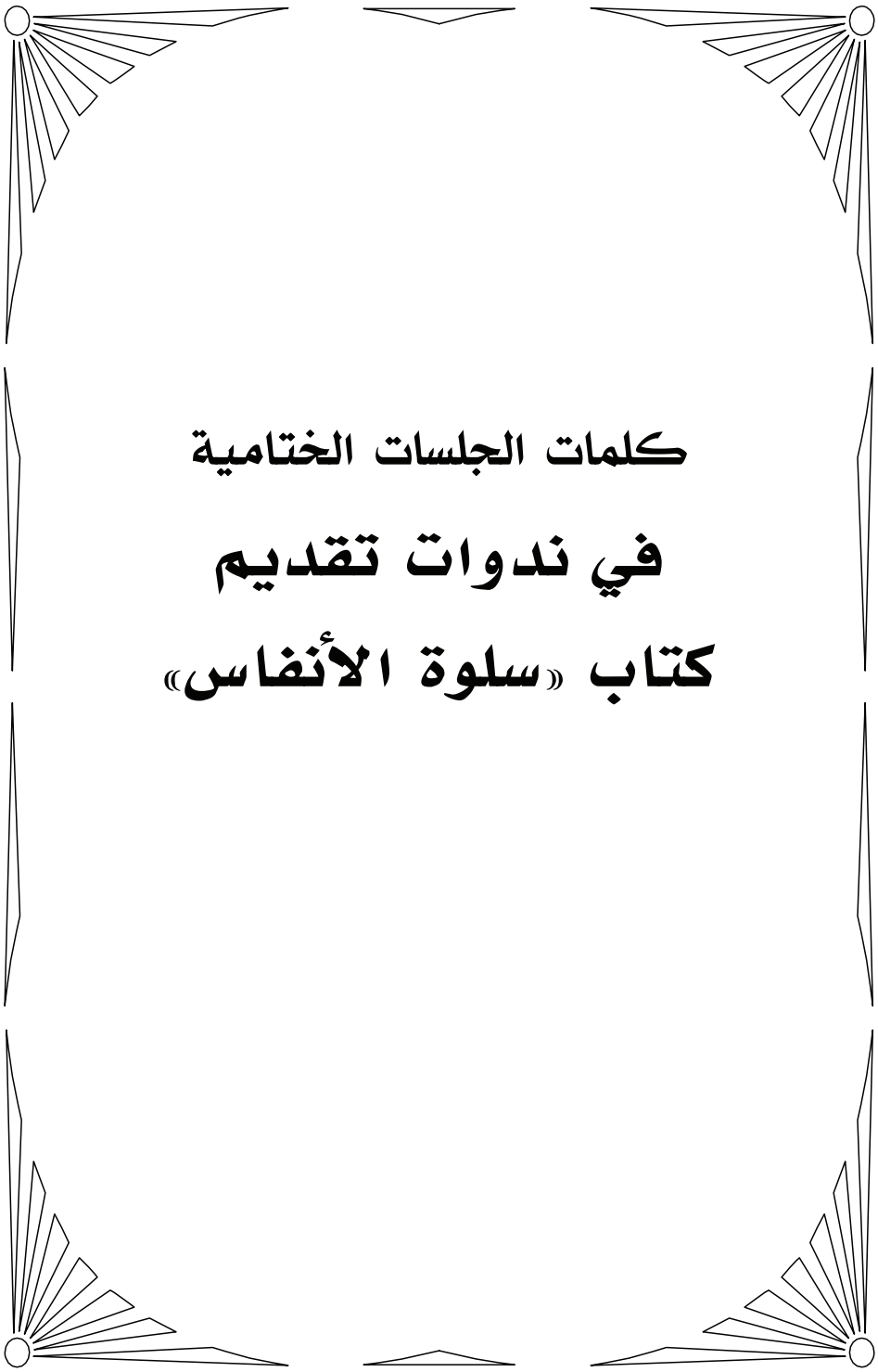

كلمات الجلسات الختامية

في ندوات تقديم

كتاب «سلوة الأنفاس»

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

Black plate (498,1)

كلمة الجلسة الختامية بكلية الآداب بالرباط في ندوة الرباط الثانية

الأستاذ عبد الله الكامل الكتاني[1]:

بسم الله الرحمٰن الرحيم

حضرات السيدات والسادة العلماء الأجلاء.

في الجمعية المغربية للبحث التاريخي، رئيساً وأعضاء.

أيها الجمع الكريم؛

تحية تقدير واعتزاز بلقياكم، في هذا الحرم الجامعي، في هذا اليوم التاريخي.

تحية شكر وامتنان، لهذه النخبة العالمة، وجوهاً ثقافية بارزة في وطننا المغربي، أقلاماً ملتزمة فاحصة، نفوساً طيبة قارئة، تجندت لبث الوعي، ونقد المنهج، والبحث في القيم، حفاظاً على التراث الوطني من الضياع، صيانة لخصوصيات الحضارة المغربية من الذوبان في عصر الذوبان، والعولمة، وتعدد الثقافات.

تحيات زكيات، عطرات، وبعد:

فإن الكتاب الذي أتحفتمونا، هذا المساء، بقراءاتكم الممتعة فيه، ليس جديداً على رواد هذه الكلية العتيدة، عمداء، وأساتذة، وباحثين، وطلبة، ولا على السادة العلماء أعضاء الجمعية المغربية للبحث التاريخي، بصفة أخص.

لكم كنت، أنا والفريق الذي أشرف معي على إخراج «**سلوة الأنفاس**»

(1) أستاذ باحث في الدراسات الإسلامية، مقرر أكاديمية المملكة المغربية.

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

في حلتها الجديدة، سعداء بالاستمتاع إلى أصواتكم العلمية الندية، والإصغاء إلى توجهاتكم النقدية الصريحة، وقد بدت في نبراتها أمارات الصدق العلمي، وانطبعت عباراتها بلهجة الالتزام الأخلاقي بقيم العلم والمعرفة والموضوعية.

باسم فريق العمل، أقول للعلماء الباحثين: إن ما اتفقتم عليه من ملاحظات علمية صائبة، وما انتهيتم إليه من آراء منهجية سديدة، سيحلها فريق العمل محلها اللائق بها، في الوقت المناسب، إصغاء، ومراجعة، وتصحيحاً.

لكم منا حضرات العلماء، وافر الشكر وصادق الاعتراف بالجميل، على نقدكم، وملاحظاتكم، وتشجيعاتكم، وكبير اهتمامكم الشخصي بالموضوع.

هذا وأستأذنكم، لبضع دقائق، لن تبلغ العشرة على أي حال، أنظر فيها بعين المحبة والرضى، للكتاب الذي سهرنا على تدقيق كلماته، وعباراته، ونقوله، وتصحيح حروفه، ليالي ذوات عدد، وسعدنا بالعيش في ظلال روحانية رجاله الظليلة ونسائه، بضع سنوات في محاولة لعرض معاناتنا القصيرة ـ الطويلة، المتواضعة ـ، لإخراجه للناس وفق ما ترون:

«لا يعرف الشوق إلا من يكابده ولا الصبابة إلا من يعانيها»

صفتان من صفات الرجولة والفروسية، تملآن سمعك وبصرك وفؤادك، وأنت تحاول أن تعد على صاحب «**سلوة الانفاس**» نفسه الهادئ الرزين؛ هما: البساطة والتواضع.

بساطة؛ يبدو لك معها أن كل ما كتبت عنه، أو في حقه، هو معقد لا يناسب عقلية صاحب «السلوة»، وبساطة مشربه العلمي.

تواضع تتحداك بساطته: تواضع يظهر لك أن كل مدح تقوله في حقه، أو تضيفه على ما حقق بنفسه أو كتب، يجافي روح صاحب الكتاب نصاً وموضوعاً!.

هذا الذي أتعبنا حقاً، ونحن ندقق الكتاب!.

هذا الذي عنانا، حقاً، ونحن نحاول أن نحقق الكتاب!.

يصعب على من شرع في الإطلاع على «سلوة الأنفاس» ألا يتعلق بما

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

كتب الرجل فيها من موضوعات تخص علماء المغرب، وصلحاءه، رجاله ونساءه، منهم من قصد إلى ترجمته أو الحديث عنه قصداً، أو جاء ذكرهم في الكتاب عرضاً، على سبيل التنبيه، والتمييز، أو التعليق والاستطراد، ممن أقبر بمدينة فاس أو لم يقبر فيها.

تجدك متعلقاً غاية التعلق بقراءة كل ما كتب المؤلف عن أعلامه، وكلهم على اختلاف خططهم وحيثياتهم، حبيب إليه، أثير لديه، فلا مناص لك من إتمام قراءة كل ما كتب، بمجرد الشروع في القراءة، شكلاً أو موضوعاً.

تأخذ مادة الموضوع التاريخية، باهتمامك، وتشدك إليه طريقة الأداء شداً لطيفاً، لما هي عليه من أناقة في الأسلوب، وإشراق في العبارة، وغزارة في النقول، وتدفق في الاستشهاد، مع العلم أن المؤلف لا ينقل إلا عن مشابه له في الأسلوب أناقة وإشراقاً، وإيضاحاً، حتى لكأنك تقرأ لمؤلف واحد، لا تقفك إلا عبارته التوثيقية: «انتهى المراد منه»، أو كلمة أخرى في معناها، لتعلم أن النقل قد انتهى، ليتابع المؤلف موضوعاته من جديد في نفس قوي، كما بدأ، وفي أسلوب مشرق بديع، مثلما انتهى.

كلما تعمقت في قراءة «**السلوة**»، طول أجزائها الثلاثة، تجدها زاخرة بالموضوعات التاريخية، والفكرية، والدينية، التي تبين لك عن ثقافته الواسعة، في وقت مبكر من حياته، تظهر لك فيها آراؤه السديدة في التصوف ورجالاته، وقدرته الفائقة على تناول مختلف القضايا المطروحة في عصره، بنظرة الفقيه المتبصر، وتحليل المحدث الحافظ، واستقراء المؤرخ الناقد واستنتاجاته، وعبقرية المفتي وتأويلاته، وموضوعية الناقد وإشكالاته، وحاسة الأديب وارتساماته، ودقة اللغوي الماسك أعنة لغته بطريقة لا تملك معها إلا أن تعجب بأدائه الأسلوبي الفريد أيما إعجاب!.

هذا؛ وتصاحبك حاسة المؤلف النقدية وروحه العلمية مهيمنة على الكتاب كله، أوله وآخره، حضوراً لا يكاد يغيب، متشرباً بعمق مضامين ما يسمعه أو يقرأه أو ينقله، بحيث لا يسمح له تعطشه للأخبار والنقول بأن يقبل منها كل موجود بأيدي بعض الناس من أوراق، يقول عنها أوائل الصفحة

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

السابعة من الجزء الأول من الكتاب: «وتوجد بيد بعض الناس أوراق في بعض ما له من المناقب والكرمات، **الغالب أنها مصنوعة**». وكم في عبارة «الغالب أنها مصنوعة» هذه، من حس نقدي عميق، وأدب موضوعي دقيق، ولطف علمي لطيف.

عدد الأعلام الذين أحصت هذه الطبعة من الكتاب ذكرهم يكاد يبلغ الألف وتسعمائة ترجمة، من ضمنها أكثر من ثلاثمائة ترجمة لم يعرف المؤلف إلا بأسماء أصحابها، وكثير منهم فضلت الذاكرة الشعبية أن تخفي أسماءهم تحت الاسم الشعري المأثور: سيدي المخفي، المذكور ثلاثاً وثلاثين مرة في أماكن مختلفة من البلد، الأمر الذي يجعل العبء كبيراً على أعناق الباحثين والمؤرخين، في الكشف عن أسرار الخفاء الكامن وراء أسماء هؤلاء الآباء والأجداد.

تقول «**السلوة**» في آخر صفحة من صفحات جزئها الأول (الترجمة 400): «رجل لم أعرف الآن اسمه، كان مؤذنا بضريح سيدي موسى بن علي...»، «...توفي عن سن عالية،... عام ثلاث وستين ومائة وألف...»، «...ترجمه في «سلوك الطريق الوارية»، ولعلك تجد في نسخة صحيحة منها، إن وقفت عليها، ما جهلته الآن من اسمه».

اختار المؤلف أن يُعرف بأعلام قدر لهم أن تكون مدينة فاس مثوى لأعظمهم بعد وفياتهم، وآخرين مروا بها وتركوا فيها أثراً علمياً، وذكراً روحياً أو مدرسة صوفية، متابعاً لأخبارهم، مؤرخاً لسنوات وفياتهم وأماكنها على سبيل الاستطراد المفيد، توسيعاً لمدلول المواطنة القائم عنده على الولاية والصلاح، والعلم، والمعرفة، والإخلاص، واتباع أوامر الدين، ومكارم الأخلاق، لا على الحسب، ولا على النسب، ولا على الجاه، ولا على مقدار ما عند الإنسان من أموال.

وتبقى «**سلوة الأنفاس، ومحادثة الأكياس، بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس**» لسيدي محمد بن جعفر بن إدريس الكتاني، بعد هذا كله، كتاب **تربية، وأخلاق وتوجيه**، وتنبيه للعامة والخاصة من الناس، إلى جانب

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

كونها كتاب تاريخ **للأعلام** من الرجال والنساء، **وكذا المؤسسات**.

«**سلوة الأنفاس**» دعوة إلى **تعميم ثقافة الإصلاح والتغيير** بطريق **التصريح** أو **التلميح، بالعبارة الصريحة أو بالإشارة الرمز**، ليفهمها كل واحد كما شاء، وقتما يشاء، وفق حيثيته ومركزه وتكوينه.

حضرات السيدات والسادة؛

لقد قلت ما قلت في حق الكتاب، وأكاد أجدني مرة أخرى، أعاني من **بساطة** الرجل **وتواضعه** ما أعاني. وكفاني أني قرأته بعين المحبة والرضى، تاركاً المجال أمام أعين راضية أخرى، لفيض القول فيه وفق ما تريد، غافلاً عن الوجه الآخر الذي له كامل الحق في قول كل ما يريد.

أشكر لكم جميل صبركم ونبيل اهتمامكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

كلمة رئيس المؤسسة العلمية الكتانية في ندوة فاس

أ. د. حمزة بن محمد الطيب الكتاني:

بسم الله الرحمٰن الرحيم،

والصلاة والسلام على سيد المرسلين

أيتها السيدات أيها السادة، الحضور الكريم؛

بكامل الاعتزاز أتناول الكلمة في نهاية الندوة العلمية التي جمعتنا نهار البارحة، وصباح هذا اليوم، بمناسبة الطبعة الجديدة **لسلوة الأنفاس لشيخ الإسلام سيدي محمد بن جعفر الكتاني**.

ليس في نيتي أن أعيد خلاصات المداخلات التي استمعنا إليها من خلال العروض التي تقدمت بها النخبة العالمة من باحثينا، فلقد وفى حقها عرض المقرر العام لهذه الندوة.

وليس في نيتي كذلك أن أناقش من جديد ما تمَّ تداوله من طرف الحضور المشارك في مختلف جلسات الندوة، ففي مشاركتهم إضافة نوعية وبارزة، وإغناء لما استمعنا إليه من عروض من المستوى الرفيع.

فما عساني أن أضيفه في مداخلتي هذه من جديد؟.

لعل من واجب الوفاء، وباسم المحققين، الذين أسعفهم الحظ فأنجزوا ما أنجزوا كمحاولة متواضعة منهم في تحفيز جمهور الباحثين والحضور الكريم، للمساهمة، جميعاً، في تحقيق «كتاب السلوة»، أقول: من واجبنا جميعاً أن نعمل على إخراج مجلد خاص، يضاف إلى المجلدات الثلاثة التي جمعت كتاب «السلوة» في حلته الجديدة، يدون فيه ما تم إلقاؤه من العروض القيمة والمناقشات

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

العامة التي صاحبتها، مع تتمة لفهارس «السلوة» التي لم نتمكن من إخراجها في وقتها مع الطبعة الجديدة. فبعزم صادق بجدوى من يجيدون إحياء تراثنا، ساهمنا مساهمة متواضعة في إحياء الذاكرة الوطنية والحفاظ عليها، ذاك كان هو هدفنا في العمل على نشر عدد من المؤلفات الهامة المخطوطة منها والمطبوعة على الحجر والمتعلقة بماضي فاس وبرجالات فاس، وعائلات فاس وتاريخ فاس الاجتماعي والثقافي والأدبي، في المؤسسة العلمية الكتانية بالرباط.

كثيرمن هذه المؤلفات كانت في عداد العناوين المفقودة أو النادرة وهي تختزن بين صفحاتها المتلاشية وخطوطها العتيقة وأقلامها النادرة، أسرار حضارة هذه المدينة، القلب العلمي النابض للمغرب.

ونحن نغوص في إخراج كنوز هذه المخطوطات، ونكتسب ما يسر النفس، ويبعث فينا كل الاطمئنان على أن من سبقنا في هذه الديار عاش حقباً تاريخية يحق لكل مغربي أن يفتخر بها.

فعلينا أن نكد ونجتهد، ونوحد الجهود في استخراج ما في بطون هذه الكتب، لنستحق أن نكون خير خلف لخير سلف.

ولحسن الحظ، أننا جميعاً في جامعاتنا المغربية المعاصرة، نتقاسم هذه المشاعر النبيلة نحو تراثنا. وما مبادرة كلية الآداب بجامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس إلا مثال حي يحتذى به في هذا الميدان.

وبالأمس القريب، ومنذ أربعة أسابيع فقط؛ عملت كلية الآداب بجامعة محمد الخامس بالرباط من خلال الجمعية العلمية للبحث التاريخي الناهضة، على تقديم **كتاب** «**السلوة**» لجمهور الباحثين بالرباط، لذا لا يسعني في ختام كلمتي هاته إلا أن أعبر، باسم المحققين، عن كامل امتناننا وشكرنا الخالص لكل السادة العلماء، الذين ساهموا بعروضهم القيمة في إثراء النقاش، وإتمام تحقيق **كتاب** «**السلوة**»، وإلى الحضور الكريم من أساتذة، وجمهور المثقفين، والطلبة الذين حضروا أعمال هذه الندوة العلمية، وإلى السيد رئيس الجامعة وعمداء كلياتها الذين احتفلوا بالسلوة في «أسبوع العلم»، لكم جميعاً ـ حضرات السيدات والسادة ـ عميق حبنا، وخالص امتناننا.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

Black plate (505,1)

شهادة حول كتاب «سلوة الأنفاس»

أ. عبد الوهاب بن منصور[1]:

لفتت ظاهرة إهمال المغاربة لتاريخهم وقلة اعتنائهم بتدوين أخبار أعيانهم أنظار عديد من المؤلفين في القديم والحديث، فعابوا عليهم ذلك، ومنهم من قارن بينهم وبين جيرانهم الأندلسيين الذين لم يدعوا كبيرة ولا صغيرة منْ آثار رجالهم إلا أحصوها، لا فرق بين من عظم شأنه كالأمراء والوزراء والعلماء والأدباء وبين من قلت أهميته كأئمة المساجد ومعلمي الصبيان، وألفوا عنهم الكتب والتكملات، والذيول والصلات، وصِلات الصلات.

ومن حسن الحظ أن انتبه عدد من المفكرين المغاربة في العصور الأخيرة إلى هذه الظاهرة المزرية والنقص المشين، فبدؤوا يتداركون ما فات، ويبذلون جهدهم في تدوين الأخبار وتتبع الآثار، سواء مما يدخل في التاريخ العام، وما يختص بملك من الملوك، أو مدينة من المدن، أو طبقة من طبقات الرجال.

ومن الرجال الذين سارعوا إلى سد هذه الثلمة، وتدارك هذا النقص: رجل من رجال المغرب المشاهير، وعلم من أعلامه النحارير، الشريف الأصيل، والعلامة الجليل؛ سيدي محمد بن جعفر بن إدريس الكتاني الإدريسي الحسني، الذي ألَّف كتابه الحافل عن علماء فاس وصلحائها؛ المسمى: «سلوة الأنفاس، ومحادثة الأكياس، بمن أقبر من العلماء والصلحاء

(1) مؤرخ المملكة المغربية، وعضو أكاديمية المملكة المغربية.

سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس» [z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on

بفاس»، وهو كتاب لا يُدرك قيمته إلا من عُني بتاريخ المغرب وأخبار رجاله، ولا يقدر ما بذل مؤلفه من جهود لجمع شتاته إلا من اهتم بمثله بجمع الأخبار وتدوين الآثار المبثوثة في صفحات الكتب الغميسة المتفرقة في شتى الخزائن والمكتبات بمختلف مدن المغرب وبواديه، والتي لم يكن من المتيسر في عصر المؤلف الإطلاع عليها والتنقل بسهولة لمراجعتها.

ويكفي أن أشير إلى أن التراجم التي عالجها المؤلف في «السلوة» قاربت الألفين، وأن كثيراً ممن ترجم لهم **لا تخلو تراجمهم من أخبار** غيرهم والإشارة إلى قضايا تاريخية أو مسائل فقهية أو أدبية من الصعب أن يجدها الإنسان في غير ما كتبه مؤلف «السلوة» عنهم.

وقد ولعت من صغري بمطالعة «سلوة الأنفاس» والرجوع إليه بين حين وآخر في أعمالي البيوغرافية، ولي عليه ملاحظات ومؤاخذات، خصوصاً فيما يتعلق بإضفاء النعوت والصفات، وذكر ما يعده المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ مناقب وكرامات، وعلى ذلك تبقى للكتاب أهميته، ويبقى مرجعاً لا غنى عن الاستئناس بما في طياته من أخبار الرجال وأوضاع المجتمع، خصوصاً وقد سهل تحقيقه في طبعته الجديدة الرجوع إلى مواده بجودة الطبع وعمل الفهارس المتنوعة المرتبة ترتيباً علمياً عصرياً، الأمر الذي يوجب الشكر لمن قاموا بذلك.

[z:/Mkt2013/Hazm/Salwa-Anfas/salwa-dirasat.3d] [70x100] Printed on سحب ثاني/ مجلد الدراسات المسمى إتحاف الأكياس بما كتب من الدراسات حول «سلوة الأنفاس»

فهرس موضوعات الكتاب

العنوان	الصفحة
مقدمة الطبعة الثالثة	أ
أ- ندوة: «المذهب المالكي في المغرب: من «الموطأ» إلى «المدونة	ت
ب- ندوة: «المذهب المالكي في سياقاته المعاصرة	ح
ج- قضاة فاس	ذ
د- «معجم المصطلحات الصوفية: عربي إنجليزي	ز
هـ- «الائتناس، بتراجم فضلاء فاس	س
و- أعمال ميدانية	ش
المرحلة الأولى	ص
المرحلة الثانية	ط
مميزات هذه الطبعة	ع
مقدمة التحقيق	5
ترجمة شيخ الإسلام محمد بن جعفر الكتاني	25
اسمه ونسبه	26
ولادته، وتربيته	27
طلبه العلم	28
رحلاته	31
أ- رحلاته في المغرب	31
ب - رحلاته في المشرق	32
الرجوع إلى المغرب والوفاة	35
تصدره للتدريس	36
أخلاقه ونشاطه الصوفي	39

□□□□ □□□□□□□□.indd 507 23/02/2023 16:17

نشاطه السياسي	43
ب – علاقاته بالدولة العثمانية	44
ج – علاقاته بأشراف الحجاز وملوك سوريا والعراق	48
نشاطه الجهادي والإصلاحي	49
أ – دعمه لمجاهدي المغرب	50
ب – دعمه لمجاهدي ليبيا	52
الآخذون عنه	53
مؤلفاته	54
مؤلفات على مؤلفاته	62
نبذة من شعره	64
وفاته وإقباره	65
نظرة علماء العصر ومؤرخيه إليه	67
«سلوة الأنفاس»: القيمة والمنهج: د. محمد حمزة بن علي الكتاني	73
مدخل إلى كتابة التاريخ في المغرب	73
تاريخ فاس وأهم ما كتب فيه	75
«سلوة الأنفاس	78
أ – جذور وأسباب كتابة «السلوة	78
ب – منهجية المؤلف في «السلوة	80
ج – قيمة «سلوة الأنفاس	89
د – مصادر «السلوة	94
هـ – مؤلفات على «سلوة الأنفاس	96
و – انتقادات على «سلوة الأنفاس	99
ز – تأثير «سلوة الأنفاس» ومؤلفها في كتابة التاريخ المغربي	102
«سلوة الأنفاس» إحياء للذاكرة: أ. د. محمد بنشريفة	107
تقييم تاريخي لكتاب «سلوة الأنفاس»: أ.د.إبراهيم حركات	112

□□□□ □□□□□□□□.indd 508 23/02/2023 16:17

«سلوة الأنفاس» من خلال كتاب «مؤرخو الشرفاء»: الأستاذ ليفي بروفنصال	119
المأمون بن عمر الكتاني	119
جعفر بن إدريس الكتاني	120
محمد بن جعفر الكتاني	121
كتاب «السلوة» قراءة في دلالة نص العنوان: أ.د.عبد الوهاب الفيلالي	126
البنية في «السلوة»: أ. د. أحمد العراقي	132
مصادر ومراجع البحث	142
نظرات في منهجية كتاب «سلوة الأنفاس»: أ.د. محمد بن عبد المالك الكتاني	144
«سلوة الأنفاس» في نظر المستشرقين الأجانب: أ.د.إدريس بن محمد بن جعفر الكتاني	157
أماكنية مدينة فاس من خلال كتاب «سلوة الأنفاس..»: أ.د.عبد الإله بنمليح	167
تقديم	167
I – سلوة الأنفاس والطوبونيميا: أية علاقة؟	170
II – تصنيف بعض الأسماء الجغرافية داخل سور فاس	178
III – دلالة بعض الأسماء الجغرافية بفاس	183
«سلوة الأنفاس» بين المخطوط و المطبوع: أ. د. أحمد شوقي بنبين	195
«سلوة الأنفاس» بين الماضي والمستقبل: أ.د. عباس الجراري	202
النزعة الصوفية في كتاب «سلوة الأنفاس»: أ.د.عبد الوهاب الفيلالي	210
«سلوة الأنفاس» وقيمتها الأدبية: أ.د. عبد الله بنصر العلوي	212
الجانب الأسطوري في «سلوة الأنفاس»، محاولة لفهم المرجعية الفكرية لشيخ الإسلام محمد بن جعفر الكتاني، في تاريخه الكبير: أ.د. جعفر ابن الحاج السلمي	226

□□□□ □□□□□□□□.indd 509 23/02/2023 16:17

1- مقدمة: انبناء إشكال القول بالإهمال والإخمال، على أسطورة المدينة الفاسية المقدسة	226
2- مشروعية التدوين الأسطوري: أو «آداب القوم	228
3- شروط التدوين الأسطوري	231
4- التفسير الأسطوري الصوفي والملامتي، والتفسير الإشاري الرمزي المنامي	233
5- تخليص أسطورة مدينة فاس، المدينة المقدسة، للأسطورة الكرامية	234
المصادر والمراجع	235
الحياة الاجتماعية في فاس من خلال كتاب «سلوة الأنفاس»: أ.إبراهيم بوطالب	236
أقوال العوام في «سلوة الأنفاس»: أ. محمد ابن عبد الجليل	245
ذاكرة تتوهج: تراجم سعدية في كتاب «سلوة الأنفاس»: أ.د نجاة المريني	254
إيجابيات العمل المنجز في تحقيق «سلوة الأنفاس»	264
بعض المآخذ على تحقيق «سلوة الأنفاس»	266
تاريخ النساء من خلال المصادر المغربية: «سلوة الأنفاس» نموذجا: أ.جوهرة الفيلالي	271
المصادر التي اعتمدها الكاتب فيمن ترجم لهن	277
العالمات و الصالحات المترجم لهن في «سلوة الأنفاس»: أ.دة فاطمة الحراق	282
1 - السؤال الأول الذي طرحت: من هن العالمات والصالحات المترجم لهن في «السلوة»؟	283
الملاحظة الأولى	283
الملاحظة الثانية	283
الملاحظة الثالثة	283

□□□□ □□□□□□□□.indd 510 23/02/2023 16:17

الملاحظة الرابعة والأخيرة	283
2 – السؤال الثاني: كيف يقدم لنا صاحب «السلوة» هؤلاء العالمات والصالحات؟	
3 – السؤال الثالث: ما هي الأشكال التي اتخذتها هذه الكرامات ؟	287
«سلوة الأنفاس» كمصدر لكتابة تاريخ المغرب: أ.د.أحمد الأزمي	289
تمهيد	289
I ـ التعريف بمؤلف السلوة: محمد بن جعفر الكتاني (ت 1927)	290
1 – النشأة والدراسة	290
2 – أهم الوظائف والمناصب التي شغلها	293
3 – مؤلفاته	294
4 – موقفه من الضغوط الأجنبية على المغرب	295
II – منهج مؤلف «السلوة» في جمع وتدوين الأخبار	297
1 – مفهوم التاريخ عند مؤلف «السلوة»	298
2 – مصادر مؤلف «السلوة» والطريقة التي اقتبس بها	302
أ – المصادر المكتوبة	
ب – الرواية الشفوية والزيارات الميدانية	304
3 – الطريقة التي وظف بها مصادره	305
2 – الزلازل وأسبابها	307
III – أهم القضايا التاريخية الواردة في «السلوة»	308
1 – أحداث سياسية في الوسيط والحديث والمعاصر	309
2 – التأريخ لرجالات الشرف والعلم والصلاح	310
3 – جوانب من التاريخ الاجتماعي	316
4 – قضايا تاريخية أخرى واردة في «السلوة»	318
الشيخ محمد بن جعفر الكتاني: في كتابات علماء طنجة وتطوان: د. بدر العمراني الطنجي	320

□□□□ □□□□□□□□.indd 511 23/02/2023 16:17

سوس وأعلامها في «سلوة الأنفاس»: د. أحمد السعيدي	328
توطئة	328
مؤرخو فاس وسوس	328
«سلوة الأنفاس»: المنهج والقيمة	329
صاحب «السلوة» وسوس	331
تصور سوس لدى الكتاني	332
سوس في «السلوة»: علماء وصلحاء	335
أولا: العلماء	336
ثانيا: الصلحاء	339
خلاصات	340
المصادر والمراجع	341
حديث عن «سلوة الأنفاس»: الأستاذ عبد القادر الإدريسي	343
«سلوة الأنفاس» للكتاني كمصدر للتاريخ الدولي للمغرب: د. عبد الهادي التازي	349
العالم محمد بن جعفر الكتاني وكتابه: «سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس، بمن أقبر من العلماء والصلحاء بمدينة فاس»: د. عبد الإله الفاسي	358
تقديم	358
ترجمة المؤلف	359
محتوى الكتاب	363
المادة التاريخية التي يمكن استخلاصها من الكتاب	368
1- الاستنتاج العام	368
2- التراجم المنتمية إلى ما قبل الفترة المعاصرة في الكتاب	370
الفترة المعاصرة من خلال الكتاب	372
أولا: ملامح من الحياة الثقافية المغربية في القرن التاسع عشر	372

□□□□ □□□□□□□□.indd 512 23/02/2023 16:17

1 – مدى التجديد في ميدان العلوم	373
2 – حركة التأليف	376
3 – العلاقات الثقافية بين المغرب والعالم الإسلامي	378
ثانيا: ملامح من الحياة الدينية والاجتماعية في القرن التاسع عشر	379
ثالثا – ملامح من ساكنة فاس في القرن 19: نماذج من الأسر الفاسية الكبرى	387
1 ـ مسألة النسب الشريف	388
2 ـ الأسر ذات الأصل الشريف، والمشهورة بفاس في القرن الماضي	389
3 ـ الأسر غير المنتمية لآل البيت	396
خلاصة ديموغرافية	400
التعليق على الكتاب	402
1 ـ من حيث المنهاج	402
2 ـ من حيث المضمون	403
خاتمة	408
أبحاث بيبليوغرافية حول مصادر «سلوة الأنفاس»: الأستاذ روني باسي	410
دراسة مصادر «سلوة الأنفاس»	418
ملحق يتضمن كلمات الجلسات الافتتاحية والختامية في ندوات تقديم كتاب «سلوة الأنفاس» في الرباط وفاس وتطوان	465
1 ـ كلمات الجلسات الافتتاحية	466
2 ـ كلمات الجلسات الختامية	467
كلمة فعاليات النادي الجراري في ندوة الرباط الأولى: د . محمد احميدة	468
كلمة رئيس الجمعية المغربية للبحث التاريخي في ندوة الرباط الثانية: أ.د . جامع بيضا	476
كلمة السيد رئيس جامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس في ندوة فاس: أ.د توفيق الوزاني الشهدي	478

□□□□ □□□□□□□□.indd 513 23/02/2023 16:17

كلمة عميد كلية الآداب والعلوم الإنسانية-ظهر المهراز بجامعة محمد بن عبد الله بفاس في ندوة فاس: أ.د. محمد الشاد	480
كلـمة السـيد رئيـس شعبة اللـغة العربيـة وآدابـها بجامعة محمد بن عبد الله بفاس في ندوة فاس: أ.د. عبد الرحيم الرحموني	482
كلمة رئيس وحدة الأدبية المغربية بكلية الآداب بفاس في ندوة فاس: أ.د. عبد الله بنصر العلوي	485
كلمة رئيس المجلس العلمي المحلي بتطوان في ندوة تطوان: الأستاذ عبد الغفور ناصر	488
كلمة المؤسسة العلمية الكتانية في ندوة تطوان حول «سلوة الانفاس»: أ.الدكتور حمزة الكتاني	493
كلمات الجلسات الختامية في ندوات تقديم كتاب «سلوة الأنفاس	497
كلمة الجلسة الختامية بكلية الآداب بالرباط في ندوة الرباط الثانية: الأستاذ عبد الله الكامل الكتاني	498
كلمة رئيس المؤسسة العلمية الكتانية في ندوة فاس: أ.د. حمزة بن محمد الطيب الكتاني	503
شهادة حول كتاب «سلوة الأنفاس»: أ.عبد الوهاب بنمنصور	505
الفهرس التفصيلي لموضوعات الكتاب	507

□□□□ □□□□□□□□.indd 514 23/02/2023 16:17